د. جوزف عبدالله

تحقيقات

في

تاريخ عكار والقبيات

مكتبة السائح

طرابلس – لبنان

الطبعة الأولى: أيلول ٢٠٠٠

النص بصيغة pdf: موافق للمطبوع

إهـــداء

إلى عنوان التضحية الدائمة، إلى أمي؛

إلى سعاد ووائل وسالم، كنت بينهم حاضراً في الجسد، غائباً عن المشاركة؛

إلى أرواح كل الشهداء - الشهداء، وكل الشهداء - الضحايا؛

إلى المناضلين الأسرى، ومنهم المناضل جورج إبراهيم عبدالله؛

إلى عاشقة الحرية المخدوعة: بلدتي القبيات؛

إلى وطني المصلوب على أيدي جلادي العولمة والصهيونية والعمالة العربية ووحوش الطائفية بثوب الحمل؛

إلى عكار عنوان العطاء الكثير للبنان والحرمان الكبير منه!

المحتويات

المقدمة

لماذا هذا الكتاب؟

لم أجد ما أعبر فيه عن دوافعي في كتابة ما أُقدمه للقارئ هنا غير أن أبدأ بتكرار ما سبق، وقاله منذ حوالي عشرين عاماً تقريباً، د. الياس القطار، وهو يضع مقدمة كتابه "مدخل إلى علم التاريخ"، حين قال مشكوراً على ملاحظته الجريئة والعلمية: "الدافع إلى هذا الكتاب هو هذه الحالة من التسيب الثقافي والفكري الحاصل حالياً والذي نتج عنه فقدان المعايير العلمية والمقاييس المنهجية التي تفصل بين الغث والسمين من المؤلفات التاريخية. أبعد من ذلك، نحن نعاني منذ سبع سنوات من هجمة بعض الأميين والفاشلين على ميدان التاريخ..."[١].

لا شك، أن ملاحظة د. القطار رائعة، ونجدها معبرة عن لسان حالنا ونحن نطالع البعض مما كُتب في تاريخ عكار، وبشكل خاص ما تناول منه التأريخ للقبيات. وإذا كانت ملاحظتنا الأولية تلفت النظر إلى ما اعترى البعض من هذا التأريخ من تشويه سافر وتزوير فظ للمراجع والمصادر، فإن ما يسترعينا أساساً هو جانب التطفل[٢] على التاريخ، والجهل بطبيعة هذا المبحث، لجهة منهجه ووظيفته الاجتماعية.

فما هو التاريخ؟ وما هي وظيفته؟

بالطبع لسنا في وارد الإطناب النظري في الإجابة على مثل هذه الأسئلة. بيد أن الأمر يستلزم في حالتنا إلقاء الضوء، تعريفاً لماهية التاريخ وللحقيقة التاريخية (علمية التاريخ) ولوظيفة التاريخ، وذلك باستعراض سريع لمسار وتكـــون هذا المبحث الفكري الخطير. وإننا لنعتبر الطريقة

---

[1] - القطار، د.الياس: مدخل إلى علم التاريخ (تطوره – منهجه)، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، ١٩٨٢، ص ٨.

[2] - من نماذج التطفل طبيعة التركيبة التي شاركت في "المؤتمر الأول لتاريخ عكار"، المنعقد في "ثانوية راهبات القديس يوسف – منيارة – عكار"، في ١٤/١١/١٩٩٣. صدرت أعمال هذ المؤتمر، عن دار الانشاء، بعنوان: "المؤتمر الأول لتاريخ عكار، في التاريخ العثماني، ١٥١٦ – ١٩١٨"، ١٩٩٥. كان أبرز من عمل على عقد هذا المؤتمر د. فاروق حبلص (أمين السر)، وشارك في أعماله إثنان من كبار المؤرخين في لبنان، د. عمر عبد السلام تدمري ود. مسعود ضاهر، بالاضافة إلى مجموعة من المؤرخين "الناشئين" والبعض ممن لا علاقة له لا بالكتابة التاريخية ولا بأي نوع من الكتابة، وكان اشتراك الصنف الأخير في المؤتمر تعبيراً عن "هزالة" النظر إلى التاريخ، وشكلاً من التطفل على هذا العلم. ومن التطفل قيام البعض في وضع "التواريخ" بمؤلفات ضخمة، دون مرورهم بتجربة إعدادية للتأريخ، أو تمكنهم من الأصول التي رسى عليها التأريخ. وبعض هؤلاء من حملة دكتوراه الحرب الأهلية، على قاعدة "إجازات" جامعات هذه الحرب، وعليهم ينطبق الوصف الذي وصف فيه جاك بيرك بعض حملة الدكتورا العرب في فرنسا، عندما سماهم ساخراً بالفرنسية: "Les daketras".

التي ظهرت فيها الكتابة التاريخية خير وسيلة لفهم ماهية التاريخ وأغراضه. وهـــذا ما يسميه جوزف هورس "تاريخ التأريخ"، وهـــو ينتهي بتعريف التاريخ "على أنه ما كان يفعله المؤرخون"[٣].

يرى ابن خلدون أن: "حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لذلك العمران..."[٤]. بيد أن البشرية لـــم تعتمد عبر تطورها الطويل نظرة واحدة أو طريقة موحدة في عرض "خبرها " عن ماضيها. وهكذا: "من الميتولوجيا وأساطير الأولين، إلى التبحر المسرف في الروح العلمية، لم تكن النظرة إلى التاريخ واحدة ولم تكن صلة الانسان به وفهمه له على نفس الوتيرة. فالإنسانية لم تعرف خلال تاريخها الطويل تاريخاً واحداً موحداً منقوداً، فلكل حضارة ولكل جيل طريقته في التدوين"[٥].

ففي مصر القديمة كان تدوين التاريخ "عملاً مقدساً"[٦]، وكذلك كانت الحـــال عند اليهود في "التأكيد على استمرارية قدرهم الالهي كشعب مختار"[٧]، وبحيث كانت التوراة بمثابة "ايحاء يؤكد استمرار القدر الالهي فـــي الشعب الذي اختاره"[٨]. وعندما استعرض هَرنشو أقدم الكتب في التاريخ (تواريخ المصريين والبابليين والعبرانيين) خلص إلى نتيجة مفادها فـــي قوله: "وغني عـــن البيان أن الغرض من هذه الكتب كان تعليمياً عملياً أي متصلاً بالشئون العامـــة..."[٩].

ولم يكن التأريخ اليوناني أقل اهتماماً بوظيفة التاريخ، فجعل منه بوليب: "نوعاً مـــن العلم الذي يقرأ المستقبل بالإستناد إلى قوانين عامة تتحكم بحياة المجتمعات"[10]. وفـــي هذا يقول المؤرخ توسيديد: "إننا بسبب هذه الفائدة الـــتي نجنيها مـــن معرفة المـــاضي... نستطيع أن نستبق الحكم فـــي أمر الأحداث المتماثلة أو المتعادلة التي ستتولد في مستقبل القيم المشتركة"[١١]. وكذلك

---

3 - هورس، جوزف: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط ٣، ١٩٨٦، ص ١٨ – ١٩.

4 - ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، مكتبة المثنى، بغداد،(ب. ت.)، ص ٣٥.

5 - القطار، د.الياس: مدخل إلى علم التاريخ، مرجع سابق، ص ١١.

6 - المرجع السابق، ص ١٥. راجع أيضاً جوزف هورس، مرجع سابق، ص ٢٢.

7 - المرجع السابق، ص ١٦.

8 - هورس، جوزف: قيمة التاريخ، مرجع سابق، ص ٢٢ – ٢٣.

9 - هَرنشو، (ج): علم التاريخ، ترجمه وعلّق حواشيه...، عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢، ص ١٦.

10 - القطار، مدخل إلى علم التاريخ، مرجع سابق، ص ٢١.

11 - عن: جوزف هورس، مرجع سابق، ص ٢٦.

قل عـــن التأريخ الروماني الذي نسب إلى الرومان دعوتهم في قيادة العالم(١٢). ومن المعروف أن كتابة التاريخ صارت مع الرومان "قياماً بوظيفة من وظائف الدولة"(١٣)، لا سيما مع تأسيسهم لـ"مخازن الوثائق" و"الأكاديميات" وما نشرته باسم "رزنامة".

واستمر التأريخ في المسيحية دينياً – تبشيرياً، معتبراً حركة المجتمعات وتطورها (تاريخها) إنما هو حركة الصراع بين الخير والشر(١٤).

وفي عصر النهضة ازداد الاهتمام بالتاريخ بفعل ازدياد أهمية وظيفته في تنشئة رجال الدولة، ومن ثم في ترسيخ الدول القائمة على أنقاض العالم المسيحي. وبمعنى أوضح، انخرط التاريخ في تنشيط عملية خلق الهويات الاجتماعية، وفي تنشيط الحركة السياسية للشعوب. ومع تقدم الشعوب استمرت الأبحاث التاريخية، كما كانت في جوهرها في الأصل عبارة عن ثالوث سياسي عبر عنه هَرنشو بقوله إنه: طريقة البحث السياسي، ومستودع السوابق السياسية، وأساس التقدم السياسي(١٥).

وفي هذا السياق طرح ابن خلدون وظيفة التاريخ عندما وصف وسمّى كتابه "كتاب العبر"، وأراده "أفصح بالذكرى والعبر"، وفيه "الحِكم المحجوبة القريبة"، وعندما أهدى كتابه إلى أمير المؤمنين ابن فارس عبد العزيز أهداه له قائلاً: "ليكون آية للعقلاء يهتدون بمناره"(١٦).

وفي الحقيقة لكم أصاب فرانسوا شاتيليه François CHATELET عندما عين جوهر التاريخ بقوله: "ليست المسألة الفعلية في التاريخ مسألة طابعه العلمي بقدر ما هي مسألة وظيفته الاجتماعية والسياسية"(١٧). وفـــي هذا يقول هورس: "وإذا كان المؤرخ... يحدد الحوادث... يبحث عن أن يتبعها... فذلك لأنه يعول على أن يجعل منها عملاً نافعاً، لا يعيننا الماضي فيه، إلاً

---

12 - المرجع السابق، ص ٢٧، حيث يأخذ القطار على هذا التأريخ "الميول الايديولوجية" فيه.

13 - هورس، جوزف: مرجع سابق، ص ٣١.

14 -"في نظر المسيحية، التاريخ هو عبارة عن صراع بين مملكة الشيطان ومملكة السموات"، المرجع السابق، ص ٢٨. ويرى هَرنشو أن "المنهج الذي انتهجه آباء الكنيسة في التأريخ... كان المنشئ لفلسفة التاريخ..." هَرنشو، مرجع سابق، ص ٢٧.

15 - هَرنشو، مرجع سابق: "التاريخ من حيث هو مدرسة لتعليم البحث السياسي: من الصحيح نسبياً قولهم إن التاريخ عبارة عن سياسة الماضي، وإن السياسة تاريخ الحاضر، فموضوع التاريخ والسياسة واحد..." (ص ١٠٩)؛ "التاريخ من حيث هو مستودع السوابق السياسية" (ص ١١١)؛ "التاريخ من حيث هو أساس للتقدم السياسي" (ص ١١٤).

16 - ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ٧ – ٨.

17 - CHATELET, François: La Philosophie des Sciences Sociales, de 1860 à nos jours, Librairie Hachette, Paris, 1973, p.210.

لكي يزيد في حسن فهمنا الحاضر ويعيننا على تهيئة المستقبل"[١٨]. للتاريخ على العموم وظيفة أساسية هي مساعدة الشعوب على رسم طريق تطورها، كما أوضح مفكرو عصر الأنوار، وفي طليعتهم الموسوعيون، الذين يعبر كوندورسيه عن رأيهم بقوله: "إذا كان ثمة من علم يسبق النظر في تقدم الجنس البشري في سائر مرافق حياته ليدير هذا التقدم ويزيد في نشاطه، فإن التاريخ يجب أن يكون القاعدة الأولى لهذه التقدمية..."[١٩].

لا يعني ذلك أن التاريخ، بحكم وظيفته الاجتماعية والسياسية، هو مجرد أوهام أو دعوة أخلاقية وتبشير، مما يبرر لكل من تعاطاه اختراع الإختلاقات وصناعة الأوهام، لخدمة أغراض اجتماعية وسياسية. فثمة وقائع عاشتها الشعوب والجماعات في الماضي القريب أو البعيد، قد يقع الخلاف في فهمها وتفسيرها وتأويلها، إنما لا يجوز تزويرها. وثمة وثائق (نصوص أو نقوش أو آثار أو مرويات أو تقليد) قد يستفيد منها المؤرخ أو يغيبها، ولكنه لا يجوز في مطلق الأحوال تشويه ما فيها أو استنطاقها بما لا قبل لها على النطق به. ذلك أنه عندما اتضحت، مع الزمن ومع تطور "العلم" التاريخي، مسألة الوظيفة السياسية للتأريخ، بفعل اتساع وانتشار الكتابات التاريخية (الكتب، المجلات، الصحف اليومية، وخاصة تعميم تدريس مادة التاريخ في المدارس، ووسائل الاعلام السمعي - البصري)[٢٠]، استقرت جملة من المبادئ والأصول المنهجية التي تحمي "الحقيقة التاريخية" من التزوير.

ولكن كـــل هذه الأصول المنهجية لا تحمي "الحقيقة التاريخية"، ولا يمكنها أن تحميها، من الموقف الايديولوجي الذي يحكم العلوم الانسانية، ومنها التاريخ. ويصح ذلك خاصة على التاريخ الذي تحول إلى "تاريخ قومـــي"، في مرحلة صراع القوميات– الدول فـــي الغرب. إن التطور الذي أدى إلى نشوء الدولة – الأمة الواحدة التي لا تتجزأ (nation souveraine, une et indivise)، أدى أيضاً إلى تطور التاريخ والجغرافيا، ولا سيما الكتابة التاريخية. ومن هنا اهتمام الدولة (كل الدول) بالتاريخ ورعايته، بمعنى القبض عليه والتحكم به. ومن هنا أيضاً الأزمة التي شهدها لبنان في ما يخص تعديل مناهج مادة التاريخ في المدارس. وعلى العموم "بقي التاريخ فـــي كل مكان، سياسياً أولاً يسيطر فيه، على الجهد المتتابع حتى في أكثر المناطق تقدماً في المعرفة،

---

[18] - هورس، جوزف: مرجع سابق، ص ٤٩.

[19] - المرجع السابق، ص ٥٢ – ٥٣.

[20] - CHATELET, François: op. cit. p. 224.

الاهتمام بإعداد أجيال متتابعة مـــن التلاميذ"(٢١). إن علمية التاريخ لن ترقى إلى مصاف علمية العلوم الصحيحة إلاّ متى كفّ الصراع بين الشعوب. وفي ذلك شرط لازم لإمكان حصول الموضوعية هنا. وفي هذا يقول ريمون آرون: "مهما كان التاريخ موضوعياً، فلا يمكنه أن يكون محايداً. وهو بالموضوع الذي يختاره، وبالمنهج الذي يعتمده، وبنوع المعلومات التي يطلبها، فإنه يتخذ موقفاً في الصراع الايديولوجي المندرج في الصراع الطبقي"(٢٢).

هـــل يعني ذلك أن نأخذ موقفاً يرفض التاريخ ويرذله؟ بالطبع لا. لأنه: "وإن كان لا يمكن اعتباره (أي اعتبار التاريخ) علماً يقينياً... إلاّ أنه من حيث طرائقه ونتائجه آخذ على أقل تقدير بشبه قوي جداً من العلوم... يمكن الانتفاع به في توسيع المدارك وتعويد الناس الإنصاف في الحكم ووضع الأشخاص والحوادث في وضعها الصحيح على مسرح الشؤون العامة"(٢٣). ولعل في ما قيل للتو الجواب علـــى مسألة فائدة التاريخ، وعلـــى المسألة التي تدور حول مـــا نفعله بالأبحاث التاريخية.

ونختصر الكلام فـــي القول أن: "وظيفة المؤرخ تقديم معارف أو معلومات (كما يُقال الآن) يؤكدها الإستدلال المتأني للإدراك؛ وللعقل السليم أن يستخلص الدروس الأخلاقية والسياسية"(٢٤). وبطبيعة الحال، يجب أن نُدرك أن الدروس التي يجب استخلاصها من التاريخ إنما تتعلق بالمستقبل. صحيح أن التاريخ هو استعادة للماضي، هوبحث في الحوادث التي ولّت، ولكن غرضه المستقبل بالذات. إن العودة إلى الماضي، انطلاقاً مـــن الزمن الراهن، تتم وعين المؤرخ تُصوب نحو مستقبل مرغوب للإنتقال إليه من هذا الحاضر القلق. وكأن القلق الراهن هـــو الذي يدفع بالمؤرخ إلـــى العودة إلى الماضي لاستخلاص دروس وعبر تساعد على إزالة التوتر الذي يُحدثه هذا القلق. إنها لمفارقة لفظية شكلية أن يكون العمل على الماضي (التاريخ) هـــو بناء المستقبل. وعلـــى هذا يشدد جوزف هورس، بقوله أن علـــى المؤرخ: "تقوية سلاح معاصريه لمعركة العمل، يعني لبناء المستقبل. ولذلك كان الضوء الذي ينير طريق المؤرخ، فـــي أقصى ما يتناول من أبعاد الماضي، هو ضوء الاهتمام بالمستقبل"(٢٥).

---

21 - هورس، جوزف: مرجع سابق، ص ٦١ – ٦٢.

22 - CHATELET, François: op. cit. p. 224.

23 - هَرشنو، مرجع سابق، ص ١٠٣.

24 - CHATELET, François: op. cit. p. 224.

25 - هورس، جوزف، مرجع سابق، ص ١٢٥.

بهذه العين التأريخية المُدركة لطبيعة عملها أعمد إلى مقاربة بعض تاريخ عكار وتاريخ القبيات، كما أعمد إلى القراءة النقدية للكتابات التاريخية المعنية.

وعليه، انطلاقاً مما يعتمل اللبنانيين عامة، و"الموارنة" من قلق مزمن وعميق، تفاقم في الربع الأخير مـــن القرن العشرين، أحاول قراءة تاريخ القبيات ومراجعة محاولات تأريخها. تنتمي هذه المراجعة وهذه القراءة التاريخية إلى مشاركتي، بحكم القدر، لهذا القلق العربي واللبناني و"الماروني".

أما جوهر هذا القلق فإنه يكمن في التناقض القائم، عند "الموارنة"، بين انتماء وواقع جغرافيين،من جهة، والبحث عـــن مصير (أو كيان أو سيادة) منفصل عن ذلك الانتماء والواقع ، من جهة أخرى. وبينما ينتمي الموارنة عضوياً إلى واقع "عربي"، بكل ما في الانتماء من مضامين اجتماعية وجغرافية، فإن البحث عن المصير (أو الكيان أو السيادة) يجري توافقاً مع استيهام هوية تاريخية – راهنة تسعى لتبرير سياسات المعاداة للمحيط، كما تسعى لتبرير عملية إلغاء الانتماء الفعلي، وتُدخل "الموارنة" في دوامة القلق الدائم[٢٦].

إن اندراج موارنة عكار الحديث جداً في هذا القلق الماروني العام، وغلبة الوجهة العامة فيهم لجهة استيهام وتكريس هوية منفصلة، منذ "الأصل"، عما جاورها، يتم التعبير عنه بصياغة تاريخ لعلاقة مارونية – عكارية أصيلة وأصلية مع الجبل "الماروني". ينطلق مؤرخو القبيات من فرضية هي في جوهر "الصراع على تاريخ لبنان": أزلية لبنان، الأرض، والشعب والدولة، ضمن حدوده الراهنة. ومن مصادرة "الموارنة" لتاريخ هذا الجبل منذ تكون، مع ما في ذلك من استبعاد لشتى العناصر الأساسية المكونة لتراث الجبل ولبنان. ومن تناقض لبنان الدائم مع محيطه.

وكان سبق لنا أن طرحنا نفس المسألة تقريباً منذ أكثر من عقدين بقولنا: "مـــع أن القبيات تشكل التجمع الماروني الأكبر في عكار...، فإنها حديثة العهد نسبياً من حيث صلتها ولحمتها، المنتظمة بدقة، بالطائفة المارونية كؤسسة دينية، وهي أحدث عهداً أيضاً من حيث اندراجها فـــي الحركة السياسية التوحيدية لموارنة لبنان. ومـــع أن هذا الانتماء الديني استكمل تكوينه بحيث بات المجتمع القبياتي اليوم مشبعاً بما يمكن أن نسميه "التاريخ المختلق للموارنة"، هذا

---

26 - بالطبع لا يتحمل "الموارنة"، لوحدهم، مسؤولية هذا القلق. بل هو في جانب أساسي منه وليد عجز "المشروع" العربي عن التحقق. وإذا كنا لن ندخل في نقاش هذا العجز هنا فليس ذلك للتقليل من أهميته، بل لضيق مجال البحث فيه في هذا المقام. لذا نكتفي بتسليط الضوء على المسؤولية الذاتية "للموارنة" في ضرورة الإسهام في السعي إلى تجاوز هذا العجز وخلق الشروط الفاعلة لتحقيق الانصهار الاجتماعي.

التاريخ الذي يصور كل ماروني راهن وكأنه سليل مار مارون ينساب، أباً عــن جد، عبر سلسلة لا تنتهي...، فثمة معطيات تؤكد أن هذا "التاريخ"...، لــم يتكون إلاّ عبر بناء هوية دينية تقوم على اشباع "العقل الماروني" وشحنه بتواصل ماروني مستمر بعد إفراغه أو محو ما فيه من عناصر أو ذكريات أو عوامل تشير إلى انتماء سابق لغير المذهب الماروني. تعرضت القبيات – ككثير من التجمعات المارونية – لعملية "غسل الدماغ" هذه، وخضعت ذاكرة أبنائها... لعملية محو الذاكرة وإعادة تركيبها – وهي عملية ما تزال متواصلة- بحيث تبدو فيها صورة موارنة القبيات اليوم – والبلدة اليوم كلها مارونية – كورثة أصيلين ومتواصلين مع موارنة الأمس ومن هم قبلهم وصولاً إلى الجد المؤسس للطائفة وهذا ما يتنافى بتقديرنا مع معطيات تاريخية محايدة يثبت البحث فيها الحداثة النسبية لمارونية الانتماء القبياتي أو على الأقل لانتماء القسم الأكبر من سكانها"[٢٧].

وظيفة التأريخ القبياتي

إن صنع هذه الهوية الموهومة، والملتبسة منذ الأصل، هو الوظيفة الأصلية للكتابة التاريخية في القبيات، وهي الكتابة التي سنخضعها للنقد والنقض.

كان هذا التأريخ شعبياً شفهياً، ويتم اعتماده في اللقاءات العفوية، حيث ينشط الحوار في الماضي (التاريخ) على ضوء القلق الذي صعّدته ظروف الحرب الأهلية، وصعود المنطق الطائفي في هذه الحرب. وكانت مادته المكوبة مستمدة في معظمها من مؤلفات الأب بطرس ضو، خاصة ما أشار فيها إلى "نقاء" التجمع الماروني في لبنان من الشوف إلى الدريب[٢٨]، فضلاً عن عشرات النشرات الميليشيوية، من كل الأصناف، التي صدرت في مرحلة الحرب الأهلية. وعندما حذرنا في المقال الذي أثبتنا مقطعاً منه قبل قليل، انتقل هذا التأريخ من الحيز الشفهي إلى ميدان الكتابة، مركزاً على نفس المسألة: أصالة المارونية القبياتية – العكارية، وعظمتها، وإلغائها للذاكرة المحلية، ومصادرتها لكل ما هو غير ماروني في المنطقة.

فكان رد الصديق د. فؤاد سلوم علينا بمقال (عملت شخصياً على نشره له في نفس المجلة الــتي نشرت فيها مقالي، الشمال، تشجيعاً للحوار) بالغ التعبير فــي عنوانه، ويعكس نزعــة

---

[27] - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات" ملف العدد، مجلة الشمال، العدد٦٥، ١٩٨٦/٩/٢٩.

[28] - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ٥ أجزاء.

الفكر المطلق: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"[٢٩]. وفي العام ١٩٨٨، أكمل د. الأب عفيف (سيزار) موراني اطروحة دكتوراه، بعنوان: العمارة الدينية في القبيات فـــي ظل الصليبيين[٣٠]. وأخيراً جاء مواطني القبياتي السيد يواكيم الحاج، في العام ١٩٩٩، بمجلدين ضخمين يتجاوزان ١٣٠٠ صفحة بعنوان "عكار في التاريخ"[٣١].

إن سمة هذا التأريخ الأساسية هي "تعظيم" القبيات بحيث يبدو مجتمعها الراهن "قزماً" بالقياس لما كانت عليه البلدة في الأزمنة الغابرة. وبالطبع ما كان لهذا الماضي المزعوم على هذه الدرجة من "العظمة" أن يتراجع لولا "اضطهاد" المحيط للقبيات، كما يزعم هذا التأريخ. ولكم تنطبق ملاحظة بول فاليري على الكتابات التاريخية القبياتية، لا سيما عندما قال: "إن التاريخ هو أخطر إنتاج أعدته كيمياء العقل، فهو يدفع الانسان إلى الاستغراق في الأحلام ويُسكر الشعوب. فيولـــد عندها ذكريات لا أساس لها... تنكأ جروحها القديمة، فتعذبها وتقلق راحتها، إذ أنها تقودها إلى هذيان العظمة ومهاوي الاضطهاد وتجعل الأمم مريرة، متغطرسة، مغرورة، مزعجة وعقيمة"[٣٢].

يترافق هذا "التعظيم" لماضي القبيات، باختراع تواصل قبياتي أصيل بموارنة "الجبل"، تواصل جغرافي من جهة (الحدود حتى بشري)، واتني وديني هـــو أصيل أيضاً، بحيث لا يمكن لأي فرد قبياتي أن يتصور للقبيات أو لأي من ساكنيها (في الماضي أو الحاضر) أصلاً غير ماروني. فالقبيات مهد المارونية في لبنان، مثلما هي أفاميا في سورية. وهـــذا ما يستدعي استمرار هذا التواصل على المستوى الراهن. ومن هنا مبررات الإنصياع والخضوع، عبر وحدة الطائفة، على المستوى السياسي. لا سيما وأن هذا الماضي الذي تقدمه هذه الكتابات التاريخية يجعل موارنة القبيات مشاركين منذ أقدم العهود بمعارك الموارنة ضد الاضطهاد، في القرن السابع "مقاتلو" القبيات ينتصرون على البدع والهرطقة (الملكيين)، وفي العصور الوسطى يستقبلون الصليبيين ويعيشون مرحلة العز المنشود!؟

---

29 - سلوم، د. فؤاد: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، مجلة الشمال، مرجع سابق، العدد ٨٦، ١٧/٨/١٩٨٧.

30 - MOURANI, Afif (p): L`Architecture Religieuse de Cobiath sous les Croisés,Thèse de Doctorat en l`Histoire de l`Art, sous la direction de Yves BRUAND, Toulouse 1988.

31 - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ، ج ١: أضواء على الماضي وج ٢: تاريخ القبيات، مجد، بيروت، ١٩٩٩.

32 - ورد هذا النص في: بولس، جواد: التحولات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الاسلام، دار عواد للطباعة والنشر، ص ٣٨.

وليست "عظمة" القبيات فقط فـــي أنها مهد المارونية في لبنان، ودرعها وسيفها الماضي، بل لأنها كـــانت منطقة مترامية الأطراف شاسعة الأراضي، وفق حدودها "التاريخية"، الممتدة من النهر (العاصي) إلى النهر (الكبير)! وصولاً إلى مشاعات بشري!

هكذا تكمن وظيفة الكتابة التاريخية للقبيات، عبر اختراع هذه "العظمة" و"الأصالة"، في إدراج القبيات في المشاريع السياسية التي اعتمدتها قيادة "الموارنة"، منذ أواسط الستينات من القرن المنصرم. وما أوهام "العظمة" غير وسيلة لتشحن النفوس بالآلام ليتولد عنها الحماس اللازم لاستعادة مقومات هذه "العظمة" المسلوبة، وحيث الطريق إليها تمر بالعودة إلى "الأصالة".

ورب معترض قد يقول: ولكن ما شأن قيادة "الطائفة المارونية" بكتابة تاريخ محلي (تاريخ القبيات، وموارنة عكار)؟ وعليه نرد: ما كان لنا أن نُقحم مقام القيادة المارونية في هذا البحث لولا أن قام بعض رموزها برعاية وتزكية هذا الإختلاق التأريخي الذي سنتعرض له في كتابنا. فليس من الصدف ولا من العبث أن ينبري سيادة المطران فرنسيس البيسري، النائب البطريركي العام، لوضع المقدمة الأولى (تصدير) لكتاب السيد يواكيم الحاج، وفيها يقول: "وهـــا بين أيدينا جزءان من دراسة هذا التاريخ (تاريخ عكار): "عكار فـــي التاريخ" للصديق الأستاذ يواكيم الحاج... يعالج في الجزء الثاني "الانتشار المسيحي في لبنان وسورية"، وأن "القبيات مهد المارونية". ولا غرو، فالأستاذ يواكيم قد تهيأ لهذا الدور (؟!) منذ زمـــن الدراسة وأعد له العدة... إنه لا ينقل الخبر التاريخي إليك على ما هو عليه فقط، بل يضعه بين يديك بعد أن يكون عمل جاهداً ليميز الخاطئ من الصائب، والغث من السمين مسترسلاً أحياناً مع العاطفة المناطقية "والقبياتية". ولكنك أيها القرئ النبيه، وقـــد أغناك الباحث بمعلومات وافرة، لا يمكنك إلاّ أن تغض الطرف عن بعض الهنات".

هكذا، برأي النائب البطريركي يكون السيد يواكيم الحاج "قد تهيأ" لدور المؤرخ، منذ سنوات الدراسة؟ أين؟ في أي جامعات؟ وعلى أي أساتذة؟ وبرأيه السيد يواكيم يعمل جاهداً ليميز الخطأ من الصواب، في الأخبار، كيف، بتزوير نصوص الوثائق والمراجع؟ وهل يوافقه سيادة المطران بيسري على أن القبيات "مهد المارونية"؟

كما أن الأباتي بولس نعمان وضع المقدمة الثانية للكتاب ولم يجد في الكتاب غير ما يستحق المدح، باستثناء بعض الاسترسال مع العاطفة. ولكن الأباتي نعمان يميل إلى تأييد ما أتى به السيد يواكيم، فـــ"الأطروحة... أقرب إلـــى المنطق التاريخي مـــن المقاربات السابقة...". أما كل

ما في الكتاب من تزوير للوثائق والمراجع، وكل التطفل على العلوم: الأنتروبولوجيا الطبيعية، الأركيولوجيا، اللغات القديمة من مسمارية وغيرها، فهذا استرسال مع العاطفة...

وليس من الصدف أن يستضيف (Télé Lumière)، على الهواء مباشرة، لمدة ٢٢ دقيقة، السيد يواكيم الحاج، لمرة ثانية، فـــي حلقة من حلقات "كتاب وكاتب"، إعداد الأب أنطوان الجميل الذي يظهر على الشاشة وهو يقول (ملوحاً بكتاب السيد يواكيم الحاج الجالس أمامه): "سبق وبلقاء آخر تحدثنا عن تاريخ القبيات... حجم الكتاب، ج ٢، يدلنا على الجهد والتعب والوقت الطويل الذي يستلزم كتابة من هذا النوع لا سيما عندما تكون الكتابة تاريخية. نعود إلى التاريخ لنفهم الماضي، كما أن الماضي هـــو الخط الذي أوصلنا إلى الحاضر، والحاضر يضيء لنا المستقبل. كتابة التاريخ تعتمد علـــى الوثائق وعلى المراجع التاريخية، بدها جلد، بدها رؤية، بدها واقعية. وهيدا الكتاب تحلـــى بالصفات الثلاثة". وبارك يا سيد! شهادة مـــن أكبر وسيلة اعلامية روحية كاثوليكية، بعلمية الكتاب، بجلد كاتبه، ورؤيته، وواقعيته! وفـــي الختام يقول الأب أنطوان الجميل: "عمل مثل هذا يستحق كل تقدير واحترام. وبارك يا سيد!

كما أن تلفزيون (Lbc) بدوره استضاف في حلقة بعنوان: "القبيات، تلال العز"، بتاريخ ١٩/٣/٢٠٠٠، د. سلوم والسيد يواكيم الحاج، للحديث عن "العظمة" التاريخية في القبيات، وعن الكتابات المسمارية التي صحح كلماتها مؤرخو البلدة. وحيث يشبه د. سلوم وادي القبيات ب"وادي النيل" و"وادي الغانج" و"ما بين النهرين". الذين استحوا ماتوا!

بعض الدوافع لوضع كتابنا هذا نابعة من تساؤل: لماذا كل هذا الاهتمام بمثل هذه الهلوسة التاريخية؟ لماذا تهتم وزارة الثقافة والتعليم العالي في لبنان (وبلدية القبيات...) بكتاب يقوم على الهلوسة التاريخية، وعلى تسفيه مجمل تاريخ بلادنا، ويصف المماليك بالمرتزقة[٣٣]، بينما يمجد الحملات الصليبية قائلاً: "وقد اعتبر هذا التدخل الأجنبي (الحملات الصليبية) غزواً عند بعض الغرباء وعند القبائل المرتزقة، التي أوقفت عند حدها، والتي جاءت إلى لبنان، للقضاء على حريات أبنائه"[٣٤]. أو قوله: "وقد شاءت الارادات الخيرة، أن تقوم بهذه المهمة الانسانية، وقد رأت أن الوقت حـــان لتنفيذها، فجهزت الحملات الصليبية، وجـــاء الصليبيون إلى الشرق..."[٣٥]. بل كيف تقبل هذه المراجع الروحية والرسمية رعاية مؤلف يجعل مـــن قادة الثورة السورية علـــى

---

33 - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٩ – ٣٩٢.

34 - المرجع السابق، ص ٥٤٤.

35 - المرجع السابق، ص ٥٤٥.

الاستعمار الفرنسي مجرد لصوص وخارجين على القانون: "ولما جاء سعيد العاص، الفار من وجه العدالة السورية الحاكمة، فانضم إلى عصابات اللصوص الأشقياء في جرود عكار – القبيات، والتي يتزعمها المدعو زين مرعي جعفر، وحسن طعان دندش..."[٣٦]؟.

ولعل الجواب على هذا السؤال متعدد العناصر بلا ريب. ولكن يبقى في طليعتها ما بدأت به مقدمتي بكلام للدكتور الياس القطار: التسيب الثقافي والفكري... فقدان المعايير العلمية والمقاييس... هجمة بعض الأميين... لقد هزلت الثقافة وهزل التأريخ. والعلة الأساسية هي غياب الحس النقدي، عند الخاصة والعامة، عموماً. وفي ظل هذا الغياب للحس النقدي، وهزال العمل الفكري، تنشط القوى الظلامية تغزي الخرافات، والأوهام على شتى أشكالها. وليس من العبث العودة في كثير من المناطق إلى اعتماد الرقي والشعوذة حتى في المجال الطبي...

ولا يقتصر "تعظيم" القبيات وتزوير أحوالها على الماضي فحسب، بل هو بتناول الحاضر أيضاً. من ذلك ما لا مجال للخطأ فيه، لمن أراد القيام بعمل علمي، نقصد عدد سكان القبيات، على سبيل المثال. فالأب المحترم موراني يجعل عدد سكان القبيات حوالي ثلاثين ألفاً[٣٧]، في العام ١٩٨٨، بينما يرفع السيد يواكيم الحاج العدد إلى أربعين ألفاً في العام ١٩٩٩، ويوضح السيد يواكيم في لقائه مع Télé Lumière أن العدد يشمل المقيمين والمغتربين. وعندما سأله الأب أنطوان الجميل كم هو عدد المقيمين إلى المغتربين أجاب من ٣٥ ألفاً إلى اربيعين. هكذا مجرد مسألة إحصائية، ويمكن التحقق منها بأبسط الأساليب (دوائر النفوس، لوائح الشطب الانتخابية، عدد أعضاء المجالس البلدية...)، جاءت عرضة لمبالغة غير معقولة على الاطلاق، حيث تتم مضاعفة عدد سكان بلدة القبيات أكثر من ثلاث مرات. لماذا؟ هلوسة مرض العظمة! ولو شئنا مناقشة كل ما جاء به الثلاثي، سلوم وموراني والحاج، من اختلاقات في التاريخ لكان علينا كتابة آلاف الصفحات، فخلف كل صفحة من كتابة هذا الثلاثي مشروع تزوير واختلاق وتعظيم.

وبطبيعة الحال محاولتنا هـــذه محفوفة بالمخاطرة. شأننا في ذلك شأن كل مؤرخ، لأن درب الكتابة التاريخية محفوفة بالمخاطر. وليس من العبث أن يشبِّه غليوم الصوري عمل المؤرخ

---

[36] - المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٧ – ١٩١.

[37] - MOURANI, op. cit., p. 2.

بالمغامر في اسطورة اجتياز مضيق مسينا[٣٨]. ولو أن المؤرخ قال الحقيقة فإنه سيثير بوجهه كره الكثيرين، ولو شاء تجنب هذا السخط بإخفاء مسار الأمور، لارتكب جريمة فظيعة[٣٩]. لقد سبق لشيشرون وأشار إلى أنه على المؤرخ اعتماد "الحقيقة" وهي جارحة ومزعجة لأنها مثيرة للغضب والسخط. وإلاّ فإن اعتماد التزلف يكون عيباً وخيانة للضمير[٤٠].

نحن لا نتوقع من "جمهور" الثلاثي المذكور ترحيباً بكتابنا. وهو جمهور واسع من خيرة أبنائنا، وقـــد بلغ بهم الوهم والأساطير مبلغاً بعيداً، بما زرعه الأب موراني ود. سلوم من استيهاماتهم (fantasmes)، في رؤوس الناشئة، بحكم دورهم المؤسس والفاعل في حركة شبيبة المنطقة. وندرك أن الحقيقة المؤسفة ستزعجه بلا ريب. لقد عـــاش قسم كبير مـــن شبيبة المنطقة على "أحلام" عظمة فارغة، ليس من شأن كتابتنا غير أن تنغص على أصحابها غيبوبتهم التاريخية. ولكننا ندعو الجميع إلى نقاش لا هوادة فيه. يكون رصيناً رصانة الحقيقة، وجارحاً جرحها.

وليست الرغبة في "الحقيقة" فحسب هي التي تدفعنا إلى ارتياد هذه المغامرة، ومواجهة سخط منتجي ومروجي التأريخ "التعظيمي" و"التأصيلي" للقبيات وللموارنة. ولكـــن أيضاً رغبتنا فـــي المساهمة في تجنيب أبناء "الموارنة" ثمن القلق الذي يساهم هذا التأريخ في تنميته واستمراره. نكتب لنحمي أطفالنا ومستقبلنا ووطننا مـــن مهالك أوهام العظمة. نكتب حرصاً على الماروني بقدر حرصنا على كل مسيحي، وبقدر حرصنا علـــى السني والشيعي والعلوي. وبدون هذا الحرص المتكامل، والمتساوي، والمتعادل، لا يكون هناك حرص على أحد. نكتب ولا نجامل الطائفي، من أي طائفة كان. نكتب محاولين الدعوة لبناء وطن لمواطنين متساوين تماماً في الحقوق والواجبات.

نكتب لنبني وطناً لا يكون "بيتاً بمنازل كثيرة"، بل لتتحول تلك المنازل إلى بيت بمترل واحد.

---

[38] - تروي اسطورة مضيق مسينا حكايات الخطر العظيم في اجتياز هذا المضيق الذي كان يتربص بالعابرين فيه مخلوقان اسطوريان: كاريبد Charybde الغول الذي يبتلع مياه المضيق بما فيه من مراكب، وكولا Sculla الذي كان يقضي على من ينجو من كاريبد.

[39] - Guillaume de Tyr: Chronique, dans Croisades et Pèlerinages, Robert Laffont, Paris, 1997, p. 508.

[40] - المرجع السابق، ص ٥٠٨ – ٥٠٩.

الزمن القديم والوسيط

واضح من سياق ما تقدم أن مؤلفنا سيركز على كتابات ثلاثة : د. سلوم، د. الأب موراني، السيد يواكيم الحاج. ولكن ذلك لا يمنع من التعرض فـــي بعض موضوعات بحثنا الراهن إلى مؤلفات غيرهم مـــن المشتغلين في تاريخ عكار. ذلك أن مؤلفنا هذا يركز على تاريخ عكار، منذ أقدم الأزمنة حتى استقرار الأمبراطورية العثمانية. وهذه المرحلة (بل قـــل المراحل) قلما غامر فيها من العكاريين واللبنانيين، باستثناء ما عالجه الثلاثي القبياتي المذكور.

وعليه يجد المطالع لكتابنا تعرضنا أحياناً، تبعاً للموضوعات التي نعالجها، لمؤلفات معظم المؤرخين لعكار. هذا مع العلم أننا نعد بحثاً هـــو "تحقيقات" في تاريخ عكار، مـــن بداية الامبراطورية العثمانية حتى الزمن المعاصر.

صعوبات

كثيرة هي الصعوبات التي تعترض هذا النوع من البحث. فتحقيق الكتب عمل مضن وشاق. لا سيما مـــتى كانت تلك الكتب غير مضبوطة في تعيين مراجعها وضبط هوامشها، كما هـــي حال كتاب السيد يواكيم الحاج، وكذلك اطروحة الأب موراني، التـــي كان مفروضاً أن تتوفر فيها الشروط الأكاديمية الشكلية على الأقل. وهذا ما لم يكن متوفراً فيها مع الأسف.

ومن أبرز العقبات في التحقيق، أن يصادفك نص منسوب إلى كاتب ما، ثم تعمل جاهداً فلا تعثر عليه فـــي المرجع المعين، فتحاول مرات حتى تتأكد من صحة الاستشهاد أو عدمه. أو أن يصادفك نص تستشم فيه التعديل على الأصل، فتعمل علـــى متابعته بالصبر المطلوب لتكتشف منطق التعديل فيه.

وليس من العقبات الصغيرة أن المراجع التاريخية محدودة الانتشار، مما يضطرك إلى السعي من مكتبة عامة لأخرى عـــلّـــك تفوز بمرجع ما.

يبقى أن الجهل باللغات القديمة، وهذه حالتي، كالسريانية واليونانية واللاتينية، يشكل ثغرة كبيرة في عمل الباحث المحقق، هذا إذا لم يكن يرغب في ادعاء "فك" الحروف المسمارية.

قلق

إن العقبة الأكبر لدى الباحث في تاريخ وواقع مجتمعه، وفي التحقيق للكتابة فيه، هـــي على العموم علاقة الباحث بموضوع بحثه. ولما كان موضوع بحثي هو المجتمع العكاري عموماً، والقبياتي خصوصاً، والباحثون في تاريخهما، جاءت علاقتي بموضوع البحث على درجة

مضاعفة من التعقيد. بالطبع تربطني بمجتمع البحث (عكار والقبيات) علاقة انتماء ووجود واستمرار. فأنا من عكار فرد فيها، تشدني إليها صلة بالأرض: علاقة بنبتة وتربة وصخرة، هنيهة راحة أو عشرة ألم، ساعات تأمل بين شوحها، لحظات كم شدني فيها النظر مـــن على ربى القموعة وعروبة، شمالاً صوب حمص ومـــا خلفها وحولها، وغرباً صوب ميناء طرابلس، ومـــا بينهما تدرج في الهبوط يميع فيه النظر حتى بحر تضيع معالمه، وجنوباً صوب البقاع والسلسلة الشرقية... وفي كل الأحوال روعة غيمة في العشيات، تزحف وكأنها لاهثة تعباً وهي تصعد المنحدرات لتفاجئك عند أقدامك وتلفك كأنها تغمرك مسلمة مودعة.

تشدني إلى عكار صلة بطبيعتها: ولكم خربتها وقطعت من شجرها أفضله، بقسوة ووحشية ، وهي تسامح؛ ولكم اصطدت مـــن طيورها وحيوانها بكل حيوانية بني البشر، تحقيقاً لمتعة، "قوّس وصيب"! ولكم... ولكم...

وتشدني إلى عكار طفولة في القبيات، ورفقة ل"عجان" الحي والضيعة، تشدني إليها ذكريات آلام عظام، خوفاً مـــن "الآخر": من المسلم، من العربي، من الغريب... تشدني إليها دهشتي باكتشاف هذا الآخر... وأحلام، واوهام الاصلاح والتغيير، تتكسر على صخور التقليد والعصبية العائلية والطائفية والجهل ومقاومة الرأسمال وأذنابه وخدمه وضحاياه. ولكم دغدغتني أحلام "العروبة" والعدالة (الاشتراكية) - وما تزال. تشدني إلى عكار المئات من الشهداء — الضحايا، من كل الأصناف والبلدات والقرى، ذهبوا بمعظمهم في مواسم الموت، "فللموت في بلادنا موسم". تشدني إلى عكار تجارب وتجارب في التغيير والعيش المشترك، تجارب فشل وخيبة مريرة، وتجارب نجاح وأمل... يشدني إليها أنني باق منها وأنني فان فيها...

وتربطني بمن أحقق كتاباتهم أكثر من علاقة. فمع د. سلوم علاقة قرابة وصداقة ومودة وبعض العشرة، وعلاقة اختلاف في الرأي والممارسة والسياسة، وهنا علاقة اختلاف النقيض بالنقيض. وبالأب د. موراني تربطني علاقة إرث الأباء الكرمليين فـــي القبيات، فلكم تفيأت "جوزات الدير"، ولكم "عفرتها" في تشارين. فهناك تربيت مسيحياً محباً للآخرين، والآخرون فهمتهم بني البشر. تربطني بالآباء الكرمليين علاقة عرفان بجميلهم، في إسهامهم فـــي تكويني الروحي، ولهذا التكوين قسط وافر لما أنا عليه. وتربطني به أيضاً وبنفس الآن علاقة اختلاف، لمـــا هـــو عليه فـــي رؤيته لتاريخـــ"نا"، ومصير"نا"، وفي تحديده هذه "نا" التي نحن عليها. وبالسيد يواكيم الحاج لي صلة ابن الضيعة عامة، فـــمن بين أهله أعز الأصدقاء، عشران الطفولة والصبا. ومعه اختلاف في الرأي! ولا أنسى مع الأب نايف اسطفان عشرة الزمالة، واستمرارها مودة

مستمرة، وبعض اللقاء وبعض الخلاف في العقلية. كما أشعر مـــع د. فاروق حبلص، بـــدون معرفته الشخصية، بعلاقة تقدير لجهده التأريخي الرصين عـــامة. وللدكتور محمد خالد الزعبي تقدير كبير لا سيما بكشفه لنا اسم عكار. ولا أنسى الصديق الطيب د. الياس جريج، صاحب الفضل على كل من أرخ لعكار، في الزمن المعاصر، فهو، باشراف د. مسعود ضاهر، واضع المخطط الأول لكل من سار على درب التأريخ لعكار، لا سيما التاريخ الاجتماعي في المرحلة الحديثة. وهذا أمر سيتم عرضه فـــي الجزء القادم من نفس كتابنا، حيث نبين فيه كيف تم الاقتداء بهذا العمل في معظم الدراسات في التاريخ العكاري[٤١].

تشكل كل هذه الصلات مع الأرض العكارية وناسها، انطلاقاً من القبيات – عندقت إلى أقصى وادي خالد إلى السهل المبلل بمياه النهر الكبير وأمواج المتوسط، إلى أعالي الجرود، من أكروم وبيت جعفر وعكار العتيقة مروراً بفنيدق، وصولاً إلى ببنين...، من معازها أو فلاحها المستور (هذا إن أبقت له الرأسمالية وطائفيوها ستراً يستتر به) إلى مدرسها،... وبكواتها (القدامى والجدد)...، وأحزابها...، ورجال الدين فيها...، بحلاوة العلاقة ومرها، بنجاح بعضها وفشل معظمه...، وبشكل خاص علاقتي بالشهداء – الضحايا... يشكل كـــل ذلك العقبة الأكبر أو العامل الأهم في حسابات المؤرخ والباحث في المجتمع: إنه قلق الباحث. وفـــي ذلك عودة إلى اسطورة مضيق مسينا.

تبقى هذه المحاولة في جورها دعوة إلى المزيد من الحوار. الحوار في التاريخ، في الماضي، لأنه حوار الرهان على المستقبل. الحوار الجدي، لا حوار المجاملات الفارغة التي نشاهد فصولها الهزيلة في أكثر من مجال ومجال.

---

41 - لم أتقاطع مع ما كتبه الصديق د. فرج زخور في تاريخ عكار، ولذلك ضربت صفحاً عن ذكره، مع ماله في وجداني من كامل المودة والتقدير.

القسم الأول

في جغرافيا عكار (والقبيات) وأهميتها

الفصل الأول: طبوغرافيا سورية الطبيعية

الفصل الثاني: القبيات: الحدود وأهمية الموقع

الفصل الأول

طبوغرافيا سورية الطبيعية

بين التاريخ والجغرافيا علاقة رحم وانتساب. فمما لا ريب فيه أن تاريخ الشعوب إنما يجري في الأقاليم الجغرافية التي تسكنها وتعمرها. بل لعل هناك من يرى أن تاريخ الشعوب يوجد مكتوباً في خطوطه الأساسية في جغرافيا بلادهم. فكثيراً ما تحدد الجغرافيا التاريخ. يعني ذلك باختصار شديد عمق الصلة والارتباط الشديد بين كتابة التاريخ والبحث في جغرافيا الشعوب التي نكتب تاريخها. ولهذا فإنه "من أحسن ما جرى عليه المؤرخون وأنفعه أنهم إذا شاءوا كتابة تاريخ بلاد قدموا عليها كلاماً موجزاً في تخومها وجبالها وسهولها وأبحرها وبحيراتها وأنهرها وأشهر مدنها، توسلاً لإدراك تاريخها حق إدراكه، وكلفاً بزيادة رسوخه؛ وكذا رأى المؤرخون أن يشفعوا كلامهم بشيءٍ من تاريخ البلاد التي يتصدون لكتابة جغرافيتها فالتاريخ والجغرافيا علمان متقاربان متعاونان"[٤٢].

يرى المؤرخ جواد بولس، بصواب أنه "لا يمكننا أن ندرس تكوين بلد صغير كلبنان بمعزل عن وضع أرض البلدان المجاورة له. فلبنان وسوريا وفلسطين، المتلاصقة، الواقعة على مفترق طرق عالمية... يؤلف مجموعها نوعاً من ممر أو برزخ"[٤٣].

انطلاقاً من اعتبار ملاحظة جواد بولس هذه ضرورة منهجية للنظر في تاريخ لبنان، وانطلاقاً من مسلمتنا المنهجية القائلة بأن قراءة تاريخ القبيات يجب، بالمنطق والضرورة، أن تتم من خلال قراءة تاريخ عكار، فإننا نسعى لوضع هذا القضاء عكار، في إطاره الجغرافي الفعلي: سورية الطبيعية. وعليه يضطرنا منهج البحث السليم إلى استعراض الطبوغرافيا السورية بإيجاز دون

---

42 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية الدنيوي والديني، راجعه ودققه د.مارون رعد، إشراف نظير عبود، دار نظير عبود، ١٩٩٤، الجزء الأول، ص٢٤. ثمة مبحث، جديد نسبياً، يجمع، جمعاً عضوياً، ما بين التاريخ والجغرافية، هو الطبوغرافيا التاريخية.

43 - بولس، جواد: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٣، ص٢٢-٢٣.

الغوص في تفاصيل لا ضرورة لها في عملنا، إلاّ ما كان له علاقة مباشرة بعكار والقبيات.

"إن الصفة البارزة للطبوغرافيا السورية هي تناوب الأراضي المنخفضة والأراضي المرتفعة بحيث تحاذي بعضها بعضاً وتتجه من الشمال إلى الجنوب"[٤٤]. ويمكن تمييز سلسلة من خمس مناطق طولانية من هذا القبيل بين البحر والبادية[٤٥]. يعبر المطران يوسف الدبس عن نفس الصورة الطبوغرافية بقوله: "والحاصل أن في سوريا سلسلتي جبال؛ إحداهما ساحلية تمتد من الشمال إلى الجنوب الغربي على قرب متباين من البحر... والثانية داخلية تمتد من نواحي حمص شمالاً إلى آخر سوريا جنوباً. وبين السلستين وحولهما السهول الخصبة الفسيحة"[٤٦]. يشكل السهل الساحلي، الممتد على ساحل البحر المتوسط الشرقي من شبه جزيرة سيناء إلى خليج الإسكندرونة، أول واحدة من هذه المناطق الطولانية[٤٧]. بينما تتشكل المنطقة الثانية من سلسلة من الجبال والهضاب تبدأ بالأمانوس[٤٨] في الشمال وتمتد حتى جبل سيناء المرتفع في الجنوب[٤٩].

وفي هذه السلسلة الجبلية يقول ابن حوقل: "وجبل اللكام داخل في بلاد الروم ومتصل بجميع جبال بلاد الروم. ويقال أنه ينتهي إلى حد مائتي فرسخ ويظهر في الإسلام ما ظهر منه بين مرعش والهارونية وعين زربة، فيسمى

---

[44] - يؤكد كثير من الجغرافيين على أن هذا الإتجاه شمال-جنوب، يداخله إنحراف من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، خاصة في جبال لبنان. راجع بهذا العدد: SANLAVILLE, Paul: Etude Géomorphologique de la Région Littorale du Liban, Publications de l'Université Libanaise, Tome 1, Beyrouth, 1977, p.3.

[45] - حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة د.جورج حداد وعبد الكريم رافق، مراجعة وتحرير د. جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨، ص٣١. وفي مكان آخر يوكد حتي نفس النظرة: "إن الطابع المميز لطبوغرافيا لبنان هو أنه أرض منخفضة تتلوها أرض عالية تمتد على خط يسير من الشمال إلى الجنوب". ولكنه يجعل هذه المناطق الطولانية أربع فقط: "إنك تستطيع أن تميز بين سوريا والبحر الأبيض المتوسط أربع مناطق مستطيلة من هذا التناوب الطبوغرافي". راجع: حتى، فيليب: تاريخ لبنان، منذ أقدم العصور التاريخية إلى تاريخنا الحاضر، ترجمة د.أنيس فريحة، مراجعة د.نقولا صليبا، إشراف د.جبرائيل جبور، دار الثقافة-بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، ص١٣.

[46] - الدبس، المطران يوسف: المرجع السابق، ج١، ص٢٦.

[47] - حتى، فيليب: تاريخ سوريا...، مرجع سابق، ص٣١. "تاريخ لبنان"، مرجع سابق، ص١٣.

[48] - حتى، فيليب: المرجع السابق، ص٣٢، حاشية رقم١، فيها شرح لجبال الأمانوس: "جبل اللكام بالعربية (من السريانية "أوكاما" UKKĀMA أي أسود) وبالتركية كاورداغ (Giaour Dagh أي جبل الكفار أي المسيحيين) لأنه كان لمدة طويلة حصن الامبراطورية البيزنطية ضد الإسلام". وفي هذا يقول مؤلفا "ولاية بيروت": "لا يفوتنا أن البلاد السورية الممتدة من (المداغ-Amanus) إلى سيناء على طول يقرب من ألف كيلومتر وعرض مائة وخمسين، تنقسم إلى بضع مناطق من حيث العوارض الطبيعية والإقليم والتكامل التاريخي". راجع: التميمي، رفيق، وبهجت، محمد: ولاية بيروت، مطبعة الولاية، ١٩١٧/١٣٣٣م، الطبعة الصادرة من منشورات لحد خاطر، بيروت ٢٢نيسان ١٩٧٩، القسم الشمالي (الثاني)، ص٤.

[49] - حتي، فيليب، تاريخ سوريا...، مرجع سابق، ص٣٢.

اللكام إلـى أن يجاور اللاذقية ثم يسمى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص، ثم يسمى جبل لبنان ثـم يمتد علـى الشام حتى ينتهي إلى بحر القلزم مـن جهة ويتصل بالمقطم من أخرى"[٥٠]. أما المنطقة الثانية فهي "عبارة عن حوض طويل ضيق يحتل مكاناً متوسطاً فـي البلاد[٥١]؛ وهـو يبدأ بسهل العمق، ويستمر، بعد شـيء من التقطع بالارتفاع عند حماة، في سهل البقاع بين سلسلتي لبنان، ويؤدي إلى وادي الأردن حتـى البحر الميت، ومـن هناك ينتهي بطريق وادي العربة حتى خليج العقبة[٥٢]. وتتكون المنطقة الرابعة من السلسلة الشرقية التي تبدأ جنوبي حمص، حتى تصل إلى حوران مروراً بجبل الشيخ، إلى أن تبلغ الجولان، ومن هناك تستمر في شرقي الأردن حتى جبل سعير[٥٣]. أما المنطقة الخامسة فهي ما يعرف ببادية الشام الواقعة فـي مـا يعتبر بأنه "القسم السوري مـن المستطيل العربي وتفصل سوريا عن العراق. وتشكل الخليج الصحراوي الذي يقع بين الطرفين الشرقي والغربي للهلال الخصيب"[٥٤].

وخلاصة الأمر في الطبوغرافيا السورية الطبيعية هي أن المستطيل المكوَّن من سوريا ولبنان وفلسطين، يشكل صلة الوصل المركزية والوحيدة بين أقدم مركزين للحضارة: "وادي النيل ووادي دجلة والفرات"، جنوباً وشمالاً؛ فضلاً عن انحباس هذا المستطيل بين الصحراء والبحر، شرقاً وغرباً. كما أن المميزات المناخية والزراعية جعلت هـذا المستطيل السوري- اللبنانـي-الفلسطيني، محط الأطماع والغزوات من أقدم مركزين للاستعمار في التاريخ: الاستعمار البابلي والاستعمار الفرعونـي[٥٥]. لقد أجاد جواد بولس فـي توصيف هذه المنطقة بوصفها "الممر السوري-اللبناني-الفلسطيني"[٥٦].

---

[50] - إبن حوقل، (أبي القاسم بن حوقل النصيبي): كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، وبدون محقق، ص١٥٤-١٥٥.

[51] - حتي، فيليب، تاريخ سوريا...، مرجع سابق،ص٤٠.

[52] - حتي، فيليب، المرجع السابق، ص٤٠-٤١.

[53] - حتي، فيليب، المرجع السابق، ص٤٣-٤٤.

[54] - حتي، فيليب، المرجع السابق، ص ٤٦.

[55] - راجع: PALANQUE, Jean-Rémy: Les Impérialismes Antiques, Troisième éditions, Puf, Paris, 1967, p.p.7-23. حتي، فيليب: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الجزء الأول، الدار المتحدة للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، الفصل الأول والثاني من الجزء الأول، من الصفحة١٣ حتى الصفحة٣١. أيضاً: LAMMENS, Henri (P.J.): La syrie, Précis historique, Édition Dar Lahd Khater, Beyrouth, p.1.

[56] - بولس، جواد: لبنان و... مرجع سابق، كثيراً ما استخدم بولس عبارة "الممر السوري-اللبناني-الفلسطيني" لاسيما في الصفحات ٢٤ و٢٦ و٥١ و٥٢ و٦٥ و٨٨ و١٠٢ و١٠٣ و١١٩ و١٤٨ و١٥٦ وغيرها. يقول الأب هنري لامنس: "شكلت سوريا على الدوام، استناداً لموقعها المميز، نوعاً من صلة وصل بين الشرق والغرب... إنها الطريق الرائعة التي ربطت قارات العالم القديم الثلاث..." راجع: LAMMENS, Henri (S.J.): La Syrie et son Importance Géographique, Extrait de la Revue des Questions Scientifiques, avril 1904, Louvain-Imprimerie Pollenis et Centerick, 1904, p.12-13.

يشكل هذا التوصيف، بطريقة غير مباشرة، رفضاً لتفسير التأثير الحتمي والمتبادل بين هذا الممر السوري ـ اللبناني ـ الفلسطيني ومحيطه بعبارة أو بمفهوم الاستعمار، وبشكل خاص متى كان الأمر يتناول الوضع البابلي أو المصري مع هذا الممر.

موقع لبنان من الطبوغرافيا السورية

يحتل لبنان موقع القلب من هذه الطبوغرافيا السورية(٥٧). فهو يشترك في أربع مناطق طولانية، وفي مواقعها الأكثر أهمية، لاسيما من الناحية الاستراتيجية للممر السوري- اللبناني- الفلسطيني. ففي لبنان قسم أساسي من السهل الساحلي(٥٨)، هو قسمه الضيق، وبالتالي هو الأصعب عبوراً على الفاتحين والأكثر أماناً للمقيمين من الوجهة الدفاعية. يساعده في ذلك كون جباله الموازية للساحل عن قرب، هي من أكثر جبال المنطقة الطولانية السورية ارتفاعاً ووعورة. "يعتبر جبل لبنان أعلى جبل في الشرق المتوسطي، وهو يحتل أكبر مساحة من أرض لبنان"(٥٩).

ومن أعالي جبال السلسلة الغربية يشرف لبنان على وادي البقاع، ويتحكم من طرف هذه السلسلة، جنوباً وشمالاً، بالمعبرين الأساسيين من الساحل إلى الداخل. إن لبنان حاجز "وهذا الحاجز لا ينفتح باتجاه بلاد ما بين النهرين والخليج القاري إلاّ بممرين معترضين هما فرجة حمص من جهة والطريق التي تؤدي من عكا وحيفا وصور وصيدا إلى دمشق والصحراء من جهة أخرى"(٦٠). هذا فضلاً عن أن السلسلة الشرقية تحكم أيضاً الوصول إلى الداخل السوري وما عداه، عبر ممر مجدل عنجر-وادي بردى، أو عبر طريق حمص دمشق.

---

57 - حتي، فيليب: تاريح لبنان، منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، ترحمة أنيس فريحة، مراجعة د.نقولا زيادة، دار الثقافة بيروت، ١٩٥٨. يقول حتي حول الطبوغرافيا اللبنانية، ما يشبه كلامه حول الطبوغرافيا السورية: " إن الطابع المميز لطبوغرافيا لبنان هو أنه أرض منخفضة تتلوها أرض عالية تمتد على خط يسير من الشمال إلى الجنوب. فإنك تستطيع أن تميز بين سوريا والبحر الأبيض المتوسط أربع مناطق مستطيلة من هذا التناوب الطبوغرافي: انخفاض فعلو. هذه المناطق هي الشاطئ ثم سلسلة جبال لبنان الغربية، فالسهل الداخلي (البقاع)، وآخرها سلسلة جبال لبنان التي تعرف بلبنان الشرقي..."، ص١٣.

58 - حتي، فيليب: تاريخ لبنان...، المرجع السابق، ص١٣.

59 - بولس، جواد: لبنان والبلدان... مرجع سابق، ص٢٦. حتي، فيليب: تاريخ لبنان... "وفي الواقع أن لبنان جزء متوسط من سلسلة جبال ونجاد مرتفعة تبدأ في جبل اللكام في شمال سورية وتنتهي بجبال سيناء المرتفعة جنوباً"، ص١٤.

60 - بولس، جواد: المرجع السابق، ص٢٦. حتي، فيليب: المرجع السابق، ص١٦.

موقع قضاء عكار في طبوغرافيا المنطقة

١- حدود القضاء

تم رسم الحدود النهائية لقضاء عكار، لجهتي الشمال والشرق، إثر إعلان دولة لبنان الكبير، بضم بعض المناطق ومنها عكار إلى جبل لبنان في العام ١٩٢٠[٦١]. وبموجب ذلك تعينت الحدود الشمالية والشرقية لقضاء عكار. وهذه الحدود هي في نفس الآن الحدود النهائية لشمالي وقسم من شرقي دولة لبنان الكبير. فقضاء عكار يحتل الطرف الشمالي من الجمهورية اللبنانية. وجاءت هذه الحدود كما يلي: " ...من الشمال والشرق، الحدود مع سوريا: خط يمتد من شمالي مصب النهر الكبير الجنوبي[٦٢] ويتبع مجراه إلى نقطة اجتماعية برافد وادي خالد قرب جسر القمر[٦٣]. ومن الشرق، خط يغرق بين وادي خالد ووادي نهر العاصي المار بالقرى التالية: المزرعة، جربعانة، هيث، أبش، فيعان، وقرب بريفة ومطربة، ثم يتبع الحد الشمالي من قضاء بعلبك..."[٦٤].

---

61 - أعلن الضم وتكبير لبنان لأول مرة في سراي بعلبك بواسطة الكولونيل نيجر حاكم المنطقة الغربية في اليوم الأول من شهر آب ١٩٢٠، ودعي لبنان الكبير في ذلك اليوم وثبت الجنرال غورو المفوض السامي إنشاء الدولة اللبنانية بحفلة رسمية أقيمت في زحلة في اليوم الثالث من شهر آب...". راجع: ألوف، ميخائيل: تاريخ بعلبك، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٢٦، ص١١؛ وكذلك: الحداد، حكمت ألبير: لبنان الكبير، دار نظير عبود، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص١٦٦-١٦٧ وص١٧٠.

62 - يسمى هذا النهر باسم النهر الكبير الجنوبي تمييزاً له عن نهرٍ آخر بنفس الإسم (النهر الكبير) هو النهر الكبير الشمالي الذي ينبع من جبال النصيرية ويجري لجهة الجنوب الغربي فيصب في البحر الأبيض المتوسط جنوب اللاذقية. "يوجد أيضاً نهراً آخر يسمى "النهر الكبير" يصب في البحر على مسافة ٤٤كيلومتراً ونصف كيلومتر فوق ذلك تقريباً من اللاذقية. قال بلين: "إن مياهه تكثر فيها السلاحف". الأب مرتين اليسوعي: تاريخ لبنان، نقله إلى العربية، رشيد الخوري الشرتوني، دار نظير عبود، ١٩٩٤، ص٤١. راجع أيضاً المطران يوسف الدبس، مرجع سابق، ص٢٧. اشتهر النهر الكبير الجنوبي باسم (Eleuthérus) إلوتيروس، أو إلوطار، (إلوطارس). ويرى الأب مرتين اليسوعي أن استرابون خلط بين هذا النهر والنهر البارد، وفي إسم هذا النهر الكبير الجنوبي يقول: "ولعل الوطار مشتقة من اللفظ الفينيقي "العطر" ومعناه متاخم ومحبط ومحام خلافاً لما قيل من أنها مشتقة من إسم الإله "ألوطارس أو ألفطارس بحسب اللفظ اليوناني" ومعناه الحر وهو الإله بكخس وملاحو اليونان يسمونه إلى اليوم "ألفلاتس" وهو تصحيف "الفطارس". (الأب مرتين اليسوعي، المرجع السابق، ص٤١، حاشية ٢).

63 - الصحيح هو جسر قمار أو الأقمار.

64 - الحداد، حكمت ألبير: مرجع سابق، ص١٧٠. يبدو أن ترسيم الحدود وتعيين المناطق والقرى تم بواسطة أشخاص يجهلون كيفية لفظ أسماء القرى والمناطق الحدودية، ولعله تم الإعتماد على الخرائط الفرنسية فجاءت التسميات مترجمة بدل اعتماد التسميات المحلية من أصحابها بالذات: سكان هذه المناطق. وهذا ما أدى إلى وجود فوارق في كتابة هذه الأسماء حتى في النصوص "المقدسة" وطنياً. جاء في المادة الأولة من الفصل الأول من الدستور اللبناني: "... شرقاً: خط القمة الفاصل بين وادي خالد ووادي نهر العاصي (أورنت) ماراً بقرى معيصرة-جربعاتة-هيت-أبش-فيصان على علو قريتي بريتا ومطربا، وهذا الخط تابع حدود قضاء بعلبك الشمالية..." (الدستور اللبناني الصادر في ٢٣أيار ١٩٢٦، مع جميع التعديلات التي أقرت في مجلس النواب اللبناني، وفقاً لوثيقة الإتفاق الوطني اللبناني (إتفاق الطائف)، ١٩٩١-بدون ناشر أو تاريخ،ص٩). قارن مع نص آخر من نفس الدستور أيضاً: "...شرقاً: خط القمة الفاصل بين "وادي خالد" ووادي "نهر العاصي" (أورنت) ماراً بقرى معصرة مربعانة- هيط- أبيج- فيضان على علو قريتي بريفا ومتربة. وهذا الخط تابع حدود قضاء بعلبك الشمالية..." (الدستور

واستناداً على التقسيم الإداري الذي تم لاحقاً في دولة لبنان الكبير[٦٥]، صار قضاء عكار الحالي يمتد غرباً من مصب النهر الكبير الجنوبي، عند بلدة العريضة في الشمال، ويسير على رصيف ساحلي مع البحر الأبيض المتوسط، وبشكل قوس منفرج ينتهي جنوباً بمصب النهر البارد على ساحل المتوسط أيضاً. ومن هناك تتجه الحدود الغربية للقضاء، مع مجرى النهر البارد صعوداً، لتفصل قضاء عكار عن قضاء المنيه-الضنية، وفق تعرجات مجرى النهر المذكور، حتى تبلغ ضهر الحسين وتتجاوز جرود الحسنية، وتبدأ بالانعطاف جنوباً وشرقاً.

وهنا تبدأ الحدود الجنوبية للقضاء وهي عبارة عن خط وهمي يلتف، بعد تجاوزه لجرود الحسنية المذكورة قبل قليل، خلف الحمرة، ويستمر إلى الشرق بين جرود عكار وجرود الضنية حتى يتجاوز تلال قبعيت، وقبل بلوغه جرود حرار ينعطف جنوباً على تلال شير الصيادي، ليعود فينحرف شرقاً على مقربة من قمامين (الضنية) وفق مجرى "نهر كتاف التين" "فوادي حقل الخربة" ويبلغ "وادي النقر"، ومن هناك يتجه شمال شرق ليتوسط "قلعة عروبة" تقريباً، ويمر في "قرنة القموعة"، ومنها يزداد انحرافه إلى الشرق مع دخوله "جورة المعبور" على طرف "قبع الملفوف"، وفي وسط "قرنة الحريق"، "فوادي الطواحين"، ومنها إلى سهلات "حقل القرنة"، "فمراح أبو أحمد" على الطرف الشمالي "لجور الحشيش" قبل أن يدخل "شعاب بسانو"، ليلتقي بعدها بالحدود اللبنانية-السورية، في جبل "حرف الهوا".

لقد وضعنا هذه الحدود استناداً إلى الخريطة الصادرة عن وزارة الأشغال العامة لعام ١٩٧٤، وهي بمقياس ١/١٠٠٠٠٠، واستناداً إلى الخريطة التي تعتمدها وزارة الدفاع، مديرية الشؤون الجغرافية، بمقياس ١/٢٠٠٠٠. ولكن أبناء المنطقة من سكان قرية البستان والرويمة وغيرها، يعتبرون الحدود بين عكار والهرمل، تتبع، انطلاقاً من منطقة "المعبور مجرى "وادي العريشة" ثم تنعطف شرقاً عند ملتقى "وادي العريشة" مع "وادي الشقيف" لتمر ما بين جور أم سليمان ووادي الحصين، لتعبر "وادي أكوم" حتى الحدود اللبنانية-السورية. وهذا ما يجعل قرية البستان وما حولها خارج قضاء عكار. يشكل هذا الخط الوهمي الممتد من تلال الحسنية وزقزوق والحمرة في أقصى الغرب الجنوبي لقضاء عكار، حتى الحدود السورية في الشرق، الحدود الفاصلة بين عكار وقضاء الضنية-المنية (في الغرب والجنوب الغربي) وقضاء الهرمل (في الجنوب).

اللبناني، تاريخه، تعديلاته، نصه الحالي ١٩٢٦-١٩٩١)، إعداد شفيق جحا، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، تشرين/أكتوبر ١٩٩١، ص٣٥.

65 - ألوف، مخائيل: تاريخ بعلبك، مرجع سابق، ص١١.

أما حدود القضاء في الشمال، فإنها تبدأ من بلدة العريضة الساحلية، وفق خط يتعرج تعرج مجرى النهر الكبير الجنوبي، حتى التقاء منفرج وادي خالد بالسهوب المؤدية إلى حمص.

وتبلغ الحدود شرقي وادي خالد وشمالها، خطاً وهمياً يفصل ما بين الأراضي اللبنانية والسورية، على مسافة من قرية قرحة، شمالاً وشرقاً، ثم ينعطف هذا الخط جنوباً على مسافة من قرية الكنيسة، ليعود فيتجه غرباً مع ميلان واضح نحو الشمال، بحيث تضيق جداً رقعة الأرض اللبنانية جنوب غربي الكنيسة، لا سيما حنيدر، قبل أن يعود للإتجاه إلى الجنوب الغربي، ليدخل هضاب جبل أكروم، بعد أن يتجاوز "رجوم" وادي خالد، فيمر بموازاة منطقة النبي برّي وهيت (السورية) حتى يفصل أراضي أكروم اللبنانية عن أكوم السورية.

ويجدر بنا هنا أن نورد الملاحظة التي أدلى بها عالم الآثار، الأب تالون، الذي اعتبر أنه يتعذر على المتجول غير الخبير جداً في المنطقة معرفة ما إذا كان يسير داخل الأراضي اللبنانية أو السورية، إذ لا يوجد في هذه البقعة معلم طبيعي (أو اصطناعي) ليتميز المرء به الحدود بين لبنان وسوريا[٦٦].

إن اعتماد الحدود الراهنة لقضاء عكار لا يعني أبداً وجود وحدة جغرافية-إدارية عرفت باسم عكار على مرِّ العصور. فهذه المنطقة التي رسمنا حدودها استناداً إلى نشوء دولة لبنان الكبير، والتقسيمات الإدارية التي ظهرت في ظل الإنتداب، وترسخت في مرحلة الإستقلال، لا تعكس حقيقة الجغرافيا العكارية، إدارياً، على مرِّ العصور. فقد شهدت هذه المنطقة تقليصاً لجغرافيتها، وتوسعاً لها، تبعاً للمراحل التاريخية. ولا بد أنه كانت هناك مرحلة لم يكن فيها لهذا الإمتداد الجغرافي المعروف بإسم عكار اليوم أي وجود. كما كانت هناك مراحل تجاوزت فيها رقعة عكار حدودها الراهنة.

٢- <u>طبوغرافيا عكار</u>

في عكار ثلاث مناطق جغرافية متباينة. هناك أولاً، في الجرود، الجبال التي تتجاوز أحياناً في ارتفاعها ألفي م. ولكن هذه الجرود العالية تمتاز بمجموعة من البطائح المستوية[67]، كسهلة القموعة، والسهل العالي، ومرج الطويل، وكرم

---

66 - راجع: TALLON, Maurice (S.J.): "Monuments Romains et Vestiges Antiques en bordure du Djebel Akroum" Mélanges de l'Universitée Saint-Joseph, TomeXLIV, fase 5, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1968, p.53. يقول الأب تالون: "طالما أن المتجول يسير بموازاة النهر، فهو بأمان، ولكن ما أن يتجاوز النبع ويدخل السهب الكائنة بين أسفل السلسلة اللبنانية وبحيرة حمص حتى يصبح بحاجة إلى مرشد، كيلا يتجاوز دون أن يدري الأرض اللبنانية إلى الأرض السورية. ويبدو أن الحدود قد رسمت هناك، بين قرى لا يفصلها عن بعضها أبداً عامل جغرافي هام، تبعاً للإنتماء الأتني للسكان. ولا يوجد معلم ما لتعيين هذه الحدود الاصطناعية." ص ٥.

67 - راجع: SANLAVILLE, Paul: op. cit, p. 5 et 6.

سباط وسواها. وإذا كانت هذه الجبال تهبط نحو الغرب بشيء من الحدّة[٦٨]، فإن عبورها نحو سهل البقاع أسهل مما هي عليه الحال ما بين جبل المكمل وصنين. كما أن جبال عكار تنتهي لجهة أكروم ومشارف حمص والطرف الشرقي لوادي خالد بجملة من المعابر سهلة الإجتياز[٦٩]، بعكس الإنحدار الشديد والمفاجئ لجبل أكروم باتجاه الغرب (صوب وادي عودين في عندقت الذي ينتهي في وادي شدرة والمشاتي وصولاً إلى البقيعة).

تلي هذه المنطقة سلسلة من الهضاب التي يتراوح ارتفاعها ما بين ٨٠٠ و٣٠٠ متراً. وإذا كانت المنطقة الجردية على شيء من وعورة الدروب، فإن الثانية تمتاز بسهولة الإتصال، لذلك يكثر فيها العمران، وتقوم بين منحدراتها وأرباضها البلدات والقرى. وتتدرج هذه المنطقة بالهبوط لتبلغ المنطقة السهلية المزدوجة، في سهل عكار الساحلي وسهل البقيعة اللذين يفصل بينهما عنق الوادي المتكون حول مجرى نهر الكبير الجنوبي لدى انعطافه من البقيعة باتجاه الجنوب الغربي عند الوادي المتكون تحت قرية العوينات، حيث يتجه النهر إلى الغرب محصوراً بين الأراضي السورية واللبنانية حتى يتجاوز قرية الدبابية والنورا، فينفتح أمامه سهل عكار الفسيح.

لقد وصف هذه الطبوغرافيا العكارية مؤلفا "ولاية بيروت" بقولهما: "يمكن تقسيم القضاء إلى ثلاثة أقسام حسب طبيعة التكون. فالقسم الأول عبارة عن السهول، وطوله ست ساعات ونصف وعرضه ثلاث ساعات فقط، وأراضيه عبارة عن الأتربة اللحفية كما هو الحال في سهول طرابلس وهو على غاية في الإنبات، ولا سيما الأنحاء الريانة منه. ويوجد على الساحل سلسلة من الهضاب تبعد عن بعضها مقدار ساعة... أما القسم الثاني فيسمونه " الوسط"، والثالث "الجرد". وارتفاع الأول عن سطح البحر يتراوح بين (٣٠٠) و (٦٠٠) م. أما ارتفاع الجرد فهو يتداور بين (١٠٠٠-١٥٠٠) متراً على التخمين"[٧٠].

تعتبر جبال عكار امتداداً جيولوجياً وطبوغرافياً للسلسلة الغربية من لبنان، فهي تستكمل جبل المكمل وتتجه إلى الشمال الشرقي حتى تنتهي انطلاقاً من جبل أكروم بتدرج مريح في هبوطه، نسبياً، نحو الهرمل ووادي العاصي، وصولاً إلى ملتقى سهوب حمص بوادي خالد، حيث يتشكل هناك مع سهل البقيعة ما يعرف، عبر التاريخ، باسم "فرجة حمص" (Trouée de Homs) المشهورة.

---

68 - المرجع السابق، ص٦.

69 - راجع: TALLON, Maurice (S.J.): “Une Nouvelle Stèle Babylonienne au Akkar (Liban-Nord)”, Mélanges de l'Univesité Saint-Joseph, TomeXLIV, fase 1, Imprimerie Catolique, Beyrouth, 1968, p.1-8.

70 - التميمي، وبهجت: مرجع سابق، ص٢٣٥.

وتعرف عكار منطقتين جيولوجيتين مميزتين، فيها انقصاف وتمعج أرضي يبدأ من نهر البارد ويصل إلى القبيات وفق اتجاه جنوب غرب/شمال شرق[٧١]. كما أن قسماً من عكار يتصف بتكوينه البركاني أو الناري[٧٢]. ولا تقتصر هذه الحالة البركانية على قضاء عكار، بل هي تبدأ بالقرب من حلبا، وتستمر في عكار على ارتفاع يصل إلى حوالي ٧٠٠ متراً في تلّة "برزق" حيث تنقسم القبيات قسمين، ثم تتابع هذه الوضعية البركانية تمددها حتى تتجاوز حمص وحماة وتبلغ جبال النصيرية والمناطق السهلية. ولعل هذه الحالة الجيولوجية تأكد على التواصل التكويني بين لبنان وجواره.

ويجمع الجغرافيون على أن جبال عكار تستكمل بسلسلة جبلية أخرى، أقل منها ارتفاعاً، هي جبال العلويين أو البهراء. يقول راي (Rey): "يستمر جبل عكار في جبال النصيرية وكأنها موصولة به"[٧٣].

ويذهب الأب مرتين اليسوعي إلى أبعد من ذلك بكثير إذ يعتبر جبال العلويين قسماً عضوياً من جبل لبنان، ولكنه يشخص التكوين الطبوغرافي بشكل معقول نسبياً، بقوله: "ولمعرفة حدود لبنان معرفة مكتنفة بالتدقيق نبدأ بذكر الجبل برجل[٧٤] الذي يرتفع شرقي سهل أرواد فهذا الجبل القليل الإرتفاع يمتد على طول وادي العاصي وساحل البحر ويسمى هناك بجبل النصيرية والكلبية والإسماعلية نسبة إلى القبائل الساكنة فيه وينتهي عند وادي الحسن[٧٥] بازاء لبنان

---

71 - راجع: SANLAVILLR, P. op. cit., p. 30

72 - الأب مرتين اليسوعي: تاريخ لبنان، مرجع سابق، ص١٩. راجع أيضاً الفصل الأول من SANLAVILLE, op. cit. ولقد وصف حسن سيد أبو العينين، بكثير من الدقة، هذه المنطقة البركانية بقوله: "أما بالقسم الشمالي من لبنان فإن أعظم اتساع للطفوح البازلتية البلايوسينية Basalt Pliocène تغطي القسم الأوسط من وادي نهر الكبير الجنوبي والتي تعرف هنا باسم هضاب عكار. وتنتشر الهضاب البازلتية على شكل نطاق واسع ويتألف من تلال قبابية صغيرة الحجم حمراء اللون وتظهر أحياناً بالون البني والأسود الداكن ويمتد هذا النطاق من بلدة حلبا في الغرب حتى بلدة العوينات في أقصى شمال شرق إقليم عكار عند الحدود اللبنانية-السورية. "وأجمل التلال البازلتية القبابية الشكل الداكنة اللون تشاهد في الحقل عند قرى عندقت وعيدمون وعودين وبيرة وعامرية وكذلك عند قرى التليل وصيدنايا وكويخات وتل عباس وبيت الحج والسوسة شمال شرق مدينة حلبا". حسن سيد أحمد أبو العينين: لبنان، دراسة في الجغرافيا الطبيعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠،ص١٣٩-١٤٠.

73 - راجع: G.REY: Étude sur les Moments de l’Architecture Militaire des Croicés en Syrie et dans l’Ile de chypre. Imprimerie Nationale, Paris, 1871, p.5.

74 - "كذا سماه الأقدمون "Bargylus" (بلين ٥: ١٧: ٤) وبرجل أصلها برزل ومعناها بالفينيقية الحديد". هذا ماجاء في الحاشية رقم ٣، من ص١٤، من الأب مرتين اليسوعي، مرجع سابق. راجع أيضاً حتي، فيليب: تاريخ سوريا و...، ص٣٣.

75 - المقصود وادي خالد والبقيعة.

ومن قعر هذا الوادي الضيق[٧٦] تأخذ في البروز أسناد لبنان الشمالي ثم تشخص شخوصاً سريعاً في بلاد عكار"[٧٧].

أهمية الطبوغرافيا العكارية

امتاز قضاء عكار، بحكم موقعه الجغرافي في المنطقة وبحكم طبيعة تضاريسه ومجاريه المائية، بقيمة استراتيجية- عسكرية، واقتصادية معاً، وذلك منذ أقدم الأزمنة. ولهذا فقد ذكرته، أو ذكرت بعض مناطقه ومواقعه، شتى أعمال التأريخ، كما وردت الأخبار عنه في شتى المدونات الأثرية العائدة للعصور القديمة.

تكمن هذه الأهمية في ما يسمى ممر وادي النهر الكبير، من جهة، وفي جبال عكار، من جهة أخرى.

١ - أهمية ممر وادي النهر الكبير:

يقول رينيه دوسو (R.Dussau): "لقد هددت قوات الغزو، عبر كل الأزمنة، طرابلس، من وادي إلوتيروس أو النهر الكبير الذي يشكل، بمجراه وبروافده، فرجة بين لبنان وجبال النصيرية. ولهذا تكاثرت في هذه المنطقة المواقع المحصنة..."[٧٨]. ويضيف في مكان آخر، تحت عنوان وادي إلوتيروس: "حدد بوكوك[٧٩] إلوتيروس بأنه ذلك النهر الذي يجري، وهو باسم النهر الكبير، أولاً، من الشمال إلى الجنوب، مثل معظم الأنهار السورية، عبر سهل البقيعة، ثم يتجه بحدة نحوى الغرب ليصب في البحر في منتصف جون عرقة. وهكذا فإن الوادي العريض، الذي سماه سترابون (Strabon)[٨٠] ماكرا أو

---

76 - من المستغرب وصف هذا الوادي بأنه ضيق. وهذا ما يرفضه جميع من تناول بحثاً جغرافياً أو تاريخياً في المنطقة. ويزداد استغرابنا لأن الأب مرتين السوعي استشهد بالمؤرخ الجغرافي بلين الذي يقول في هذه المسألة: "ينتهي جبل لبنان بعد مرحلة سهلية بجبل برجل (برجيلوس) Bargylus" (التشديد لنا). راجع: PLINE (Caïus Plinius Secundus): Histoire Naturelle, avec la traduction en français par M.É. LITTRÉ, chez Firmin Didot frères, Paris, 1860, Tome I, Livre 5, p.222.

77 - الأب مرتين اليسوعي، مرجع سابق، ص١٤-١٥.

78 - "يخرج هذا النهر من أواخر ربى لبنان ومن أوائل أودية جبال النصيرية ويجري في مضيق عميق فاصل بين هذين الجبلين ويجتاز سهلاً منبسطاً". راجع الأب مرتين اليسوعي، مرجع سابق، ص٤١. أما حتي فإنه يرى أن هذا النهر "ينبع من جبال النصيرية"، حتي: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ص٣٣. راجع أيضاً: DUSSAUD, René: Topographie Historique de la Syrie antique et Medievale, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927, p.80.

79 - مرجع دوسو هنا هو: A Description of the East, II, Part I, p.204 et suiv. حاشية رقم ٣، ص٩١.

80 - مرجع دوسو هنا هو: Strabon, Géographie, XVI, 2,17. حاشية رقم ٤، ص٩١.

ماكروبيديون (Macra ou Macropedion) ، مروي بغزارة، وهو على درجة كبيرة من الخصوبة"[٨١].

ولقد ذكر هذا الوادي الفاصل بين جبل لبنان وجبل العلويين بلين(Pline) بقوله: "ينتهي جبل لبنان بعد مرحلة سهلية بجبل برجل"، كما ذكر نهر إلوتيروس[٨٢]. ولم يفت المؤرخون اللبنانيون ذكر هذا الممر الإستراتيجي في تاريخ وجغرافيا المنطقة ولبنان، وأهميته. يقول فيليب حتى: "ولبنان هو الهيكل الذي ترتبط به السهول والمنخفضات المجاورة ارتباط اللحم بالعظم. هذه السلسلة الجبلية هي ثاني المناطق الطولانية وتشكل أول حاجز للمواصلات بين البحر وما يقع وراءه في الشرق ولا يمكن اختراق هذا الحاجز بصورة حقيقية إلا في الطرفين الشمالي والجنوبي وذلك عند خليج الإسكندرون حيث يجري الإتصال بطريق الجسر السوري مع سهول ما بين النهرين، وعند برزخ السويس... وبين هذين الطرفين يمكن اختراق الحاجز الجبلي فقط في وادي النهر الكبير (وهو Eleutherus القديم) شمالي طرابلس وعند تصدع مرج ابن عامر شرقي عكا وحيفا"[٨٣].

وفي هذا يقول جواد بولس: "يعتبر جبل لبنان أعلى جبل في الشرق المتوسطي... انه حاجز... وهذا الحاجز لا ينفتح باتجاه بلاد ما بين النهرين والخليج القاري إلا بممرين معترضين هما فرجة حمص من جهة والطريق التي تؤدي من عكا وحيفا وصور وصيدا إلى دمشق والصحراءمن جهة أخرى"[٨٤].

ولقد أفاض المؤرخون والجغرافيون والرحالة في توصيف الأهمية الإقتصادية (في التجارة والإنتاج الزراعي) والعسكرية لممر النهر الكبير الجنوبي[٨٥]. ويلخص عمر عبد السلام تدمري الأهمية الإستراتيجية لهذا الممر

---

81 - DUSSAUD, op. cit., p.91.

82 - PLINE, op. cit., p.222.

83 - حتي، فيليب: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ص٣٢.

84 - بولس، جواد: لبنان...، مرجع سابق، ص٢٦.

85 - "يشكل هذا الوادي الجميل ، وادي النهر الكبير، طريقاً واسعة استخدمتها على الدوام القوافل وكذلك جيوش الإجتياح. وهو الممر الوحيد في جبال سوريا الذي يمكن اجتيازه بسهولة. وإليه تدين أرواد وطرابلس في ازدهارها المذهل في الأزمنة القديمة والعصور الوسطة". راجع: LAMMENS, Henri (S.J.): Au pays des Nosarïs, Extrait de la Revue de l'Orient Chrétien, 1899 et 1900. P.5. يرد نفس الكلام تقريباً للأب لامنس، في مكان آخر: "أما السيل التجارية اللاحبة التي كنت القوافل تسلكها فإنها كانت تمر شمالي لبنان وجنوبيّه فتنعطف في وادي النهر الكبير أو تجاري سير نهر الليطاني والطريق الأولى هي التي أغنت طرابلس في الزمن القديم..." راجع: لامنس، الأب هنري: تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، دار نظير عبود، ١٩٩٥، ص١٩٦. "من بين جميع الطرقات التي تؤدي من المتوسط إلى الهضبة السورية، الأسهل هي الطريق التي تسلك وادي النهر الكبير وتصل أمام حمص مباشرة". راجع: SEYRIG, Henri: Syria, XXXVI, 1959, in Antiquités Syriennes, VI, 1966,p.64. "إن العامل الأساسي الذي حدد تكوين كونتية طرابلس، من وجهة نظر الجغرافية، هو وجود ذلك المنفرج بين جبال لبنان وجبال النصيرية... يتجه ذلك المنفرج من الغرب إلى الشرق: إنه مدخل حمص. لعب ذلك المنفرج دوراً كبيراً في الأزمنة القديمة... إن هذا المنفرج هو الذي

بقوله: "تتميز (طرابلس) بموقعها الجغرافي، حيث يوجد في إقليمها منخفض أرضي بين جبال لبنان وجبال النصرية إلى الشمال منها. ويعتبر هذا المنخفض المنفذ الرئيسي إلى منعطف نهر الفرات وإلى ما بين النهرين، وإلى بلاد الكلدانيين التي تربط أوروبا بآسيا، وهذا هو الطريق الكبير للهجرات، كما أنه في الوقت نفسه طريق الغزوات. فقد عبرت جيوش تحوتمس هذا الممر في النصف الأول من القرن الخامس عشر قبل الميلاد أثناء حملته على سورية (١٤٨٢-١٤٥٠ق.م.) واحتل مدينة عرقة الواقعة على مسافة ٢٥كلم تقريباً شمالي شرق طرابلس في طريقه إلى حمص. وكذلك سار "رعمسيس الثاني" في السنة الخامسة من حكمه في هذه الطريق المؤدية إلى حمص قاصداً بلاد ما بين النهرين، وذلك سنة ١٢٩٦ق.م.وعبرت هذا الممر أيضاً الجيوش الأشورية والفارسية واليونانية والرومانية قبل الميلاد. ثم عبرته الحملات البيزنطية والعربية والصليبية في العصور الوسطى"[٨٦].

وأشار الرحالة والجغرافيون والمؤرخون إلى الأهمية الزراعية لهذا الوادي الخصيب فعدد الرحالة هنري موندريل، في القرن السابع عشر، أنهاره مشيراً إلى الإهتمام بها من خلال وصفه لبناء الجسور عليها[٨٧]. وقد اعتبر جان ريشار "أن المناطق الخصبة الوحيدة في الكونتية (طرابلس) هي سهل النهر الكبير، لا سيما السهل المرتفع في البقيعة"[٨٨]. ولهذا رأى دوسو أن المزارع انتشرت بكثرة في هذا المرر في العصور الوسطى[٨٩]. ويؤكد ذلك ما ذكره المؤرخ و عالم العاديات بول ديشان عن السائح بورشار دي مون سيون (Burchard De Mont Sion) (القرن الثالث عشر الذي وصف سهل عكار، وخاصة سهل البقيعة، وما في ذلك من زراعات التين والزيتون، في الأراضي المروية بالعديد من الأنهار والسواقي، وأسهب ذلك السائح في وصف الخيم التي تزدحم في السهل لتأوي الرجال الذين يرعون قطعانهم، وأكثر ما أذهله الحجم

يصل، من خلال سهل العاصي، مناطق ما بعد سورية بالمنطقة الساحلية..." راجع: RICHARD , Jean: Le Conté de Tripoli sous la dynastie toulousaine (1102-1187), Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1945, p.1. ينسب الأب موراني كل هذه الخصائص التي يمتاز بها وادي النهر الكبير (بما فيه من موقع لبناني – سوري) ويختصرها بما يسميه "الممر القبياتي".

86 - تدمري، عمر عبد السلام: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، الجزء الأول، مطابع دار البلاد، طرابلس ـ لبنان، ١٩٧٨، ص ٣٦.

87 - الحوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه، العهد الفينيقي، دار المشرق، بيروت ١٩٧٢، حيث يقول في ص ٣٢: "وهنا ندعو رحالة بريطانيا ليحدثنا عن مسالك لبنان... أواخر القرن السابع عشر للميلاد. وهذا الرحالة هو هنري موندريل، وقد اجتاز لبنان من شماله في شهر آذار ١٦٩٦ قاصداً القدس. فذكر أنه... اجتاز النهر الكبير الغزير المياه، والطريق فوقه جسر تحمله ثلاث قناطر واسعة. ثم بعد مسير نصف ساعة اجتاز نهراً آخر هو نـهر الأبرص. وبعد ثلاثة أرباع الساعة من ذلك اجتاز نـهر عكار فوق جسر حجري وصفه بأنه فوق قنطرة واسعة جداً. ثم بعد مسير ساعتين وصل إلى نـهر رابع، هو النهر البارد، فاجتازه على جسر فوق ثلاث قناطر..."

88 - RICHARD J., op. cit., p.2.

89 - DUSSAUD, Topographie. . . , op. cit., p.91.

الكبير لقطعان الجمال في المنطقة، فقدَّر "عددها بعدة آلاف"، ولعله لهذا سمى ألبير ديكس (Albert d'Aix) البقيعة، في مطلع القرن الثاني عشر، باسم "وادي الجمال"[٩٠].

بناءً على ما تقدم يشكل "ممر النهر الكبير" أو "وادي النهر الكبير" موقعاً له أهميته الإستراتيجية والإقتصادية معاً. وهذا ما جعله مصدراً لإعمار منطقة عكار ببناء التحصينات العسكرية، القلاع والحصون والأبراج، لأسباب عسكرية، دفاعية أوهجومية، باتجاه طرابلس والساحل، أو باتجاه حمص والداخل السوري الشمالي. كما أن أراضيه الزراعية الخصبة، بما فيها من إمكانيات الري ، شجعت إعمار عكار والإقامة فيه، منذ أقدم العصور. ولقد تضافرت الأهمية الإستراتيجية (العسكرية) للمنطقة بأهميتها الإقتصادية (الزراعية والتجارية)، حتى صارت الدواعي الإقتصادية والعسكرية مندمجة في سياق نمو وازدهار السكن في عكار.

إن وجود الثروات ومصادرها يستلزم حمايتها، كما أن وجود الحاميات والمواقع العسكرية يستلزم المزيد من إعمار المنطقة. وهذا ما أشار إليه ديشان في أبحاثه حول القلاع الصليبية حيث كان يعيش في تلك القلاع الأسياد الصليبيون وعائلاتهم، وكذلك المقاتلون وعائلاتهم[٩١]. وهو يؤكد "أن الأمن الذي يوفره بناء قلعة كبيرة ينعكس على منطقة واسعة. وهكذا فإن أحد مؤرخي الحوليات لاحظ، وهو يتحدث عن بناء قلعة صفد في الجليل عام ١٢٤٠، أنه توجد تحت القلعة مدينة لها سوقها، وأنه كنا نشهد، حول القلعة، وفي ظل حمايتها، نمو ٢٦٠ مزرعة بلغ عدد سكانها أكثر من عشرة آلاف نسمة"[٩٢].

ولقد انعكس هذا الواقع في أدب الرحالة الذين إنما يذكرون دوماً ازدهار المواقع المحصنة ويعددون ما يحيط بها من مواقع دفاعية. فالأدريسي، مثلاً عندما وصف في رحلته البلدان التي مر بها، أنما اعتمد الربط بين المواقع المحصنة والإزدهار المحيط بها. فهو يقول: "ومدينة طرابلس الشام مدينة عظيمة عليها سور من حجر منيع ولها رساتيق وأدوار وضياع جليلة وبها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروب الغلاة الشيء

---

90 - راجع: DESCHAMPS, Paul, Les Chateaux des Croisés en Terre Sainte – Le Crac des Chevaliers, Texte, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1934, p.110.

91 - المرجع السابق: ص ٨٧-٨٨، حيث يقول: "كان الأسياد، في قلاع القرن الثاني عشر، يعيشون مع نسائهم وأولادهم (في القلاع)، كما أن مسلحيهم كانوا هناك أيضاً بمعية عائلاتهم. كانت هذه العائلات تسكن بالطبع في الطابق السفلي. كما كانت تقوم بجوار القلعة قرية ريفية. وكان سكانها العاملون في الزراعة يستثمرون أرض السيد أو الرهبنة التي يتبعون لها".

92 - المرجع السابق، ص ٨٨.

الكثير والوارد والصادر إليها كثير"[٩٣]. وعندما انتقل إلى وصف سهل عكار[٩٤] قال: "ومن مدينة أطرابلس على الساحل إلى رأس الحصن وهو مدينة صغيرة عامرة آهلة وهي على طرف جون... ويسمى جون عرقة وفي وسط هذا الجون ثلاثة حصون تتقارب بعضها من بعض إسم أحدهما مما يلي أطرابلس لوتورس والآخر بابية وهو على نهر جار يسمى نهر بابية والحصن الثالث يسمى حصن الحمام وهي تتقارب بعضها من بعض ومنه إلى عرقة وهي مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلو ولها في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير وهي عامرة بالخلق كثيرة التجارات وأهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها..."[٩٥].

لم يختلف كثيراً كلام الأدريسي في حمص وأنطرطوس (طرطوس) وأرواد...[٩٦].

أما رينيه دوسو فقد أكدَّ على هذا الموقع الاستراتيجي لوادي النهر الكبير بقوله : "لقد هددت قوات الغزو، عبر كل الأزمنة، طرابلس، من وادي إلوتيروس أو النهر الكبير الذي يشكل، بمجراه وبروافده، فرجة بين لبنان وجبال النصيرية. ولهذا تكاثرت في هذه المنطقة المواقع المحصنة. نذكر منها خاصة حلبا وعرقة، في الشمال الشرقي، ثم في الشمال مجموعة من الحصون..."[٩٧].

ولقد أفاض في عرض هذه الأهمية الإستراتيجية، خاصة في زمن الحروب الصليبية، بول دي شان، في مؤلفه "دفاعات كونتية طرابلس"[٩٨]. وسبق لنا أن أشرنا إلى كون هذا الوادي هو الممر الرئيسي من الساحل اللبناني إلى الداخل السوري عبر حمص وجوارها.

٢ - أهمية جبال عكار:

تلعب جبال عكار دوراً مهماً يترافق مع الأهمية الإستراتيجية لوادي النهر الكبير. فهي تشكل حصناً طبيعياً في الدفاع عن الممر المذكور. هذا بالإضافة إلى دفاعها عن الساحل الذي يؤدي إليه، شأنها في ذلك شأن السلسلة الغربية من لبنان. ولكن جبال عكار تمتاز بأهمية مضاعفة كونها تشرف على

---

93 - الادريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص ٥٠. يُضيف الادريسي: وطرابلس "معقل من معاقل الشام مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأموال وصنوف التجارات وينضاف إليها عدة حصون وقلاع معمورة داخلة في أعمالـها..." ص ٥٠-٥١.

94 - لم يستعمل الادريسي لفظة عكار، بل جون عرقة.

95 - الادريسي، المرجع السابق، ص ٣٧٣.

96 - المرجع السابق، ص ٣٧٤-٣٧٥.

97 - DUSSAUD, Topographie. . ., op. cit., p.80.

98 - DESCHAMPS, Paul, La Défense du Comté de Tripoli et de la Principauté d'Antioche, Texte, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1973.

طريق حمص-بعلبك، هذا فضلاً عن كون عبورها باتجاه الغرب والجنوب، من جهات الوعر في وادي خالد وأكروم ومن نواحي الهرمل سهل نسبياً، مما جعلها ممراً عسكرياً، إن لم يكن بسهولة وأهمية ممر وادي النهر الكبير، فهو أيسر من الممرات الجبلية في السلسلة الغربية.

ومن المعلوم أن جبال عكار إنما تنحدر باتجاه الهرمل التي قال فيها الأب لامنس: "الواقعة على منعطف لبنان الشرقي. ولا غرو فإن موقعها في بطحاء مخصبة غزيرة المياه مما يستدعي إلى استعمارها وبقربها وجدت صفيحتان فيهما كتابات أشورية قديمة"(٩٩). وتشكل المنطقة الممتدة ما بين الهرمل والعين واللبوة في البقاع ما يسمى في العهد القديم "بمدخل حماة" أو حدود الأرض المقدسة الشمالية. وفي هذا يشير ألوف: "يُظن أن اللبوة هي ليبو القديمة الرومانية." وقد جاء في كتاب موري (١٠٠) "الدليل في سوريا وفلسطين" ما يأتي: "إن كلمة اللبوة تقترب من الكلمة العبرانية "لبوا" التي ترجمت في الكتاب المقدس "بالمدخل إلى" عند ذكر حماة في سفر العدد، ص٢٤ عد٨٠ مع أنه يجب ضبط قراءة السورة هكذا "وهذا يكون لكم التخم الشمالي من البحر الكبير تخطون لكم إلى هور...، ومن جبل هور تخطون إلى لبوة حماة"(١٠١). ويضيف: وفي أرض العين ومقابلها في سفح الجبل الغربي "قرية جبولة" الصغيرة وهي قريبة من نهر الفرفور، هناك وجدت في خرابات "تلة الدير" كتابة لاتينية على الحجر الميلي السابع عشر تدل على وجود طريق رومانية بين بعلبك وحمص وطرابلس"(١٠٢).

وليس هناك أدنى شك بأن لجبال عكار أهمية استراتيجية في التحكم "بمدخل حماة" وفي الطريق بين بعلبك-حمص-طرابلس. ويجب أن لا يغيب عن بالنا أن جبال عكار تشرف مباشرة على قرية ربلة "المذكورة في التوراة (سفر العدد ص٣٤ عد١١) كحد من حدود أرض الميعاد. ودعاها اليونان تريربارادیوس أي القرية ذات الثلاث جنان وفيها اجتمع قواد الإسكندر بعد موته لإقتسام ممالكه بينهم"(١٠٣). وفيها وضع نبوخذنصر مقر قيادته في حملته على فلسطين. وقبلها كانت مدينة قادش أو "قدس التي يظن العلماء أن موقعها كان في المحل المعروف اليوم باسم تل النبي مند عند بحيرة قطينة قريباً من

99 - لامنس، الأب هنري اليسوعي: تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ١٩٨.

100 - ألوف، مخائيل موسى: تاريخ بعلبك، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٢٦، ص ٣٢. يحدد المؤلف مرجعه في حاشية رقم ١ في نفس الصفحة: Murray, Hand – Book to Syria and Palestine. لم تتسنّ لنا قراءة هذا المرجع.

101 - المرجع السابق، ص ٣٢.

102 - المرجع السابق، ص ٣٣.

103 - المرجع السابق، ص ٣٤. وحول مدخل حماة يقول الأب لامنس: "ومما جاء ذكره أيضاً في الكتاب وادي البقاع المخصب الذي يفصل لبنان عن جبل الشيخ وهو يُدعى هناك "حماة" أو "الطريق إلى حماة". راجع: لامنس، تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ١٧٥.

حمص"[١٠٤]، وكانت عاصمة الحثيين في سوريا[١٠٥]، وحولها دارت المعارك الكبيرة بين المصريين والحثيين[١٠٦].

أن جبال عكار تشرف على هذه المواقع الإستراتيجية، من خلال بعض الحصون في جبالها، لا سيما في جبل أكروم، حيث اهتم الأب لامنس بموقع يدعى الحصين الذي "يشرف إلى الشرق على سهل البقاع وضفاف العاصي وبحيرة حمص، وآخر أطراف السلسلة الشرقية التي تذوب في هضاب حمص بين شمسين وحسيا"[١٠٧]. ولعل أفضل من لاحظ الأهمية الإستراتيجية لجبال عكار، هو الأب تالون عندما قال: "يبدو أن أكروم قد كانت منذ العصور القديمة نقطة انطلاق لطريق عبرت سلسلة جبال لبنان... اكتشفها البابليون قبل أن يسلكها الرومان والعرب والصليبيون. ففي هذه المنطقة من الجبل (قرية أكروم) وحيث يبدو أن تضاريس السلسلة تجعل المرور صعباً، فإن طبيعة ومواقع الوديان الغربية والمناطق الشرقية المحجوبة بين التلال تجعل منها موقعاً فريداً لا يمكن من غيره، الإنتقال بأسرع منه، من منحدر لبنان الغربي إلى منحدره الشرقي، أو العكس... ولا يبرر وجود حصن عكار القائم على خط مستقيم، وعلى نفس ارتفاع أكروم، غير مراقبة هذا الموقع الذي يتمتع بإمكانيات تكتيكية فريدة... ومع أنه لا يوجد في جبل القموعة ممر شبيه بممر ضهر البيدر، بيد أن هضبة كرم سباط... تسمح باجتياز سهل، أو بالإلتفاف حول جبل القموعة، على علو ١٢٠٠م، وهو ارتفاع يسمح بعبور الطريق طيلة العام. وفي العصور الوسطى اعتمد العرب والصليبيون هذه الطريق لمراقبة طريق البقاع، كما كانوا ينقضون، من خلال مناطق أكروم المحجوبة، على القوافل بين حمص وبعلبك، سواء للإستيلاء على قافلة أو لضرب جيش منتشر على طول هذا السهل. وبالمقابل، كان يمكن للآتي من سوريا، في الأزمنة القديمة، أن يمر خفية، بحكم كثافة الغابات، وأن ينقض على عرقة، أو يقطع فجأة طريق الساحل. ولا يمكننا أن نجد شمالي طرابلس طريقاً اقصر، تسمح بالإختباء عن العدو أو بمفاجأته"[١٠٨].

لا تقتصر أهمية جبال عكار على الناحية الإستراتيجية. فهي تمتاز بقيمة اقتصادية، سواء لوفرة الماء فيها أو لطبيعة تضاريسها ولغناها بالثروة الحرجية

---

[104] - لامنس، تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
[105] - المرجع السابق، ص ٢٠٣.
[106] - MASPERO, Histoire Ancienne des Peuples de l'Orient, Lib. Hachette, Paris, 1904, L 2, Ch. II, pp. 210-277.
[107] - LAMMENS, Henri (S J), Notes Epigraphiques et Topographiques sur l'Emesène, Extrait du Musée Belge, Revue de Philologie Classique, Louvain, 1902, p.52.
[108] - TALLON, Maurice (S J), "Monuments Romains et Vestiges Antiques en Bordure de Djebel Akroum", MUSJ, Tome XLIV, Fasc., 5, 1968, p.61-62.

والحيوانية. وعلى الرغم من تجاوز ارتفاع جبال عكار ٢١٥٠م [١٠٩] ففيها مناطق صالحة للزراعة، سبق أن ذكرنا بعضها عندما بيَّنا تميز جبال عكار عن غيرها، من جبال لبنان، بالبطائح القابلة للزراعة. وإذا كنا اقتصرنا على ذكر سهلة القموعة وكرم سباط ومرج الطويل والسهل العالي[١١٠]، فإن ذلك كان للإشارة فقط إلى أشهرها.

ففي جبال عكار العالية العشرات من القطع الزراعية التي تعرف بإسم سهلة، أو سهل، أو مرج، أو كرم، أو مزرعة، أو شعب، أو سهم، أو جورة... هذا فضلاً عن الوديان التي اشتهرت باسم الأشجار المثمرة أو الحبوب التي تزرع فيها. منها على سبيل المثال لا الحصر: خربة الجوزة، الجوزات، وادي الجوز-مراح التين، كتاف التين-عين التفاحة، جورة التفاح-النجاص، وادي النجاص، جورة النجاص-وادي العريشة، كرم الدهبي-عين الخيار-جورة الشعير. ومن الجدير بالذكر أن بعض هذه المناطق يتجاوز في ارتفاعه ١٨٠٠م، مثل عين الخيار، جنوب-غرب عروبة، وكرم الدهبي على ارتفاع أكثر من ١٨٠٠م أيضاً، فوق سفوح الهرمل.

بالطبع لم تكن هذه المناطق الزراعية لتشتهر لولا توفر المياه بكثرة، وذلك على مرتفعات عالية للغاية نسبياً. نذكر من هذه العيون بعض النماذج في أعالي جبال عكار المحيطة بقلعة عروبة وحبل القموعة: هناك عين الدلب وعين الخيار (حوالي ١٨٠٠م)، عين الشلش ١٧٠٠م، عين البحصة ١٧٤٠م، عين الميدان وعين الحية وعين الوادي في منطقة المعبور، على ارتفاع ١٦٠٠م... ويجدر بنا أن نشير إلى أن قرية الرويمة مثلاً تقع على ١٢٨٠ (ولعلها أعلى قرى عكار) وتشرب من مياه تصلها عبر شبكة تعمل بالجاذبية انطلاقاً من تجمع عيون ينطلق على ارتفاع ١٦٠٠م (منطقة المعبور) وعلى مسافة تتجاوز ٨كلم. بينما تشرب بلدة فنيدق (وهي على ارتفاع ما بين (١١٠٠و١٢٠٠م) من نبع فنيدق، على علو ١٢٠٠م.

ولقد امتازت جبال عكار بثروة حرجية ضخمة فيها أنواع شتى من الأشجار البرية المتنوعة. ولعل ما يصح في وصف أحراج لبنان ينطبق على عكار. ففي جبال عكار اليوم (ولا بد أن تكون الحال أفضل في ما مضى) شجر الأرز والشربين والتنوب[١١١] واللذاب والشوح والسنديان والصنوبر، وبالقرب من فنيدق

---

109 - يبلغ ارتفاع قلعة عروبة (أو قرنة عروبة) ٢١٥٨م ، بينما تصل قرنة القموعة إلى ٢٠٧٤م.

110 - راجع في مكان سابق، تحت عنوان "طبوغرافيا عكار".

111 - يعتبر الأب لامنس شجر "التنوب" بمثابة شجر الأرز: "وفي أعالي بلدة سير ببلاد الضنية في أعالي وادي النجاص فهناك كثير من شجر الأرز على ارتفاع ١٩٠٠ متر عن مساواة البحر. وتجد الأرز أيضاً بين سير ونبع السكر ثم في الغابة الواقعة خلف وادي جهنم والقوم في تلك الناحية يسمونه (تنوب)". راجع: (لامنس، تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ١٥٥). والتنوب هو الشجرة الأساسية التي كانت

غابة شجر العرعر، فضلاً عن أشجار أخرى متنوعة ونباتات وأزهار برية متعددة. وكثيراً ما تعرف الجغرافيا العكارية بطبيعة أشجارها، إذ نجد جبل الصنوبر ومعقل السنديان، جورة اللزاب، عين الدلب، نبع الصفصافة...

لم يذكر جغرافي أو مؤرخ، منذ اقدم العصور، لبنان إلا وتحدث على ثرواته الحرجية. ولا بد من ان تكون بلاد عكار، مشمولة بالكلام على غابات لبنان. وقد سبق لنا أن عرضنا كلام المؤرخ الجغرافي بلين (Pline) عن لبنان، وكيف جعل حدوده تتجاوز عكار إلى جبال العلويين. وكذلك فعل اسطرابون الذي "لم يشذ عن الصواب إذ دلَّ على حدود لبنان الشمالية وهو يجعلها تقريباً عند حدود طرابلس لأن جبل عكار يعد أيضاً من لبنان فيتصل به ويمتد بعض أميال إلى النهر الكبير الذي يحجز لبنان عن جبال النصيرية"(١١٢). ويصف إبن بطوطة، في النصف الأول من القرن الرابع عشر، جبل لبنان، وهو يريد به "الجبل الممتدّ بين اللاذقية وطرابلس"(١١٣).

ويقول فيه: "جبل لبنان، وهو من أخصب جبال الدنيا، فيه أصناف الفواكه وعيون الماء والظلال الوارفة..."(١١٤). وأغلب الظن أن إبن بطوطة يكرر هنا ما قاله إبن جبير في رحلته، في الربع الأخير من القرن الثاني عشر: "وهذا الجبل من أخصب جبال الدنيا، فيه أنواع الفواكه، وفيه المياه المطردة والظلال الوارفة..."(١١٥).

ويقدم لنا المحاسني صورة كشاهد عيان عن غنى الثروة الحرجية في عكار، أثناء رحلته التي قام بها في أواسط القرن السابع عشر مجتازاً الجبال من الهرمل إلى أكروم فعكار العتيقة...: "ومن أعجب ما رأيت أن هذه الجبال والأودية والتلال كلها حرش وهيش وتشتمل على أشجار كثيرة من الشلبوط وأشجار كثيرة من السنوبر البري وأشجار كثيرة لونها كأنه مصبوغ أحمر في غاية الحمرة وعليه حمل كالزعبوب الصغار طري وهو وردي اللون، والورق في غاية الخضرة..."(١١٦).

تُستعمل لاستخراج مادة القطران، وتقطيره. ولا تزال بعض المواقع في جرود عكار تُعرف باسم "القطارة".

[112] - المرجع السابق، ص ١٧٧.

[113] - المرجع السابق، ص ١٨٠.

[114] - ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ٤٧. وفي الطبعة الثانية، عن دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٨٢.

[115] - ابن جبير: رحلة ابن جبير، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ب. ت.، ص ٢٠١. وعن دار صادر، بيروت، ب. ت.، بعنوان "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، ص ٢٦٠.

[116] - ابن محاسن: المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١، ص ٥١-٥٢. "الشلبوط: يذكر الشيخ عبد الغني النابلسي نوعاً من الشجر يُعرف بالشاهلبوط "وهو القسطل أعذب من البلوط وأفضل وأقل يبساً..."، نفس المرجع، حاشية رقم ٤،

هذا فضلاً عما تركه الرومان من نقوش لتحديد المقاطعات ولتعيين الأشجار التي تركتها السلطات لاحتكار التصرف بها وحدها دون غيرها، وخاصة في زمن هادريان، كما سنرى لاحقاً.

وكانت جبال عكار غنية بحيواناتها البرية منذ أقدم العصور، وما زالت بعض المواقع فيها تنسب إلى أسماء هذه الحيونات منها: جورة النمري ووادي النمري وعين النمر ، وضهر الدب، وسهم الضباع، وجبل مسرح الدياب، وعين الحجل ووادي الحجل... ولعل وادي السبع الذي اتخذ إسمه من النصب التذكاري الذي خلفه نبوخذنصر في أكروم، يدل على أن هذا الفاتح كان يصطاد السباع في تلك الجبال. وما يزال في جبال عكار إلى اليوم بعض الحيوانات البرية، كالضبع، والثعلب والأرنب، والقنفذ (النيص)، وبعض أنواع الطيور المستوطنة كالحجل...

إن هذه الخصائص الإستراتيجبة والطبيعية، والثروات الحرجية البرية أو الزراعية أو الحيوانية، جعلت جبل عكار عامراً بالسكن منذ قديم الأزمنة، حتى في الجبال العالية. نستدل على ذلك من خلال بعض الآثار التي تم العثور عليها، سواء الآثار الأشورية في وادي السبع (أكروم) أو وادي بريسا (جرود الهرمل على ارتفاع ١٣٠٠) أو عند "شير الصنم" الذي اكتشفه الأب تالون، أو في جرود فنيدق، حيث تم العثور على أثر يمثل الثالوث البعلبكي، ويعود لأيام الرومان[١١٧].

هذا بالإضافة إلى أسماء بعض المواقع في الجبال التي تشير إلى عصور اليهودية والمسيحية والإسلام. نذكر منها: حرف شيت(١٣٠٠م)، مقل بعال (١٢٠٠م)، حرف اليهود (١٤٠٠م-١٥٥٠م)، قبع الكنيسة(١٩٥٠م) وحرف الكنيسة(٢١٠٠م)، مقام النبي أيوب(١٢٠٠م)، مقام النبي خالد(١٥٥٠). هذا فضلاً عن أن أعلى قمة في جبال عكار، على ارتفاع ٢١٥٨م، إعتبرها مؤلفا كتاب ولاية بيروت، واحدة من "ثلاثة خرب تسمى "عروبة" و"قليعات" وهي من بقية آثار الفينيقيين والرومانيين"[١١٨].

ص ٥١. "الزعب هو الكثرة. وزعبوب هو القصير من الرجال وعلى الأرجح استخدمها هنا بمعنى الكثرة والصغر"، نفس المرجع، حاشية رقم ١، ص ٥٢.

117 - سوف نتعرض لكل هذه المواقع لاحقاً.

118 - التميمي وبهجت: ولاية بيروت، القسم الثاني، مرجع سابق، ص ٢٣٩.

الفصل الثاني

القبيات: الحدود وأهمية الموقع

ما هو المقياس الذي يجب اعتماده في تعيين حدود وموقع قرية أو بلدة ما؟ نطرح هذا السؤال لأنه لابد من وجود ضابط نحتاط به من الوقوع في شرك "تعظيم" البلدة المعنية بالدراسة، أو بالعكس، الوقوع في شرك "تصغيرها". ولنا في ذلك سوابق، يكون في الإقتداء بها ما يفيدنا في منهجنا لتعيين حدود القبيات وموقعها. فالخوري لويس الهاشم، مثلاً، يقول، في كلامه على جغرافيا العاقورا، تحت عنوان "تخومها": "نذكرها نقلاً عن دفاتر مساحتها... إن تخوم العاقورا كانت تضيق وتتسع حسب الأزمنة فمنذ قرن ونصف كانت أراضي حمي الرهبان من أملاكها فتخلت عنها أيام ولاية الأمير يوسف شهاب نظراً للخراج الذي كان مترتباً عليها. وكان المشايخ بيت فيصل الهاشم وبيت نمر وبيت أبي طربية يملكون المجدل فوهبها الأمير بشير الكبير للمشايخ بيت عبد الملك حمادة. وأما اليوم فقد ابتاع المشايخ جبرائيل بطرس جرمانس الياس واخوته أراضي المنيطرة وقسماً كبيراً من المجدل فاتسع بذلك تخم العاقورا"[١١٩].

يتضح من هذا النص أن تعيين الحدود يرتبط ببعض المعايير المتغيرة تبعاً للمراحل التاريخية، والمتغيرة خاصة تبعاً لنظام الملكية العقارية. في زمن تعميم الملكية العقارية الخاصة (الفردية)، على نطاق واسع، يعتمد الخوري الهاشم "دفتر المساحة". ولكن هذا الزمن حديث نسبياً، وبعود إلى أواخر الأربعينات من القرن التاسع عشر فقط [١٢٠]. وفي العصور السابقة، عصور "نظام الإلتزام" و"إقطاع المقاطعات" يكون المعيار مرتبطاً بحدود "الإقطاعات"، وبمساحة الأرض التي يقوم المقيمون عليها (أهالي البلدة أو

---

[119] - الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورا، مطبعة العلم، بيت شباب، لبنان، ١٩٣٠، الجزء الأول، ص١١-١٢.

[120] - هذه المسألة ترتبط بقانون الأراضي العثماني الذي سنفصله لاحقاً. نكتفي الآن، بالإشارة إلى أن الباب العالي في الإمبراطورية العثمانية اتخذ ما بين ١٨٢٠و١٨٦٤ سلسلة إجراءات تناولت أشكال الملكية العقارية والتنظيم الضريبي وإدارة بلاد الإمبراطورية عسكرياً واقتصادياً ومالياً وتربوياً. ففي العام ١٨٣٩ صدر أول قانون يعترف بالملكية العقارية الخاصة على نطاق واسع، وذلك بموجب "خط شريف كلخانة" بتاريخ ٣تشرين الثاني ١٨٣٩، وفي العام ١٨٥٦ صدر "خط همايون" تقرر به وضع سجل عقاري هو "دفتر طابو" الذي تعمم العمل به عام ١٨٦١. ولقد تم ذلك خلال ما سمي "مرحلة التنظيمات"، أو الإصلاحات التي تم افتتاحها بتصفية جيش الإنكشارية عام ١٨٢٦. راجع: ENGELHARDT: La Turquie et les Tanzimats, vol., 1, Paris, 1882, p.257-261 et 262-270.

القرية) بدفع "خراجها" أو ضريبتها متضامنين، وهذا ما كان سائداً قبل أواخر الأربعينات من القرن التاسع عشر. استناداً إلى هذين الشكلين من الملكية (لا سيما مع النظام الضريبي) يقرر الخوري الهاشم أسباب إتساع تخوم بلدته أو تقلصها. ونحن نوافقه في منهجه هذا. وعليه نبدأ في تحديد حدود القبيات استناداً إلى نظام "المساحة" الراهن، ثم استناداً لاحتمالات توسع هذه الحدود أو تقلصها علـى أساس ما كان سارياً قبل قانون "الطابو" العثماني، وفي مرحلة وضعه موضع التنفيذ، وصولاً إلى إقرار المساحة والنطاق العقاري المعمول بهما راهناً. وإذا كان هناك من مجال للكلام على حدود "تاريخية" ما، فالحدود هذه يتم رصدها ووضعها طبقاً لجملة المعايير التي ذكرناها.

حدود القبيات بين "المساحة" وأملاك أهلها

يجدر بنا بداية الإشارة إلى أن قانون المساحة الراهن يعين مناطق عقارية تختص بها كل بلدة أو قرية. ولكن هناك أيضاً قانون البلديات الذي يعين لكل بلدة نطاقها البلدي المحدد، أي أنه يعين المساحة التي يمارس عليها المجتمع المحلي - بواسطة المجلس البلدي - سيادته المحلية، ويحددها، أي إنه يخص المجتمع المحلي بنطاق خاص به، ويمنعه من تجاوزه ويحميه من تجاوز الآخرين. بيد أن المشكلة التي تعاني منها بلدات وقرى عديدة في لبنان، هي مشكلة عدم التطابق بين النطاق البلدي ونطاق العقارات المملوكة من أهل بلدة ما، والتي لا تدخل في نطاقهم البلدي مع كونها متاخمة له وغير مفصولة عنه. وهناك حالات يكون فيها للنطاق البلدي سلطة في املاك، هي لأهل بلدة أخرى، وقد تفصل أحياناً بينهما مسافة كبيرة، بل بلدات أخرى في بعض الأحيان. هذه هي حالة القبيات، في وضعية منطقة "كرم سباط" التابعة عقارياً لبلدة عيدمون، والتابعة من حيث النطاق البلدي لها أيضاً؛ وحيث تتوزع الملكية في "كرم سباط" ما بين بعض أهالي القبيات وبعض أبناء آل جعفر وقلة نادرة من أهالي عيدمون. هذا مع العلم أن هذه المنطقة متاخمة للقبيات، ومفصولة كلياً عن عيدمون. أضف لذلك أن لأبناء القبيات أملاك متاخمة لمنطقتهم العقارية ولنطاق بلدية القبيات ولكنها واقعة ضمن نطاق بلدية عندقت وفي منطقتها العقارية. نقول ذلك لنشير إلى أن المعيار في تحديد تخوم البلدة ليس صارماً كل الصرامة وتشوبه العيوب بحكم طبيعة التقسيمات الإدارية والعقارية.

غير أنه يجب علينا متابعة هذه المسألة في سياق نشوء وتكون المساحة في لبنان، حيث غالباً ما تم تقرير النطاق العقاري بالتوافق مع مخاتير ووجهاء القرى والبلدات، لا سيما في زمن الانتداب الفرنسي، قبل أن تبدأ الدولة اللبنانية جدياً بأعمال المساحة. وفي كل الحالات تم اعتماد سجلات عقارية تعود لزمن العثمانيين، وتعكس بالتالي واقع الملكية في أزمنة سابقة. وكثيراً ما عكست آراء

هؤلاء المخاتير والوجهاء، والسجلات القديمة صورة عن توزع الملكيات بين أهالي القرى في الزمن الأسبق أو القريب من زمن تعيين مساحات النطاق العقاري. وإذا كانت هذه الطريقة في تعيين النطاق العقاري وبالتالي البلدي، قد خلفت مصدراً للتوتر بين بعض القرى والبلدات، فإنها تعكس صورة قريبة من حقيقة توسع أملاك بعضها وتقلص بعضها الآخر. كما تم اللجوء أحياناً إلى اعتماد معالم طبيعية من ميزتها عدم الدقة: مقلب المياه، الوادي، الطريق...

ولقد حصل تطور جذري أحياناً في انتقال الأملاك من أهل بلدة لأخرى دون أن يترافق ذلك مع تعديل ملائم في أوضاعها الإدارية، لجهة المساحة والمسؤولية البلدية. وتكون هذه الحالة مصدر قلق وتصادم، خاصة متى اتخذت الخلافات على العقارات وما يسمى "المشاعات" أو "الخراج" (بالمعنى الشائع)، أبعاداً عشائرية ومناطقية ومذهبية. ولنا في عكار أمثلة عديدة على هذا النوع من الخلافات، بحيث أنه بالإمكان اعتبار التخوم بين البلدات والقرى في الأرياف قنبلة جاهزة للإنفجار في كل لحظة.

ليس هناك من شك، بأن القبيات تنتشر على رقعة جغرافية (متصلة ببعضها) هي أوسع من نطاقيها: العقاري والبلدي. فهل يجوز لنا أن نغفل امتداد أملاك أبناء القبيات إلى "كرم شباط" (نطاق عيدمون البلدي والعقاري) وبعض مناطق "وادي عودين" والوطى (نطاق عندقت البلدي والعقاري)، ولا ندخل هذا الإمتداد في سياق اتساع البلدة؟ بالطبع لا. ولكن هذا الواقع الإداري يعكس الحداثة النسبية للإمتداد القبياتي إلى هذه المناطق، ويبدو واضحاً، على ضوء ما تقدم، أن اتساع مساحة أملاك أهل القبيات وانتشارهم على هذه المساحة هو أمر حديث نسبياً.

تمتد بلدة القبيات وأراضيها شمالاً، من نطاق التقاء أملاك أبنائها مع أملاك أبناء عندقت وعيدمون عند المقلب الشمالي لضهور حي مرتمورة (بعض أملاك أهل القبيات هنا يتبع عقارياً لعندقت وعيدمون) ، مروراً باتصال أملاكها بأملاك أبناء النهرية والباردة والبيرة، وغرباً وفق خط التقاء أملاك القبيات مع أملاك أهالي قرية السنديانة حتى وادي عين المحلات، ومن هناك تمتد التخوم الجنوبية بين الأحراج الفاصلة لأراضي القبيات عن أراضي عكار العتيقة، وصولاً إلى أحراج جبل القموعة فوق سفوح "كرم سباط"، حيث الأملاك المشتركة مع آل جعفر، ومن هناك تبدأ الحدود الشرقية لأملاك البلدة وصولاً إلى منطقة "حرف شيت" مروراً بأطراف عودين العليا حيث تمتد الحدود وفق خط وهمي يتجه جنوب ـ غرب حتى يصل إلى طريق الشنبوق ـ القبيات، فينحرف في منطقة المرغان نحو الشمال ليحيط ب"الحلوف"، ويبلغ نقاط اتصال أملاك القبيات بأملاك عندقت، (سنتناول لاحقاً تفاصيل هذا الامتداد).

داخل هذه المساحة الجغرافية ثمة بعض الأملاك الأميرية (أرض الجمهورية اللبنانية). كما أن الأملاك الأميرية تغطي الكثير من المناطق الحدودية من الجنوب الغربي والجنوب وبعض الشرق. ولكن الحدود هنا تُعتبر حتى "مقلب الماء" من التلال القريبة كميدان ل"حق" الانتفاع منه [١٢١].

هذه هي رقعة القبيات اليوم ضمن تخومها التي تحد أملاك أبناء البلدة. فهل كانت القبيات، على الدوام، على هذا القدر من الاتساع؟ أم أن رقعة انتشارها تعرضت للتغيير، تقلصاً أو اتساعاً؟ ثمة أكثر من إجابة على هذه الأسئلة. فلنستعرضها.

د. سلوم: مشاعات القبيات ملاصقة لمشاعات بشري ؟

يرى د. سلوم أن القبيات تقع على "الرقعة الجغرافية التي تمتد على"خراج" حدوده تبدأ في "ضهور" مرتمورة شمالاً حتى "المعبور" الأبيض جنوباً والذي هو حد فاصل بين مشاعات القبيات ومشاعات بشري..." [١٢٢]. ولذا فانه يقرر: "كانت القبيات مشتى رعيان الجبل ومستقراً لهم" [١٢٣]. إن حدود القبيات واتساعها، كما يعينها د. سلوم، لا تختلف كثيراً عما أوردناه قبل قليل، إلاّ برغبته بافتعال واختلاق تواصل جغرافي بين موارنة القبيات وموارنة الجبل (جبل لبنان) وبشري تحديداً. إن منطقة "المعبور" القائمة على الزاوية الجنوبية الشرقية لحدود القبيات وكل قضاء عكار، هي جزء من الحد الفاصل بين قضاء

---

[121] - وضعنا كلمة "حق" بين مزدوجين كإشارة تخفيفية للكلمة، لأن هذا الحق تقادم مع الزمن، ولم يعد له كبير الفعالية. فهو "حق" الرعي والاحتطاب... وهذه أمور تمنعها القوانين، وتجاوزها الزمن القبياتي لندرة تربية حيوانات الرعي، وقلة الحاجة إلى الاحتطاب للتدفئة وانعدام تصنيع الفحم. ولكم كان هذا الحق مصدر نزاع بين المتجاورين، وهو ما يزال.

[122] - سلوم، فؤاد: "القبيات..."، مرجع سابق، ص٣٣. وفي أطروحته التي وضعها العام ١٩٩٢، (دريب، عكار،... مرجع سابق)، كرر د. سلوم كلامه حول نقطة "المعبور الأبيض" الفاصلة بين "مشاع القبيات ومشاعات بشري"(ص٤٠). هذا مع قوله، في نفس الآن، بأن هذه النقطة "المعبور الأبيض" هي فاصلة بين "عكار والبقاع"(ص٤٠). فهل بشري في البقاع، لتتصل مشاعاتها بمشاعات القبيات؟ ولعله يعمد في أطروحته (دريب-عكار...) إلى ضغط وتصغير انتشار الحدود الجنوبية لقضاء عكار، بحيث تفسح المجال لمشاعات بشري بالتوسع نحو مشاعات القبيات. يقول: تبدأ حدود القضاء (عكار) الجنوبية، حسب الخرائط اللبنانية،(لا يذكر هذه الخرائط من وضعها...)، ابتداءً من نبع السكر في سفح القموعة على علو ١٦٨٠م، نزولاً إلى نبع فنيدق على علو ١٢٨٠م، وهما النبعان اللذان يغذيان النهر البارد، ثم نزولاً مع مجرى هذا النهر حتى مصبه في البحر..."(ص٣٥). أما في الحقيقة فإن الحدود الجنوبية لقضاء عكار تمر على ارتفاع يتجاوز ٢٢٠٠م في قلعة عروبة، ومن هناك لا تتجه نحو نبع فنيدق، بل على العكس تتجه جنوباً أيضاً وعلى مسافة تبعد عن نهر فنيدق أكثر من بضعة كلم، ولا تبلغ نهر البارد إلاّ بعد تجاوزها وادي النقر إلى الجنوب من قلعة عروبة، ثم تتجه غرباً لتبلغ وادي حقل الخربة ثم نهر كتاف التين إلى الشرق من منطقة قمامين في الضنية ثم تتصل بنهر أبو موسى وتتصل إلى نهر البارد". وذلك استناداً إلى خريطة وضعتها وزارة الأشغال العامة والنقل، وهي من إعداد مديرية الشؤون الجغرافية في الجيش اللبناني، ١٩٧٤.

[123] - المرجع السابق: ص٣٥.

عكار وقضاء الهرمل، ولا اتصال لها أبداً بمشاعات مزعومة [١٢٤] مع بشري. فأين هو قضاء بشري الحدودي مع جرود الضنية شرقاً، من جرود عكار (حرار، مشمش، فنيدق...) وجرود قضاء بعلبك والهرمل؟ (راجع الخريطة).

كيف يحدد أهالي بشري اتساع منطقتهم، بلدة بشري، أوجبة بشري؟ يقول أنطوان طوق: "جبة بشري تاريخياً، هي هذه المساحة الجغرافية التي تحتضنها تجويفة جبل المكمل شرقاً وتنحدر حتى تلامس سهول الكورة والزاوية مروراً بقرى بزيزا، بحبوش، رشدبين، راسكيفا، كفرفو وبنشعي غرباً. وتنحصر بين هضاب الضنية امتداداً على أعالي الجرد ومزرعة السواقي عبر قرى حرف مزيار – مزيارة حتى زعزع شمالاً. وهضاب تنورين مروراً بمزرعة بني صعب والبكاليك حتى دير بلاّ فبزيزا جنوباً"[١٢٥].

وفي "المؤتمر الأول لتاريخ جبة بشري"، المنعقد في ت٢ ١٩٩٤، والذي شاركت فيه مجموعة من مؤرخي المنطقة وغيرهم، لم يلحظ أحد من المشاركين امتداد حدود جبة بشري إلى جوار القبيات، رغم العديد من الدراسات التي تناولت مباشرة، أو مداورة، موضوع مجالها الجغرافي، وحاصة دراسة د. فاروق حبلص حيث وضع عدة خرائط للمنطقة[١٢٦].

يبقى علينا أن نعود إلى المرجع الذي اعتمده د. سلوم في تقريره أن "المعبور الأبيض... فاصل بين مشاعات القبيات ومشاعات بشري"، نقصد الخوري فرنسيس رحمه، في مؤلفه "تاريخ بشري، الجزء الأول". كيف حدد الخوري فرنسيس رحمه نطاق بشري الجغرافي؟ في الفصل الثاني، من القسم الأول، من مؤلفه المذكور ذكر الخوري فرنسيس رحمه حدود بشري البلدة[١٢٧]. وفي الفصل الثاني عشر، تكلم عن ما سماه "في حدود بشري البعيدة ومشاعاتها العمومية". لقد انطلق الخوري المذكور في تعيين هذه "الحدود البعيدة" انطلاقة رصينة و"علمية" إلى حد كبير، لأنه حدد مقاييس لتعيين هذه الحدود بقوله: "أما حدودها فنوعان بعيدة وقريبة. أما القريبة فقد استوفيت بحثها... أما البعيدة فهاءنذا

---

124 - مشاعات جمع مشاع. والأرض المشاع تكون ملكاً خاصاً لمجموعة من المالكين، عادة تكون لاستخدام جماعي، كالبيادر مثلاً. أما المقصود هنا بالمشاعات كما يطرحها د.سلوم فهو "حق" الانتقاع الذي عرضناه في الحاشية ٣.

125 - طوق، أنطوان جبرايل: أمثال الأقدمين في جبة المقدمين، بشاريا للنشر، ١٩٩٢، ص ٧.

126 - راجع: أعمال المؤتمر الأول لتاريخ جبة بشري، ١٥١٦ – ١٩١٨، منشورات لجنة جبران الوطنية، ١٩٩٨.

127 - رحمه، الحوري فرنسيس: تاريخ بشري أو مدينة المقدمين، مجهول الناشر والتاريخ، ج ١، القسم الأول، الفصل الثاني، ص ١٤ – ١٦. يذكرالبعض تاريخ طباعته في العام ١٩٥٦، والبعض ما قبل ذلك التاريخ، ويجمع كثيرون على أن البرازيل (سان باولو) هي مكان النشر. وهذا الكتاب نادر الوجود، لم نعثر عليه في المكتبات العامة. ولقد تفضل الاستاذ أنطوان جبرايل طوق، مشكوراً، بوضع نسخة من الكتاب لديه بتصرفنا.

ذاكراً لها نقلاً عن دفتر المساحة في حوزة المفوض البلدي... وهذه حرفيته...:
يبدأ حد بشري القبلي من نهر بقرقاشا صعداً إلى طريق بقاعكفرا، ومن ثم ينحرف شرقاً على ساقية ماء تفصل خراج بقاعكفرا عن خراجنا، ثم ينفذ هذا الحد إلى نهر المزرعة صاعداً بانحراف إلى الجنوب في النهر المذكور نافذاً إلى نبع هرسيا المعروف بنبع الفطيسية الفاصل خراج بقاعكفرا ومن ثم يتجه إلى الدمدومة إلى ضهر القضيب الفاصل خراجنا عن خراج بعلبك على كل أطراف استدارته إلى بركة الباشا تخمنا القبلي الأخير. وحدها الشرقي يبدأ من بركة الباشا المذكورة ممتداً حتى ضهر القضيب الفاصل خراجنا على كل أطراف استدارته عن خراج بلاد بعلبك نافذاً إلى وادي أرجوم الفاصل بيننا وبين خراج الضنية. وحدها الشمالي يبدأ من تخوم وادي أرجوم المذكور نافذاً إلى خشع الفار حتى الجلس (سند من أسناد ضهر القضيب الغربية) المنتهي بالقرب من بعل ضرغام"[١٢٨].

يبدو واضحاً من خلال هذا التحديد لامتداد رقعة "جبة بشري" (لا بشري البلدة فحسب) أن هذه الرقعة محصورة بين حدود أملاك وخراج الضنية وبعلبك، وهي الجهات التي تعنينا في القبيات وعكار. ولا بد أن د. سلوم طالع هذا التحديد الذي وضعه الخوري فرنسيس رحمه في المرجع الذي اعتمده د. سلوم. ولكنه مرّ عليه مرور الكرام دون التوقف عنده. كما أن د. سلوم لم يتوقف عند تحديد ثالث لامتداد رقعة جبة بشري جاء به الخوري فرنسيس رحمه، في نفس المرجع: "إن هذا الاسم "جبة بشري" يراد به قديماً وحديثاً مقاطعة واسعة النطاق مترامية الأطراف ذات قرى ودساكر ومزارع وقلّ من عني بتحديدها. فتعميماً للفائدة هاءنذا ذاكراً لك تحديدها نقلاً عن الشيوخ في الجبة والزاوية ممن ولوا الأحكام بعد آبائهم وجدودهم. وإنما آثرتهم على سواهم لكونهم آصل معرفة وأكثر تدقيقاً. تحديد الجبة. يحد الجبة شمالاً مجرى نبع جوعيت الذي ينبثق من أسفل حرج اهدن على طول مسيله حتى متصله بنهر أبي علي. وهذا بحسب تحديد تخومها القديمة بقطع النظر عن التبديلات والتغيرات التي قضت بها بعض ظروف استثنائية قطعت بعض قرى في اسفل هذا الحد وألحقتها بمنطقة أخرى كما سيجيء. ويحدها جنوباً الوادي بين قنات ومزرعة أبي صعب. وتخمها الغربي حدود الزاوية الشرقية. أما تخمها الشرقي فضهر القضيب باسناده الجنوبية والشمالية. أما تحديد جبة بشري بأكثر تدقيق فإلى القارئ الكريم دائرتها خيطاً من الشمال إلى الجنوب نقلاً عن محفوظات ضاهر بك آل الضاهر: من الواضح أن لبنان الشمالي يقسم حالاً إلى خمس مناطق: الزاوية والكورة والجبة والضنية وعكار. يهمنا الآن أن نذكر حدود جبة بشري التي قلما عني بها المؤرخون. وإليك خطوطها ابتداءً من مخرم طريق عيناتا شرقاً في السفح

---

[128] - المرجع السابق، ص ١٣٧ – ١٣٨.

الغربي: مقلب بعلبك في ضهر المكمل المطل على البقاع - فم الميزاب أي مقلب القرنة السوداء – جرد الإجاص المتاخم منطقة الضنية - مقلب بحويتا – حرف مزيارة – مزيارة المتاخمة للضنية أيضاً. ومن ثم مراح كفرصغاب المتاخم منطقة الزاوية - بنشعي - كفرفو - راسكيفا - نهر ابو علي - مقلب كربريبه - سرعل - وادي سرعل - الحسين - مغر الأحول - رشدبين المتاخمة للكورة – عين عكرين – بحبوش – بزيزا – دار بلا – بيت كساب – حردين – نيحا – ارز البلاد – حدث الجبة – عين ورده – الرهوة والبحصة – فم الذئب – المكمل الذي هو منتهى الدائرة"[١٢٩].

لا يكتفي الخوري رحمه بهذا التحديد لأملاك جبة بشري، بل يضيف تحديداً لانتشار مشاعات بشري، علماً بأنه من المفروض أن تكون هذه المشاعات ضمن الحدود "البعيدة". ولكن لا بأس من استعراض امتداد هذه المشاعات: "أما مشاعاتنا في حوز المفوض البلدي التي تضمن كل سنة ويصرف ضمانها في سبيل اصلاح داخلية المدينة وعمرانها ورقيها فهي أربعة: 1ً المشاع المعروف بالكبير المحدود قبلة أراضي بقاعكفرا وشرقاً الصرد العالي ومنقلب الماء، نهاية الطريق، كتف القنديل، وشمالاً... المحافير.... 2ً "جورة القنديل" كذا سميت وكذا نقلنا. يحدها قبلة الطريق العرضي إلى درجة مرجحين. وشرقاً منقلب الماء، وشمالاً الطريق الصاعدة من عين الجورة إلى آخر سطح الصرد (الجرد) الأعلى. وغرباً حرف القشاط"[١٣٠]. مرة أخرى في الكلام على المشاعات، وفق منطق المساحة الذي يعتمده الخوري فرنسيس رحمة بالذات، لا يوجد أي تماس بين أملاك ومشاعات جبة بشري وعكار، بل هي محصورة بين بعلبك والضنية. وهذا ما كان لا بد أن يلحظه د. سلوم.

ثمة نوع ثان من المشاعات يذكره الخوري فرنسيس رحمه، تحت عنوان: "مشاعاتنا المتروكة في حوزة الرعاة"، وفيها يقول: "قد تسامحت بشري بها كمرعى لمواشينا وسائمتنا. وتلك المراعي تمتد شرقاً وغرباً وشمالاً وراء قمم ضهر القضيب والمكمل وأسنادهما الشرقية والغربية وأمامهما. أما من الوراء نحو الشمال فمشاع عريض طويل يمتد من عيون أرغش للجهة الشمالية الشرقية من قرية عيناتا فحجر الجمل فجور الأدباب فصرد (جرد) قراصيا البالغ حدها الشمالي إلى وادي أرجوم في خراج الضنية فجور الدل (الذل) الممتدة من صرد قراصيا غرباً إلى الجلس (الجلسة) حتى عيون الشوك... فهذه المتروكات كلها تسامحت بها بشري رحمة بالمواشي ورعاتها وضمانة لاستيراد الدر وبيعه من

---

129 - المرجع السابق، ص ٣٨٣ – ٣٨٤.
130 - المرجع السابق، ص ١٣٩.

بشري وبيع فاضله من الجوار من غير إجبار أو تحكم. وسيان في رعيها الغريب والقريب"[١٣١].

أنه من الواضح أن هذه المشاعات "المتروكة" ليست من داخل بقعة جبة بشري، ذلك أنه "سيان في رعيها الغريب والقريب". ولو أننا اعتبرناها ملحقة بنطاق بشري الجغرافي فإن هذا النطاق يبقى محصوراً بين نطاقي الضنية وبعلبك، دون أي اتصال له بجرود عكار. فمن أين أتى د. سلوم بوجود اتصال بين مشاعات القبيات ومشاعات بشري، استناداً إلى الخوري فرنسيس رحمة، طالما أن هذا الأخير في تحديده لتخوم جبة بشري لم يصل بها إلى تماس حدودي مع عكار عامة؟

سبق أن قلنا أن الخوري فرنسيس رحمه عيّن حدود بشري - البلدة في الفصل الثاني، من القسم الأول، من مؤلفه، وفي الفصل الثاني عشر، من القسم الثاني، وفي الفصل الأول من القسم الخامس، عرض تخوم جبة بشري البعيدة ومشاعاتها المسجلة في المساحة والمتروكة، وفي كل ذلك لم يذكر، ولم يتبين لنا، أي اتصال بين مشاعات بشري وعكار أو القبيات. ولكنه تحدث، في الفصل الرابع عشر، عن "حقول بشري ومزارعها وينابيعها وعيونها وأنهارها". لم يذكر هنا أيضاً، بطبيعة الحال، أي اتصال لكل هذه المزارع بعكار والقبيات، بل جاءت محصورة في إطار جبة بشري المحصورة بين الضنية وبعلبك.

ولكن الخوري فرنسيس رحمه، بعد أن عدد كل المزارع وعين مواقعها وسعة انتشارها، ضمن الاطار المذكور سابقاً ختم هذا الفصل بقوله فجأة: "هذا عدا ما لنا من الأملاك الفسيحة الأرجاء والمراعي المترامية الأطراف منبسطة في صرودنا العالية من بعول غير مسماة ودارات غامرة بين الأكام والتلال البعيدة أمام ضهر القضيب والمكمل – فم الذئب وفم الميزاب – قمة سامرة والقمة السوداء – قنة الحبيس وفم القلة وتمامهن ركبة الجمل أمام كل ذلك ووراءه من الجنوب إلى الشمال إلى تخوم قلعة عائشة من الغرب إلى حدود الضنية ومشاع القبيات. آكام تفرع سنامها رعاتنا وأودية تهبطها مواشينا وسائمتنا مما يضيق بنا تعدادها ويورث القراء ملالاً وضجراً"[١٣٢]. واضح أن الكلام هنا يتناول ممتلكات بعيدة عن جبة بشري، ومواضع أقام فيها بشراويون (مع غيرهم غالباً). ولكنه من غير الواضح هذه القفزة المفاجئة للخوري فرنسيس رحمه من حدود الضنية إلى مشاع القبيات، مما يناقض كل المنطق الذي اعتمده هذا الخوري في تعيين الحدود والمشاعات.

---

131 - المرجع السابق، ص ١٤٠.

132 - المرجع السابق، ص ١٦٦ – ١٦٧. هل من بلدة أخرى باسم القبيات يقصدها الخوري رحمه؟

ويبدو أن هذه الأملاك يدخلها الخوري فرنسيس رحمه تحت اسم ما يسميه "فتوحات بشري البعلبكية". ويعدد هذه الفتوحات: "عيناتا، المشيتية، القرامة، البصيلة، دير الأحمر، بشوات، برقة، صفرا، القدام، نبحة، الحرفوش، تل سوغا، بتدعي، المراحات، عيون أرغش، وادي العس، الجباب، جزء من مرجحين، جزء من ضواحي الضنية"(١٣٣). هل يمكننا القول بأن بشري أمتدت على كل هذه البقعة التي امتلك وأقام فيها (مع الغير غالباً) بعض أبنائها؟

إن أقرب تلك الممتلكات إلى عكار هي تلك الواقعة في "جزء من مرجحين"، وأقربها إلى أملاك ومشاعات القبيات تلك الواقعة بالقرب من بلدة الهرمل، والتي يفصّل في أمرها بعض الشيء أنطوان جبرايل طوق. فهو يقول في مرجحين: "مزرعة تبعد عن الهرمل ١٣ كلم منازلها الثلاثون حقيرة وبدائية وعدد سكانها لا يتجاوز ٣٠٠ نسمة من الموارنة والشيعة. تملك فيها البشراويون خلال القرن الثامن عشر... تملك وسكن البشراويون هذه المزرعة حتى حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين"(١٣٤). ومن المزارع التي كان يقطنها بشراويون بالقرب من الهرمل يذكر انطوان جبرايل طوق "وادي الرطل"، على مسافة ٨ كلم من بلدة الهرمل، وبجوارها بريصا، بالقرب من الشربين. وفي بريصا يقول: "مزرعة حرجية... كان يسكنها جماعة من آل طوق لا يتعدون المائة شخص يعيشون من رعاية الماشية والزراعة البدائية... لا يربطها بها (ببشري) سوى طريق حافر جردية عبر جرد قراصية مروراً بفم الميزاب. وهذه الطريق تنقطع كلياً بسبب الثلوج أيام الشتاء. سكن هؤلاء الناس هذه المزرعة منذ مطلع النصف الثاني من القرن التاسع عشر..."(١٣٥). ولقد وصف بريصا عالم الآثار هنري بونيون (H. POGNON)، عندما زارها في خريف العام ١٨٨٣، قائلاً: "إن وادي بريصا الكثير الأشجار، والمحروم من الماء كلياً تقريباً، هو أرض غير مزروعة، وشبه قاحلة. ولا يسكنه غير عدد قليل من المتاولة الرحل الذين يعكس مظهرهم بؤساً هم عليه، يقومون هناك برعاية قطعانهم من الماعز، وحيث يتنقلون على الدوام من موقع لآخر، حيث يقيمون في الخيام؛ ومع ذلك فإننا نرى في هذا الوادي بعض المنازل الحقيرة، خاصة في أسفله"(١٣٦).

ولعل قطان بريصا البشراويين هم الذين أقاموا في مزرعة السويسة التي تفصلها عن كرم سباط منطقة المعبور. وعلى العموم لم يكن البشراويون وحدهم سكان هذه المزارع بل كانوا عبارة عن أقلية تعيش ضمن منطقة يغلب الشيعة في سكانها بشكل مطلق. وبالتالي لا نستطيع أن ننسب هذه المنطقة لأهل بشري، بل

---

133 - المرجع السابق، ص ١٦٧.

134 - طوق، أنطوان جبرايل: بشري ولبنان ١٩٧٥ – ١٩٨٢، بشاريا للنشر، ط ١، ١٩٨٥، ص ١٠٦.

135 - المرجع السابق، ص ١٠٥.

136 - POGNON, Henri: Les Inscriptions Babyloniennes de Wadi Brissa, Paris, 1887, p. 1.

للجعافرة الشيعة. كما أن هذه المنطقة كانت حدودية مع منطقة (كرم سباط) ملكيتها تركمانية (عيدمون) قبل أن تنتقل الملكية لموارنة القبيات وللجعافرة، مع بقاء قسم قليل جداً من الملكية بيد بعض تركمان عيدمون حتى اليوم. فهل يصح لنا بعد كل ذلك أن نقرر، كما فعل د. سلوم، بأن مشاعات القبيات وبشري متصلة ببعضها؟

من الواضح أن انتشار البشراويين في هذه المناطق البعيدة عن جبة بشري، إنما يعكس حقيقة أساسية في حقائق التاريخ اللبناني، وهي القدرة على تجديد العيش المشترك بين أبناء شتى الطوائف. ومن الواضح من عبارة "فتوحات بشري البعلبكية" أن الوجود الماروني البشراوي، حديث في مناطق "الفتوحات"، وأنه قد تم في مناطق فيها قطان غير موارنة، وفي مرحلة لعلها من مراحل الاضطراب في منطقة الجبل، منتصف القرن التاسع عشر، حيث كان نزوح البعض من الجبل المضطرب، ينتهي في مناطق غير مارونية، وبعضها غير مسيحي، بحيث يجد النازحون مجالاً للاستقرار. وغالباً ما كان التراجع عن مناطق الانتشار هذه يتم في مراحل الاضطراب الاجتماعي فيها، وفي هذا درس حول ضرورة الحرص المتبادل على تأمين شروط الاستقرار، بالمراعاة (المتبادلة) المطلوبة من الجميع لدوافع المحيط الجغرافي والاجتماعي.

وبالعودة إلى اطروحة د. سلوم القائلة بأن "المعبور...، هو فاصل بين مشاعات القبيات ومشاعات بشري"، نقول أن الخوري فرنسيس رحمه لم يعين مكان اتصال مشاعات القبيات بمشاعات بشري، كما يدعي د. سلوم. وجل ما قاله الخوري رحمه هو: "هذا عدا ما لنا من الأملاك الفسيحة الأرجاء... إلى حدود الضنية ومشاع القبيات". وليس في هذا الكلام ما يعين موضع اتصال أملاك البشراويين بمشاع القبيات، هذا إن كان هناك من اتصال. ينطلق د. سلوم من حقيقة تاريخية فيتلاعب بها ويصطنع حدوداً وتواصلاً موهوماً يغذي به "مشروع" اختلاق المشاعر بوجود وحدة واتصال تاريخيين مزعومين بين القبيات والجبل الماروني، لغرض تنمية الاحساس بوجود ماضٍ هو على قدر كبير من "العظمة"، وهي بالطبع العظمة القاتلة لكونها تخلق مرارة في النفوس الطموحة لاسترداد التواصل المزعوم، والوحدة المفقودة. إنه ينطلق من حقيقة أن منطقة "المعبور" متاخمة لمزرعة السويسة في قضاء الهرمل، لا في قضاء بشري أو "الجبل"، وقد كانت بضع عائلات من بشري، لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليد الواحدة، تقيم هناك، وسط سكان أقدم منهم في الاقامة: الشيعة، ومنذ فترة حديثة، حيث مارست الرعي وعاشت منه، في مكان نزحت إليه من بشري، ولم تكن فيه أصيلة. كانت هذه العائلات تمتلك مزرعة السويسة، ولكنها كانت تعيش في منطقة الهرمل، لا في الجبل أو في مشاعات بشري، بل في مشاعات الهرمل وعكار، (ومنها مشاعات القبيات)، وذلك قبل أن تبيع كل ملكيتها في

السويسة لأبناء الهرمل منذ حوالي نصف قرن من الزمن. ولعله من الأهية القصوى البحث في أسباب نجاح الاقامة البشراوية في وسط الشيعة في الهرمل. وكذلك البحث في الأسباب العميقة للنزوح، بعد إقامة دامت أكثر من قرن من الزمن. وذلك بغية التركيز على عوامل دوام بقاء الموارنة في عيش مشترك مع المحيط. وبالطبع هذه مهمة تقع على عاتق الجميع ولا تقتصر على وسط طائفة دون الأخرى.

انطلق د. سلوم من هذه الواقعة وتلاعب بها ليقرر أن مشاعات القبيات متصلة بمشاعات بشري. واستند إلـى جملة فجائية، مقطوعة عن السياق العام الذي تبعه الخوري فرنسيس رحمه، وسلم بها تسليماً مطلقاً دون إخضاعها للنقد والتدقيق. فكأن امتلاك هذه المزرعة (السويسة) يخول أبناء بشري جعل حدودهم تقفز عبر (أو تأكل) كل جرود الضنية وعكار والهرمل لتتصل بالقبيات. وإذا كانت رغبة د. سلوم في اختراع تواصل تاريخي لموارنة القبيات مع موارنة الجبل جعلته يقرر أن القبيات "مشتى رعيان الجبل" فان الواقع الفعلي هو أن القبيات كانت، وما تزال، مشتى رعيان جيرتها مـن عكار العتيقة وأكروم وغيرها، قبل أن تكون، وبأكثر من أن تكون "مشتى رعيان الجبل" لمجرد أن بعض الرعاة البشراويين المقيمين في الهرمل "شتوا" في القبيات، مع غيرهم من عشرات الرعاة من الجوار العكاري للقبيات.

الأب موراني: الجغرافيا الأولية للقبيات، واشكالية استردادها؟

من الصفحة الأولى لأطروحته، في التمهيد لـها (Avant-propos)، يبدأ الأب موراني عملية "تعظيم" القبيات. لا يُعرّف القبيات كبلدة أو مدينة، لا، إنها منطقة. يقول: "القبيات، منطقة في لبنان الشمالي، على الحدود مع سورية" [١٣٧]. كيف تكون القبيات على الحدود مع سورية وهي مفصولة عنها بمنطقة جبل أكروم (بقراه السبع)، أو ببلدات وقرى عندقت وشدرا ومشتى حسن ومشتى حمود ووادي خالد (بما فيها من مزارع وقرى) وعيدمون والنهرية ومنجز...؟

وفي الصفحة الأولى من المدخل (Introduction) يطرح القبيات بمثابة كانتون (Canton). وهو ينطلق هنا من عبارة استخدمها دوسو ليشير إلـى قسم من "وادي النهر الكبير" [١٣٨].

---

[137] - الأب موراني: مرجع سابق، ص١ من التمهيد.

[138] - في الفصل الثاني من كتابه "الطبوغرافيا..." يتحدث رينيه دوسو عن المنطقة الممتدة من طرابلس إلى حمص. ويقسم هذا الفصل إلى أربعة أقسام: ١-طرابلس وجوارها، ٢-وادي النهر الكبير، ٣-منطقة مريمين ورفنية، ٤-حمص. وتحت عنوان "وادي النهر الكبير" يقسم المنطقة إلى الأقسام التالية: النهر بحد ذاته، البقيعة، حصن الأكراد وجواره، طريق حمص-تل كلخ-طرابلس، كانتون هو المنطقة من منحدرات عكار مروراً حول القبيات والسنديانة ومنجز، وأخيراً جبل أكروم. وهو لا يستعمل عبارة كانتون، ليشير إلى

لكن الأب موراني يقرر بعد قليل أن القبيات هي كانتون. يقول: "تقع القبيات، هذا الكانتون الحدودي مع سورية الشمالية، في الحدود الشرقية لمقاطعة (محافظة) لبنان الشمالي" (١٣٩).

ويضيف: "إن هذا الكانتون يفصله عن سورية، من الشمال، النهر الكبير" (١٤٠)، كما تفصله عنها في الشمال الشرقي، "البقيعة"، تماماً تحت حصن الأكراد..." (١٤١).

يلتبس الأمر على القارئ، في مطلع أطروحة الأب موراني، في ما إذا كان الكاتب يتحدث عن أمرين: عن القبيات (البلدة) من جهة، وعن كانتون هو أيضاً باسم القبيات، من جهة أخرى.

ولكن هذا التأرجح الذي يعتمده الأب موراني يبدو أن له وظيفة تكمن في جعل القارئ يظن أن القبيات الراهنة ربما كانت في السابق أكبر مما هي عليه الآن بكثير، وأن لـها اتساعاً أكبر وحدوداً أخرى كانت موجودة سابقاً، وبالتالي من الأهمية التفكير بالعمل لاستعادتـها.

فلنسمعه يقول: "تبدو القبيات، بمظهرها الراهن وكأنها حديثة التكوين... ولكن كم هي عديدة صفحات التاريخ المجيد الذي تحتفظ به هذه المدينة الصغيرة... إن كثرة المواقع الأثرية، والآثار المسيحية العديدة في المنطقة، تنبئ عن بلد، إن لم يكن مزدهراً، فهو على الأقل أكثر سكاناً بكثير مما هي عليه القبيات الراهنة، والتي تتطلب حدودها الحالية، قياساً على إيقاع توسعها الراهن، وقتاً طويلاً لاستعادة جغرافيتها الأولية" (١٤٢).

الأب موراني: القبيات "سنيورية" (Seigneurie) بحكم ذاتي؟

هذا التلميح إلى "جغرافيا أولية" يصبح تصريحاً عندما يقرر الأب موراني أن القبيات كانت في أيام الصليبيين "سنيورية" تتمتع بحكم ذاتي. وهذه

وحدة إدارية ما،راجع: DUSSAUD, René: Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927, p.91-95.

139 - الأب موراني: مرجع سابق: ص٦. نورد هنا النص الفرنسي: "Canton limitrophe de la Syrie du nord, Cobiath se situe à la frontière orientale de la province du Liban-Nord".

140 - المرجع السابق، ص ٧.

141 - المرجع السابق، ص ٧.

142 - المرجع السابق: ص٣. هذه "الجغرافيا الأولية" هي التي سيسميها السيد يواكيم الحاج "الحدود الطبيعية التاريخية للقبيات"، تمييزاً لها عن "حدودها الطبيعية حالياً". مرجع سابق، الجزء الثاني، ص٦.

"السنيورية كانت واسعة: كانت تضم، على الأرجح، كانتونات الدريب [١٤٣]، والقبيات وأكروم والهرمل. لا توجد أي وثيقة لتعيين هذه الحدود، ولكن افتراضنا ينجم عن التكوين الجيو- فيزيائي (Géo-physique) لإقليم موحَّد ومحدود طبيعياً بوادي نـهر عكار إلى الجنوب الغربي، بالنهر الكبير الجنوبي إلى الغرب [١٤٤]، وبالوعر إلى الشرق والجنوب الشرقي" [١٤٥].

لا بد من وجود جرأة غير مسؤولة ليتمكن كاتب أطروحة دكتورا من قول ما يقوله الأب موراني. قبل أن يعين الأب موراني حدود "سنيورية" القبيات الواسعة يرى أن: "عكار كانت تضم، في أيام الصليبيين وفي ظل كونتية طرابلس، أربع "سنيوريات": "سنيورية" عرقة، إقطاعة (Fief) جبل عكار (Guibelacard)، إقطاعة الفليس (منجز، Felicium)، "سنيورية" حصن الأكراد"[١٤٦]. أين ذهب ب"سنيورية" القبيات الواسعة؟ لننتظر، سنعرف. إنه يتحدث بإبـهام عن اتساع ثلاث فقط من هذه السنيوريات، ويسكت عن ذكر إقطاعة الفليس، فيكتفي بعنوان فرعي: "د- القبيات: إقطاعة الفليس أم أملاك كونتية"[١٤٧]، أي أنها أملاك للكونت، وليس لها بالتالي وضع "السنيورية"؟ وهو يجيب: "برأينا بقيت مدينة القبيات ملكاً كونتياً"[١٤٨]. فأين هو الحكم الذاتي، إذا كانت القبيات أملاكاً كونتية؟

بيد أن الأب موراني يتقدم بفرضية جديدة ليست أقل لا معقولية من سابقاتها عندما يقرر أن اسم القبيات أطـلـق على "الكورة" ("Kourat") المجاورة لمزرعتين صغيرتين: واحدة باسم Bethsama أو Bethsamum

---

[143] - كأن الدريب منطقة مترامية الأطراف، لنتحدث فيها عن cantons أو كأن فيها مجموعات هائلة من السكان، أو كأن تقسيم المناطق إلى كانتونات كان معتمداً. ولكن لا بأس نعظم الدريب، فتصبح القبيات أعظم، طالما أن هذه الكانتونات مجرد أجزاء منها.

[144] - هكذا في النص ولعله يقصد الشمال.

[145] - الأب موراني : مرجع سابق، ص٧١. لم يبين لنا كيف تتصل الحدود الجنوبية ما بين الجنوب الشرقي (الوعر) والجنوب الغربي· (نهر عكار). كما أنه لم يعين الحدود الشمالية مطلقاً. لاحظ الخريطة التي وضعها الأب موراني ل"سنيورية" القبيات. نلفت النظر هنا إلى عبارات "التكوين الجيو-فيزيائي لإقليم موحد ومحدود طبيعياً"، وهي عبارات كثيراً ما تستخدم للإشارة إلى الطبوغرافيا اللبنانية للدلالة على أهميتها في تكوين "الأمة اللبنانية"، التي نشأت في حضن "بيئة طبيعية" من طبيعة خاصة. هنا ابتزال لهذه النظرية في الجغرافيا السياسية. ولكن لنتساءل فقط كيف يكون الامتداد الجغرافي طبيعياً ما بين وادي نهر عكار والوعر (في طرف وادي خالد)، على الرغم من وجود ذلك الوادي الذي يبدأ من منطقة كرم سباط مروراً بعودين في عندقت ووادي شدرا والمشاتي ليبلغ سهل البقيعة، وحيث ينحدر جبل أكروم بحدة بالغة، كيف يكون ذلك "الحاجز الطبيعي" لا يشكل عائقاً أمام الوحدة الجيو – فيزيائية، في حين أن السهول التي تفصل الوعر عن حمص تشكل عائقاً؟ كيف ذلك؟ وكذلك قل عن الأمر في ما يخص الدريب وسهل عكار!

[146] - الأب موراني: مرجع سابق بالفرنسية، ص ٦٦.

[147] - المرجع السابق، ص ٦٤.

[148] - المرجع السابق، ص ٦٥.

والثانية باسم Bethsedion. ويعتبر أن الأولى هي منطقة مطحنة "شمعا" في القبيات، والثانية هي في حي القطلبة، في مكان الكنيسة الراهنة، وكانت تُسمى مزرعة "بيت سعادة"(١٤٩). ويدعي الأب موراني أنه باقتراحه هذا يستكمل منطق جان ريشار (Jean Richard)، الباحث الفرنسي في كونتية طرابلس، ويعين المرجع الذي طرح فيه هذا المؤرخ تعيين موقعي هاتين المزرعتين. ولكن العودة إلى ما كتبه جان ريشار في مقاله المقصود، Le Chartier de Sainte- Marie – Latine et l'Etablissement de Raymond de Saint – Gilles a Mont – Pèlerin ، تبين لنا أن هذا الباحث حدد موقع هاتين المزرعتين في طرابلس، بالقرب من قلعة " أبي سمرا " اليوم ونهر " أبي علي ". يقول جان ريشار (نثبت بعض مقاطع النص بالفرنسية)(150):

"En 1127, d'autre part, on donnait pour confins, au casal de Misdelia, l'actuel Madjlaya, Bethsamum et Bethsedion…, ainsi que le 'fleuve qui coule a Mont-Pèlerin" (le Nahr Abou Ali)…"; …; Misdelia , Bethsamum, et Supra Pontem forment donc une sorte de chaine joignant le Nahr Abou Ali…; …; Bethsamum, alias Bethsama ou Bethamum… ne peut etre Bsarma , puisque cette localité se trouve au sud-ouest du N. Abou Ali tandis que tous les casaux voisins de Bethsamum sont au nord-ouest du fleuve…"

وأخيراً يتقدم الأب موراني باقتراح تكون القبيات بموجبه مجرد مزرعة ترد باسم "مزرعة قليات" لا القبيات (Villa Coliath)(١٥١).

ما هي حقيقة هذا التخبط الذي يتخبطه الأب موراني في ما خصّ القبيات في أيام الصليبيين؟

المرحلة الصليبية: هل من ذكر للقبيات ؟

عبثاً حاول الأب المذكور أن يعثر على أثر لذكر القبيات في ذلك الزمن، ولم يجده. فما العمل وهو يريد لهذه البلدة أن تكون منطقة واسعة، ليكشف فيها، خلف دراسة الآثار، مجتمعاً نعم بحياة العز في ظل الوجود الإفرنجي الصليبي؟ لجأ إلى الأوهام، والوهم توأم التعظيم، والوهم مرادف لخيال جموح يشق الغيوم في أحلام اليقظة، والحلم لا ضابط له، تأتي صوره بلا انتظام أو ترابط. وعليه جاءت صورة القبيات في أوهامه تتراوح ما بين "سنيورية" ابتلعت قسماً كبيراً من عكار وبعض الهرمل، إلى "كورة" في الدريب، إلى مزرعتين صغيرتين نقلهما من طرابلس إلى القبيات، إلى مجرد مزرعة ريفية لسيد إقطاعي مجهول، أو إلى أملاك كونتية.

---

149 - المرجع السابق، ص ١١٢ – ١١٣.

150 - راجع: RICHARD, Jean, "Le Chartier de Sainte-Marie-Latine et l'Etablissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pèlerin" Mélanges d'Histoire du Moyen Age, Louis Halphen, Puf, Paris, 1951, p. 607 et suiv.

151 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ١١٢.

لم نعثر على أي ذكر للقبيات، ولا لأي موضع من مواضعها المعروفة، في كل الأدب (الذي تمكنّا من مراجعته) الذي خلفه الصليبيون، سواء في تشريعاتهم، أو في العقود التي كانت ناظمة لاداراتهم، أو في الحوليات التي وضعوها عن حروبهم، أو في سوى ذلك من الكتابات التي تركوها. كما إننا لم نعثر على أي ذكر لاسم القبيات في كل الأدب العربي التابع لتلك المرحلة، بما في ذلك النصوص المارونية بالذات، والحوليات التاريخية والجغرافية. وذلك سواء عالج هذا الأدب الأحداث العسكرية (بما فيه المواقع الحربية التي دارت في كل عكار والدريب والبقيعة، وحتى أثناء المعارك حول حصن عكار الكائن في بلدة عكار العتيقة المتاخمة للقبيات)، ولا في وصف الرحالة (العرب أو الأجانب) الذين مرّوا في عكار.

ولكننا، (ونحن من القبيات ونحبها مثله على الأقل) لم ننجر خلف أوهام فارغة، ولم نرَ في ذلك أمراً مستهجناً أو محيراً، ولا رأينا فيه إهمالاً من "الغريب"[١٥٢]. واعتبرنا أن الأمر يتراوح بين احتمالات قليلة: الأول والأهم، هو أننا بحاجة إلى مزيد من البحث والتفتيش في المصادر المتنوعة، السريانية واللاتينية واليونانية والتركية. والثاني يكمن في احتمال أن تكون القبيات مجتمعاً حديث العهد نسبياً، ولربما أنه لم يكن على شأن كبير في الماضي، أو كان تابعاً لغيره من المناطق المتاخمة له والتي قد تكون حجبته عن الظهور، أو على الأقل، اسم البلدة حديث. أو لربما كانت منطقة البلدة معروفة باسم أو بأسماء مجهولة. كما قد لا تكون البلدة على تلك الدرجة من الأهمية. وعلى أي حال، هذه مسألة لا يجلوها غير المزيد من البحث والتنقيب التاريخي، وبشكل خاص التنقيب عن عاديات المنطقة وآثارها.

وفي كل الأحوال، لا يقلل من شأن المجتمع القبياتي الراهن أن لا يكون عظيماً في الماضي، بل ما يرفع شأنه أنه هو من صنع ويصنع واقعه الراهن ومستقبل أبنائه.

وكنّا نأمل من الأب موراني تركيز جهوده في البحث في الآثار ليضيء لنا درب التأريخ. فانطلق بعكس مهمته القاضية بإنارة التاريخ من خلال البحث في الآثار، ولجأ إلى توهم تاريخ مفتعل ليكتب به آثار القبيات.

لجأ الأب موراني إلى "لعبة" انطلقت من افتراضه أن اسم القبيات تعرض للتحريف على يد الفرنجة الصليبيين. لقد نقلوا اسم القبيات بشكل خاطئ: خطأ بسيط في كتابة الإسم باللغة اللاتينية أو الفرنسية القديمة. بدل أن يكتبوا

---

152 - يرى الأب موراني الأمر مستهجناً (مرجع سابق، المقدمة)، بينما يرده السيد يواكيم الحاج، من ضمن ما يرده إليه، "إلى قلة المؤرخين المحليين، الذين بإمكانهم أن يعطوا صورة حقيقية... خلافاً للمؤرخين الغرباء (؟)"، يواكيم الحاج: مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣.

الحرف "ب" "b" كتبوا الحرف "ل" "l". لاحِظوا أن حجم الخطأ هو بحجم هذه الإشارة فقط (   ). فبدل إسم "القبيات" ظهر إسم "القليات" (Coliath). وينسب الأب ماروني إلـى كتاب الحوليات (الفرنجة بالطبع chroniqueurrs) الإصرار على المطابقة بين إسمين أو موقعين "Castellum Coliat" حصن القليعات و"Villa Coliath" قرية أو مزرعة القبيات[١٥٣].

وفي الحقيقة أن كتاب الحوليات في زمن الحروب الصليبية لم يتعرضوا إلى هذا الموضوع. بل أنهم لم يظهروا اهتماماً به. ولكن الأبحاث الحديثة، منذ أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين خاصة تلك التي سعت إلى البحث في الطبوغرافيا التاريخية للممالك اللاتينية هي التي توقفت أمام هذا الأمر. ولعل البحاثة الفرنسيين هم أكثر من اهتم بذلك. وإذا كانت عبارة حصن القليعات "Castellum Coliat" تتردد مراراً كثيرة لدى الغربيين، القدماء والمحدثين منهم، فإن عبارة "Villa Coliath" أو "Casale Coliath"، لم تظهر إلاّ في بعض نصوص الهبات التي تلقتها رهبنة فرسان الإسبتارية، لا سيما عقد الهبة المعقود في العام ١١٢٧، حيث يرد فيه اسم Villam Coliath.

ولقد شكلت أسماء الأماكن الواردة في هذه الهبة موضوع اهتمام جملة من الباحثين في تاريخ، أو على الأصح، في الطبوغرافيا التاريخية للمنطقة. يقول ديشان: "وجدنا من المفيد محاولة تعيين اكبر عدد ممكن من أسماء الأماكن التي وردت في وثائق المرحلة الصليبية. إن هذه الوثائق تبين لنا أملاك أهم الأسياد، وانتشار ممتلكات الرهبنات العسكرية... كما أن البعض منها يتيح امكانية توضيح العمليات العسكرية وتتبع زحف القوات في المعارك"[١٥٤]. وكان سبق لراي (G.REY) في السبعينات من القرن التاسع عشر أن عبر عن نفس الإمكانية

---

[153] - الأب موراني: مرجع سابق، ص ٣ من التمهيد، حيث يتساءل: لماذا يُصر المؤرخون على المطابقة بين العبارتين، Castellum Coliat و Villa Coliath ؟ هذا في حين أننا نعثر بسهولة على حصن القليعات، وهو اسم جمع تصغير قلعة، أي قليعة. ألا يمكننا المقاربة بين قبيات Cobiath وقليعات (قليات) Coliath ، في حين انه هنا مجرد غلط في رسم الحرف (b) يكفي للتفسير؟ إليكم النص الفرنسي بحرفه: "... pourquoi vouloir à tout prix assimiler les deux noms cités par les chroniqueurs, à savoir le "Castellum Coliat" et la "villa Coliath" ? Alors que le Castellum se retrouve aisement sous le nom arabe Qlei'āt, pluriel de Qolei'ăt (petite fortresse). Ne peut-on pas rapprocher Cobiath de Coliath alors qu'un petit trait (= b) faible erreue de scribe pourrait expliquer?" – ولكن أليس من الأفضل اعتبار مزرعة أو قرية القليعات هي المزرعة المجاورة للحصن أو التابعة له؟

[154] - راجع: Deschamps, Paul, La Défense du Comté de Tripoli et de la Principauté d'Antioche, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1973, p. 185

بالإستفادة من الأسماء الواردة في الهبات والعقود التي جرت في الزمن الصليبي، لدراسة تلك المرحلة، كما حاول تعيين مواقع أسماء الأمكنة الواردة فيها[١٥٥].

ولكم كانت طريقة تعيين المواقع، استناداً إلى المقاربات اللفظية بين الأسماء، كما جاءت في النصوص اللاتينية، وكما هي في النصوص الفرنسية والألمانية والإنكليزية والعربية، وفي استعمالاتها المحلية، وكما تم تعيينها في الخرائط التي وضعها الغربيون عن المنطقة، عرضة للتأويل والتحويل والتبديل. لقد مضى زمن طويل بين وجود تلك المواقع في المرحلة الصليبية (من أواخر القرن الحادي عشر حتى أواخر القرن الثالث عشر)، وبين العمل على تعيين مواقعها في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ولعل بعضها كان قد باد ولم يبق منه أثرٌ بعد عين.

يشير راي (G.REY) إلى هذا الأمر بقوله: "ثمة أسماء بقيت عربية، وأخرى تمت صياغتها باللاتينية، وبعضها الثالث أطلقت عليه أسماء فرنسية بحت"[١٥٦]. وقل الأمر نفسه عن الملاحظة التي أدلى بها ديشان حين أعطى أمثلة على تحوير تلك الأسماء: مثل "البقيعة" التي صارت "Boquée" أو "Bochée"[١٥٧]. وكان الشك في النجاح في مثل هذا العمل قد بدأ بالظهور تدريجياً منذ البداية، فهذا ماكس فان برشم يسجل تحفظه وهو يتحدث عن صعوبات مثل هذا العمل لتعيين مواقع أسماء الأمكنة: منها الصعوبة في كتابة أسماء العلم بالذات، عدم تعاون أبناء هذه الأمكنة وريبتهم العفوية من الغرباء. ويؤكد أنه على الرغم من عودته لإستشارة القناصل الفرنسيين في طرابلس وحلب وغيرها، وعلى الرغم من استعانته بالمستكشف والمستشرق مارتين هارتمان "l'explorateur et l'orientaliste M.Martin Hartman" الذي انكب على دراسة تعيين الأسماء في سورية الشمالية، وقيام هؤلاء بمراجعة اللوائح التي أعددناها، بعد كل ذلك يؤكد ماكس فان برشم بأنه لا يضمن الدقة في عمله[١٥٨]. أما كلود كاهن فإنه يقول صراحة: "إن البحث في تعيين وموضعة الأماكن غالباً ما جرى باللجوء إلى

---

[155] - راجع: G. REY, Etude sur les Monuments de l'Architecture Militaire des Croisés en Syrie et dans l'Ile de Chypre, Imprimerie Nationale, Paris, 1871, p. 7.

[156] - المرجع السابق، ص ٧.

[157] - راجع: DESCHAMPS, Les Châteaux des …, op. cit., p. 117 . يقول ديشان حول نفس الموضوع في (la défense du…)، ص ١٦، "غالباً ما عمد الفرنجة في نقلهم للأسماء العربية إلى إسقاط بعض أقسامها، لا سيما الأولى: جعلوا من تل كلخ لاكوم Lacum ، مثلما جعلوا من "أبو سنان" بوسنم Busenem ، ومن "أبو قُبيس" بوكبيس Bochebeis ومن "دبوريه" بوري Burie ".

[158] - راجع: BERCHEM et FATIO, Voyage en Syrie, Mémoires Publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. Pierre LACAN, t. I, le Caire, (I.F.A.O.), 1914, p. 5-6.

التقريب أو التشابه اللفظي والدلالي، وهذا ما جعله، نظراً لعدم الدقة في الكتابة ولتكرار الألفاظ المتشابهة، بلا معنى في ثلاثة أرباعه"(١٥٩).

مصدر الإلتباس: "Castellum Coliath" و "Villam Coliath"

إن إسم القليعات، كقلعة ومزرعة، من أكثر الأسماء التي أربكت، في عملية تعيين موقعها، الباحثين في الطبوغرافيا التاريخية للبنان وسورية. فهناك القليعات "Castellum Coliath" في سهل عكار و هناك "القليعة" في سورية، وهناك أيضاً في نص الهبة التي قدمها كونت طرابلس، بونز Pons، عام ١١٢٧، إسم القليعة كمزرعة "Villam Coliath" في عكار.

انطلق الأب موراني من هذا الإرتباك. ونسب إلى رينيه دوسو التساؤل التالي: "هل تعكس هذه الصيغة Le Gouliath(١٦٠)، وجود عدة مواقع هي، من الأصل، منفصلة عن بعضها؟ هذا ما يؤدي إلى تغيير شروط المسألة حول إسم "Villa Coliath"(١٦١) التي لا يبدو لنا ممكناً أن نعتبرها هي القبيات (Koubaiyat ou Qoubai'at) في سفح جبل عكار..."(١٦٢). وفي الحقيقة إن رينيه دوسو لم يتوقف، كثيراً، أمام إسم "Villa Coliath". والكلام الذي أوردناه قبل قليل والذي نسبه الأب موراني إلى دوسو هو لباحث آخر، ردده عنه دوسو وضمنه الحاشية رقم ٣ من الصفحة ٩٠، من كتابه ... Topographie، التي يعنيها الأب موراني. إن كاتب هذا الكلام هو ماكس فان برشم، صاحب الفرضية التي تقول أن القبيات هي المقصودة باسم "Villa Couliat"، هذه الفرضية التي يدعي الأب موراني أنه هو صاحبها، وينكر واضعها الحقيقي: ماكس فان برشم.

كيف حصل ذلك؟

بعد أن ينقل الأب موراني كلام ماكس فان برشم وينسبه إلى رينيه دوسو، يتحول من "عالم آثار" (archéologue) إلى محلل نفسي (psychanaliste) فيقول: " ينجم عن هذا المقطع (كلام برشم المنسوب على يد موراني إلى رينيه دوسو)، كما عن النصوص اللاتينية، أن الإسم يرد بشكلين مختلفين: حصن قليعات Castellum Couliath وقرية قليعات Villa Coliath (١٦٣). إن موقع القلعة

[159] - راجع: CAHEN, Claude, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades,. P. Geut, Paris, 1940, p. 110.

[160] - الصحيح في الأصل Gouliat بدون الحرف (h).

[161] - الصحيح في الأصل Couliat وليس Coliath.

[162] - الأب موراني، مرجع سابق، ص ١١١.

[163] - لماذا نعرف نفس الاسم Couliat ، في Castellum Couliat وفي Villa Couliat بشكلين، مرة قليعات ومرة قبيات.

لم يعد موضع شك بعد الأبحاث الشهيرة لجان ريشار (Jean RICHARD) وبول ديشان (Paul DESCHAMPS). ولكن مسألة موقع قرية القليعات تبقى مفتوحة. فهل إن الشكلين هما كتابتان لنفس الإسم ولنفس الموقع؟ أم أنهما يعكسان موقعين مختلفين؟ إن تأكيد دوسو "أنه لا يبدو لنا ممكناً أن نعتبرها (COLIATH) هي القبيات" يشير بالضبط إلى أن دوسو، فكر، فـي لحظة معينة، باحتمال ذلك. إن هذا الإحتمال، الصادر عن عالم الآثار المشهور، وإن يكن عابراً، ليس مجانياً، لأنه يستند إلى ملاحظتين: أولاً ذكر قرية قليعات بالإرتباط مع قرية أروات (Villa Aroath)، مما يعني أن المزرعتين قريبتين من بعضهما وفي نفس المنطقة. والحال فإن قرية أروات موجودة بالقرب من الفليس (منجز)، كما سبق واقترحنا موقعها، وعليه لن تكون قرية القليعات بعيدة، وبالتالي قد يكون صحيحاً اعتبار قرية القليعات هي القبيات[١٦٤]. ومن جهة أخرى، لا تتضمن سجلات الضرائب في أيام المماليك [١٦٥] ذكراً لقرية أو مزرعة باسم القليعات تدفع رسوماً إلى والي طرابلس"[١٦٦]. ولكن القليعات ترد في السجلات العثمانية لعام ١٥٧١، في الدفتر رقم ٥١٣، وفي هذا يقول د. عصام خليفة: "لاحظنا أن هناك ٦٠ ذكراً ناضجاً من النصارى موزعين على ١٩ قرية، لا إشارة إلى أنهم يدفعون الجزية. وهذه القرى هي: ... في ناحية عرقا: قليعات..."[١٦٧].

لم يطرح رينيه دوسو ما طرحه لأنه ظن لوهلة أن Villa Coliath قد تكون القبيات. ولكنه فعل ذلك وهو يحسم أمره، وكان إنما يرد على ما طرحه ماكس فان برشم الذي تساءل هو، لا دوسو، حول إحتمال المطابقة بين Villa Coliath والقبيات.

---

[164] - سنعود في مكان لاحق لمناقشة هذه الطريقة في التحديد الطبوغرافي.

[165] - لم يخطر على بال أحد من المؤرخين، حتى الآن، الادعاء بوجود سجلات للضرائب عن زمن المماليك، وموجودة في المحكمة الشرعية في طرابلس، كما يفعل الأب موراني. إنه يحيل القارئ، بعد ذكر هذه السجلات، إلى حاشية رقمها ٣، في الصفحة ١١١، من أطروحته المذكورة. ماذا في هذه الحاشية؟: "محفوظات المحكمة الشرعية السنية في طرابلس، ١٩٨٥". أما لماذا يتهور الأب المحترم في هذا الادعاء؟ نجيب: سبق أن أشرنا إلى أنه "أستعار" من ماكس فان برشم كل فرضيته، وأخفى ذلك ليدعي فتحاً علمياً. وهو هنا يدّعي اشتغاله على سجلات غير موجودة أصلاً ليعطي لعمله طابع البحث العلمي. لا تعود سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس إلى زمن المماليك مطلقاً، بل هي تبدأ من القرن السابع عشر، أي بعد مضي أكثر من قرن على قضاء العثمانيين على المماليك في القرن السادس عشر. هنا أيضاً ينطلق الأب موراني من ماكس فان برشم، "يستعيره" ويشوه أقواله. يقول برشم: "منذ ذلك الوقت (١٢٨٣) يبدو أن القليعات اختفت من مسرح التاريخ"، ويُضيف في حاشية في نفس الصفحة: "لم نجد لها أثراً لا في الكتب التي تناولت الدواوين المصرية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ولا في حوليات ابن أياس"، برشم، مرجع سابق، ص ١٣٥، والحاشية رقم ٢ في نفس الصفحة.هذا فضلاً عن أن سياق كلام برشم يدل بوضوح على تدمير حصن القليعات لا قرية القليعات.

[166] - الأب موراني، مرجع سابق، ص ١١١.

[167] - - راجع: خليفة، عصام: الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، بيروت ٢٠٠٠، ص ٩٣.

ولا نظن الأب ماروني لا يحسن قراءة الفرنسية وفهمها جيداً. ولا بد أنه قرأ مؤلف ماكس فان برشم وأخذ عنه ما أخذ وشوه ما شوه وادعى لنفسه ما ادعى. فكتاب ماكس فان برشم (رحلة إلى سوريا) وارد في عداد مراجع الأب ماروني، وفي الكثير من استشهاداته التي دون هوامشها في صفحاته(١٦٨).

كيف عرض ماكس فان برشم إسم وموقع Villa Coliath؟

خصص ماكس فان برشم، في الجزء الأول من كتابه Voyage en Syrie لحصن القليعات الصفحات من رقم ١٣١ حتى ١٣٥. وأشار إلى الصعوبات في وضع تاريخ هذا الحصن. من هذه الصعوبات يعتبر أن إسم الحصن بالذات، القليعات، لا يسهل البحث. لماذا؟ لأنه توجد في سورية عدة حصون من الدرجة الثانية، جاءت تحت اسم الجنس (لا اسم العلم) "قلعة" " qal´a" (حصن) أو "قليعة" " qulai´a"، حصن صغير، " petite forteresse,fortin". صحيح أنه في حالتنا هنا يأتي الاسم بصيغة الجمع al-qulai´āt الحصون الصغيرة les fortins (١٦٩). هنا يحيلنا برشم إلى حاشية رقم ٣، يقول فيها: "هل تعكس هذه الصيغة وجود عدة مواقع هي، من الأصل، منفصلة عن بعضها؟ إن موقع الحصن المكون من تلة منخفضة، وبشكل موحّد، لا يتناسب مع هذه الفرضية. ولعله ليس لصيغة الجمع من غرض غير تمييز هذا الحصن عن غيره من الحصون التي تحمل نفس الاسم بصيغة المفرد"(١٧٠). ويتابع برشم: "بيد إن هذه الصيغة لا تلغي كل فرص الالتباس في النصوص العربية، وكذلك وبدرجة أقل في النصوص اللاتينية: هناك اسم Colée وبدائله في المفرد، واسم Coliat وبدائله في الجمع"(١٧١). ويشير برشم إلى شكل آخر لكتابه اسم القليعات باللاتينية، Goliath أو Goliad، فهو ينسب هذه الصيغة إلى احتمال أن يكون الفرنجة ترجموا الحرف "ق" وفقاً لسماعهم طريقة اللفظ الواسعة الانتشار في الريف السوري: "ق" مثل "ج"(١٧٢) على الطريقة المصرية أو البدوية، أو كأنها "gu" الفرنسية.

و يضيف برشم: "يرد اسم Coliat(h)، كموضع، في الهبات التي قدمها كونت طرابلس، بونز Pons، إلى فرسان الاسبتارية، في ٨ شباط ١١٢٨، وفيها، هذا الموضع عبارة عن قرية أو مزرعة Villa، لا كحصن. وفي العام ١١٥٣

---

168 - عندما نقل الأب موراني عن دوسو Dussaud كان من الطبيعي أن يعود إلى برشم لأن دوسو أشار بوضوح إلى برشم في إحالته. نثبت في الملاحق صورة للصفحة المعنية وهي مأخوذة عن : , Dussaud Topographie…, op. cit., p. 80.

169 - راجع: M. V. BERCHEM, op. cit. p. 132

170 - المرجع السابق، ص ١٣٢، حاشية ٣.

171 - المرجع السابق، ص ١٣٢.

172 - المرجع السابق، ص ١٣٢، حاشية ٢.

نجده أيضاً في الممتلكات التي يثبتها البابا لهؤلاء الفرسان. وفي هذين المصدرين يظهر السياق العام أن المقصود هو القليعات el-Qlē´āt. ولكننا لسنا واثقين من ذلك تماماً. فعلى مسافة ساعتين إلى الشمال من بلدة عكار... هناك بلدة مزدوجة اسمها قبيات Qubai´at [١٧٣]. ورد هذا الاسم مكتوباً Koubayat و Vieux Koubayat في خارطة جليس Gelis، وKubajat و Alt Kubajat في خارطة بلانكنورن Blanekenhorn، وkoubaiyat في رحلة دوسو Dussaud الذي مرَّ فيها آتياً من عكار. أما نحن فنكتب Qubai´at، لأن خارطة بيروت حيث الأسماء مكتوبة بالعربية، تشير إلى قرية قبيعات جنوب-غرب عكار، وهي مطابقة لقريات Kourâayat في خارطة جليس Gelis. ليس علينا البحث عما إذا كانت كل هذه الأسماء تدل على الموضع الواحد، أو على عدة مواضع بشكل سيئ في ضواحي عكار"[١٧٤]. ويتابع برشم: "أما في رحلة تومسون Thomson، فإن هذا الإسم يرد شكل Qulai´at؛ وفضلا عن ذلك ثمة تفصيل مثير للغرابة، إذ يقدم السكان أنفسهم للرحالة الأميركي بانهم من أحفاد الفرنجة، وهذا ما يدل على أن القرية قد لعبت دوراً ما في زمن الصليبيين"[١٧٥].

ويضيف برشم: "إذا ما قارنا هذه الملاحظة بعبارات نص عقد ١١٢٨ Villam Coliath ، وبحقيقة أنه لا يوجد في القليعات el-qlē´at، لا قرية ولا آثار ظاهرة خارج الحصن، فإننا نميل إلى افتراض أن قرية قليعات Villa Coliath قد كانت، بالأحرى، القرية القديمة، الداثرة اليوم، في قليعات Qulai´at (أو قبيات Qubai´āt) في لبنان، بين عكار والبقيعة، لا حصن القليعات el-Qlē´āt . وعلى أي حال فإن هذا الموضع ما كان له أن يكون موقعاً بالغ الأهمية في ذلك الزمن، لأنه لم يرد ذكره في رواية حروب صلاح الدين" [١٧٦]. ومن سياق استعراض بعض الحوليات العربية المعنية بالحروب الصليبية يستنتج أنها جميعها تتناول إما القليعات في سهل عكار أو القليعة، ذلك الحصن في مواقع العلويين في سورية اليوم[١٧٧].

كذلك يشير برشم، في معرض كلامه عن رحلة ويلبراند دولدنبورغ Wilbrand d’Oldenbourg ، في العام ١٢١٢، إلى كيفية كتابة اسم القليعات من

---

173 - المرجع السابق، ص ١٣٣.

174 - المرجع السابق، ص ١٣٣، حاشية ٤. من الواضح أنه يخلط هنا بين قبعيت وقريّات، وهما قريتان في عكار.

175 - يحيلنا برشم هنا في الحاشية ٥ ص ١٣٣ إلى مرجعه: RITTER, Erdkunde, XVII, p. 816 et suiv. وفيه كُتب الاسم Kulaiât و Alt Kulaiât. إن وجود القبيات العتيقة Vieux Qubai´āt (أو Qubai´āt)، التي سجل تومسون آثارها البازلتية، يؤدي إلى نفس الاستنتاج.

176 - راجع: BERCHEM, op. cit., p. 133.

177 - راجع: BERCHEM, op. cit., p. 133.

قبل السائح المذكور: Culicath. يحيلنا برشم إلى حاشية له فيها يحدد مرجعه، ويقول يجب أن نقرأ بدل Culicath كلمة: Culieath كترجمة دقيقة للاسم العربي قليعات Qulei´āt . كما يذكر أيضاً أن البعض ربما لجأ إلى ترجمة صيغة الجمع العربية باستعمال صيغة الجمع الفرنسية، مثل كتابة الاسم: Quelleyes [١٧٨].

ننهي هذا البحث في الاسم قليعات وقليعة بالاشارة إلى الطريقة التي اعتمدها إ. راي E. REY الذي ميّز القليعة عن القليعات، بكتابة اسمها El Coleiah ، بينما وردت في النصوص Colée ، وبكتابة اسم القليعات الوارد Coliath [١٧٩].

ومهما يكن الأمر فإن شدة الاختلاف في التأويلات اللفظية والصياغة اللاتينية والفرنسية وغيرها من اللغات الغربية لهذا الاسم لا تفعل غير زيادة الأمر غموضاً والتباساً. وعليه ليس في كل ما ورد في هذا النمط من المباحث الطبونيمية Toponymique ما يمكن الركون إليه. وهو لا يعدو كونه ما يشبه الضرب في الغيب، لا سيما وأن بعض أصحابه يعترفون أن ثلاثة أرباعه على ضلال، كما سبق وأشرنا.

وكذلك قل عن من حاول الاستعانة بالخرائط الجغرافية ليجد اسماً قريباً من لفظة القبيات علّه ينسب إليه موضع واسم Villa Coliath، ومن هنا ثمة من توقف أمام اسم قبعيت وقريات. لنأخذ مثلاً الخريطة التي تم اعتمادها لدى الأمن العام اللبناني، لمنطقة عكار، في العام ١٩٧٢، عندما أصدر الأمن العام كتابه عن الانتخابات النيابية لذلك العام، جاء فيها حي الضهر وحي غوايا (حيّان من أحياء القبيات) خارج القبيات، أو بالأصح في المنطقة الحدودية مع عندقت وعيدمون، في شمالي البلدة ، بينما هما في الحقيقة في القسم الجنوبي منها، ويفصلهما عن الموقع المعيّن لهما حيّا مرتمورة والغربية [١٨٠]. هذا ما نصادفه مع خارطة يعتمدها أهم جهاز أمني في لبنان، وفي زمن قريب (١٩٧٢)، فما بالك في خارطة يضعها أجانب التقطوا أخبارهم عن الجغرافيا المحلية من هنا وهناك، منذ أكثر من قرن، مع ارتياب واضح من قبل السكان المحليين؟

---

178 - برشم (BERCHEM)، مرجع سابق، ص ١٣٤، حاشية ٢. نثبت هنا قسماً من الحاشية بنصه الفرنسي:
"Au lieu de Culicath, il faut lire Culieath, pour Culeiat, transcription rigoureuse de l'arabe Qulai´at. Est ce le même nom qui se cache dans le Quelleyes des lignages, Hist. Des crois., lois, II, p. 466… le pluriel arabe étant rendu par un pluriel français".

179 - راجع: E. REY, Les Colonies Franques de Syrie aux XII et XIII siècles, Alph. Picard, Editeur, Paris, 1883, p. 365.

180 - راجع كتاب: الانتخابات النيابية، ١٩٧٢، بالأرقام والنسب، تقديم العميد الركن أنطوان دحداح، مدير عام الأمن العام، ١٩٧٤. الخارطة المقصودة ص ٣٩٩.

هل كانت القبيات "سنيورية" ؟

لعل الباحث جان ريشار من أفضل من اشتغل على دراسة التنظيم الاداري لكونتية طرابلس في مؤلفه "كونتية طرابلس..." السابق الذكر [١٨١]. ومع ذلك فإنه سجل الصعوبة في تعيين حدود المقاطعات الادارية للكونتية. وهو يقول بهذا الصدد: "من الصعب جداً تعيين الجغرافيا الاقطاعية للكونتية، لأننا احتفظنا بالقليل جداً من "فرمانات" السنيوريات، كما أن اسماء البارونات، وهو أثمن مؤشر، غالباً ما لا تُفيدنا في شيء: إن البروفنساليين Provencaux [١٨٢] احتفظوا بأسمائهم الغربية، وهذا ما يحول دون تعييننا للاقطاعات التي حصلوا عليها في طرابلس" [١٨٣]. إلاّ إنه وضع خريطة لتوزع مناطق كونتية طرابلس، لم يرد فيها أي ذكر لسنيورية باسم القبيات. وفي هذه الخريطة جاء مجال القبيات وما يجاورها كجزء من قرى ومناطق ضمن سنيورية جبل عكار. هذا فضلاً عن تناقض هذه الخريطة مع كل ما طرحه الأب موراني في ما يخص التقسيم الاداري لعكار ، ولا سيما الكلام على سنيورية عرقة والفليس. راجع الخريطة التي تضمنت ست عشرة سنيورية [١٨٤].

يواكيم الحاج: الحدود التاريخية والحدود الحالية ؟

في الفصل الأول من كتابه "تاريخ القبيات" يطرح السيد يواكيم الحاج مسألة حدود القبيات، من منطلق "تعبدي" لبلدته، سمته الأولى "تعظيمها" بلا قياس. فهي: "إحدى أكبر وأقدم مدينة في عكار. استناداً إلى الاكتشافات الأثرية، والكتابات المسمارية التي وُجدت منقوشة على إحدى صخور(ها) الكبيرة في جرود(ها) العالية" [١٨٥]. يشير السيد يواكيم هنا إلى النقوش التي عثر عليها

---

181 - قام جان ريشار ببحثه حول كونتية طرابلس بإشراف ومساعدة مجموعة من أبرز الفرنسيين المهتمين بالأبحاث في بلادنا. ونال شهادة الدبلوم في فرع التاريخ، على أساس بحثه هذا.ولا بأس أن نثبت هنا ما هو وارد في مطلع الكتاب بنصه الفرنسي: Sur l'avis de M. SAUVAGET, directeur d'études, et de MM. BRUNEL et SAMARAN, commissaires responsables, le présent mémoire a valu à M. RICHARD le titre d'élève diplomé de la section d'Histoire et de Philologie de l'école Pratique des Hautes Etudes. Paris, le 7 novembre 1943. Le directeur de la Conférence: J. SAUVAGET. Les Commissaires responsables: C. BRUNEL et C. SAMARAN. Le Président de la Section: M. ROQUES.

182 - البروفنساليون هم سكان مقاطعة بروفنس Provence الفرنسية، ولقد شكلوا القسم الأساسي من بارونات كونتية طرابلس.

183 - جان ريشار: مرجع سابق بالفرنسية، ص ٧٣.

184 - يقول جان ريشار: "كان من الصعب علينا وضع حدود دقيقة بين السنيوريات، بحكم طبيعة مصادرنا الجزئية جداً. وعليه ما وضعناه من حدود هو افتراضي..."، المرجع السابق، ص ٩٣.

185 - الحاج، يواكيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦.

هنري بونيون Henri POGNON في وادي بريسا (الهرمل). وهذا يعني أن هذا الوادي يدخل في نطاق القبيات بينما هو موجود في قضاء الهرمل، وعلى مقربة من قرية فيسان. (لعله ضم هذا الوادي إلى القبيات من مشاعات بشري للدكتور سلوم).

يعتقد السيد يواكيم أن للقبيات حدوداً طبيعية تاريخية، فهو يقول تحت عنوان "الحدود الطبيعية التاريخية للقبيات": "والقبيات في جغرافية أراضيها التاريخية يحدّها: شمالاً: النهر الكبير، الممر الساحلي(١٨٦) الوحيد قديماً، الذي يربط مدن الساحل الفينيقي بالأقطار العربية (؟) عبر الأراضي السورية (؟). جنوباً: جبل سنير (عروبة حالياً)(١٨٧) - وجبل القموعة في سلسلة عكار. شرقاً: جبل أكروم، ومن ورائه قلعة قادس (أو تل النبي مند) (؟). غرباً: ينفتح غربها على قلعتي المجدل وطيبو، وعلى مقربة منهما قلعة السن" (١٨٨).

تتقارب هذه الحدود التاريخية، مع تلك الحدود التي طرحها الأب موراني، واستعرضناها سابقاً. لا يبرر لنا السيد يواكيم منطلقاته لتعيين هذه الحدود. كما لا يفسر لنا قصده بعبارة "الحدود الطبيعية التاريخية". فهل يرغب بالعودة، بالمجتمع القبياتي إلى حدوده التاريخية المزعومة (١٨٩)؟ وكيف يكون ذلك؟ ألم يتساءل السيد يواكيم ما سيكون عليه رأي سكان وأهالي وأصحاب القرى والمناطق الموجودة ضمن كل هذه المساحات الشاسعة التي يدّعي أنها كانت "تاريخياً وطبيعياً" ضمن حدود القبيات؟

" أما حدودها الطبيعية حالياً: شمالاً: قرى عيدمون، العوينات – رماح (١٩٠)– المغراقة – الباردة – منجز... جنوباً: سلسلة جبل عكار (؟) بما فيها جبل القموعة (١٩١)... حتى المعبور الأبيض الفاصل بين مشاعات القبيات ومشاعات بشري (١٩٢). شرقاً: جبل أكروم. وعندقت عند وادي الكاسوحة (١٩٣). غرباً: قرى البيرة، والسنديانة، وقلعتي المجدل وطيبو (١٩٤).

---

186 - هذا ليس ممراً ساحلياً. هو ينطلق من الساحل ليدخل "داخل" الأقطار العربية،

187 - سبق أن ناقشنا تسمية "سنير" و"عروبة".

188 - الحاج، يواكيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦.

189 - يقول، بعد قليل من تعيينه للحدود التاريخية، مخاطباً خليلته القبيات: "هذه وصيتي يا خليلتي: أن يحفظ بنوك عهد الوفاء. فيجلس أبناؤهم على عرشك إلى الأبد"!

190 - لا ندري أين حدود القبيات حالياً مع العوينات ورماح وهي قرى تحدها جنوباً بلدات شدرا وعندقت وعيدمون وتفصلها عن القبيات.

191 - لاحظوا "التعظيم": "سلسلة جبال عكار بما فيها..."، كل السلسلة، لا ذلك القسم منها، بل "السلسلة بما فيها"!

192 - لا لزوم للعودة إلى فرضية د. سلوم التي يرددها.

193 - إذا كانت أملاك القبيات تلتقي بالقرب من حرف شيت مع امتدادات جبل أكروم فإن القسم الأكبر من حدود القبيات الشرقية هو مع بلدة عندقت، فلا تقتصر هذه الحدود على وادي الكاسوحة. ثم أين وادي عودين ؟ أهو من القبيات؟

194 - لا ندري أيضاً كيف تصل حدود القبيات إلى المجدل وطيبو، وهذه المناطق مفصولة عن القبيات بقرية السنديانة؟

أن نكتب تاريخ القبيات، فهذا أمر علمي. أن نحبها، فهذا أمر آخر، عاطفي وأخلاقي. أن نعمل لأجلها فهذا أمر ثالث ، عملي، يقضي أن نعرف كيف نحب حتى لا نقع في: "ومن الحب ما قتل".

أهمية موقع القبيات

إن أكثر ما يتركز عليه منطق "تعظيم" القبيات يدور حول أهميتها التاريخية والستراتيجية. وهنا يعمد أصحاب هذا المنطق إلى جعل "القبيات التاريخية" واحداً من أهم المواقع اللبنانية أحياناً، لا العكارية أو الشمالية فحسب. وفي هذا السياق تبتلع القبيات كل المواقع التي جاورتها والتي ابتعدت عنها، ما بين نهر العاصي والنهر الكبير، لدرجة يبدو معها المجتمع القبياتي الراهن "قزما" إذا ما قيس بهذا الماضي المجيد. وهذا ما يخلق الشعور بالتعالي على الآخرين بحكم هذا الماضي الزاهي، كما يخلق الشعور بالمرارة لفقدانه، والقلق المستمر حيرة وتوتراً في السعي "لاستعادته".

القبيات: أكبر وأقدم مدينة في عكار!

يرى السيد يواكيم الحاج أن: "القبيات هي إحدى أكبر وأقدم مدينة في قضاء عكار، استناداً إلى الاكتشافات الأثرية، والكتابات المسمارية التي وجدت على إحدى صخورها الكبيرة في جرودها العالية..."[١٩٥]. ستكون لنا مناقشة للتلاعب الذي قام به السيد يواكيم وتزويره لنصوص عالم الآثار الفرنسي هنري بونيون، عندما سنعالج اسم القبيات، وبالتالي ليست هناك ضرورة الآن إلى ذلك. ولكننا نتساءل هل القبيات كانت بأهمية عرقا، مثلاً، أو قاربتها، من حيث الأهمية التاريخية و... في زمن الفينيقيين أو الرومان أو البيزنطيين أو الاسلام أو الصليبيين...؟ وهل كانت القبيات بأهمية جبل أكروم، أو البقيعة، أو "بيت جعلوك"، أو سوى ذلك من المواقع التي أثبتت الأبحاث التاريخية والأثرية أهميتها الفعلية؟ بالطبع لا.

بيد أن السيد يواكيم لا يكتفي بجعل القبيات "إحدى أكبر وأقدم مدينة في عكار" (واحدة من مثيلات لها)، بل يذهب "بتعظيم" بلدته إلى درجة دفعته إلى القول: "القبيات هي أقدم مدينة في قضاء عكار، استناداً إلى الوثائق التاريخية

---

[195] - الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦.

والنقوش الحجرية المحفورة على صخورها في جرودها العالية"[١٩٦]. هكذا ببساطة "القبيات هي الأقدم في عكار"، وبالتالي لأهميتها، لا يعود هناك مجال لمقارنتها مع بلدات عكار، بل ينفتح أمامها باب المنافسة مع أهم المدن اللبنانية التاريخية. فهو يقول: "فهذه النقوش الأثرية الباقية والتي تحمل اسم القبيات، وضعت اسمها بين أوليات المدن التاريخية القديمة في عكار خاصة وفي لبنان عامة"[١٩٧].

هكذا تقف القبيات على قدم المساواة مع جبيل وصيدا وصور وبعلبك...! هذا مع العلم أن السيد يواكيم يعترف بأنه: "من النادر... العثور على وثائق أو كتابات قديمة أثرية، تأتي على ذكر القبيات..."[١٩٨]. ولكن طالما أنه ليس هناك "جمرك" على الكلام لنقل ما نشاء. وهل كثير أن نقول له: "يا عمي حاج رايحا معكم بالأونطا والتفليك"!

القبيات: الممر الداخلي الوحيد!

هذه العظمة التاريخية تعود لكون القبيات، برأي السيد يواكيم، كانت الممر الداخلي الوحيد بين فينيقيا والداخل. طبعاً قد يظن القارئ أننا نبالغ، ولكننا نترك الكلام له، لنسمعه يقول، وهو يتأسف على إهمال المؤرخين للقبيات: "طالما أنها كانت ممراً داخلياً وحيداً، لقوافل التجار، والسواح، عبر وادي النهر الكبير، من الساحل الفينيقي إلى البلدان العربية مروراً بسوريا"[١٩٩]. فعلاً، لقد مرّ السواح وكذلك قوافل التجار، من فينيقيا إلى الداخل، ودونوا مشاهدات وملاحظات، ولكنهم لم يأتوا على ذكر القبيات، إلاّ منذ زمن قريب جداً جداً. فهل جميعهم مهملون أو متآمرون "غرباء"! لو كان للقبيات تلك الأهمية المزعومة، وتلك "العظمة" الموهومة لما تردد كل هؤلاء عن ذكرها في ما تركوه من أدب غزير للغاية. لقد ذكر الرحالة، كما ذكرت المراجع التاريخية، "وادي النهر الكبير"، وما فيه وحوله من مواقع على شيء من الأهمية، ولكنهم لم يذكروا القبيات، لأنه لم يكن لها ما يخولها الحق في الذكر، ليس إلاّ.

لا يكتفي السيد يواكيم الحاج بتسجيل أهمية القبيات ك"ممر داخلي وحيد" للسواح وقوافل التجار، بل نجده يتحول إلى خبير في التكتيك العسكري، مسجلاً الأهمية الستراتيجية للقبيات. وهنا يتوسع بامتداد حدود بلدته، و"يحشرها" قسراً ضمن المواقع التاريخية الفعلية، ناسباً الأهمية التي امتازت بها تلك المواقع إلى بلدة القبيات، دونما وجود أي مبرر لذلك غير أوهام العظمة السخيفة. فلنسمع ما

---

196 - المرجع السابق، ص ٤٢.
197 - المرجع السابق، ص ٤٣.
198 - المرجع السابق، ص ٤٩٥.
199 - المرجع السابق، ص ٤٩٥.

يقوله، تحت عنوان، "المواقع الأثرية في القبيات وعكار تدل أماكنها على أهميتها الحربية": "إن من عاين الحصون والقلاع في منطقة عكار، وكيفية إقامتها في مواقعها، إبتداءً من منطقة القبيات، وصولاً حتى مدينة عرقة القديمة، يتأكد من أهدافها الحربية، وأهميتها الأمنية، لمراقبة وحماية شبكات الطرق المؤدية بين الجبال إلى ولاية طرابلس"[٢٠٠]. وهو يعتبر أن هذه المواقع الحصينة تشكل ثلاثة خطوط دفاعية ، يصفها على الشكل التالي: "الخط الأول: المتاخم لمجرى النهر وعليه أقاموا: قلعة قادس، سيدة القلعة، قلعة العريضة. الخط الثاني: خصص لحماية الممرات والطرق الداخلية: قلعة أكروم، طيبو، المجدل، حلبا، عرقة. الخط الثالث: لحماية الممرات الجبلية وطرقاتها الوعرة: قلعة أكروم، حصن عكار، فنيدق، البرج، عرقة"[٢٠١].

إن الملاحظة الأولى التي تتبادر بالضرورة إلى ذهن القارئ، وللوهلة الأولى، هي أنه لم يرد ذكر القبيات أبداً كموقع محصن، كما لم يرد ذكر أي حصن فيها، بين كل تلك المواقع التي ذكرها السيد يواكيم. وعليه ما دخل القبيات في كل تلك المواقع؟ اللهم غير أنها تقع ضمن هذه الجغرافية المترامية الأطراف، وحيث لا تلعب هذه البلدة دوراً ما. وبالتالي ليس من حقها أن تكون هي المستأثرة باطلاق اسمها على تلك المنطقة. هذا فضلاً عن أن أي موقع آخر، ورد ذكره، كان له تاريخياً شأن أكبر بكثير من شأنها. فبأي منطق يسمي السيد يواكيم هذه المنطقة باسم "منطقة القبيات"؟ وكيف يطرح عنواناً جاء فيه "المواقع الأثرية في القبيات وعكار تدل أماكنها على أهميتها الحربية"؟ كيف "يحشر" اسم القبيات في عنوان غرضه تعداد المواقع، ويغيب اسمها من بين اسماء هذه المواقع؟

الملاحظة الثانية هي جعل منطقة القبيات تمتد، شرقاً، من قلعة قادس على العاصي، مروراً بجبل أكروم، وصولاً إلى العريضة (مصب النهر الكبير في المتوسط) وعرقة، غرباً، صعوداً إلى فنيدق جنوباً. أية عظمة للقبيات، حتى تكون منطقتها على هذه الدرجة من الآتساع! هل هذه هي الحدود التاريخية لبلدة القبيات التي يتحدث عنها السيد يواكيم[٢٠٢] ، أم هي الحدود المطلوب استعادتها كما يطرح الأب موراني[٢٠٣]؟

---

200 - المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢١ – ٢٢٢. التشديد على عبارة "ابتداءً من منطقة القبيات" لنا.

201 - المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢٣.

202 - راجع حول الحدود التاريخية للقبيات، المرجع السابق، ج ٢، ص ٦. يقول في مكان آخر من نفس المرجع: "... كان الوجود الجغرافي لمنطقة القبيات، المتاخم للحدود السورية البرية، على مسافة أكثر من ٦٠ كلم شرقاً وشمالاً..." (ص ٤٤٦).

203 - موراني، الأب عفيف: مرجع سابق بالفرنسية، ص ٣.

الملاحظة الثالثة هي أن ما يسمى "وادي النهر الكبير" يبدو، بنظر السيد يواكيم، وكأنه يقتصر على الجانب الجنوبي (اللبناني) من هذا الوادي، وإلاّ لكان أدخل على الأقل في الخط الدفاعي الأول قلعة حصن الأكراد المشهورة، بالاضافة إلى حصن صافيتا، وهما على أهمية استراتيجية أكبر بما لا يقاس مع موقع مثل قلعة الفليس (لا سيدة القلعة).

على خطى الأب موراني

تجد أوهام السيد يواكيم الحاج (حول أن القبيات كانت "الممر الداخلي الوحيد" لقوافل التجار والسواح وكموقع عسكري) مصدرها الأساسي في ما سبق وطرحه الأب عفيف موراني؛ إنها مجرد ترجيع لهذا الطرح الأخرق بهدف "تعظيم" القبيات. يطرح الأب المذكور هذه الأفكار تحت عنوان: "القبيات، طريق الفتوحات"، ليقول: "إن القبيات الواقعة على المقلب الشرقي للبنان[٢٠٤] لتسد أكثر نقاط الضعف في نظامه الدفاعي الطبيعي، تشكل، في مركز "فرجة حمص" المشهورة، نوعاً من جسر إلزامي، وبالتالي لكم هو بالغ الأهمية بين سورية والساحل الفينيقي"[٢٠٥].

لا يوفر الأب موراني حدثاً تاريخياً إلاّ ويحاول أن "يحشر" القبيات فيه، من خلال ما يسميه "الممر القبياتي". وهو يستعيد مثلاً حملة رعمسيس الثاني على الحثيين ومعركة الاستيلاء على قادس، ليزعم أن "حثيي قادس ما كانوا ليجهلون أهمية الممر القبياتي... كما أن خصومهم الفراعنة سلكوا، وهم يصعدون وادي الأليتيروس (النهر الكبير)، الممر القبياتي. لقد اجتاز رعمسيس الثاني عام ١٢٩٤، الآتي لقتال الحثيين نفس هذا الممر"[٢٠٦]. وإذا كان الأب موراني ضم إلى الممر القبياتي المناطق التي عبرتها الجيوش المصرية، وهي مناطق غير قبياتية بالتأكيد، فإن مقلده السيد يواكيم الحاج، جعل الجيوش المصرية تعسكر في أرض القبيات بالذات. فهو يقول: "سلك رعمسيس الثاني (١٣٠١ – ١٢٣٤) طريق الساحل اللبناني على رأس جيشه ومركباته حتى وصل أرض القبيات عكار، حيث بات ليلته قرب بلدة عندقت الحالية، في المكان المعروف اليوم بدير مار جرجس قرب قرية عيدمون (قرب قرية عيدمون وليس فيها؟!)، بينما

---

204 - يتلاعب الأب موراني بالجغرافيا الطبيعية، فيجعل القبيات على المقلب الشرقي للبنان، بينما هي على مقلبه الغربي.

205 - MOURANI, Afif (le père): l`Architecture Religieuse. . ., op. cit., p. 10. ؛ قبل قليل يقول، في نفس الصفحة: "يقابل "فرجة حمص"، المنفتحة كمدخل عريض على المجال السوري، الحاجز القبياتي على أبواب لبنان بالذات".

206 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٧.

الجيوش رابطت في تلك المنطقة هناك، المعروفة (بالحميرة)... الأرض الواقعة في نطاق القبيات العقاري والجغرافي"(٢٠٧).

كأن السيد يواكيم شاهد عيان لمسار هذه الحملة الفرعونية لشدة ما يعرض من تفاصيلها. ولا ينسى، حرصاً على الدقة العلمية كمعلمه الأب موراني، من ذكر مراجعه من كبار الخبراء في تاريخ المنطقة. فهو يقول: "يقول المؤرخ الفرنسي الأب لامنس بهذا الخصوص ما حرفيته: لا يمكننا أن نسلم بأن الحثيين تغاضوا عن احتلال وادي النهر الكبير... وهم يعلمون أن هذا الوادي طريق للأمم الفاتحة. وذلك يظهر من تاريخ الفراعنة أنفسهم، إذ أن رعمسيس الثاني لما أتى لمقاتلة الحثيين، سار إلى مقاتلتهم ماراً بهذه الطريق، (يعني طريق حلبا – القبيات حالياً للوصول إلى وادي خالد – فقادس). وهنا يضع حاشية تحدد مرجعه: لامنس: تسريح الأبصار، ج ٢، ص ٣٣"(٢٠٨).

ما هي حقيقة الأمر في حملة رعمسيس الثاني على الحثيين؟ لنترك المراجع (لا سيما تلك التي اعتمد عليها الأب موراني والسيد الحاج) تروي لنا تفاصيل مسار الحملة الفرعونية، لنتبين أين هي القبيات من هذا المسار. لم يقل الأب لامنس في "تسريح الأبصار" أكثر من مرور رعمسيس الثاني في وادي النهر الكبير، بما يعنيه هذا الوادي ويضمه من أرض، هي اليوم لبنانية وسورية، وليس في كل ما قاله هنا ما يخول أحد تفسير الطريق التي سلكها هذا الفرعون كما يقول السيد يواكيم الحاج: "يعني طريق حلبا القبيات للوصول إلى وادي خالد"، على غرار مسير باصات الهيونداي! أما رينيه دوسو (R. DUSSAUD)، فإنه يحدد مسار الحملة هذه في مؤلفه "الطبوغرافيا التاريخية لسورية" (وهذا مرجع يستند إليه الأب موراني، وفي هذه المسألة بالتحديد، وفي نفس الصفحات بالضبط): "كان الجيش المصري، الآتي برأينا، عن طريق الساحل، معسكراً جنوب شبطونا، أي قلعة الحصن، كما حدد ذلك بدقة بلانش (BLANCHE)، وإن رعمسيس الثاني تقدم مع طليعة من جيشه ليستطلع قادس. لقد سلك الفرعون إذاً طريقاً كانت خرائط خطوط السير ما زالت تحددها في زمن السلاطين المماليك: طرابلس، عرقة، الشعرة، أقمار، قدس، لتلتقي في شمسين الطريق المحازية لوادي العاصي من الجنوب إلى الشمال"(٢٠٩). ويوضح دوسو، في مقال له،

---

[207] - الحاج، يواكيم: عكار...، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٢٠.

[208] - المرجع السابق، ص ٣٢٢ – ٣٢٦.

[209] - DUSSAUD, René: Topographie Historique. . ., op. cit., p. 105 -106.

نفس الموضوع، حيث يؤكد على أن الجيش المصري عسكر في شبطونا، وهو الأسم القديم لقلعة الحصن[٢١٠]. فأين هي القبيات من "حصن الأكراد"؟

ممر وادي النهر الكبير

وصف ر. دوسو وادي النهر الكبير، في مؤلفه (الطوبوغرافيا التاريخية لسورية، من ص ٩١ حتى ص ٩٥) بمزيد من التفصيل، ويتبين من هذا الوصف أن الممر المركزي فيها محوره الانتقال من عرقة إلى حصن الأكراد الذي يتحكم بالطريق الآتية من الشرق (حمص)، والتي تتفرع من الحصن بفرع يصل إلى طرطوس وآخر إلى طرابلس (عبر عرقة)؛ كما يتحكم بالطريق الآتية من الشمال (حماة) عبر رفنية[٢١١]. ويشير إلى أن الطريق من طرابلس إلى قلعة الحصن ورفنية كان قد سلكها تيتوس الآتي من بيروت متجهاً إلى الشمال... كما أن لائحة بوتنجر (PEUTINGER) تحدد الطريق من رفنية إلى أرطوسية مروراً بكاريون (Carion) وديميترياس (Démétrias) والاليتيروس (النهر الكبير). وكان اجتياز هذا النهر يتم على الدوام على مقربة من الشيخ عياش. وعليه يجب تعيين موقع كاريون وديميترياس، بين هذا المقطع للنهر ورفنية، ربما في تل كلخ قلعة الحصن، ولكن هذا يبقى مجرد فرضية. ولقد سلكت الحملة الصليبية الأولى نفس المسار... يمكن أن نذكر، كمواقع متقدمة على طريق حمص طرابلس، برج زارا وتل كلخ. وإلى الغرب وادي نهر الخليفة... يجب أن نبحث في وادي النهر الكبير عن سنج بين عرقة وطرطوس ... قلعة الفليس... أكون وهو ربما لاكوم..."[٢١٢].
هذه هي الملامح المحيطة بأهم مواقع وادي النهر الكبير وممرها ومواقعها المحصنة، وفي كل ذلك لم تحظ القبيات بأكثر من مجرد ذكر اسمها، فقط، مع السنديانة ومنجز.

نقتطع للعماد طلاس وللعميد الركن الجلاد بعض ما قالاه، بصواب، في تعيين حصن الأكراد (لا القبيات) كحلقة مركزية في وادي النهر الكبير: "تتحكم قلعة الحصن أو حصن الأكراد بسلسلة من الظهرات الجبلية الأقل ارتفاعاً، ما بين جبل عكار وجبال البهراء (العلويين) التي تشكل ما يعرف بثغرة طرابلس – حمص، وتسيطر على طرق المواصلات بين السهل الساحلي شمالي طرابلس،

---

210 - DUSSAUD, René: Voyage en Syrie, Oct. Nov. 1896, Revue Archéologique, 3éme série, tome XXX, Jan. Juin, 1897, p. 311 et 312. – يعتمد دوسو، بشكل خاص، على، (BLANCHE: Bulletin de l`Institut égyptien, 1874-1875, p. 128): "اعتبر بلانش شبطون هي شبطونا المدينة المذكورة في النصوص المصرية المتعلقة بمعركة قادس. وقد تكون شبطونا الاسم السابق لقلعة الحصن". كما اعتبر شبطونا هي قرية مريمين، بينما ميزت بينهما قصائد بنتاوور (PENTAOUR)".

211 - DUSSAUD, René: Topographie Historique. . ., op. cit., p. 92.

212 - المرجع السابق، ص ٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥.

الذي يرويه النهر الكبير الجنوبي... والذي يجري مع روافده (نهر سبتة ونهر العروس ونهر خليفة) ونهر الأبرش جنوبي جبل الجليل، حيث تنتصب القلعة، وبين سهل حمص، الذي يرويه نهر العاصي... ويتيح هذا الموقع الستراتيجي المهم... قطع أي تحركات ما بين طرابلس وحمص ومراقبة المنافذ الشمالية لسهل البقاع. وكانت القلعة – أيام الحروب الصليبية – تقوم بهذه المهمة خير قيام، فتحمي الخطوط الأمامية لكونتية طرابلس من الجهة الشمالية الشرقية وتشكل مخفراً متقدماً، يهدد الأراضي الاسلامية ويمنع الاتصال فيما بينها ويهدد، بخاصة، الطريقين التجاريين المهمين اللذين كانا يخترقان المنطقة منذ عهد الرومان ويصل أحدهما حماة بطرابلس ويصل الثاني الرفنية (الرفانية) بطرطوس، فكانت بذلك المفتاح الرئيسي للمواصلات بين سورية الداخلية والساحل عبر ممر حمص طرابلس... وتحيط بالقلعة غير بعيد عنها من الشمال والغرب والجنوب، جملة من الحصون والقلاع المنيعة، المتناثرة فوق ذرا الجبال ومنها حصون زارا وبرج مقصور وبرج خليفة وتل كلخ... ومنها أيضاً برج العرب وصافيتا (الحصن الأبيض) وقلعة يحمور... وحصن البقيعة (أعناز) وحصن أفليس (فيليزيوم، فيليسيوم) ومن خلفهما قلعة العريمة وعرقة"[٢١٣].

إن كل ما يفعله الأب موراني هنا هو أنه ينسب الخصائص التي تمتاز بها منطقة وادي النهر الكبير بكل شمولها، ومنطقة الهرمل (ومرتفعاتها) وأكروم إلى القبيات، بالطبع مع التضخيم اللازم لجعل القبيات ذلك "الجسر الالزامي"، على حد تعبيره، أو "الممر الوحيد"، على حد تعبير السيد يواكيم الحاج. هذا بينما يقوم الممر من عرقة عبر السهل لاجتياز النهر الكبير قبل بلوغ المرتفعات. وإذا ما كانت هناك طرقات أخرى فهي بالأحرى طرقات تواصل داخلي لا طرقات استراتيجية.

يرى الأب موراني أن موقع القبيات جعلها نقطة التقاء، أو محور ثلاثي للطرق بين سورية والساحل اللبناني. هناك أولاً: المحور الذي يربط حمص بطرابلس، عبر البقيعة (وشدرا) – القبيات – عرقة، وهذا هو أقصر وأسهل ممر. المحور الثاني، بموازاة الأول، يتبع مجرى النهر الكبير، ويربط حمص بالساحل اللبناني، بسرعة ولكن بصعوبة. أما المحور الثالث فهو الذي ينطلق من ربلة فقادش، فأكروم فكرم شباط فالقبيات فعرقة[٢١٤]. انطلاقاً من تصور هذا المحور الثلاثي يطرح الأب موراني ما يسمه "الممر القبياتي".

---

213 - طلاس (العماد مصطفى) والجلاد (العميد الركن محمد وليد): قلعة الحصن ، حصن الأكراد، ج ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠، ص ١٩ و٢٠ و٢١.

214 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ١١ – ١٢.

ويدعم الأب موراني، وعلى خطاه السيد يواكيم، وجهة النظر هذه بادعاء الاستناد إلى الأب تالون، لا سيما في ما خص الكلام على الطريق الذي يعبر أكروم وكرم سباط ليصل إلى عرقة. ما هو قول الأب تالون بخصوص هذا الممر؟ انطلق عالم الآثار الأب تالون من تساؤل منطقي حول أسباب مرور البابليين في وادي السبع (أكروم)، هذا الممر الوعر للغاية، لا سيما وأن هناك ممراً أسهل بكثير يؤدي نفس الغرض باجتياز وادي بريصا في الهرمل، لا في جرود القبيات (كما يحلو للسيد واكيم الادعاء). كما تساءل حول مسار الطريق التي اعتمدها البابليون. ولم يدل بجواب قبل عثوره على نقوش "شير الصنم"، في منطقة على الحدود بين القبيات وعكار العتيقة. واستناداً إلى اكتشافه ل"شير الصنم" حاول رسم بقية الطريق. فماذا قال؟ اعتبر أن موقع "شير الصنم" يؤدي إلى الطرق الثلاث التالية: الأولى تصل إلى البحر عبر عكار العتيقة، والثانية تنحرف إلى الشمال الغربي لتمر في مزرعة زبود (عكار العتيقة)، وتصل إلى القبيات. أما الثالثة فتتجه نحو الجنوب، وتمر تحت هضبة القموعة، ومن خلال غابات الصنوبر تمر في تاشع وممنع والقنطرة لتبلغ عرقة مباشرة"[٢١٥]. وعليه لم يتحدث الأب تالون عن "الممر القبياتي" فحسب، بل عن ثلاثة احتمالات، واحد منها يصل إلى القبيات، ولا يصلها إلاّ عبر عكار العتيقة. فلماذا المبالغة الفارغة؟ ولماذا محو الآخر وإلغائه، ولو من التاريخ؟

ما هي قيمة هذا الممر؟ يجيب مكتشفه الأب تالون بأنه ممر طبيعي، ولكنه ليس بالطبع طريق اتصالات هامة[٢١٦]. ومع أن الأب موراني لا يأتي بأي مبرر يسمح له باعتبار هذه الممرات "قبياتية"، فإنه لا يكتفي بذلك بل يذهب في "تعظيم" القبيات مذهباً لم يسبقه إليه أحد، عندما يقرر، بكل تهور: "القبيات: صلة الوصل بين المدن – الدول الفينيقية والحضارات المجاورة"[٢١٧]. وينسب الأب موراني، زوراً، هذا التقرير الأعتباطي – الوهمي إلى الأب موريس تالون، إذ يدعي الأب موراني أن الأب تالون قال: "... كان من شأن القبيات بحكم موقعها الستراتيجي من الدرجة الأولى، أن تسمح، بل أن تفرض، علاقات مع التجمعات الكبيرة، في بيبلوس عل مسافة ٨٠ كلم إلى الجنوب، وأوغاريت (رأس شمرا) على مسافة ١٢٠كلم إلى الشمال، أو مع التجمعات القائمة على

---

215 - TALLON, Maurice: Une Nouvelle Stèle. . ., MUSJ, T. XLIV, Fasc., 1, op. cit., p.7.

216 - TALLON, Maurice: Monuments Romains. . ., MUSJ, T. XLIV, Fasc. 5, op. cit., p.62: il y a une voie naturelle, sans doute pas une route de grande communication.

217 - MOURANI, Afif (le père): l`Architecture Religieuse. . ., op. cit., p. 13.

ضفاف العاصي وبلاد ما بين النهرين"[٢١٨]. ما عسانا نقول للأب المحترم، غير تمنياتنا عليه، احتراماً لصفته، أن يتكلم كما يلبس أو أن يلبس كما يتكلم! ذلك أن أحداً من المؤرخين أو المفكرين لم يقل هذا القول على الاطلاق.

لا يكتفي الأب موراني بهذا التأويل المغرض لما قاله الأب تالون، بل يعمل أيضاً على تزوير كلامه تزويراً كاملاً، لا سيما في بحث الأب تالون عن الطريق التي سلكها البابليون والأسباب التي دفعتهم لذلك. يقول الأب موراني، محاولاً الاستناد إلى الأب تالون، ما حرفيته: "كانت المحالفة الفينيقية حوالي القرن الثامن والسابع (ق م) تضم علاوة على مصر وإسرائيل الممالك الصغيرة على الساحل (صور وصيدا وأرواد...)، وإذا ما توحدت هذه القوى، واجتمعت في ممر استرتيجي، كالممر القبياتي، لكان بوسعها أن تهزم جيوشاً كبيرة. والحال لقد كان الممر القبياتي مزروعاً بالحصون الصغيرة الجيدة الحراسة"[٢١٩]. ويختم الأب موراني كلامه هذا بإحالة إلى حاشية رقم ٣ من نفس الصفحة، حيث نجده يستند إلى المؤرخ جواد بولس (لبنان والبلدان المجاورة، ص ١١٧)، وإلى الأب تالون في (Une Nouvelle.. .,MUSJ, XLIV,op. cit.). لم يأتِ جواد بولس بأي كلام من هذا القبيل، وهو يتكلم على ممر النهر الكبير، كما يعتبر كل المنطقة ممراً: الممر السوري اللبناني الفلسطيني.ولكن لنقارن بين نص الأب تالون ونص الأب موراني لنلحظ مواقع التزوير في النص، بعملية استبدال رأس الشقعة (شكا) وممر نهر الكلب، بما يسميه الأب موراني الممر القبياتي.

نص الأب تالون: (Vers les VIII^{E} - VII^{E} siècles avant notre ère, la Coalition phénicienne liait, pour la défense de leur existence et de leurs intérêts, les petites puissances qui s`appelaient Tyr, Sidon et Arados. Leurs forces unies placées en un passage stratégique bien choisi, comme le Ras Cheqqa ou le Nahr - el -Kelb, auraient pu tenir en échec des armées importantes. Une sentinelle avancée, la ville de Arqa, plus tard célèbre sous les Romains, existait déjà à l`époque. . .)[٢٢٠]. لم يعظم الأب تالون كل عكار، فكل ما فيها هو موقع مراقبة (مخفر) متقدم (sentinelle).

نص الأب موراني: (Vers cette époque,VIII, VII s., la coalition phénicienne comprenait, outre, l`Egypte et Israel, les petites puissances de la cote (Tyr, Sidon, Arvad. . .) ces forces réunies, placées sur un passage statégique comme celui de Cobiath, auraient pu tenir en échec des armées importantes. Or le défilé Cobiathin était hérissé de fortins bien gardés.)[٢٢١]. هكذا تم استبدال رأس شكا

---

[218] - المرجع السابق، ص ١٣، حاشية رقم ١: TALLON, Maurice: Monuments Romains. . ., p. 60.

[219] - MOURANI, Afif (le père): l`Architecture Religieuse. . ., op. cit., p. 18.

[220] - TALLON, Maurice: Une Nouvelle. . ., MUSJ, T. XLIV, Fasc., 1, op. cit., p.6.

[221] - MOURANI, Afif (le père): l`Architecture Religieuse. . ., op. cit., p. 18.

وممر نهر الكلب بالممر القبياتي الستراتيجي، وبدل مخفر المراقبة المتقدم (عرقة)، تجدنا أمام منطقة مزروعة بالحصون الجيدة الحراسة. هكذا هي الأمانة التأريخية! من أجل قبيات أفضل، لا بأس!

كما إننا نجد عند الأب موراني نفس الخطوط الدفاعية الثلاثة التي أتحفنا بها السيد الحاج (مع شيء من التعديلات الطفيفة). الأول: "يقع جنوبي حصن الأكراد ليقطع المداخل إلى طرابلس عبر القبيات. وهويضم علاوة على الحصنين الكبيرين المذكورين سابقاً، أي حصن الأكراد وحصن عكار، الحصون الصغيرة التالية: الفليس، ميليشين، لاكوم، حصن البقيعة"[٢٢٢]. وإذا كان حصن الأكراد وحصن عكار وقلعة الفليس وحصن البقيعة (أو الوادي) مواضع معروفة، وهي ليست من القبيات، وإذا كان حصن لاكوم هناك من يرى موقعه فـي جبل أكروم أو في تل كلخ، وإذا كان مليشين بالقرب من حمص أو على مداخل وادي خالد، إذا كانت الأمور على هذه الشاكلة فمن أين تأتي أهمية القبيات وما كان دورها في هذا الخط الدفاعي الأول؟ وهل هي كل هذه المواقع لننسب الخط الدفاعي إليها؟ وإذا سرنا على هذا المنوال أليس في وسعنا اعتبار أي بقعة في هذا المحيط هي على هذه الأهمية؟ ولكن كيف السبيل، في هذا المنطق، إلى تمييز المواقع المهمة عن تلك الثانوية أو التي لم يكن لها أي دور كحالة القبيات؟

أما الخط الدفاعي الثاني، يقول الأب موراني: "... يتوسط المسافة تقريباً بين حصن الأكراد وعرقة... وهو يضم: حصن عكار، والمجدل، وطيبـو (Tibo) أو طايبو (Taybo) وحلبا"[٢٢٣]. وهنا نطرح نفس الأسئلة السابقة، ما دخل القبيات في كل هذه المواقع؟ وما هو دورها؟ وأخيراً يتمحور الخط الثالث حول عرقة بالذات.

يتضح من كل ما جاء به الأب موراني وقلّده فيه السيد يواكيم الحاج، أن القبيات لم تكن موقعاً على أي درجة من الأهمية. إذ ليس في القبيات أي موقع محصن، ولم يتم ذكر أي حدث حصل فيها، كما لـم يتعرض أحد للحديث عنها بأي شكل من الأشكال. وكل ما يفعله الأب موراني ويجاريه خلفه السيد يواكيم، هو تجميع للخصائص التي تمتاز بها المواقع الفعلية ومحاولة نسبتها زوراً إلى القبيات. مع ما يرافق هذه العملية من تشويه لأقوال المؤرخين، ومن طمس للوقائع الفعلية، ومن تقليل لأهمية المواقع التاريخية الجدية في المنطقة.

---

[222] - MOURANI, Afif (le père): l`Architecture Religieuse. . ., op. cit., p. 116.

[223] - المرجع السابق، ص ١٢١. ينتمي حصن عكار إلى الخط الأول والثاني، ومع ذلك الثاني يتوسط المسافة بين حصن الأكراد وعرقة. لا ندري كيف يقيس الأب موراني المسافات، يبدأ من الشمال (حصن الأكراد) يتجه جنوباً (حصن عكار) ثم ينحرف إلى الجنوب الغربي، المجدل وهي متاخمة لعكار، ليتجه غرباً حتى حلبا القريبة جداً من عرقة، ومع ذلك يتحدث عن المسافة المتوسطة بين حصن الأكراد وعرقة!

وإذا كان لا بد من الكلام عن المواقع والحصون أو الخطوط الدفاعية (كما يحلو الكلام للأب موراني، وتلميذه الأمين السيد الحاج)، فلقد كانت الأمور على الصيغة التي سنرسمها الآن. لم تكن مسألة حماية "فرجة حمص" ووادي النهر الكبير (لا الممر القبياتي)، مجرد حالة مستقلة عن ما يجاورها، بل كانت قسماً من وضع أعقد بكثير من التبسيط الذي يعتمده الأب موراني والسيد يواكيم الحاج. ففي الدفاع عن ممر وادي النهر الكبير تدخلت مواقع حصينة متعددة، بعضها شمالي النهر، بعضها في حمص بالذات وحولها، بعضها في بعلبك والبقاع... وبعضها داخل هذا الممر بالذات.

هناك أولاً الثنائي حصن الأكراد وحصن عكار. ففي مؤلف "سورية القديمة والقروسطوية المصورة"، توصيف لأهمية هذين الحصنين: "إلى الجنوب يقوم حصن عكار بمراقبة فرجة حمص المشهورة، ويلعب دور موقع اتصال مع حصن الأكراد. فمن على سطيحة برجه الرئيسي نرى البحر وحصن الأكراد والحصن الأبيض (صافيتا)..."[٢٢٤]؛ بينما "كان حصن الأكراد... الذي يحكم سهل البقيعة الفسيح، المسمى أيضاً فرجة حمص، يحمي حدود كونتية طرابلس..."[٢٢٥]. واضح الكلام هنا بحيث يكون الإعتماد أساساً على حصن الأكراد في حين يمتاز حصن عكار بدور مساعد، فضلاً عن أن هذا الحصن كان يوصف بأنه حصن صغير (le petit chateau de Akkar)[٢٢٦]. ويرى ماكس فان برشم: "إذا لم يكن حصن الأكراد من أوسع القلاع اللاتينية في سورية، فهو على الأقل أكثرها أهمية، لجهة تطور الدفاعات، واختيار مواد البناء، والطراز الهندسي والديكور"[٢٢٧].

يوضح راي (G. REY) أهمية حصن الأكراد في الدفاع عن كونتية طرابلس، وممر النهر الكبير، بالتحديد، بقوله: "طيلة مرحلة السيطرة الفرنسية في سورية، كانت الحدود الشرقية للمستعمرات الفرنسية متكونة من سلسلة من الجبال الممتدة من طرابلس إلى انطاكية. ولهذا فإن كل ممر، أو كل موقع استراتيجي كان محمياً بحصن ما... يقع حصن الأكراد على إحدى القمم المطلة على الممر الذي يصل وادي العاصي بحوض المتوسط... (وهو) في موقع عسكري من الدرجة الأولى من حيث أنه يتحكم بالممر الذي تعبره الطرق من حمص وحماة إلى طرابلس وطرطوس، كما أن لهذا الموقع أهمية رائعة لكونه

---

224 - DUSSAUD, DESCHAMPS, SEYRIG: La Syrie Antique et Médiévale Illustrée, Paul Geuthner, Paris, 1931, p. 147. – يعبر هذا المؤلف الجماعي عن رأي ثلاثة من أبرز الباحثين في المنطقة وتاريخها وآثارها.

225 - المرجع السابق، ص ١٣٠.

226 - المرجع السابق، ص ١٤٦.

227 - VAN BERCHEM: Voyage. . ., op. cit.,t. 1, p. 135.

يشكل منطلقاً لمناورات الجيش الذي عليه مواجهة سلطات حماة... يشكل حصن الأكراد، في نفس الوقت، مع حصون عكار وعرقة والسرخ والقليعة والحصن الأبيض ويحمور وطرطوس والمرقب، وكذلك مع الأبراج والمواقع الثانوية التي تربط هذه الحصون بعضها ببعض، خط دفاع لحماية كونتية طرابلس ضد غزوات المسلمين الذين استمروا أسياد القسم الأكبر من سورية الشرقية... ومن على أسواره المرتفعة تصل الرؤية، إلى الشرق، حتى بحيرة حمص وقسم من مجرى العاصي، وخلف ذلك تمتد إلى البعيد المناطق الشاسعة من صحراء تدمر. ونحو الشمال، تحجب جبال النصيرية النظر الذي يمتد غرباً، عبر وادي النهر السبتي... ويطل، إلى الجنوب، على سلسلتي جبال لبنان، الشرقية والغربية،... وعلى مقربة منه إلى الشرق، ينبسط من سفح تلة الحصن ... سهل "بقيعة الحصن"... ليست قلعة الحصن مسكناً اقطاعياً كبيراً تم تحصينه بغية السيطرة على محيطه... إنها من أهم المواقع العسكرية..."[٢٢٨].

لعل الباحث بول دي شان (Paul DESCHAMPS) من أفضل من أفاض وأجاد في توصيف ممر النهر الكبير ودفاعاته، ولا سيما حصن الأكراد. نقتطع مما قاله بعض المقاطع: "ما أن نبلغ الطرف الشمالي لسلسلتي الجبال (لبنان) حتى نصل إلى أول فرجة من الفرجات العرضية السابقة الذكر في سورية: فرجة طرابلس[٢٢٩]. ثمة سلسلة من الوديان المتوازية والموزعة بين تلال قليلة الارتفاع عنها تفصل الهضبة الشمالية لجبل لبنان، جبل عكار، عن جبل النصيرية الذي يحازي من الغرب الوادي الشمالي للعاصي حتى مشارف أنطاكية. هذه الفرجة بين الجبلين، وهي ممر بعرض حوالي ٢٠كلم[٢٣٠]، ... ونسمي اليوم باسم فرجة حمص هذا الممر الذي يصل السهل الساحلي من طرابلس إلى طرطوس مع وادي العاصي والمدن الاسلامية الكبيرة كحمص وحماة... ينتصب شمالي البقيعة، لمراقبتها، حصن الأكراد الرائع... وكانت هناك عدة حصون صغيرة تحت هذه القلعة للدفاع عن أطرافها. وبمواجهة الحصن، جنوبي السهل، ينتصب على آخر هضبة جبل عكار حصن عكار الصغير.

---

228 - G. REY: Etude sur les Monuments de l`Architecture Militaire des Croisés en Syrie et dans l`Ile de Chipre, Imprimerie Nationale, Paris, 1871, p. 39 et 40 et 41.

229 - Paul DESCHAMPS: Les Chateau des Croisés en Terre Sainte, le Crac des Chevaliers, Texte, Paul Geuthner, Paris, 1934. – يقول المؤلف (في ص ١٦ – ١٧ من هذا الكتاب): "في سورية يتصل الساحل المتوسطي بالمنخفض السوري (البقاع وامتداده شمالاً وجنوباً) بثلاث فرجات (ممرات)... منها ... منفرج طرابلس المتصل بالبقيعة عبر وادي النهر الكبير وسهل عكار الخصيب". وعليه ليس صحيحاً الكلام على الممر الوحيد الذي يزعمه السيد يواكيم الحاج.

230 - يجعل الأب موراني عرض هذه الفرجة ٥٠ كلم في حدها الأدنى، موراني: مرجع سابق بالفرنسية، ص ١١٤.

وغربي هذين الحصنين نرى عدة مواقع محصنة لحماية الوديان المؤدية إلى السهل الساحلي: وهي من الجنوب إلى الشمال حلبا عرقة عريمة..."[٢٣١].

ليست بنا حاجة إلى تكرار الكلام حول أن أحداً لم يذكر القبيات بين كل تلك الحصون أو الأبراج أو المواقع المحصنة التي وردت عند المشتغلين على تاريخ وآثار المنطقة. كما أن القبيات لم تذكر حتى أثناء المعارك التي دارت في المنطقة، لا سيما عندما قام المماليك بطرد الصليبيين، أو قبل ذلك عندما قام الصليبيون باحتلالها، أو حتى قبل ذلك في العهود القديمة، ولا حتى في المرحلة العثمانية. ولقد جاء عدم ذكر القبيات في الظروف التي من المحتمل جداً أن تكون القوات المتحاربة قد مرت فيها في نطاق البلدة الراهن. فعندما قام الأمير فخر الدين المعني بملاحقة آل سيفا، وهربهم إلى شدرا لم يرد اسم القبيات، لا في الملاحقة المعنية ولا في الهرب السيفي. وقبل ذلك عندما قام السلطان بيبرس في العام ١٢٧١ باحتلال حصن الأكراد، وانتقل لمحاصرة حصن عكار من المرجح أنه مرّ في نطاق البلدة الراهن[٢٣٢]. لم يرد في الأخبار ما يشير إلى القبيات. مما يعني، بالطبع، قلة أهمية البلدة في حينه.

وإذا كان ثنائي حصن الأكراد (وما حوله) وحصن عكار وما بينهما من أبراج ونقاط اتصال هو الخط الدفاعي عن ممر النهر الكبير، فإن "مثلث" عرقة وحلبا والقليعات يشكل الخط الثاني الأساسي في حماية الطريق إلى طرابلس. يقول فان برشم: "في شعبان ٦٦٤ هـ (حزيران – تموز ١٢٦٦)، أرسل السلطان بيبرس، أثناء حملة في سورية، قسماً من جيشه إلى ساحل طرابلس، فاستولى على ثلاثة حصون: القليعات وحلبا وعرقة... موقعا حلبا وعرقة معروفان تماماً؛ يشكل هذان الحصنان مع الحصن الأول (القليعات) مثلثاً استراتيجياً للدفاع عن طرابلس بوجه أي هجوم من الشمال طرطوس أو من الشمال الشرقي (حمص). كما أن سقوطها كان المقدمة الضرورية لسقوط طرابلس..."[٢٣٣].

---

٢٣١ - Paul DESCHAMPS: Les Chateau des Croisés en Terre Sainte, le Crac des Chevaliers, Texte, - مرجع سابق، ص ٣٠ – ٣١.يستفيض المؤلف في توصيف نفس هذه المواقع في ص ١٠٥ و١٠٦ و١٠٧. راجع أيضاً حول هذا الحصن بالعربية: العماد مصطفى طلاس والعميد الركن محمد وليد الجلاد: قلعة الحصن، حصن الأكراد، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠، ج ١، لا سيما ص ١٩ حتى ٢٧.

٢٣٢ - راجع: (Moritz SOBERNHEIM: Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, deuxième partie, Surie du Nord, premier fasc., Imprimerie de l`Institut Français d`Archéologie Orintale, le Caire, 1909, p. 4.) "تؤدي الطريق، عبر السهل، إلى قرية القبيات الواقعة على ارتفاع عدة مئات من الأمتار. وبعد اجتياز صعود حاد حتى ممر واقع على علة ٨٧٠م تقريباً نصل إلى قرية عكار العتيقة... بمواجهة الحصن...".

٢٣٣ - VAN BERCHEM: Voyage. . ., op. cit. p. 134. – أخذ هذا الرأي عن فان برشم أحمد حطيط في مؤلفه، تاريخ لبنان الوسيط، دار البحار، بيروت، ١٩٨٦، ص ٥٨. وكرره عن الأخير د. الياس القطار في كتابه، نيابة طرابلس في عهد المماليك، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٥٢،

المجدل، طيبو، السن ...

يشدد الأب موراني والسيد يواكيم الحاج على الأهمية الستراتيجية لموقعي المجدل وطيبو...، ويجعلان من هذين الموقعين، مع غيرهما، مواقع عسكرية على درجة من الأهمية في حماية "الممر القبياتي". لقد اضطرهما منطق تعظيم القبيات إلى تعظيم ما هو حولها، ليكون حامياً لهذه العظمة الموهومة. ولهذا عملا على اختلاق، واصطناع أهمية تكتيكية وعسكرية لمواقع لم تلعب دوراً مذكوراً في هذا المضمار، وكعادتهما ادعيا الاستناد إلى المراجع التاريخية الموثوقة. فما هي قيمة هذه المواقع، استناداً إلى نفس المراجع التي يستحضرها الثنائي: موراني والحاج؟

المجدل: مزرعة أم حصن؟

سبق لنا أن تناولنا "الخطوط الدفاعية" التي رسمها الثنائي المذكور، نكتفي الآن، بعرض كيفية إعطائهما أهمية لمواقع لم تلعب دوراً مهماً ورد ذكره عند المؤرخين. يقول الأب موراني: "ليست المجدل حصناً كبيراً، ولكن أهميتها غير منكورة، لأنها تحمي القسم الغربي من القبيات وملتقى الطرقات فيها، وتؤمن في نفس الوقت الاتصال التام بين حصن عكار وقلعة الفليس (منجز) وحصن الأكراد"[٢٣٤]. ولا ينسى الأب المحترم الادعاء بأن ما يتقدم به مسند إلى بول دي شان. ولدى مراجعتنا لما قاله بول ديشان في المؤلف المذكور من قبل الأب موراني[٢٣٥]، تبين لنا أن ديشان تحدث عن المجدل في الملحق رقم ١، تحت عنوان: "المزارع (القرى الصغيرة) والمواقع المذكورة في كونتية طرابلس". وفي كلامه يحدد المجدل بوصفها مزرعة، أو قرية صغيرة، ولا يشير بأي شكل من الأشكال إلى أنها موقع محصن، أو استرتيجي. وهو يقول حرفياً :"مزرعة المجدل Helmedel بالقرب من حصن عكار، هي المجدلEl Majdel على مسافة ٥ كلم شمالي عكار"[٢٣٦]. من الواضح تماماً أن دي شان عندما ذكر المجدل إنما ذكرها في سياق تعداد المزارع والقرى الصغيرة الواردة في عقد الهبات والعطاءات التي تلقتها الاسبتارية في كونتية طرابلس. فكيف حول الأب المحترم مزرعة المجدل إلى حصن؟ وحده يعرف: لتكون القبيات موقعاً عظيماً يجب أن تحيط به الحصون! هذا فضلاً عن أن ديشان حدد، وهو يبحث تحديداً، في مسألة

حيث يقول القطار: "كانت هذه القلاع الثلاث بمثابة "مثلث استراتيجي لحماية طرابلس من كل هجوم مصدره الشمال والشمال الشرقي". وفي رأي "ج. براور"، كان سقوط القليعات وحلبا وعرقة إيذاناً بالحملة الكبيرة التي ستوجه إلى مملكة أرمينيا وتصل إلى عاصمتها سيس وعلى رأسها قلاوون أحد كبار بيبرس وخليفته لاحقاً".

234 - MOURANI: L`Architecture..., op. cit., p. 122.

235 - DESCHAMPS: La Défence du..., op. cit., p. 187.

236 - المرجع السابق، ص ١٨٧. واليكم النص الفرنسي: ...; le casal Helmedel près de Guibelacard (château d'Akkar), est EL MAJDEL, à 5 Km au Nord d'Akkar; ... .

المواقع العسكرية والدفاعية في كونتية طرابلس، قلعة الفليس كحلقة وصل بين عكار وحصن الأكراد، ونسب لهذه القلعة (الفليس) مهمة الدفاع عن مجرى النهر الكبير، وعن الطريق المؤدية إلى طرابلس وعرقة، وكذلك عن الطريق المؤدية من البقيعة إلـى عكار عبر عندقت والقبيات"(٢٣٧). كما أن دوسو لم يأتِ على ذكر المجدل كواحد من حصون وقلاع وأبراج المنطقة في مؤلفه الطوبوغرافيا التاريخية... (٢٣٨). بل اعتبرها موقعاً غير محدد الموضع(٢٣٩). ولم يأت دوسو على مجرد ذكرها، عندما مرّ من عكار إلى القبيات فمقام الرب (نبع الجعلوك) فمنجز... (٢٤٠). بيد أن أحد مراجع الأب موراني يوضح بدون لبس أن المجدل هي مجرد مزرعة. لقد وضع راي REY جردة بالحصون والقلاع والاقطاعات والمزارع في أيام الصليبيين، جاءت المجدل فيها مجرد مزرعة في عكار(٢٤١).

أما السيد يواكيم الحاج فيذهب أبعد من ألأب موراني بكثير في استحضار الشواهد التاريخية على عظمة المجدل، ويبالغ أكثر منه في تزوير المراجع. ينسب السيد يوكيم الحاج إلى الأب لامنس كلاماً يفيد بأن بناء قلعة المجدل يعود إلى زمن الأيطوريين الذين بنوها. فهو يقول: "يعود تاريخ بناء قلعة المجدل إلى أيام الأيطوريين... وكما أقام الأيطوريون لهم حصناً فـي البقاع ودعوه (مجدلا) هكذا أقاموا لهم في منطقة القبيات حصناً بهذا الاسم وما زال حتى اليوم يعرف بقلعة المجدل... ويقول الأب لامنس إن الأيطوريين كانوا في سنة ٦٤ ق م يسيطرون على لبنان الشمالي... فلما جاء بومبيوس القائد الروماني وفتح بلاد الشام... تقدم في منطقة عكار فخرب حصون الأيطوريين التي كانوا يحتمون فيها ومنها ينطلقون في غزواتهم على مدن الساحل، فأتى على حصن المجدل وسنان وبوروما وجيغرتا"(٢٤٢).

لعل أفضل طريقة لنوضح تزييف السيد يواكيم الحاج للنصوص وتزويره لأقوال المؤرخين هي أن نسرد بعض ما قاله الأب لامنس في هذا الموضوع. تحدث لامنس، في مؤلفه تسريح الأبصار...، في موضعين عن الأيطوريين، وفي الحالتين لم يأتِ على ذكر المجدل لا من قريب ولا من بعيد. ففي القسم الأول يقول: "ومن الدول العربية التي اشتهرت في ذلك الوقت دولة

---

237 - المرجع السابق، ص ١٦ – ١٧.

238 - DUSSAUD: Topographie historique..., op. cit., p. 94 - 95.

239 - المرجع السابق، ص ٨٧.

240 - DUSSAUD: Voyage en Syrie, Oct. - Nov. 1896, op. cit.,p. 308 -309.

241 - E. REY: Les Colonies Franques..., op. cit., 356 - 375. – وفي المجدل يقول:
HELMEDEL, casal relevant du fief de Jibel Akkar et qui se retrouve dans le village moderne de El Mejdel (p. 367).

242 - الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

الأيتوريين ملكت على لبنان وعلى ساحل فينيقية... ثم واصل (٦٤ ق م) بمبيوس سيره في سواحل سورية ظافراً وتوغل لبنان وأخذ عنوة قلعة جيجرتا... فأخربها كما انه هدم قلعة وجه الحجر وقوض أبنية بترون... ثم تخوف بمبيوس وَشك الشتاء فيمم سهول البقاع ورياض دمشق... فقطع جبل لبنان وافتتح في طريقه قلعتي برومه Borroma وسنان Sinnan..."[٢٤٣]. لم يذكر لامنس هنا أي شيء عن المجدل وقلعتها المزعومة. وفي القسم الثاني من نفس المؤلف يقول لامنس: "سبق لنا القول أن الرومان لما فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا عششوا في جباله الساحلية... وهم الأيطوريون. ولما زحف بمبيوس على لبنان... ثم توغل... فأخرب حصون جيغرتا وسنان وبوروما"[٢٤٤]. أن يتجرأ السيد يواكيم على عرض تفاصيل حركة القائد الروماني بمبيوس وعلى اقحام اسم المجدل في عداد المواقع التي احتلها، وينسب ذلك إلى الأب لامنس، فهذا مما لا شك يتطلب تهوراً يعكس انعدام الحس بالمسؤولية تجاه القارئ وصاحب المراجع معاً، وليس خلف ذلك غير دافع واحد هو أن تبدو القبيات (المنطقة) على درجة كبيرة من العظمة.

لا يكتفي السيد يواكيم يالتزوير بل يقع في خلط للمواقع بعضها ببعض. فهو يجعل من حصن المجدل الواقع في الأراضي السورية قرية المجدل المجاورة للقبيات. يقول: "وفي سنة ١٢٧١ م خرج الملك الظاهر بيبرس من دمشق... وقد تحددت أهداف الحملة بالإغارة على اللاذقية والمرقب وعرقة ومرقية والقليعات وصافيتا والمجدل... وهكذا قام بيبرس بالإغارة على طرابلس ونواحيها فأغار على صافيتا... وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد، كما تسلم قلعة المجدل وخربها"[٢٤٥].

ما هي المجدل المقصودة في فتوحات بيبرس، وهل هي في جوار القبيات؟ إن أفضل طريقة للإجابة تكمن في سرد سير هذه الفتوحات. وهذا السرد أحسن د. الياس القطار في إيجازه قائلاً: "كانت أولى فتوحات المماليك المهمة في عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م، في ما سيعرف لاحقاً باسم نيابة طرابلس، لكل من صافيتا والمجدل وحصن الأكراد، وقد تبع ذلك مصالحة على نصف طرسوس وعلى هدنة مع المرقب ومحاولة فاشلة لأخذ قبرص، وفتحاً لعكار والعليقة وتل خليفة"[٢٤٦]. ثمة تسلسل في هذه الفتوحات التي شكلت بدايات جدية لطرد الصليبيين نهائياً من لبنان، هذا التسلسل يوضح لنا موقع المجدل. يفيدنا ابن كثير في هذا الغرض، إذا ما استعرضنا روايته لهذه الأحداث. يقول: "في يوم الخميس

---

243 - لامنس، الأب هنري: تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ٣٦ – ٣٧.

244 - المرجع السابق، ص ٢١١ – ٢١٢.

245 - الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧٥.

246 - القطار، د. الياس: نيابة طرابلس، مرجع سابق، ص ٥٥.

ثامن رجب (٦٦٩هـ/١٢٧١م) دخل الظاهر دمشق وفي صحبته ولده الملك السعيد وابن الحنا الوزير وجمهور الجيش ثم خرجوا متفرقين وتواعدوا على أن يلتقوا بالساحل ... فلما اجتمعوا فتحوا صافيتا والمجدل، ثم ساروا فنزلوا على حصن الأكراد يوم الثلاثاء تاسع عشر رجب، وله ثلاثة أسوار، فنصبوا عليها المنجنيقات ففتحها قسراً يوم نصف شعبان، فدخل الجيش ... وتسلم القلعة بعد عشرة أيام من الفتح... وأقام فيه الجمعة،... وبعث صاحب طرسوس بمفاتيح بلده يطلب منه الصلح... فأجابه... وكذلك فعل صاحب المرقب فصالحه... وبلغ السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد أن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بجيشه إلى عكا لينصر أهلها خوفاً من السلطان، فأراد السلطان أن يغتنم هذه الفرصة فبعث جيشاً كثيفاً في اثني عشرة شينى ليأخذوا جزيرة قبرص في غيبة صاحبها... ثم سار السلطان فنصب المجانيق على حصن عكار فسأله أهلها الأمان على أن يخليهم فأجابهم إلى ذلك ودخل البلد يوم عيد الفطر فتسلمه... ثم سار السلطان نحو طرابلس فأرسل إليه صاحبها... يستعطفه ويطلب منه المصالحة ووضع الحرب بينهم عشر سنين فأجابه إلى ذلك، وأرسل إليه الاسماعلية يستعطفونه... واستناب بحصن العليقة"[٢٤٧].

واضح من سياق هذا النص، ومن كثير من النصوص المشابهة له والواردة في كثير من الحوليات العربية، أن أول موقعين سقطا بيد بيبرس هما صافيتا والمجدل، وآخر موقع كان حصن عكار الذي تم الاستيلاء عليه بعد زمن على سقوط صافيتا والمجدل، وعلى المصالحة مع صاحبي طرسوس والمرقب، وعلى الاستيلاء على حصن الأكراد الشهير. فلا يعقل أن يستولي الظاهر بيبرس على صافيتا والمجدل، وتكون المجدل هذه على مسافة قريبة جداً من حصن عكار، ويفصلها عن صافيتا حصن الأكراد وهو أخطر الحصون. فلا بد والحال هذه من أن تكون المجدل المقصودة هي تلك القلعة القريبة من صافيتا في سورية، لا تلك المزرعة المجاورة للقبيات، كما توهم السيد يواكيم الحاج.

طيبو

يرى الأب موراني أن بقايا مزرعة طيبو غربي قرية السنديانة هي بقايا برج أو حصن ورد ذكره في نصوص الهدنة بين السلطان قلاوون وفرسان الداوية. واعتبر أن تعداد المواقع وتتابعها في نص الهدنة يؤشر على موقع حصن طيبو. وكان سبق للباحث المؤرخ دوسو أن انطلق من نفس نص الهدنة وعين موقع حصن طيبو في بلدة الشيخ طابا في عكار[٢٤٨]. ولما لم يرق هذا التعيين للأب موراني، فإنه رفع موقع طيبو من هناك وجعله بجوار قرية السنديانة.

---

[247] - ابن كثير، أبو الفداء الحافظ: البداية والنهاية، المجلد السابع، الجزء ١٣، دار الفكر بيروت، ١٩٨٢، ص ٢٥٩. راجع أيضاً نفس التفاصيل تقريباً: أبو الفدا، المختصر...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٦؛ ابن شداد، الأعلاق الخطيرة...، مرجع سابق، ج ٢، ق ٢، ص ١١٦ – ١١٨.

[248] - DUSSAUD: Topographie historique..., op. cit., p.91.

واحتج على موقف دوسو بأن الشيخ طابا تقع جنوبي حلبا، بعكس ما ادعاه دوسو من أن طيبو (الشيخ طابا) شرقي حلبا، كما احتج بعدم وجود حاجة لموقعين محصنين قريبين من بعضهما: عرقة وطيبو (نسي حلبا)[249]. وكأن وجود طيبو على تماس مباشر مع المجدل (المزعومة قلعة) والقريبة من حصن عكار، جنوباً، وقلعة الفليس، شمالاً، لا يسقط احتمال وجود كل هذه الحصون المتجمعة في موقع واحد.

بيد أن العودة إلى نصوص الهدنة في المراجع العربية (وهذا ما كان على الأب موراني واجب العمل به على الأقل من باب المقارنة والتدقيق) تكشف لنا صعوبة البت بأمر موقع طيبو، بل وحتى بأمر الاسم بالذات. ففي الآسم يقترح الأب موراني كتابته Tybo بينما هو وارد فـي الأصل Tayibou [٢٥٠]، واقتراحه هذا افتراض مجاني في لفظ الاسم. إن العودة إلى النصوص العربية كفيلة بتوضيح كتابة الاسم ولفظه، بدل التقدم بافتراضات مجانية.

لدينا في العربية مرجع بالغ الأهمية لمؤلف معاصر للأحداث، محي الدين بن عبد الظاهر، وقد كان في موقع يمكنه من معرفة دقائق الأمور، ذلك أنه كان "رئيس ديوان الانشاء"، وترك في مؤلفه، "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" الذي تناول الحقبة ما بين ٦٧٨هـ/١٢٧٩م و٦٨٩هـ/١٢٩٠م، عدة نصوص عن وقائع الهدنة التي عقدها السلطان مع الصليبيين، وإننا لنفترض هذه النصوص من أكثرها ثقة حول قضايا الهدنة موضوع النقاش.

يذكر ابن عبد الظاهر نص هدنة تعود للعام ٦٨٠ هـ/١٢٨١م، عقدت بين السلطان قلاوون و"متملك طرابلس بيمند بن بيمند ملك الفرنج"، وردت فيها المواقع التالية، وفق ترتيبها الأصلي: "حصن الأكراد وأفليس والقليعات وصافيتا وميعاو واطليعا وحصن عكار ومرقية ومدينتها وبلادها ومناصفاتها... ومناصفات المرقب... وبلاد الست وبلاطنس وبلادها وقرقص وبلادها وجبلة ولاذقية وأنطاكية والسويدية... وحصن بغراس وحصن ديركوش وصهيون وبرزيه وحصون الدعوة... علـى بلاد الابرنس وعلـى طرابلس... وأنفه والبترون وجبيل... وعرقا وبلادها المعنية في الهدنة وعدتها أحد وخمسون ناحية..."[٢٥١].

---

249 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٢٢.

250 - لم يرد اسم طيبو صحيحاً عند الأب موراني، بل ورد بشكلين: Taybo Tayibo هذا في حين أن الأصل الذي ينقل عنه الأب موراني يذكر الاسم بشكل: Tayibou ، وبالعربية طيبو، ولعل في الأمر خطأً مطبعياً.

251 - ابن عبد الظاهر، محي الدين: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، وتتناول الحقبة ما بين ٦٧٨هـ - ٦٨٩هـ، حققه د. مراد كامل، راجعه محمد علي النجار، الشركة العربية للطباعة والنشر، مصر، ط ١، ١٩٦١، ص ٨٢ – ٨٣.

أما الهدنة التي استند الأب موراني إلى نصها الأجنبي (لعله باللاتينية)، والذي وردت فيه الأسماء ومن ضمنها اسم Tayibou طيبو، فقد جاءت عند ابن عبد الظاهر كما يلي: "وفي هذه السنة (٦٨١ هـ/ ١٢٨٢) استقرت الهدنة بين مولانا السلطان... وبين المقدم أفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، بعكا والساحل، وبين جميع الإخوة الديوية بأنطرسوس... على بلاد السلطان... وبلاد حصن الأكراد وبلادها وأعمالها، وما هو داخل فيها... من بلاد وقرى ومزارع ومراجات وأراض وأبراج وطواحين // وغير ذلك، ومملكة صافيتا وبلادها وأعمالها وقراها وأسوارها... وميعاز وأعمالها، والعريمة وأعمالها، ... وجلبا وأعمالها، وعرقا وأعمالها وطِيبوًا وأعمالها، وقلعة حصن الأكراد وأعمالها وبلادها، والقليعات وأعمالها وبلادها ومرقية بكمالها وبلادها..."[٢٥٢].

وهناك نص ثالث لهذه الهدنة التي تجددت على ما يبدو في العام ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م. "وفي هذه السنة (٦٨٢هـ/ ١٢٨٣) استقرت الهدنة بين مولانا السلطان... وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث وبلادها التي انعقدت عليها هذه الهدنة. وهم السنجال[٢٥٣] أود، كفيل المملكة بعكا، والمقدم إفرير كليام ديباجوك مقدم بيت الديوية، والمقدم إفرير نيكول للورن[٢٥٤] مقدم بيت الاسبتار، والمرشان إفرير كورات نائب بيت مقدم اسبتار الأمـن... وفتوحات حصن الأكراد وأعماله، وصافيتا وأعمالها، وميعار وأعمالها والعريمة وأعمالها، وقدفيا وأعمالها، ومرقية وأعمالها، وحلب وأعمالها، وحصن عكار وأعماله وبلاده، والقليعة[٢٥٥] وأعمالها، وقلعة شيزر..."[٢٥٦].

جاء نفس نص الهدنة عند القلقشندي، على شيء من التعديل في كتابة الأسماء: "... وفتوحات حصن الأكراد المحروس وأعماله، وصافيتا وأعمالها، و(ميعار و) وأعمالها، والعريمة وأعمالها، وقدقيا وأعمالها، وحلبا وأعمالها،

---

252 - المرجع السابق، ص ٢٠ – ٢١.

253 - المرجع السابق، ص ٣٤، حاشية رقم ٥: "السنجال: هذا اللفظ ترجمة حرفية للكلمة الفرنسية (sénéchal) المأخوذة من اللفظ اللاتيني (senescallus) والجرماني (siniscale) وهو الأقرب إلى لفظ السنجال ومعناها هنا النائب – أو الكفيل على حد التعبير العربي في ذلك العصر – والمقصود به أودو بولشيان (Odo Poilechier) نائب المملكة بعكا".

254 - المرجع السابق، ص ٣٥، حاشية رقم ١: "اللورن مقدم بيت الاسبتار، والمقصود بهذا الاسم (Frère Nicholas Le Lorgne)".

255 - المرجع السابق، ص ٣٨، حاشية رقم ٨: "القليعة: لعلها القليعات. والقليعات وصافيتا والمجدل قلاع حصن الأكراد (راجع خريطة كتاب "الصليبيون في المشرق لاستفن سوف" طبع كمبردج سنة ١٩٠٧)". الأصح هي القليعة لا القليعات، وهي غير القليعات بقرب عرقة.

256 - المرجع السابق، ص ٣٤ – ٣٨.

والقليعة[٢٥٧] وأعمالها، وحصن عكار وأعماله وبلاده، وقلعة شيزر وأعمالها، وأفاميا وأعمالها..."[٢٥٨].

نستفيد من مقارنة نصوص الهدنة المذكورة، أولاً، لم يرد اسم طيبو غير مرة واحدة، وفي نص العام ١٢٨٢ فقط. ثانياً، يرد هذا الاسم بشكل طَيبوَا، مما يفسر كتابته الأجنبية (tayibou). ثالثاً، لم يرد حصن عكار في نص هذه الهدنة مع وروده في النص السابق (لعام ١٢٨١م) واللاحق (لعام ١٢٨٣). رابعاً، ليست هناك قيمة ما لترتيب الاسماء، في تعيين مواقعها، إلا في حالات قليلة لا تصح مع طيبو المجهولة، كما هي الحال مع اطليعا الواردة في نص العام ١٢٨١م. خامساً، وهذا هو الأهم: في نص الهدنة ذكر لمناطق معروفة باسم موقع أساسي فيها، وذكر لهذا الموقع الأساسي في إطار تعدادها كمواقع أساسية. مثلاً هناك ذكر ل"بلاد حصن الأكراد..." (وبعد ٣ أسطر) "مملكة صافيتا..." (وبعد سطر واحد)، يبدأ تعداد مواقع الحصون على التوالي: ميعار والعريمة وحلبا وعرقا وطيبوا وقلعة حصن الأكراد والقليعات ومرقية... وعليه إن التعداد الذي اعتمده الأب موراني، نقلاً عن النص باللغة الأجنبية، يبدأ ببلاد حصن الأكراد، وينتهي بالقليعات، بينما النص العربي يذكر "حصن الأكراد" مرتين، مرة في "بلاد حصن الأكراد"، ومرة في "قلعة حصن الأكراد". وقلعة حصن الأكراد ترد ما بين طيبوا والقليعات. وعلى العموم ليس من السهل البت بأمر موضع طيبو، قبل البت بأمر لفظها وكتابتها. وعلى أية حال، إذا كانت طيبو المقصودة هي تلك الواقعة بجوار السنديانة والقبيات، لا بد من ذكر المجدل وحصن عكار إلى جانبها، في نص الهدنة، مراعاة للترتيب الجغرافي، إذا كان هناك من ترتيب في هذا المعنى. بيد أننا نرجح أن تكون طيبو المعنية إما من ملحقات حصن الأكراد، وإما هي في السهل العكاري، بالقرب من عرقة، كما نستبعد أن تكون بجوار السنديانة والقبيات.

والغريب في أمر الأب موراني قوله: " أن حصن طيبو ذكره البطريرك الدويهي باسم طيب (Tîb)[٢٥٩]. إن هذا البرج الذي يذكره البطريرك الدويهي باسم "تيب" يبدو، من نص الدويهي بالذات، أنه كان بالقرب من عرقة في سهل عكار. يقول الدويهي، في معرض كلامه على ملاحقة السلطات العثمانية، في العام ١٦٣٦، ل"ابن علم الدين" حيث حصلت موقعة في جون عكار "فوق برج تيب": "ثم طفروهم من بلاد كسروان. فانهزم حتى وصل إلى بلاد عكار في أوايل أيلول واجتمعوا في قرية عرقا مع عسكر علي ابن سيفا. وأما الدولة

257 - راجع الحاشية رقم ١٣٧.

258 - القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين،الجزء ١٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٧، ص ٦١.

259 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٢٣.

فساروا على درب الساحل (بعكس الآخرين) ودخلوا طرابلوس وخرجوا إلى مقاتلته عند نهر البارد، فانهزم من قدامهم، ثم لحقوه في أرض الجون فوق برج تيب بين الملول فكسروه..."[٢٦٠]. من الواضح تماماً أن برج تيب هذا هو في السهل، في جون عكار، بالقرب من عرقة، وغير طيبو المجاورة للسنديانة والقبيات. فكيف يجعل الأب موراني من البطريرك "شاهد زور" على أن برج طيبو هو بجوار القبيات، بينما هو في الحقيقة "شاهد حق" على أن هذا البرج هو في جون عرقة، لا في جوار القبيات؟

تبقى إشارة بسيطة إلى أن السيد يواكيم الحاج يوافق دوسو على أن طيبو هي في موضع الشيخ طابا، قرب حلبا[٢٦١]. ومع ذلك تراه يحدد موضع طيبو بجوار القبيات بين المجدل والسن[٢٦٢]!

يواكيم: يقتلع "السن" من سورية ويزرعها بجوار القبيات!

تختلف الروايات في تفسير اسم "السن". يرى فريحة الذي لم يذكر السن إلاّ في معرض كلامه على قرية شان في عكار، أن الأبوين حبيقة وأرملة يعتبران "شان" "شام"، "ويفسرانه على أنه سام ابن نوح. أما إذا كان بالنون فهو... shēn : سِن، أو رأس محدد (؟) قمة. وإمكانة أخرى أن يكون تحريف... shenāna المحدد وقمة الجبل، والرأس"[٢٦٣].

وفي "معجم الحضارات السامية" يرد "سن" بوصفه: "الإله القمر في الديانة الأكادية ولدى العرب الأقدمين. كان سين يماثل أحياناً بآلهة السماء. وقد عبد في جميع المناطق السامية"[٢٦٤]. ولقد دخل لفظ سن في تركيب الكثير من أسماء الملوك الأشوريين مثل "سن شار إشكون (٦٢١ – ٦١٢ ق م)"، وقبله الملك سنحاريب "سن آحي اريبا" ومعناه الإله سين زاد عدد الأخوة"[٢٦٥]. ويرى مؤلف هذا المعجم أن سن لفظة من الألفاظ التي اشتهرت بها عبادة القمر: "القمر معبود سامي مشترك كان مركز عبادته في جنوب الجزيرة العربية. عرف باسماء عديدة أهمها: ...، سن وسين وشين وسوين، في بلاد ما بين النهرين وحضرموت ولدى سائر الساميين"[٢٦٦].

وفي سياق كلامه على نهر السن، المعروف في سورية باسم نهر الأبتر، يرد د. عبدالله الحلو، لفظة "سن" إلى أصل أشوري: "نهر السن... التسمية ليست

---

260 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٥١٣.

261 - الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٧٣.

262 - المرجع السابق، ص ٢٢١: "قلعة المجدل وطيبو والسن"، وص ٢٢٣: "قلعة أكروم، طيبو، المجدل..."، وص ٢٦٩: "قلعة طيبو والمجدل والسن...".

263 - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ٩٤.

264 - عبودي، هنري س.: معجم الحضارات...، مرجع سابق، ص ٤٩٤.

265 - المرجع السابق، ص ٤٩٤ – ٤٩٥.

266 - المرجع السابق، ص ٦٩٢.

حديثة بمعنى أنها تعريب لتسمية قديمة جداً للمكان ترد في الكتابات المسمارية الآشورية بشكلين: (أشنو) و(أسانا)"[٢٦٧].

وهناك من يرد لفظ السن إلى عشيرة من أبناء كنعان التي ذكرها سفر التكوين (١٠/١٦)، ويفهم من هذا الذكر التوراتي أن السينيين، ابناء سين الكنعاني كانوا بجوار العرقيين الذين أسسوا مدينة عرقا التاريخية. ويرى البعض أنه إلى هؤلاء السينيين يعود اسم موضع السن.

ولكن ثمة مواقع عديدة، بعضها مشهور للغاية وبعضها مغمور، معروفة باسم "السن" أو "شان" أو باسماء مركبة يدخل فيها هذان اللفظان[٢٦٨]. وعليه ليس من السهل البت بأصل اسم السن العكارية المجاورة للقبيات، وما إذا كانت تعود إلى السينيين (الكنعانيين) أو إلى موقع لعبادة القمر (هذه العبادة الأشورية، السامية المشتركة)، أو إلى موقعها الجغرافي كرأس الجبل أو التلة الحادة. ولكننا نستبعد نسبتها إلى سنان بن عليان، كما يستصوب، بدون أي وجه حق، السيد يواكيم الحاج بقوله: "لماذا لا ننسب قيام هذا الحصن... إلى أحد زعماء القبائل العربية... وقد تكون النسبة إليه أصح وأدق، وهو "سنان" بن عليان أمير بني كلب؟".[٢٦٩]. لايجوز لنا أن ننسب السن إلى سنان بن عليان، لأن المحالفة التي جمعت الثلاثي صالح بن مرداس الكلابي وسنان بن عليان وحسان الطائي، انتهت بسيطرة صالح بن مرداس على عكار، لا سنان بن عليان، ولأن موقع السن أقدم بكثير من هذه المحالفة التي تعود إلى مطلع القرن الحادي عشر[٢٧٠]، كما سيتبين من سياق الكلام اللاحق.

ينطلق السيد يواكيم في كلامه على قلعة السن، من ما هو وارد عند دوسو، في مؤلفه الطبوغرافيا التاريخية...، عن هذا الموضوع. ولكنه يعتبر أن السن التي قصدها دوسو هي تلك الواقعة بجوار القبيات، وهذا ما لا يتفق مع ما قاله دوسو. يقول دوسو، (وكلام دوسو نشره السيد يواكيم الحاج بنصه الفرنسي في مؤلفه بالذات): "إن الموقع الهام في العصور القديمة (l`antiquité) في المنطقة هو السن..."[٢٧١]. ولهذا لا يجوز أن ننسب اسم السن إلى عربي باسم سنان، لأن السن تعود إلى العصور القديمة، لا إلى القرن الحادي عشر.

وليست هذه المغالطة الوحيدة التي يرتكبها السيد يواكيم بخصوص السن وما قاله عنها دوسو. بعد أن يعتبر السيد يواكيم أن السن هي بجوار القبيات، نراه يقول: "وقد كان للسن أهميتها التاريخية لموقعها الجغرافي، كمركز دفاعي

---

[267] - الحلو، د. عبدالله: تحقيقات تاريخية...، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

[268] - راجع مثلاً: ياقوت الحموي، معجم...، ج ٣، ص ٢٦٨ – ٢٦٩.

[269] - الحاج، يواكيم: عكار في...، ج ١، ص ٢٧٨.

[270] - راجع ما جاء حول هذه المحالفة في مواضع أخرى من هذا البحث.

[271] - DUSSAUD: Topographie Historique..., op. cit., p. 88.

حربي، حيث أنها تتوسط شويتا من الغرب، وحلبا من الشرق، وحصن عكار شمالاً، وقلعتي طيبو والمجدل من الجنوب. وأشار إلى ذلك رينه دوسو نقلاً عن ديليتزاك الذي اعتبرها أكثر المواقع أهمية..."[٢٧٢]. كيف تجرأ السيد يواكيم على أن ينسب إلى دوسو كلاماً لم يقله أبداً؟ حبذا لو يشرح لنا! لم يأتِ دوسو أبداً على تفسير أسباب الأهمية التاريخية لموقع السن. وهولم يتجاوز ذكر الأهمية التاريخية لهذا الموقع. كما أنه لم يحدد موقع السن "على مسافة متوسطة بين القبيات (شويتا) من الغرب وحلبا من الشرق، ولا أتى على ذكر طيبو والمجدل في هذا الموضوع إطلاقاً. وما أخذه دوسو عن ديليتزاخ ليس موقع السن بل كون النصوص الأشورية ذكرت السن باسم سيانو فقط.

إليكم كامل نص دوسو حول السن: "إن الموقع الهام في العصور القديمة (l`antiquité) في المنطقة هو السن، التي نجد أصل اسمها العرقي (ethnique) في سفر التكوين[٢٧٣]، والتي تذكرها النصوص الأشورية بشكل سيانو (Sianu)"[٢٧٤]. وثمة من يخطئ في اعتبار الفضل ل"ب. فون بريدنباخ" في اكتشافه، في القرن الخامس عشر، موقع السن على مسافة نصف فرسخ شرقي عرقة لأن هذا الأخير استمد هذه المعلومة من بورشار دي مون سيون الذي زار طرابلس قبل ذلك بقرنين تماماً (١٢٨٣). وأخذ بورشار دي مون سيون كلامه نقلاً عن السكان المحليين[٢٧٥]، ومنذ ذلك الحين غاب كل أثر لهذا الموقع من التاريخ. وإذا لم يكن هناك خطأ في كتابة الاسماء، يمكننا، استناداً إلى خريطة هيئة الأركان الجديدة، بمقياس ٢٠٠٠٠٠، تعيين موضع هذا الموقع القديم في القرية الراهنة شان Schein، جنوب – جنوب – شرق حلبا. ولقد كان الأيطوريون، استناداً إلى سترابون، يستولون، عند مجيء بومبيوس، على مواقع محصنة في أعالي لبنان،

---

[272] - الحاج، يواكيم: عكار في...، ج ١، ص ٢٧٧.

[273] - DUSSAUD: Topographie Historique..., op. cit., p. 88. يبرر دوسو كلامه هذا، في حاشية رقم ٧، ص ٨٨: سفر التكوين، ١٠/ ١٧.

[274] - المرجع السابق. يبرر دوسو كلامه هذا، في حاشية رقم ٨، ص ٨٨: Delitzach, Paradies, p.282. – لم نتمكن من العودة إلى هذا المصدر. ولكنه من الواضح أن دوسو لجأ إليه ليبرر كلامه على ذكر النصوص الأشورية لاسم السن، فقط، لا لموقعها وأهميته كما يدعي يواكيم.

[275] - المرجع السابق، مرجع دوسو هنا هو: BURCHARD DE MONT SION, éd. LAURENT, p. 29 – ص ٨٨، حاشية رقم ١٠، وفيها ينقل دوسو عن بورشار دي مون سيون: "يقول أيضاً استناداً إلى أحد النساطرة: السن: سينوشيم Syn: Synochim. ورد نص بورشار دي مون سيون في: John Pairman BROWN: The Lebanon and Phoenicia, V. 1, Beirut, 1969, p. 34: From the castle Arachas to the east by half a league is the city Syn, which Syneus the son of Chanaan and brother of Aracheus built after the flood not far from Arachas, as Genesis says in the text. A certain Nestorian living there, at my request said that that city was called Synochim. And a certain Sarracen there said the same thing to me.

لا سيما سنا وبوروما، وهذا ما يثبت الأهمية التي كان هذا الموضع يمتاز بها حتى في ذلك الوقت، مما يجعل من المهم معرفة موقعه"[٢٧٦].

يبدو واضحاً للغاية أن السن التي يدور عليها الكلام عند دوسو لا علاقة لها إطلاقاً بالموقع المجاور للقبيات، لأنها تقع على مسافة نصف فرسخ (٢ كلم) فقط جنوب – جنوب – شرق عرقة، هذا بينما تبعد السن المجاورة للقبيات حوالي ١٥ كلم إلى الشرق من عرقة.

كنا نظن أن جهل السيد يواكيم باللغة الفرنسية هو الذي أوقعه في هذا الخطأ. ولكنه تبين لنا أن الرغبة في تعظيم القبيات وما حولها هو الذي ألقى الغشاوة على بصيرته ودفعه لاطلاق العنان لمخيلته. ذلك أن السيد يواكيم الذي خلط قبل قليل، استناداً إلى نص دوسو الفرنسي، بين السن التي قصدها دوسو (شان) أو تلك التي يطرح ضرورة العمل لتعيين موقعها (وهي على بعد ٢ كلم شرقي عرقة)، وبين السن المجاورة للقبيات، يخلط انطلاقاً من نص عربي (ولا عذر له في أن لا يفهم العربية، وهو يصحح كما رأينا سابقاً اللغة المسمارية!) بين جسر نهر السن في سورية، والسن المجاورة للقبيات.

يختم السيد يواكيم الحاج كلامه على السن بنشره نصاً حرفياً لعيسى اسكندر المعلوف، جاء تحت عنوان "موقعة جسر السن". وقدم لهذا النص بقوله: "هذه الوثيقة هي من كتاب تاريخ زحلة للمؤرخ عيسى اسكندر المعلوف. وهي

---

[276] - المرجع السابق، ص ٨٨ – ٨٩. ننقل هنا كامل النص الفرنسي مع حواشيه:

Dans l`antiquité la place importante de cette région était Sin, dont l`ethnique se trouve dans la Genèse (7) et que les textes assyriennes mentionnent sous la forme Sianu (8). On fait à tort honneur à B. von Breydenbach d`avoir découvert au XV^{E} siècle l'emplacement de Sin, à une demi-lieue à l'est d'Arqa (9), car cet auteur emprunte le renseignement à Burchard de Mont-Sion, qui est venu à Tripoli juste deux siècles auparavant (1283). Celui-ci le tenait des indigènes (10), et depuis toute trace en a été perdue. S'il n'y a pas une erreur de transcription, la nouvelle carte d'Ētat-major au 200000^{e} permet d'identifier la vielle localité avec le bourg actuel de Shein. Au sud-sud-est de Halba. D'après Strabon, nous l'avon vu, les Ituréens et les Arabes possédaient, à l'arrivée de Pompée, des places fortes sur les hauteurs du Liban, notamment Sinna et Borroma (1), ce qui atteste, encore à cette époque, l'importance de la place qu'il serait intéressant de reconnaître.

(7) Gen.,X,17;

(8) Delitzach, Paradies, p. 282.

(9) B. VON BREYDENBACH, Reise des Heiligen Landes, I, p. 115.

(10) BURCHARD DE MONT-SION, éd. LAURENT, P. 29: Syn. Il note encore d’après un nestorien: Synochim.

(1) STRABON, XVI, 2, 18…

يبدو أن السيد يواكيم الحاج يجهل الفرنسية ولهذا أساء ترجمة كلام دوسو في تعيينه لمكتشف قلعة السن الذي هو برأي دوسو "بورشار دي مون سيون" لا "ب. فون بريدنباخ". بينما يقول السيد يواكيم: "يظهر أن مكتشف قلعة السن هو السيد "ب. فون بريدنباخ" كما يقول بورشارد" (ص ٢٧٧، ويرفق كلامه هذا بالنص الفرنسي).

دليل إثبات لحقيقة السن وقلعتها في قضاء عكار، متوسطة بين حصن عكار وحلبا: قبالة قلعة المجدل"[٢٧٧]. لنستعرض قسماً من هذا النص، ففيه الإثبات على أن الأمر يتعلق بموقع لا علاقة له إطلاقاً بالسن المجاورة للقبيات. جاء في النص: "في سنة ١٨٣٤م لما استتب الحكم لابراهيم باشا المصري في سورية أخذ يجند الأهلين فعصى سكان بلاد الحصن وعكار وصافيتا ومعظمهم من النصيرية وكان سليم بك أحد قواده الأبطال في تلك الجهة بفيلقه فطلب الوزير من الأمير بشير نجدة له فأرسل ألفي مقاتل بقيادة ولده الأمير خليل ثم أردفها بنجدة ثانية أكثر من خمس مائة مقاتل من زحلة وبسكنتة وكفرعقاب بقيادة هيكل ابن ابراهيم مسلم... فأخذ هؤلاء لهم طريقاً مختصراً فوصلوا إلى جسر نهر السن مقابل تلك البلاد على بعد من طرابلس الشام ونصبوا عليه رايتهم اللبنانية فرآهم النصيريون من أهل الطروطة وبيت ياشور والقراضة الذين كانوا كامنين مقابلهم تحت السريس لقطع طريق الجسر على العسكر المصري..."[٢٧٨].

ثمة في هذا النص العديد من المواقع التي تسهل على القارئ معرفة موضع الموقعة التي يتحدث عنها المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف. بداية هناك كلام واضح على نهر باسم نهر السن، وهو النهر المعروف أيضاً باسم النهر الأبتر في سورية. والنهر الذي يمر في السن المجاورة للقبيات هو نهر عكار ويعرف أيضاً باسم الأسطوان. ثم هناك ذكر لثلاثة قرى "الطروطة وبيت ياشور والقراضة"، وليس في عكار اللبنانية، ولا في جوار القبيات (والسن) قرى بهذه الأسماء، وهذه قرى سورية معروفة. ثم هناك شجر "السريس" الذي توضح طبيعته حاشية في أسفل نفس الصفحة، بأنه نبات لا يعرفه اللبنانيون، وبالتالي غير موجود في مناطقهم، ولا هو موجود في منطقة السن المجاورة للقبيات التي يكثر فيها الصنوبر والسنديان والبطن، ولكن لا يوجد فيها نبات السريس[٢٧٩].

ومع وضوح هذا النص يصر السيد يواكيم على جعل "السن" الواردة فيه هي "السن" المجاورة للقبيات. وبما أن النص بالعربية ولا مجال لجهل السيد يواكيم بها، ليس لدينا من تفسير لموقفه غير قولنا أن عقدة تعظيم القبيات أعمت بصيرته، فتاه عن الحقيقة الجلية أمامه، وراح يختلق "استيهامات" العظمة القاتلة، فنقل جسر نهر السن من سورية وجعله بجوار القبيات، لتكون للبلدة التي يعشقها السيد يواكيم مكانة تاريخية مرموقة. ولا بأس بقليل من "ضغط" الجغرافيا وتبديل المواقع وفاءً لـ"لعظمة" القبياتية!

---

[277] - الحاج، يواكيم: عكار في...، ج ١، ص ٢٧٩.

[278] - المعلوف، عيسى اسكندر: تاريخ زحلة، ط ٣، ١٩٨٤، ص ١٤٦. التشديد لنا.

[279] - المرجع السابق، ص ١٤٦، حاشية رقم ١: "هو نبات شائك يخيم من جوانبه بأشواكه المتدلية الوارفة ويبقى حول جذعه فارغاً فيصلح للمكمن والمخبأ وقد يكبر حجمه إلى علو أذرع فيصير شبه خيمة ولا يعرفه اللبنانيون".

القسم الثاني

الطوبونيميا (Toponymie) والطوبوغرافيا التاريخية

الفصل الأول: في اسم "عكار"

الفصل الثاني: في اسم القبيات

الفصل الثالث: القبيات، الطبوغرافيا التاريخية والطوبونيميا

الفصل الأول

في اسم "عكار"

اسم "عكار" في المصادر والمراجع التاريخية

عندما نشر د. محمد خالد الزعبي كتابه "تاريخ عكار الإسلامي"[1]، في العام ١٩٩٧، تقدم بمعلومة جديدة وفريدة، حول اسم عكار، وهي تستحق المزيد من التدقيق والاهتمام. لقد عاد بهذا الاسم إلى شخص عاش في زمن الخليفة الأموي مروان بن الحكم سنة ٦٤هـ/٦٨٣م. فهو يقول عن هذا الشخص: "هو عكار القضاعي، فقد ورد أن مروان بن الحكم كان أقطع لعكار القضاعي الجبل الذي يلي الساحل إلى حد أرض حمص فهو يسمى جبل ابن عكار". ويوضح الزعبي مرجعه، إنه: "بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم الحلبي مخطوطة أيا صوفيا باستامبول رقم ٣٠٣٦ ص ٤٩٠" [2].

قبل ما كشفه الزعبي كان أقدم تاريخ للفظة عكار قد جاء مقروناً بكلمة ابن: "ابن عكار"، وهنا أيضاً يشير إلى اسم شخص قتل في العام ٢٥٥هـ/٨٦٩م، في زمن الخليفة العباسي محمد المهتدي بالله. وقد ذكر ذلك اليعقوبي، المتوفي عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م، في تاريخه المعروف بتاريخ اليعقوبي، إذ جاء فيه: "ووثب أهل حمص بمحمد بن إسرائيل، فخرج هارباً، ولحقه ابن عكار، فكانت بينهما وقعة قتل فيها ابن عكار، ورجع ابن إسرائيل على البلد..."[3].

وفي القرن الحادي عشر يرد اسم "حصن ابن عكار"، على لسان يحيى بن سعيد بن يحيى الإنطاكي، المتوفي سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٧م، في كتابه الذي عرف باسم "تاريخ الإنطاكي- المعروف بصلة تاريخ أوتيخا". ذكر الانطاكي "حصن ابن عكار" في كلامه على صالح بن مرداس، في أحداث سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م، حيث يقول: "وملك صالح بن مرداس حمص وبعلبك وصيدا وحصن ابن عكار في ناحية طرابلس معما كان في يده من

---

1 - الزعبي، د. محمد خالد: تاريخ عكار الاسلامي والسياسي والحضاري عبر العصور، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.
2 - المرجع السابق، حاشية رقم ٧، ص ٢٦.
3 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، بيروت، المجلد الثاني، ١٩٧٠، ص ٥٠٥.

الرحبة ومنبج وبالس ورفنية"[٤]. يذكر نفس الحادث ابن العديم، المتوفي عام ٦٦٠هـ/١٢٥٨م، بنفس العبارات تقريباً: "وملك صالح في هذه السنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م) حمص، وبعلبك، وصيدا، وحصن ابن عكار بناحية طرابلس. وكان في يده الرحبة، ومنبج، وبالس، ورفنية"[٥].

ومع نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، لا سيما مع تأسيس كونتية طرابلس، بدأت تظهر عبارة "جبل عكار" لتشير إلى واحدة من الإقطاعات التابعة لكونتية طرابلس[٦]. ولا بد أن يكون الصليبيون قد وجدوا تسمية المنطقة باسم "جبل عكار" موجودة، على الأرجح، قبل وصولهم، ولو بشكل محدود. ولعله من المحتمل أنهم أنطلقوا من تسمية لا تتجاوز منطقة الجبال المحيطة ببلدة عكار العتيقة، ولكن إقامة اقطاعية، تجاوزت حدود منطقة الحصن وبلدته، وسعت من حدود المدلول الجغرافي لكلمة عكار.

بيد أن المؤرخين العرب الذي عايشوا المرحلة الصليبية استمروا على استخدام عبارة "حصن عكار" أو "حصن ابن عكار". فها هو ابن شداد، المتوفي عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، يحتفظ بتسميته "حصن ابن عكار"، فهو يقول فيه: "فأما حصن ابن عكار فطوله سبعون درجة... ويغلب على ظني أنه محدث البناء لأني لم أجد له ذكراً فيما طالعته من كتب التواريخ المتقدمة في التأليف والذي وصل علمي إليه ووقف اضطلاعي عليه إن بانيه محرز ابن عكار ولم يزل في يد عقبه إلى أن ملكه منهم أسد الدولة صالح ابن مرداس..."[٧].

---

4 - الانطاكي، يحي بن سعيد بن يحي: تاريخ الانطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، جروس - برس، طرابلس – لبنان ١٩٩٠، ص ٤٠٢.

5 - ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ١، (١ – ٤٥٧هـ)، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م، ص ٢٣٠. لم يذكر صاحب "تاريخ حلب"، المتوفي عام ٥٥٦هـ/١١٦١م، استيلاء صالح بن مرداس على حصن ابن عكار، مع أنه قال: سنة ٤١٧، "ملك صالح بن مرداس حمص وبعلبك وصيدا وحماة ورفنية وبقي مالك ذلك إلى أن قُتل على الأقحوانةسنة عشرين". راجع: الحلبي، محمد بن علي العظيمي (٤٨٣ – ٥٥٦هـ/١٠٩٠ – ١١٦١م): تاريخ حلب، حققه وقدّم له ابراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤، ص ٣٢٧.

6 - ترد عبارة "جبل عكار" في حوليات الحروب الصليبية الأجنبية بأشكال مختلفة، نذكر منها: Gibel Akkar و Jibel Akkar و Jibeltar ...، راجع: E. REY, Colonies Franques de Syrie aux XII et XIII siècles, ALPH. Picard, Editeur, Paris, p. 357 et 367. – كما إنها وردت، في نصوص وخرائط جان ريشار، بشكل: Gibelacar ، وكانت تشير إلى إقطاعة (سنيورية) بويلورين Seigneurie de Gibelacar aux Puylaurens ، راجع: RICHARD, Jean, Le Comté de Tripoli sous la Dynastie Toulousaine (1102-1187) , Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1945.

7 - SOBERNHEIM, Moritz, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum,Tome 25, Deuxième partie, Syrie du Nord, Premier Fascicule, Institut Francais d Archéologie Orientale, le Caire, 1909, p. 6.

واحتفظ النويري، المتوفي عام ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، بعبارة حصن عكار [٨]، وكذلك القلقشندي، المتوفي عام ٨٢١هـ/١٤١٨م[٩].

وعلى أية حال، فإنه مع استقرار الأمور للمماليك وترتيبهم الاداري والدفاعي للسلطنة صار حصن عكار نيابة بأمره عشرة[١٠]، ومنذ ذلك الحين بدأت تسمية عكار تتسع تدريجياً على حساب تقلص موقع وأهمية عرقة. وما إن انتقلت السلطة للعثمانيين، في العام ١٥١٦، حتى زالت أهمية عرقة الادارية بعدما تمكن آل سيفا من القضاء على حكامها آل شعيب مع أواخر العقد الثالث من القرن السادس عشر. ومنذ ذلك الحين صار اسم عكار يترسخ أكثر فأكثر ليشمل مساحة غطت جرود عكار وسهلها الساحلي والداخلي (البقيعة)، وامتد ليشمل مناطق داخل الأراضي السورية، كما سنرى في فصول لاحقة. وهكذا انتقلت عبارة عكار من كونها اسم علم للإنسان إلى صفة لتعيين حصن، إلى نيابة عشرة، فناحية، فمقاطعة، فبلاد، فإمارة، فقضاء، دونما أن يعني ذلك إشارة إلى خط تطور تصاعدي، ذلك أن مساحة عكار ومدلول الكلمة تعرضا لتبدلات وتغيرات في الاتساع والضمور بشكل غير منتظم.

اسم عكار في التأريخ الخاص بعكار

١- **"ولاية بيروت":** يعتبر كتاب "ولاية بيروت" (في مطلع القرن العشرين) أول بحث جدي تم فيه طرح أوضاع قضاء عكار في هذا القرن[١١]. ما يهمنا منه هنا ما يتعلق باسم قضاء عكار. يعتمد مؤلفا الكتاب، في هذا الشأن، موقفاً يربط الاسم "عكار" بشخص "محرز بن عكار" كمؤسس لقلعة عكار. يقولان: "توجد اليوم على هضبة أمام قرية عكار العتيقة، أنقاض حصن عكار الذي كان يسكنه فرسان سان جان في أيام الصليبيين. ويُروى أن مؤسس هذه القلعة هو رجل يدعى "محرز بن عكار". وأن قد ظلّت في حوزة أحفاده إلى سنة ٤١٤هـ. واستولى عليها في هذا التاريخ "صالح بن مرداس" حاكم حلب، ثم بعد عشرة سنين ضمت إلى السلطنة المصرية في زمن "الزاهر" من الخلفاء الفاطميين"[١٢]. لا يوضح الكاتبان مصدرهما. ولكنه يغلب على ظني بهما،

---

8 - المرجع السابق، ص ٨.

9 - القلقشندي، أحمد بن علي: صبع الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلّق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيرةت، ج ١٤، ط ١، ١٩٨٧، ص٦١.

10 - سنتعرض لتفصيل ذلك لاحقاً.

11 - التميمي، رفيق، وبهجت، محمد: ولاية بيروت، مطبعة الولاية، القسم الشمالي (القسم الثاني)، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ٢ نيسان ١٩٧٩. مع أن هذه الطبعة مصورة عن الأصل فقد تم إسقاط بعض موضوعاتها، دونما وجود مبرر منطقي.

12 - المرجع السابق، ص ٢٣٨.

استناداً إلــى مراجعتـي للائحـة مراجعهمـا، أنهمـا يعتمـدان رأي "ابـن شـدّاد"، وهـو على حد علمـي أول مـن حـدد شخصـية بـاني حصـن عكـار. ولعـل هـذه الطريقـة فـي تعيين وتفسير اسم القضاء عكار، بالاستناد إلـى شـخص مـا باسـم عكـار (سـواء كـان "عكار" اسم لعائلة أو لشخص مفرد) هي الأصح.

٢- "جبل هكار"

ثمة كاتبان آخران طرحا، عَرَضاَ، تعليلاً لاسم عكار، فـي سياق بحثهمـا فـي الأصـول الاثنيـة والأعـراق والأديـان عنـد الـشعوب التـي تكـون منهـا، عبـر التـاريخ، الـشعب اللبنـاني. فقـالا تحـت عنـوان "الأكـراد ١٥٢٨م-٩٣٢هـ": "فـي شمال العراق يقع جبل "هكـار" وأكثـر سكانه أكـراد، ومـنهم جماعـة حلّـت شـمال لبنان، في سلسلة جبال الكلبية الجنوبية، وقد أسـموا القسم الـذي نزلـوا فيـه، باسـم جبلهم هناك، إلاّ أن الغرب نطقت به "عكار"، ثم عمّ الاسم المنطقـة جميعهـا وقـد عُرفت إمارتهم باسم إمارة آل سيفا، ودامت نحو قرنين..."[١٣].

هذه الطريقة في تعيين اسم عكار بعيدة كل البعد عن الواقعية. انها تجعل الاسم حديث الظهـور (القرن الـسادس عشر)، وتربطـه بوصـول جماعـة كرديـة عام ١٥٢٨م إلى المنطقة (يوضح النص أن المقصود آل سيفا). هذا فـي حين أن اسم "حـصن ابـن عكـار" أقـدم فـي ظهـوره بكثيـر، إذ يعـود، كمـا هـو محقـق فـي المصادر العربية التي ذكرناهـا، إلى أواسط القرن الحادي عشر، علـى الأقل[١٤]. كمـا أن اسـم "ابـن عكـار" يعـود للعـام ٨٦٩م، تبعـاً لمـا ذكـره اليعقـوبي[١٥]. هـذا فضلاً عن أن الكاتبـان ينسبان التسمية إلـى تحريـف الغـرب للفظـة "هكـار"، ممـا يوحي أن التسمية أُخذت ،محلياً، عن تحريف غربي، وهذا غير مقبول.

٣- الياس جريج

فـي العـام ١٩٧٩، وضـع اليـاس جـريج رسـالة ماجـستير فـي التـاريخ حـول تطـور المجتمـع العكـاري، فـي القـرن العـشرين. ولقـد كـان عملـه أول محاولـة عصرية جدية في معالجة التاريخ الاجتماعي – الاقتصادي لعكار. اعتمد الباحث

---

13 - المدني، هاشم دفتردار والزعبي، محمد علي: الاسلام والمسيحية في لبنان، مطبعة الإنصاف، بيروت، ط ٢، ص ٥٣.

14 - الانطاكي، مرجع سابق، ص ٤٠٢.

15 - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ص ٥٠٥.

جريج في في عمله، ما جاء به كاتبا "ولاية بيروت"، لتفسير اسم عكار، ووافقهما على ما تقدما به[١٦].

٤- حبلص: "عكار: اللصوصية والشقاوة"

عندما نشر د. فاروق حبلص "تاريخ عكار"[١٧]، توقف، في الفصل الأول من مؤلفه، أمام الاسم "عكار"، ولكنه رفض رد التسمية إلى شخص ما يحمل اسم عكار، وربطها بالاشتقاق اللغوي كصفة اتصف بها أبناء المنطقة فكانوا "عكّارة". وأضفى د. حبلص إلى "العكّارة" صفة اللصوصية يمارسها الأشقياء وهو يزعم بذلك انطلاقه من المعنى اللغوي كما جاء في قاموس اللغة العربية (المنجد). ولما كنا نعتقد أنه أخطأ "بالجملة والمفرق" – كما يقال – فإننا نورد كيفية تفسيره لظهور اسم عكار بنصه الحرفي.
بدايةً نؤكد موافقتنا مع حبلص على أن عكار ليست تحريفاً لكلمة سريانية ما، ولا هي ترتبط باحتراف الزراعة أو بالتربة السوداء، كما ورد عند البعض. ولكنه يقول: "ورد في قاموس اللغة العربية (المنجد) أن العكارة هي صيغة المبالغة من فعل عكر، وهي تعني الرجل الشديد الكر، ومذكرها العكار[١٨]. وتفيد المعلومات التاريخية أن حصن عكار كان منذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر وحتى مطلع القرن الرابع عشر، ملجأ فرسان ولصوص مارسوا أعمال الكر والفر وتوفرت فيهم صفة العكار. إذ تحصن فيه في تلك الفترة فرسان الاسبتارية الذين قاموا بنشاطات عسكرية واسعة شملت السواحل من طرابلس حتى حصن الأكراد، ثم تحول عام ١٢٧١م إلى مركز استراتيجي للمماليك، انطلقت منه غاراتهم المتكررة على كونتية طرابلس. أما أعمال اللصوصية، فقد مارسها الأشقياء الذين سكنوا عكار العتيقة في المرحلة الانتقالية من الإمارة الصليبية إلى الحكم المملوكي، وكانوا يغيرون على القوافل التجارية أثناء عبورها ممر طرابلس- حمص. فانطلاقاً من هذه الأحداث ومن معنى كلمة

---

[16] - جريج، الياس: تطور المجتمع العكاري خلال النصف الأول من القرن العشرين، رسالة ماجستير في التاريخ، بإشراف د. مسعود ضاهر، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ١٩٧٩، (غير منشورة). تعتبر هذه الرسالة أول بحث جدي في تاريخ عكار، وكثيراً ما انطلق منها الآخرون أو اعتمدوا على مصادرها، دونما أي إشارة منهم لذلك.

[17] - حبلص، د. فاروق: تاريخ عكار الاداري والاجتماعي والاقتصادي (١٧٠٠ – ١٩١٤)، دار لحد خاطر، دار الدائرة، بيروت، ١٩٨٧. عمل على درجة عالية من الجدية ومرجع يمكن الركون إليه لحد كبير.

[18] - لا ندري كيف وقع هذا الباحث في هذه الهفوة. تعني كلمة "عكارة" "الرجل الشديد الكر"، ثم نقول: "ومذكرها العكار"، فهل من مذكر للرجل؟

عكار، يمكننا القول أن القرية والحصن حملا اسم عكار نسبة إلى سكانها العكارة الأشداء"[١٩].

واضح من سياق هذا النص أن المؤلف انطلق من معنى إيجابي لكلمة عكارة، أي الفارس الذي يمارس أسلوب التراجع والانقضاض، بتكرار، وانتهى به لصاً في عداد الأشقياء. وفي هذا المنطق مخالفة لأمانة التفسير اللغوي. فالعكارة في المنجد هي "الكثير الكر" لا يمارس اللصوصية. وفي "لسان العرب": رجل عكار في الحرب عطاف كرار... وفي الحديث: أنتم العكارون لا الفرارون أي الكرارون إلى الحرب والعاطفون نحوها. قال ابن الاعرابي: العكار الذي يولي في الحروب ثم يكر راجعاً[٢٠]. وعليه لا ينطوي معنى العكار هنا على سمة سلبية، كما ينتهي د. حبلص، الذي كان أولى به الرجوع إلى مرجع لغوي يتجاوز في فائدته أغراض الدراسة في المرحلة التعليمية المتوسطة. ولو فعل لوجد أن لفظة عكر أغنى بكثير مما توهم.

فالعكرة: "القطعة من الإبل، وقيل: العكرة الستون منها. وقال أبو عبيد: العكرة ما بين الخمسين إلى المائة. وقال الأصمعي: العكرة الخمسون إلى الستين إلى السبعين، وقيل: العكرة الكثير من الإبل، وقيل العكر ما فوق خمسمائة من الإبل، والعكر جمع عكرة، وهي القطيع الضخم من الإبل. ويقال: أعكر الرجل إذا كان عنده عكرة..."[٢١].

إن في هذا المعنى ما قد يفيدنا في البحث عن أصل كلمة عكار. فهل كانت عكار مكاناً فيه الكثير من الإبل أو الكثير من أصحابها؟ هذا ما تؤكده أقوال الرحالة وخاصة أقوال المؤرخين الغربيين، لدرجة أنهم أطلقوا على حمص وسهل البقيعة وعكار، اسم La Chamele، في وثائقهم[٢٢]. لا نقول ذلك لنحسم

---

19 - حبلص: مرجع سابق، ص ١٤ – ١٥.

20 - ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار الجيل، المجلد ٤، ١٩٨٨، ص ٨٥١.

21 - المرجع السابق، ص ٨٥١ – ٨٥٢.

22 - يذكر ديشان Deschamps أن أكثر ما أذهل السائح بورشار دي مون سيون Burchard de Mont Sion لدى مروره في سهل عكار هو قطعان الجمال الضخمة، "عددها عدة آلاف". كما يذكر أن ألبير ديكس Albert d Aix سمى البقيعة في مطلع القرن الثاني عشر باسم "وادي الجمال". راجع: DESCHAMPS, Paul, Les Chateaux des Croisés en Terre Sainte, le Crac des Chevaliers, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1934, p. 110. – راجع أيضاً: Albert d AIX, Conquete de la Terre Sainte, (1096,1118), Introduction et Notes par M. GUIZOT, Les Editions de l Orient, 1993, Beyrouth, Liban, p. 296 : حيث يقول: "تابع الحجاج سيرهم ووصلوا إلى وادٍ باسم وادي الجمال، وهناك استولوا على كثير من الغنائم والمؤن، وانطلقوا من هناك لمحاصرة الحصن المعروف باسم عرقة...". وإذا ما اعترض معترض على الكلام عن الجمال عكار وجبال عكار، فإننا نكتفي بما ذكره جون كارن عن بركهارت، وهو يتحدث عن الجمال في مرتفعات جبال الأرز: "شد ما عجبت أن أرى على هذا العلو في الجبل عدداً من الجمال والأكواخ العربية... ومع أن هؤلاء القوم يعيشون كالبدو... لا يملكون عدا الجمال سوى الخيول والأبقار

الربط بين اسم منطقة عكار وازدهار تربية الجمال في سهلها، بل نشير إلى غنى الكلمة ومدلولها.

غير أن الأمر لا يحتاج إلى بحث كبير عندما ندرك أن كلمة عكار هي اسم علم عربي تعترف به المراجع العربية: "وعاكِرٌ وعُكَيْر ومِعْكَر وعكّار: أسماء"[٢٣]. وعليه إذا كانت شخصية محرز بن عكار غامضة، فإن ذلك لا يدفعنا إلى رفض نسبة المنطقة إلى شخصية بهذا الاسم، بل يدفعنا إلى مزيد من البحث لجلاء الغموض، كما فعل د. الزعبي[٢٤]. وذلك بدل اللجوء إلى مغالطات لغوية، أشرنا إليها، وإلى أخرى تاريخية نوجزها بما سيأتي. إن حصن عكار لم يكن على تلك الأهمية التي ينسبها له د. حبلص بحيث يتميز فرسانه (الاسبتارية) باسم العكاريين. ولم يكن ميدان نشاط فرسانه على هذه السعة "السواحل من طرابلس حتى حصن الأكراد". وإلاّ ما قيمة مواقع عرقة وحلبا والقليعات وطرطوس وسائر التحصينات المؤدية إلى حصن الأكراد؟ ولقد كان هذا الأخير أهم موقع عسكري بيد الصليبيين الأسبتارية على حدود كونتية طرابلس، لدرجة أن المقدم صاحب حصن الأكراد كان "شجاً في حلوق المسلمين". من المعروف أن الاستيلاء على مثلث القليعات ـ حلبا ـ عرقة كان مقدمة لإسقاط طرابلس بيد المماليك. كما أن دارسي الحروب والقلاع الصليبية من الفرنجة يسمون حصن عكار: الحصن الصغير "Le petit château"، فهو ليس قلعة ضخمة.

أما ما يسميه د. حبلص "المرحلة الانتقالية من الإمارة الصليبية إلى الحكم المملوكي"، أي ما يُفهم بأنه أشبه بمرحلة فراغ السلطة التي نشط عبرها اللصوص المزعومون، فهو شطط في التقدير ما كان في ظننا ليقع فيه المؤرخ د. حبلص. كانت السلطة المملوكية قوية كفاية وناظمة للأمور. فما أن افتتح السلطان حصن الأكراد وحصن عكار، حتى بدأت فوراً أعمال الترميم وتنظيم الأحكام، وضبط الأمور. وبمعنى أدق لم يكن فتح حصن عكار مجرد غارة عابرة، بل أسس لإقامة سلطة جديدة، لا مكان فيها، خاصة في البداية، لأعمال اللصوصية، وبشكل أخص لصوصية الاسبتارية المهزومين. بقي أن نشير إلى أن اسم "ابن عكار" و"حصن عكار" أقدم بكثير من زمن القرنين الثالث عشر والرابع عشر.

والأغنام والماعز. فالعبارة القديمة: "يا ساكن لبنان الذي يبني عشه في الأرز" لا تنطبق اليوم إلاّ على هؤلاء البداة الطوافين... الرعاة خمسة أشهر في أعالي جبال الأرز، والباقي على السواحل بين طرابلس وطرطوس...". راجع: جون كارن، رحلة في لبنان في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، ترجمة رئيف خوري، من كتاب: سورية والأرض المقدسة وآسيا الصغرى...، منشورات دار المكشوف، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٠٤.

[23] - ابن منظور: لسان العرب المحيط، مرجع سابق، ص ٨٥٢. وفي "سجل أسماء العرب" (إشراف محمد ابن الزبير، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان، بيروت، م ٤، ١٩٩١): "عكّار من (ع ك ر) كثير العطف على الشيء والرجوع إليه (ص ٢٠٤٠).

[24] - مرجع سابق.

وإذا كانت الحوليات العربية لم تذكر عكار في زمن الفتح العربي وقبله، فان هذا لا يثبت عدم وجود الاسم، وإن برهن على قلة أهمية المنطقة، كما إنه لا ينفي ذكرها في مراحل سابقة على الوجود الصليبي ونهايته، حتى في نفس المراجع التي ذكرها د. حبلص بالذات.

٥- د. سلوم: "لا وجود للفظة عكار في اللغة العربية" ؟ !

يستعرض د. سلوم ما أدلى به "فريحة" و"حبلص" في تفسير اسم "عكار". فيرفض تأويله بصفة الحرث والزرع، أو سواد التربة، أو الصد والمنع. ويشير إلى احتمال أقوى: "إن عكار حملت الاسم نسبة إلى شخصية تاريخية أشارت إليها روايات متعددة. هذه الشخصية هي "محرز بن عكار" الذي بنى الحصن المشهور ب"حصن عكار" أو "حصن ابن عكار"..."[٢٥]. ويتابع قائلاً، وهو يسند ما يقول إلى "اليعقوبي" (تاريخ اليعقوبي) وإلى د. عمر عبد السلام تدمري، في تاريخه عن طرابلس: "وقد تداول الغزاة هذا الحصن منذ سنة ٨٦٩م (٢٥٥هـ) عندما قُتل صاحبه في واقعة مع محمد بن اسرائيل صاحب حمص كما ذكر اليعقوبي..."[٢٦]. وفي الحقيقة لم يفعل اليعقوبي غير أمر واحد وهوذكره لوثوب أهل حمص على محمد بن إسرائيل، وأن ابن عكار لحقه وقُتل: ووثب أهل حمص بمحمد بن إسرائيل، فخرج هارباً، ولحقه ابن عكار، فكانت بينهما وقعة قُتل فيها ابن عكار، ورجع ابن إسرائيل على البلد"[٢٧]. لم يأتِ اليعقوبي على ذكر حصن ابن عكار، ولا حدد هوية ابن عكار، ولا تحدث عن مصير الحصن، كقول د. سلوم: "تداول الغزاة هذا الحصن منذ سنة ٨٦٩م"، لا سيما وأن اليعقوبي توفي في العام ٨٩٧م، فهو لم يعش طويلاً جداً بعد مقتل "ابن عكار" (٨٦٩م)، ليعرف مصير الحصن وتداول الغزاة له. أما د. تدمري الذي يستند إليه د. سلوم، فلم يقل ما ينسبه إليه، من تداول الغزاة للحصن بعد مقتل ابن عكار، بل قال في حاشية له في إسفل الصفحة ٢٢٣ من مؤلفه المذكور[٢٨]: "وقيل أن بانيه هو "محرز بن عكار"، ولم يزل في يد عقبه إلى أن ملكه ابن مرداس سنة ٤١٦هـ"، أي بقي الحصن في يد عقب محرز بن عكار حتى العام ١٠٢٥م، كذلك لم يذكر استيلاء الغزاة على الحصن، كما يُقوِّله سلوم.

---

[25] - سلوم، د. فوءاد: دريب – عكار، ١٨٥٠ – ١٩٥٠، دراسة في التاريخ الاجتماعي، إشراف د. جان شرف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الروح القدس – الكسليك، كلية الآداب – معهد التاريخ، ١٩٩٢، ص ٣٣.

[26] - المرجع السابق، ص ٣٣.

[27] - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٠٥.

[28] - تدمري، د. عمر عبد السلام: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج ١، مطابع دار البلاد، طرابلس، لبنان، ١٩٧٨، حاشية رقم ١١٦، ص ٢٢٣.

ومع تأكيد سلوم على أن لفظة عكار علم لشخص، إلاّ أنه يرفض اعتبار هذا العلم من أعلام اللغة العربية، كما يرفض وجود لفظة عكار في اللغة العربية، فهو يقول: "لا وجود للفظة عكار في اللغة العربية"[٢٩]. يبدو أن د. سلوم، مع كونه مدرّس اللغة العربية، لا "يتقن" غير الآرامية، ولعله لم يراجع "المنجد في اللغة والأعلام"، ونكتفي هنا باحالته إلى ما قلناه في ما سبق ليتعرف إلى غنى كلمة عكار ومشتقاتها وأصلها العربي وإلى كون هذه اللفظة هي أيضاً اسم علم عربي بالتحديد. ينطلق د. سلوم، في رفضه لكون "عكار" لفظة عربية تدل على علم لشخص، من زجلية ابن القلاعي، وبالضبط من أبيات في هذه الزجلية عيّنها سلوم بنفسه، ومنها يستنتج ويوحي بأن "ابن عكار" بطل من أبطال "حروب المقدمين"[٣٠]، وقد ذكره ابن القلاعي. ماذا تقول هذه الأبيات التي حددها سلوم [٣١]؟ في ص ٩٣، بيت رقم ٤٣، نقرأ:

"اجتمعون أربعون اسقف من الدريب لبلاد الشوف

ودهنوا لسمعان الموصوف ملك على الخارجة وهي كسروان".

لا نجد هنا ذكراً للفظة عكار ولا "ابن عكار". نجد لفظة الدريب، وهي تشير إلى منطقة من عكار، ولكن ذكرها هنا لا يفيدنا في فهم أو تفسير لفظة عكار، ولا في توضيح الشخصية التاريخية ل"محرز بن عكار" ولا "للشخصية التاريخية" التي اشتركت في "حروب المقدمين"، كما وعد سلوم. ومن البيت رقم ٤٣ يقفز إلى ص ١٠٤، بيت رقم ١٦٥، حيث نقرأ:

"عكر مع أخيه مسرور طاحوا الخندق ثقبوا السور

وفتحوا الأبواب بغير دستور وقتلوا الحراس والأعوان".

كل ما في الأمر هنا هو ورود لفظة "عكر" التي تكررت في ص ١٢٥، في الحاشية رقم ٤٨٠: "عكار ب، معكر ج". تعني هذه الحاشية أن لفظة "عكار" وردت في مخطوطة (ب) فيطرون (تاريخ ١٦٥٥). وأن لفظة "معكر" وردت في مخطوطة (ج) بيروت (١٦٧٢). في حين أن لفظة "عكر" وردت في

---

29 - سلوم: دريب...، مرجع سابق، ص ٣٣.

30 - "إن ابن القلاعي قد أشار في زجليته "حروب المقدمين" إلى شخصية تاريخية تحمل هذا الاسم، واشتركت في الحروب ضد المسلمين، في زمن لم يعينه"، سلوم: المرجع السابق، ص ٣٤.

31 - حدد د. سلوم هذه الأبيات في ص ٣٤، الحاشية رقم ١، كما يلي: ابن القلاعي، جبرائيل: زجليات، دراسة وتحقيق بطرس الجميل، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢، ص ٩٣، بيت رقم ٤٣، وص ١٠٤ بيت رقم ١٦٥، وص ١٢٥، في الهامش.

النص الفاتيكاني في السريانية [٣٢]. وعليه نحن هنا أمام ثلاث ألفاظ: عكر، عكار، معكر. فأيها نعتمد؟

قبل أن نجيب تجدر بنا الاشارة إلى أن سلوم يريد أن يقول بوجود شخصية تاريخية، باسم عكار، يجب أن تكون مارونية، لأنها اشتركت في "حروب المقدمين" الموارنة، ضد المسلمين[٣٣]. وبالتالي من اسم هذه الشخصية نحدد أصل ومعنى لفظة عكار: إنها آرامية! ومن المفيد هنا أن نعرض نص سلوم بكامله: "ومما يعزز كون هذه التسمية (يقصد عكار) علماً لشخص هو أن ابن القلاعي قد أشار في زجليته "حروب المقدمين" إلى شخصية تاريخية تحمل هذا الاسم، واشتركت في الحروب ضد المسلمين، في زمن لم يعينه، ولكنه كما يُفهم من سياق الرواية، لا يبعد عن الزمن الذي عينه اليعقوبي، أي حول السنة ٨٦٩م، وهو زمن كانت فيه عكار، في أجزائها الجبلية، تغص بالنصارى. وعلى هذا الاعتبار لا نستبعد أن يكون أصل التسمية من "الصد والمنع" اشتقاقاً لغوياً وليس صفة، وقد ورد في الآرامية على صيغة اسم الفاعل، وهو كثير في أعلام الأشخاص، فيقال: مانع، حارث، صادق..."[٣٤].

هل نكون مبالغين إذا قلنا أن غرض هذه الرواية التي "يركبها" سلوم هو أن توحي بأن عكار "الشخصية التاريخية" هو هو تقريباً "ابن عكار" الذي يذكره اليعقوبي؟ وأن عكار الماروني، يشارك، بوصفه من موارنة منطقة عكار التي كانت تغص بالنصارى، في حروب مقدمي موارنة الجبل ضد المسلمين؟ وما هو معنى، أو قيمة "اختراع" التزامن بين ذكر "عكر" ابن القلاعي وموت "ابن عكار" عند اليعقوبي؟ فكأن المقصود أن اسم عكار يعود لشخص مسيحي (ماروني)، وبالتالي فأصل الاسم غير عربي، إنه آرامي. ترى، هل يظن سلوم أنه ليست هناك صلة بين المسيحيين والعرب؟ وهل يكفي أن يكون صاحب الاسم مسيحياً ليكون اسمه بالضرورة غير عربي؟ نعتقد أنه يذهب هذا المذهب، ولذلك يبحث عن أصل هذا الاسم في الآرامية. هذا مع العلم أن العرب كانوا قبل الاسلام في بلادنا، كما كانوا قبل المسيحية أيضاً، وكذلك هم في عداد من بشرهم الرسل منذ مطلع المسيحية، وبقي بعد الفتح الاسلامي قسم كبير منهم على النصرانية.

نعود إلى سوءالنا: تذكر مخطوطات ابن القلاعي لفظة "عكر" و"عكار" و"معكر"، فأيها نعتمد؟ إن سياق الزجلية في هذا الموضع منها حيث ترد هذه الألفاظ الثلاث فيه تعداد لأسماء المقدمين الموارنة الذين انبروا لمحاربة مقدمي

---

32 - ابن القلاعي: المرجع السابق، ص ٨٤.

33 - سلوم: دريب...، مرجع سابق، ص ٣٤.

34 - المرجع السابق، ص ٣٤.

موارنة "ضالين" (هراطقة) وآخرين يعاقبة وغيرهم روم ومحاربة المسلمين. إن تعداد الأسماء يرد كما يلي:

"بيت ١٤٧ | وجا من ناحية أخرى ضربه | ناس من حوران سكنوا العربه
| والموت جابوه في قربه | سكبوه على أهل حبل لبنان
بيت ١٤٨ | رزايا يعاقبه في الجبه | ورزايا يواننه في العربه
| المقدم تحت حروم صعبه | لأجل الوظيفة والحلفان
بيت ١٤٩ | وكل الشعب ثبت ضده | ومن الطاعة حلون جنده
| وصار مخزي محروم وحده | تلطى من قوم طغيان
(وفي مخطوطة أخرى) | | "تلطى مع قوم سريان"
بيت ١٥٠ | وسمعوا بالحروم (الحرم) الاسلام | وكان عسكرهم في الشام
| وقد جاوا لطرابلس قوام | ولا وقف قدامهم انسان
بيت ١٥٢ | وثبتوا يحاصروا الأسوار | ست أشهر كشفوا الأسرار
| ان الله لأجل الأشرار | يعطي طرابلس لحمدان
بيت ١٥٣ | قسيس جاهم من مار آسيا | واخبرهم بكل الآشيا
| في سوباط (شباط) تموت الاحيا | بسفك الدم من يد حمدان
بيت ١٥٨ | جاون الاسلام على غفلة | وجدوا الابواب منقفلة
| (وجوه المسلمين على غفلة) |
| والنار في البيوت منشعله | ولا صامد غير الحيطان
بيت ١٥٩ | مقدمين الاجبال سمعوا (علموا) | دقوا النواقيس اجتمعوا
| في المدفون والفيدار اقترعوا | بالفين مع الفين سجعان
بيت ١٦٠ | تلاتين ألف نزلوا عسكر | من الاجبال زي الأمطار
| حمدان خارج يتخطر | لقي الموت حاضر في الميدان

بيت ١٦١	اول من فيه اتبلش	المقدم خالد من مشمش
	اخد راس حمدان كان راس باش	وحطه في وسط الميدان
بيت ١٦٢	سنان وسليمان من ايليج	دخلوا بعريرا وعجيج
	زي السباع الذي يتهيج	بسيفين دخلوا للميدان
بيت ١٦٣	وعملوا في زي الحصاد	الواحد جايب والواحد خد
	النار تقدح من البولاد	والروس طايرة بالحيطان
بيت ١٦٤	سعاده وسركيس من لحفد	حصان أبيض وحصان أسود
	خاضوا بالدم الجامد	وصبغهم بزي القطران
بيت ١٦٥	**عكر** مع أخيه مسرور	طاحوا الخندق ثقبوا السور
	(**معكر** مع اخيه مسرور)	
	(**عكار** مع اخيه مسرور)	
	وفتحوا الابواب بغير دستور	وقتلوا الحراس والاعوان
بيت ١٦٧	وتركوا جبيل وعره قفره	لا من يكتب ولا من يقرا
	وكل الكنايس منهجره	لا ناقوس ولا صلبان
بيت ١٦٨	اما المقدم بنيمين	الذي أصله من حردين
	هناك قتلوه المسلمين	وغيره ليس قتلوا انسان
بيت ١٧٠	والذين كانوا في الفيدار	جاوهم الاكراد في عسكر
	وليس عرفوا ان احد على النهر	ولا خلص منهم انسان
بيت ١٧١	وجابوا سلاحات الاكراد	وجاوا في سنجق على الاجواد
	وجدوهم على اكل الزاد	والعسكر مسرور فرحان"[٣٥].

[35] - ابن القلاعي: مرجع سابق، ص ١٠٢ و١٠٣ و١٠٤.

بالطبع، يشبه نص هذه الزجلية قصص "الزير وأبو ليلى المهلهل" حيث تتدحرج الرؤوس، دون معرفة "المقتول من المجروح". وإذا كان الجانب الأدبي لا يعنينا هنا، فإن الجانب التاريخي على درجة هائلة من التشويش والإبهام. بيد أن الظاهر هو المواجهة بين المقدمين الثابتين على الإيمان الماروني، من جهة، والمقدمين "الضالين" من يعاقبة وأرثوذكس (يونانيين)والمسلمين، من جهة أخرى. وهنا ترد أسماء جملة من المقدمين. والملاحظ في البيت ١٦٢ ذكر "سنان وسليمان"، ثم يأتي البيت ١٦٣ يستكمل وصف أعمالهما. والبيت ١٦٤ يذكر "سعاده وسركيس"، أفلا يُحتمل أن يكون البيت ١٦٥ حيث يرد اسم "عكر" (أو "معكر" أو "عكار") هو توضيح للبيت ١٦٤، كأن "سعاده وسركيس" أخوان عكرا، أي صالا وجالا، ولذلك "طاحوا الخندق ثقبوا السور"؟ إننا نظن البيت ١٦٥ استكمالاً للبيت ١٦٤. وكذلك هي أيضاً حال البيت ١٦٩ الذي يستكمل البيت ١٦٨، في توضيح موت المقدم بنيمين. وعليه لا نظن أن لفظة "عكر" ترد هنا كاسم علم لمقدم ما، بل كصفة لما هو عليه (أو كفعل لما قام به) "سعاده" في البيت ١٦٤. هذا فضلاً عن أن الأدب الماروني بمجمله لم يطلعنا على اسم علم "عكر" أو "معكر" أو "عكار"، ولا على شخصية من المقدمين تحمل هذا الاسم.

بيد أن التزامن الذي يدعيه د. سلوم والمؤدي برأيه إلى شيء من المطابقة بين "ابن عكار" الذي قصده اليعقوبي و"عكر" (أو معكر أو عكار) الذي ذكره ابن القلاعي، هو محض افتراض لا أساس له، فالحوادث المرافقة لورود اسم "عكر" (ابن القلاعي) تبعد أكثر من بضعة قرون عن ورود اسم "ابن عكار" (اليعقوبي أوابن شداد)، وعليه لا تصح المطابقة أو التقريب بين الشخصيتين.

٥- الأب نايف اسطفان: من العكر إلى "محرز بن عكار".

لم يتوقف الأب نايف اسطفان[٣٦] طويلاً أمام التسمية. اكتفى ببضعة اسطر جاءت تحت عنوان "معنى اسم عكار"، حيث أشار إلى اختلاف الباحثين في تفسير كلمة "عكار"، من جذر "عكر"، بمعنى "المنع والحجز"، أو "سواد التربة"، أو "الفلاح"، أو "ضد الصفاء والنقاء". ولكنه قرر، تحت عنوان آخر، "تاريخ بناء الحصن أو القصر" (يقصد حصن عكار)، أن بانيه هو محرز بن

[36] - اسطفان، الأب نايف: تاريخ أبرشية عكار الأرثوذكسية، المطبعة البولسية، جونية – لبنان، ١٩٩٤.

عكـار، وأن الحصن "اكتسب شهرة عظيمة. فعرفت المنطقة الممتدة من نهر البارد حتى جبال صافيتا بمنطقة عكار"(٣٧)، وذلك دون أن يسند كلامه أو يبرره.

٦- يواكيم الحاج: يهرف في ما لا يعرف !

يوافق السيد الحاج، في ما جمعه تحت عنوان "عكار في التاريخ" (٣٨)، على كل الأنماط التي فسرت كلمة عكار. ولعل أفضل موقف منها أن نعرضها كما جاءت بقلمه: "أما ما قيل فيها أنها لفظة عربية وآرامية تعني "أكاراً" أي فلاحاً، فهذا ينطبق على الفلاح الذي كان يُدعى "محرز" كما هو مذكور في كتاب ولاية بيروت المجلد الثاني لتميمي وبهجت"(٣٩). طبعاً، لا يذكر مؤلفا "ولاية بيروت" مهنة "محرز بن عكار"، ولكن السيد يواكيم الحاج يقرر عنهما، وباسمهما، أنه فلاح! وفلاح يبني الحصون والقلاع؟!

ويقول السيد يواكيم: "المرة الأولى التي ورد فيها اسم عكار منفرداً بدون أن يرفق بلفظة حصن، كان على أثر اضطهاد يوستنيانوس الأخرم للموارنة وتهجيرهم من سورية سنة ٦٩٤.فإن البطريرك اسطفان الدويهي يذكر مقتل القائدين، مريق الذي قتل في وقعة الحرب في سهل أميون، والقائد الثاني رفيقه، الذي سقط جريحاً (في سهل عكار ؟) في وقعة الحرب ونقل جريحاً الى القبيات حيث توفي متأثراً بجراحه، ودُفن في إحدى قراها المدعوة (شويتا)"(٤٠).

لا ندري كيف يجعل السيد يواكيم كلام الدويهي وكأنه حصل في العام ٦٩٤، والبطريرك الدويهي إنما عاش ما بين عام ١٦٣٠ وعام ١٧٠٤، أي بعد حوالي ألف سنة! عندما ذكر الدويهي لفظة عكار كان ذلك في القرن السابع عشر، لا في القرن السابع. وهو لم يقل أن عكار كانت لفظة معتمدة في القرن السابع. بل جلّ ما أراد قوله، بخصوص المكان، أن موريق توفي في العام ٦٩٤ ودُفن في مكان يُقال له اليوم (أي في زمن وحياة الدويهي، في القرن السابع عشر) "شويتة" (لا شويتا) في بلاد عكار.

ويتابع السيد يواكيم: "والمرة الثانية التي ورد فيها اسم عكار كان سنة ٨٦٤م/٢٥٠هـ، على أثر ثورة أهالي مدينة حمص على عاملهم، وذهاب "ابن عكار" لمساندتهم ونصرتهم، حيث قُتل على أثر اللحاق بمحمد بن اسرائيل عامل

---

[37] - المرجع السابق، ص ٤٠.

[38] - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ، أضواء على الماضي، ج ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

[39] - المرجع السابق، ص ٢٣.

[40] - المرجع السابق، ص ٢٥.

حمص"[٤١]. يسند السيد يواكيم كلامه هنا إلى "محمد كرد علي: خطط الشام، ج١، ص١٦٧". ماذا في هذا المرجع حول هذا الأمر؟ يقول محمد كرد علي، في المرجع المذكور: "وفي سنة ٢٥٠ هـ وثب أهل حمص بعاملهم فقتلوه، فوجه إليهم المستعين[٤٢] من حاربهم فهزمهم بين حمص والرستن وافتتح حمص وقتل أهلها..."[٤٣]. لا ذكر لعكار في حوادث هذه السنة. ولكن محمد كرد علي يقول، وهو يسرد استمرار ثورات أهل حمص على مرِّ السنين: "كثرت ثوراتهم وما برحوا يثورون حتى أيام المهدي[٤٤]. فقد ثاروا بمحمد بن اسرائيل، فخرج هارباً ولحقه ابن عكار، فكانت بينهما وقعة قتل فيها ابن عكار، ورجع ابن اسرائيل على البلد"[٤٥].

هكذا اختلطت الأمور على "المؤرخ" السيد يواكيم، لدرجة أنه أدرج نفس هذه الحادثة مرتين، ومباشرة المرة الثانية تلو الأولى، مع المحافظة على تاريخين لنفس هذه الحادثة الواحدة، فقتل ابن عكار مرتين! وما أن ينهي سرد الأولى حتى يتابع، تحت عنوان، "قبائل كلب في عكار وشمالي لبنان": "يقول الدكتور عمر عبد السلام تدمري: "شهد لبنان موقعة جرت بين أهل حمص وعاملها، محمد بن اسرائيل، حيث وثب أهل المدينة على عاملها في سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، فخرج منها هارباً. ونرجح أنه هرب باتجاه جبال لبنان الشمالية ليحتمي بها. فلحق به أحد زعمائها الثائرين ويدعى "ابن عكار" لقتاله. فكانت بينهما وقعة قُتل فيها ابن عكار"[٤٦]. وأخيراً ينتهي يواكيم باعتماد الموقف الذي وقفه المدني والزعبي من اسم عكار برده إلى تسمية كردية تُنسب إلى أكراد جبل هكار[٤٧] وذلك دونما أن يتقدم بأي تفسير لذلك. وبطبيعة الحال لم يتعرض لما تقدم به د. محمد خالد الزعبي، حول "عكار القضاعي".

جبال عكار هي جبل سنير؟!

يخلط السيد يواكيم، خلطاً غريباً، بين جبال عكار وجبل سنير، فهو يقول: "جبل سنير هو جبل عروبة الحالي، الواقع جنوبي القبيات..."[٤٨]. ويضيف في مكان آخر: "نعم وألف نعم إن جبل سنير في سلسلة جبال عكار هو

---

41 - المرجع السابق، ص ٢٦.
42 - المستعين هو الخليفة العباسي المستعين بالله الذي تولى الخلافة ما بين ٢٤٨هـ/٨٦٢م و٢٥٢هـ/٨٦٦م.
43 - كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، ج ١، ط ٣، ١٩٨٣، ص ١٦٦.
44 - المهدي هو الخليفة العباسي المهتدي بالله الذي تولى الخلافة ما بين سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م و٢٥٦هـ/٨٧٠م.
45 - كرد علي: مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٧.
46 - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦.
47 - المدني والزعبي: مرجع سابق، ص ٥٣.
48 - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٣.

نفسه جبل عروبة"[٤٩]. ولا ينسى تقديم نصيحته بضرورة تعميم اكتشافه الجغرافي المذهل وتعليمه للناشئة، فيقول: "يبقى على وزارة التربية أن تُدخل هذه المعلومات في صلب مواد التاريخ والجغرافية، لتعُم الفائدة ويُعرف موقع جبل سنير التاريخي. ويصبح مادة أساسية في كتب التعليم الرسمي..."[٥٠].

يصر السيد يواكيم على دعم ادعاءاته بالاستناد إلى جملة مراجع، فيعمل فيها تشويهاً وتزويراً على هواه. ويدعي مثلاً، نقلاً عن بعضها: "يقول النبي حزقيال مخاطباً مدينة صور: "بسروٍ من سنير بنوا لك طباقك" (ف. ٢٧: ٧). ويقول سليمان الحكيم منادياً عروسه: "معي من لبنان انظري. من رأس أمانة. من رأس سنير" (نشيد الأناشيد: ٥: ٨)"[٥١].

ما هي حقيقة تعيين الكتاب المقدس (العهد القديم) لجبل سنير؟ أولاً، إن ما قاله حزقيال لم يأتِ في الفصل ٢٧: ٧، بل في الفصل ٢٧: ٥، وجاء ذلك كما يلي: "وقل لصور الساكنة عند مداخل البحر، تاجرة الشعوب في جزر كثيرة: هكذا قال السيد الرب: يا صور إنك قلت: أنا كاملة الجمال (حزقيال، ٢٧: ٣). حدودك في قلب البحار وبانوك أكملوا جمالك (حزقيال، ٢٧: ٤). بسرو من سنير بنوا لك كل ألواحك وأخذوا أرزة من لبنان ليضعوا سارية عليك" (حزقيال، ٢٧: ٥) [٥٢]. هذه الآيات متتابعة دون انقطاع. وفيها تمييز واضح بين سنير ولبنان. وليس فيها أي إشارة إلى أن جبل سنير هو في جبال عكار. وعليه لم يتغن النبي حزقيال هنا بجبال عكار، كما ادعى السيد يواكيم. أما سليمان الحكيم فيقول في "سفر الأناشيد"، في الفصل الرابع (لا الخامس، كما يذكر السيد يواكيم): "هلمي معي من لبنان أيتها العروس، هلمي من لبنان معي. أتركي رأس أمانة، رأس سنير وحرمون..." [٥٣]. هنا أيضاً لا يعني سنير أنه من جبال عكار.

وإذا شئنا معرفة كيفية تحديد الكتاب المقدس (العهد القديم) لجبل سنير كان علينا العودة لما قاله النبي موسى في سفر "تثنية الاشتراع": "وأخذنا في ذلك الوقت من أيدي ملكي الأموريين الأرض التي في عبر الأردن، من وادي أرنون إلى جبل حرمون. وحرمون يسميه الصيدونيون سريون، والأموريون يسمونه سنير" [٥٤]. واضح هنا أن سنير هو من حرمون، لا من عكار. هو من السلسلة الشرقية، لا من السلسلة الغربية. ويبدو أن العبرانيين اعتمدوا أحياناً في

---

49 - المرجع السابق، ص ١١٧.
50 - المرجع السابق، ص ١١٨.
51 - المرجع السابق، ص ١١٥.
52 - الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق، ١٩٨٩، ص ١٨١٣.
53 - المرجع السابق، ص ١٣٨٦.
54 - المرجع السابق، ص ٣٦٢.

نصوصهم عبارة "لبنان جهة مشرق الشمس"، وهو ما يُقصد بعبارة لبنان الشرقي. جاء في "سفر يشوع": "وكل لبنان جهة مشرق الشمس، من بعل جاد تحت جبل حرمون، إلى مدخل حماة"[٥٥].

ويلجأ السيد يواكيم إلى نص للبلاذري ليدعم به رأيه أن سنير في عكار. ويقول نقلاً عن البلاذري: "ثم أتى حوارين من سنير... وجاءهم مدد أهل بعلبك"[٥٦]. هل يفيدنا كلام البلاذري هنا في تعيين سنير في عكار؟ طبعاً لا. لو أن "حوارين" في عكار لقلنا ربما كان سنير عكارياً. ولكن "حوارين" "حصن من ناحية حمص... (وهي) "القريتين... ومن تدمر على مرحلتين..."[٥٧]. وعندما أتى خالد بن الوليد حوارين التي هي بسنير، جاءها من ناحية تدمر، وعندما غادرها اتجه إلى مرج راهط. فهو لم يقرب من جبال عكار. فمن أين أتى السيد يواكيم بتقديره أن مجرد إيراد نص البلاذري يفيد في أن سنير هو جبل عروبة في عكار؟

ولنفس الغرض يستشهد السيد يواكيم بياقوت الحموي: "يقول ياقوت في معجم البلدان، ج٣، ص١٧٥: إن سنير تدل أيضاً على قسم من لبنان، أو على الجبال الواقعة بين حمص وبعلبك"[٥٨]. ويضيف يواكيم من كلام ياقوت الحموي: "سنير، بفتح أوله. وكسر ثانيه. جبل بين حمص وبعلبك على الطريق. وعلى رأسه قلعة سنير. وهو الجبل الذي فيه المناخ يمتد مغرِّباً إلى بعلبك"[٥٩]. إن كلام

---

55 - المرجع السابق، ص ٤٤٢.

56 - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٥. قال البلاذري وهو يذكر فتوح خالد بن الوليد في الشام: "ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى..."، البلاذري: فتوح البلدان، ط ١، شركة طبع الكتب العربية – القاهرة، ١٩٠١، ص ١١٩.

57 - الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، دار صادر، بيروت، ص ٣١٥ – ٣١٦. يذكر ياقوت عدة أمكنة باسم "حوارين"، منها هذا المكان المقصود من قبل البلاذري. وفيها يقول ياقوت: "وحوارين، حصن من ناحية حمص؛ قال بعضهم: يا ليلة لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير. وقال أحمد بن جابر: مرَّ خالد بن الوليد في سيره من العراق إلى الشام بتدمر والقريتين ثم أتى حوارين من سنير فأغار على مواشي أهلها، فقاتلوه وقد جاءهم مدد من أهل بعلبك، ثم أتى مرج راهط، وفي كتاب الفتوح لأبي حذيفة اسحاق بن بشير: وسار خالد بن الوليد من تدمر حتى مرَّ بالقريتين، وهي التي تُدعى حوارين، وهي من تدمر على مرحلتين..."، ص ٣١٥ – ٣١٦.

58 - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٦. ينسب يواكيم هذا الكلام إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧٥. وهذا غير صحيح. ففي هذا الموضع يتحدث الحموي عن سامراء، لا عن سنير أو لبنان. جاء كلام الحموي عن سنير في ص ٢٦٩ و٢٧٠. ولكن السيد يواكيم يتلاعب بنص الحموي ويزوره، فياقوت الحموي لم يقل أبداً، كما يزعم السيد يواكيم، "أن سنير تدل أيضاً على قسم من لبنان". هذا الكلام هو مجرد اختراع لواكيم ينسبه هو زوراً إلى ياقوت الحموي. راجع الحاشية التالية.

59 - الحاج، يواكيم: المرجع السابق، ص ١١٧. من المفيد أن نذكر هنا القسم الأكبر من نص ياقوت الحموي، تسهيلاً للمقارنة، وبغية ملاحظة تلاعب السيد يواكيم بنص الحموي: "سنير... جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير، وهو الجبل الذي فيه المناخ يمتد مغرِّباً إلى بعلبك ويمتد مشرِّقاً إلى القريتين وسلمية، وهو في شرقي حماة وجبل الجليل مقابله من جهة الساحل وبينهما الفضاء الواسع الذي فيه حمص وحماة وبلاد كثيرة، وهذا الجبل كورة قصبتها حوارين، وهي القريتين، ويتصل بلبنان متيامناً

ياقوت الحموي هنا على غاية الوضوح بحيث لا يخلط القارئ بين سنير وعكار. فهذا الجبل هو شرقي بعلبك، كما أنه غربي القريتين وسلمية.

ولكن النص الذي يذكره السيد يواكيم ل"أبي الفدا" يزيل أي التباس، ويوضح بدقة متناهية أن جبل سنير هو امتداد لجبل الشيخ وبالتالي هو جزء مكوّن للسلسلة الشرقية من لبنان: "دعا طرف جبل لبنان الجنوبي باسم جبل الثلج، جبل الشيخ، ويدعو باسم سنير طرفه الشمالي"[٦٠]. من الواضح أن الكلام هنا يتناول السلسلة الشرقية التي يتخذ قسمها الجنوبي اسم جبل الثلج أو حرمون ، بينما يتخذ قسمها الشمالي اسم سنير. وعليه هل يتصل جبل حرمون بجبال عكار؟

على الرغم من كل هذه الشواهد التي يذكرها يواكيم بالذات، فإنه يصرُّ على على القول: "قارئي العزيز ناشدتك، هل بعد كل هذه الايضاحات المثبتة، يبقى شك في صحة كون جبل سنير، هو نفسه جبل عروبة الحالي"[٦١]. فتأمل؟!

٧- د. الزعبي: جدية البحث وكشف جديد

امتازت معالجة د. الزعبي لاسم قضاء عكار بنجاح كبير وفعلي. فهو يصيب حين يطرح: "المنطقة بين تسميتين"، كما أنه يُقدم فتحاً جديداً بعثوره على "عكار القضاعي". ولكم هو على صواب حين يقول: "بلاد عرقة وبلاد عكار نسبة إلى مدينة عرقة، وحصن عكار. فهذان الاسمان قد أُطلقا على منطقة كانت تتحد وتتسع تارة، وتتقسم وتنكمش تارة أخرى، تبعاً للظروف السياسية والعسكرية التي تطرأ عليها"[٦٢].

وإذا كنا نوافقه الرأي في أصل تسمية عكار نسبة إلى "عكار القضاعي" أو "ابن عكار"، فإن المسألة تستلزم المزيد من البحث والتدقيق، لنتمكن من إجراء ضبط لاقامة "عكار" في هذه المنطقة، وترسيخ التسمية. فما بين "عكار القضاعي"، الذي يعود دوره في القضاء إلى العام ٦٤هـ/٦٨٣م، وظهور "ابن عكار" في خبر مقتله، عندما وثب أهل حمص في العام ٢٥٥هـ/٨٦٩م،ما يقرب

حتى يلتحق ببلاد الخزر ويمتد متياسراً إلى المدينة ، وسنير الذي ذكر أنه بين حمص وبعلبك شعبة منه إلا أنه انفرد بهذا الاسم... وقال البحتري: وتعمدت أن تظل ركابي بين لبنان طلعاً والسنير"، ياقوت: ج٣، ص ٢٦٩-٢٧٠.

60 - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ١، ص ١١٧.

61 - المرجع السابق، ص ١١٨.

62 - الزعبي، محمد خالد: مرجع سابق، ص ٢٥.

من قرنين من الزمن. وكذلك هي الحال مع ظهور "حصن ابن عكار" في العام ٤١٦هـ/١٠٢٥م.

"عاكار" وعكار؟

نشير أخيراً إلى ما ورد في "سفر الأخبار الأول"، في سياق تعداد "بني اسرائيل": "ومن بني كرمي عاكار الذي جلب الشؤم على اسرائيل بتعديه في أمر المحرم"(٦٣). فهل يكون الاسم عكار تخفيفاً وتصحيفاً لاسم "عاكار"؟ ولعله ليس خافياً عمق الانتشار العبري في الأزمنة القديمة في الكثير من مناطق سورية، ومنها لبنان وعكار.

وعلى أي حال، يجدر بنا التذكير بأن البحث في أسماء الأماكن ليس من باب الترف الفكري، بل لأهميته في المساعدة على جلاء تاريخ المناطق التي يتم البحث في أسمائها. وفي هذا الصدد يقول الأب مرتين اليسوعي: "ليس للمؤرخ طريقة وثيقة لأجل إحياء الأمم السالفة أفضل من البحث عن أسمائهم القديمة وأسماء مساكنهم لأن الأسماء في أكثر الأوقات ينبعث منها نور متقد تُشرق لك من ورائه أسرة الممالك المنطمسة" (٦٤). إن اسم عرقة، مثلاً، يفيدنا ـ في ما لو صحّت نسبته إلى العرقيين (٦٥)ـ في تأكيد قدم الوجود الكنعاني – الفينيقي في عكار. كما يفيدنا اسم "عكار القضاعي" في تعيين قدم وجود العرب القضاعيين أيضاً. والقضاعيون (بنو قضاعة) اشتهر أمرهم في الشام قبل الميلاد بكثير، خاصة من خلال الضجاعم الذين دفعهم الغساسنة من أماكنهم يوم وفدوا إلى الشام، وحلّوا مكانهم في السيطرة عليها. هذا ما نعالجه في مكان آخر.

---

63 ـ الكتاب المقدس، العهد القديم، سفر الأخبار الأول، ٢: ٧، ص ٧٣٦.

64 ـ الأب مرتين اليسوعي: تاريخ لبنان، نقله إلى العربية رشيد الخوري الشرتوني، دار نظير عبود، ط٣، ١٩٩٤، ص ٥٤.

65 ـ الكتاب المقدس، العهد القديم: "وكنعان ولد صيدون بكره وحثاً واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعرقي والسيني والأروادي والصماري والحماتي"، تكوين، ١٠: ١٥ و١٦ و١٧، ص ٨٣. كذلك سفر الأخبار الأول، ١: ١٥، حيث يرد فيه أن كنعان ولد "العرقيين"، ص ٧٣٥.

الفصل الثاني

في اسم القبيات

القبيات إسم يطلق على كامل البلدة الموزعة على ستة أحياء كانت لفترة قريبة مستقلة عن بعضها البعض في انتشارها العمراني، قبل أن تصبح شبه متلاصقة في معظمها. ولكل من هذه الأحياء إسم خاص، يتميز به عن سائر الأحياء التي يجتمع معها تحت اسم القبيات. هذه الأحياء هي: الغربية (أو القبيات العتيقة)، مرتمورة، الضهر، الذوق، غوايا، القطلبة. هذا فضلاً عن مجموعة من المزارع، أو المناطق الزراعية، حيث يقيم بعض سكان البلدة في فترات معينة من السنة، هي فترات الربيع والصيف عندما يبدأ العمل الزراعي. وكانت هذه المناطق في السابق تشهد حركة نشيطة، وتقيم فيها (في فترة العمل) عدة عائلات. من هذه المناطق: كرم سباط والشنبوق، حلسبان، شويتة، ضهور مرتمورة والغربية.

يبدو أن اسم "القبيات" لا يحمل مدلولاً معيناً بنظر أبناء البلدة الذين لا يعرفون لماذا دُعيت بلدتهم بهذا الاسم [٦٦]. كما يبدو أن هذه التسمية لا صلة لها بأي حدث تاريخي ما.

فريحة: الحصرية السريانية لأسماء الأماكن

ثمة تقليد في دراسة أسماء المدن والقرى اللبنانية يردها بمعظمها إلى أصل سرياني أو آرامي، والقبيات لا تستثنى من ذلك. ويعتبر أنيس فريحة رائد هذه النزعة التي تكاد تحصر أسماء الأمكنة بهذه اللغة؛ ولقد تبعه، كالظل تقريباً، عفيف بطرس مرهج [٦٧]. ويبدو أن هذه النزعة بتشديدها على الآرامية

---

66 - استناداً إلى التحقيق الميداني الذي أجريناه في البلدة مع المسنين، في نهاية السبعينات. راجع: ABDALLAH,Joseph: Rapports du Pouvoir Politique à Qbayet (un village maronite du Liban-Nord), Thèse de doctorat de 3ème cycle en sociologie, sous la direction de Pierre FOUGEYROLLAS, Université de Paris-7, U.E.R.de Sociologie, Paris, 1983. وكذلك: عبد الله، جوزف: "بلدة القبيات"، الشمال (وكالة أنباء الشرق) العدد ٦٥، ٢٩ أيلول ١٩٨٦، ص٣٢-٥٦.

67 - فريحة، أنيس: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢. يستند عفيف ب. مرهج في "إعرف لبنان: موسوعة القرى والمدن اللبنانية"، إلى معجم فريحة.

والسريانية تسعى لمحو كل أثر عربي من الذاكرة واعتبار كل علم إنما هو سرياني المصدر في الأصل، بحيث يكون "العربي" مجرد طارئ.

ويتجه الاعتقاد، تبعاً لما يقوله فريحة في معجمه (٦٨)، إن القبيات هي اسم جنس (تسمى به بعض الأمكنة) أكثر مما هي اسم علم: ثمة أماكن أخرى في لبنان تعرف باسم (Il Qbayyat)، وأعتقد أنه مشتق من الكلمة السريانية (Quabayata) بمعنى المستنقعات، وهي من أصل Qba بمعنى تجمع وQibya بمعنى تجمع الماء. ولكنه تجدر الاشارة إلى أن الأبوين أرملة وحبيقة لم يذكرا القبيات في لائحة اسماء القرى اللبنانية السريانية (٦٩). فهل في إغفالها موقف لا يعتبر اسمها سرياني الأصل؟

ولعله من الممكن أن تكون كلمة قبيات تحريفاً للكلمة العربية قبيبات التي يذكر ياقوت في "معجمه" أن الكثير من الأماكن تعرف باسم قبيبات، تلك الكلمة التي هي جمع لتصغير كلمة قبة، وتتسم كل هذه الأماكن بوفرة الماء فيها (٧٠)، والبعض منها يعرف اليوم باسم قبيات، كما هي الحال مثلاً في أحد أحياء دمشق. ولعل التحريف من القبيبات إلى القبيات ممكن لتقارب ما بين العربية والسريانية حول وجود الماء. ويشجعنا على ذلك موقف الأب أرملة الذي يعتبر قبيبات كلمة سريانية تطلق اسماً على بعض القرى السورية (٧١).

ولو عدنا إلى فريحة لوجدناه يذكر في معجمه قريتين مختلفتين باسم قبيات: القبيات - غوايا والقبيات - مرتمورة (٧٢). وهو يؤكد أن الأولى تقع في قضاء عكار، والثانية في البترون! والحال أن اسمي هاتين القريتين هما اسمان لحيين من أحياء القبيات! ولعل ما يورده فريحة بخصوص وجود قريتين للقبيات

---

68 - فريحة، أنيس: معجم...، مرجع سابق، ط ٢، ١٩٧٢، ص١٣٥. يستند عفيف ب. مرهج في "موسوعة..."، مرجع سابق، (م٨، شباط ١٩٧٢، ص١١٤)، إلى معجم فريحة في كل ما ذكره عن القبيات.

69 - الأب أرملة والأب حبيقة: "لائحة أسماء القرى اللبنانية السريانية"، المشرق، ٢٨، ١٩٢٩، بيروت، ص٢٨٧-٤١٢.

70 - ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، المجلد الرابع، ص٣٠٨، وفيها يقول: "القبيبات: جمع تصغير الذي قبله (قبة): بئر دون المغيثة في طريق مكة بخمسة أيام بعد وادي السباع، وهي بئر وحوض وماؤها قليل عذب... والقبيبات: محلة ببغداد وماء في منازل بني تميم وموضع بالحجاز. والقبيبات محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق". يرى د. عبدالله الحلو معنى الإسم القبيبات: "عبارة عن جمع المؤنث العربي من "قبيبة" تصغير "قبة""، (تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، ط ١، بيسان للنشر، بيروت، ١٩٩٩، ص ٤٤٠).

71 - الأب أرملة: "القرى السريانية في سورية"، المشرق، ٣٨، سنة ١٩٤٠، ص١٧٥-١٩٨. يجدر بنا هنا أن نلاحظ عدم ذكر الأب لاسم القبيبات في عداد القرى السريانية (مرجع سابق في الحاشية ٤١) وذكر القبيبات كاسم سرياني.

72 - فريحة، معجم...، مرجع سابق، ص ١٣٥.

واحدة في عكار وأخرى في البترون، دونما إشارة منه لكون الاسمين يدلان على موقعين في بلدة واحدة (القبيات) لمما يضعف الثقة بمعجمه.

اسم القبيات لدى الباحثين في تاريخ البلدة

١- فؤاد سلوم: هوس النقاء الآرامي.

سبق لنا أن طرحنا منذ العام ١٩٨٣ تعليلاً مختصراً لاسم القبيات، طورناه، بعض الشيء، في "ملف" نشر في العام ١٩٨٦[٧٣]، وضمناه وجهة نظرنا المعروضة أعلاه. ولدى نشرنا الملف انبرى د.فؤاد سلوم فرد علينا بمقال[٧٤] اتهمنا فيه بالوقوع في مغالطات وبتزوير تاريخ المنطقة.

وإن كنّا نرى أن مقال سلوم يعاني من عقدة "تعظيم" التاريخ الماروني عامة وتاريخ القبيات خاصة، ويعكس عقد "النقاء والصفاء العرقي - المذهبي"، فإننا نقصر كلامنا هنا في حدود البحث باسم القبيات. يرى د.سلوم: "القبيات منطقة واسعة اطلق الاسم عليها، وهو آرامي كجميع أعلام الأماكن فيها، نسبة إلى موقعها الجغرافي الذي يمكن ترجمته حرفياً ب: "الروايم، جمع رامية أو رامة، أي جمع ماء، وهي كثيرة عندنا في فصل الشتاء، منها "روايم" غوايا وشويتا واللوزات والبكليك والزور المشهورة بالمخاضة" [٧٥]. توضح الجملة الأولى في هذا النص، وكذلك عنوان المقال، (القبيات مارونية أصلاً واستمراراً) النـزعة الاطلاقية القصوية في فكر د.سلوم. فالقبيات المارونية أصلاً و"اصلاً" تعني من الأصل، وبما أن القبيات كمنطقة كانت مأهولة قبل المارونية بكثير، فهل نستنتج أنها كانت مارونية قبل ظهور مار مارون؟! يرى النص أن اسم القبيات آرامي، "كجميع أعلام المنطقة فيها"! النـزعة الاطلاقية القصوية أيضاً. فهل اسم حي الضهر والقطلبة (لو سلمنا جدلاً أنه نسبة إلى شجرة القطلب)، والذوق، هي أعلام آرامية؟ وهل ينسى د.سلوم أن كلمة "ذوق" ليست آرامية، ولاهي عربية. ثم لم يذكر لنا د.سلوم في ما ذكره حول أعلام الأماكن مرجعه، ونحن نعلم أنه لا يتقن غير العربية، فإلى من استند في اعتبار هذه الأسماء آرامية؟ ألم يفطن د.سلوم وهو يعدد الأسماء إلى كلمة "البكليك" فهل هي آرامية أيضاً؟.

---

73 - راجع الحاشية رقم ١.

74 - سلوم، د. فؤاد: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، الشمال (وكالة أنباء الشرق)، العدد ٨٦، ١٧آب ١٩٨٧، ص ٣٢-٤٠.

75 - المرجع السابق، ص ٣٢.

يعرف د.سلوم أن اسم القبيات لم يشمل كل هذه المناطق التي عددها (روايم غوايا وشويتا واللوزات والبكليك والزور...) إلاَّ في مرحلة متأخرة، وذلك بشهادة الخورسقف الزريبي الذي يقول: "أما انتشار أهلها (يقصد أهل القبيات) في حارة مرتمورة والزور وضهر البلان وغوايا، فهو حديث جداً لا يبعد أكثر من ماية وسبعين سنة..."[٧٦]. وعليه فإن هذه الأحياء الجديدة التي شهدت الامتداد الحديث للسكن القبياتي، ليست، بطابعها الكثير الماء، هي التي أطلقت اسم القبيات. بل هي اتخذت اسماً كانت تتصف به القبيات العتيقة (الغربية حالياً)، وليس فيها رامية من جميع الروايم التي ذكرها د.سلوم. إن أحياء القبيات تعرف بأسمائها الخاصة بها، كمناطق خاصة، مع جمعها حديثاً تحت اسم القبيات، في سياق تاريخي يجدر بنا البحث فيه واكتشافه (هذا هو بالتحديد ما يرفضه سلوم. إنه يخشى على "العظمة" و"الأصالة"). إن منطقة شويتا مثلاً، وهي اليوم تابعة للقبيات، كانت سابقاً، وحتى أواسط القرن السادس عشر قرية مستقلة قائمة بذاتها، وغير محسوبة كجزء من القبيات. وكان يشار إليها في الحوليات المارونية والسجلات العثمانية كقرية من بلاد عكار، لا كحي من القبيات. وكانت في زمن أقدم على غير مذهب الموارنة بشهادة بطاركة الموارنة ومطارنتها، بعكس ما يذهب إليه د.سلوم وغيره أحياناً.

٢- الأب موراني: القبيات والمياه المقدسة

عندما وضع الأب موراني الكرملي أطروحته للدكتوراه في "فن العمارة الدينية في القبيات في أيام الصليبيين" [٧٧]، استعرض في القسم التاريخي من عمله اسم القبيات. اعتبر أن اسم البلدة لا يعود لفترة قديمة في التاريخ، وأول ظهور لصفة القبياتي كان في العام ١٥٢٤ حيث جاء الاسم في قصيدة في مدح البطريرك موسى العكاري، من نظم ابن شمعة القبياتي (ليس في نص الدويهي أي أمر يثبت أن هذا القبياتي ابن شمعة هو من القبيات عكار، ولربما كان من موضع آخر باسم القبيات، مع احتمال بأن يكون من هذه البلدة).

ذكر الأب موراني ما يسميه "التقليد المحلي" في اسم القبيات، وهو تقليد يربط الاسم باللغة العربية واعتبره يفسر الاسم انطلاقاً من التكوين الجغرافي للبلدة، فالاسم إما تحريف لكلمة قبيبات، كتصغير لجمع قبة، أو جمع قبو [٧٨].

---

76 - الزريبي، الخورسقف ميخائيل: لمحة تاريخية، سجلات كنيسة مرتمورة، سجل التثبيت، ص٢٨٣.

77 - MOURANI, Afif: L`Architecture Religieuse de Cobiath sous les Croisés, Thèse pour un doctorat en histoire de l`art, sous la direction de M.Yves BRUAND, Université le Murail, Toulouse, 1988. عفيف موراني هو الأب الكرملي اللبناني، كان مديراً لمدرسة الآباء الكرمليين في القبيات، وأمضى في هذه البلدة فترة طويلة.

78 - المرجع السابق ص٤. إن عبارة "التقليد" أو "التقليد المحلي" يكثر من استعمالها الأب موراني ود.سلوم. وهي عبارة فارغة هنا، فالتقليد ليس مجرد كلمة اعتباطية نحمِّلها ما نشاء، وننسب إليها ما نرغب ثم

بالطبع رفض الأب موراني هذا التفسير (العربي) واعتبره مجرد تفسير جمالي، وقال بضرورة البحث عن تفسير يجد مصادره في الإيمان. ولهذا فهو يعود بالاسم إلى أصل آرامي أو سرياني، وهنا جوهر عبادة المواقع المائية، ومعظم أسماء المواقع في القبيات لـها علاقة بآلـهة الماء أوبالمقدسات المائية [٧٩]. ولكن الأب موراني يعود في مكان آخر، فيتوقف أمام اسم حي الذوق، وهو أهم وأكبر أحياء القبيات، فيؤكد في حاشية في أسفل الصفحة أن الذوق: "كلمة من أصل تركي تعني موقعاً للدرك العثماني، وقد تكون مشتقة من اللغة السريانية، وفي هذه الحال تعني منبسطاً من الأرض (douqa)" [٨٠].

٣- يواكيم الحاج: يصحح في اللغة المسمارية!

يقول يواكيم الحاج: "القبيات لفظة أكادية بابلية قديمة. وردت في التاريخ القديم في القرن الثامن قبل الميلاد، على لسان الملك الأشوري سنحاريب (٧٠٤-٦٨٠). جاءت تسميتها مدونة بالخط المسماري على صفيحتين حجريتين في وادي بريسا (بار آسا) في جبال عكار، في نقطة "مرجحين" منقوشة هكذا [٨١]:

وقد فسرها المؤرخ الشهير والمستشرق الكبير هنري بونيون H.POGNON قنصل فرنسا في حلب: Bit-Koubati. ويقول الملك سنحاريب في هذا النصب الأثري: إن هذه المدينة تقع على مقربة من هذا المكان. وأنه كان يقدم النبيذ الفاخر منها على موائد الاله مردوك وزوجته زربانيت، في أيام الأعياد. ويقول أنه كان يستورد النبيذ الفاخر من تسعة بلدان مختلفة. وكانت القبيات إحدى هذه البلدان. ويضيف الملك الأشوري قائلاً: إن سكان القبيات هم من الساميين. وقد دُعيت هذه المدينة باسم شخص سكنها في الماضي يدعى

نسنده إلى مرجعية "التقليد". يتكون "التقليد" ويترسخ في أشكال من التعبير الشفهي أولاً ثم الكتابي. وهو لايستمر في الفراغ، بل لا بد له من أشكال تنقله. و"التقليد المحلي القبياتي" نجده لدى الخورسقف الزريبي، وسجلات الكنائس وأوساط اجتماعية قادرة على حمل التقليد وتوارثه وتوريثه. وعندما بادرنا في دراسة القبيات في أواخر السبعينات وجدنا الذاكرة القبياتي ضعيفة، ولا تحمل تفسيراً لاسم بلدتها. وحده الخورسقف الزريبي نقل لنا فهماً لاسم القبيات.

79 - الأب موراني، مرجع سابق، ص٥. يلتقي الأب موراني هنا مع د.سلوم في النزعة الاطلاقية.

80 - الأب موراني، المرجع السابق، ص ٨، حاشية ١. لم يطرح هذه الاحتمالات عندما عالج مسألة اسم القبيات؛ بالطبع لأن في طرح احتمال الأصل التركماني ما قد يشوه نظرية الأب في الأصل الآرامي القائم على العبادة المائية!

81 - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ، تاريخ القبيات، الجزء الثاني، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ص٨.

Koubat قوبت، كما يقال: شوكت، تغلت، حكمت، جودت...الخ. (كأن سنحاريب كان يتقن اللغة العربية!) وهكذا انتسبت المدينة إليه مع الأيام" (٨٢).

لا ندري كيف سمح السيد يواكيم لخياله بنسج هذه الرواية الخرافية حول اسم القبيات انطلاقاً من نص هنري بونيون حول نقوش وادي بريسا، في جرود الهرمل على السفح الشرقي لجبال عكار؟

إن النص المذكور باللغة الفرنسية على درجة كافية من الوضوح بحيث أن القارىء لا يحتاج إلى عناء كبير ليدرك أن Bit-Koubati لا علاقة لها على الاطلاق بالقبيات. وإن وهذه المدينة وبلادها ليستا في عكار أصلاً، بل هما في مكان ما بين "اربخا" أو "اراباشيتيس" أي "كركوك" وبحيرة أورمية. فأين هي عكار عن تلك البلاد البعيدة؟ يقول نص السفير الفرنسي بونيون، نثبته نقلاً عن كتاب يواكيم بالذات (٨٣).

إن المعارك التي يذكرها السفير الفرنسي في الحملة الثانية لسنحاريب لم تجرِ في عكار، كما توهم السيد يواكيم. وفي الحقيقة إن ما يخلده سنحاريب في النقوش التي خلفها في وادي بريسا، إنما هي جملة المعارك التي خاضها في أعالي بلاد ما بين النهرين. يقول جواد بولس: "ورث سنحاريب (٧٠٥-٦٨١) الذي خلف أباه سرجون على العرش وضعاً مأساوياً. فالشعوب الخاضعة التي بلغها موت سرجون سرعان ما قامت بعصيان عام. وكان على سنحاريب وهو المحارب الكبير أن يستخدم اعوام حكمه الأربعة والعشرين في سد الثغرات وتدعيم المواد في البناء الاصطناعي الذي يمثل الامبراطورية الأشورية" (٨٤).

ويعدد بولس الانتفاضات المتتالية بدءاً من "انتفاضة كلدان بابل وهزيمتهم (٧٠٤)... إلى تمرد بابل (٧٠٠)..." (٨٥). أما ديلابورت فيقول، في نفس الموضوع: "ما كاد سنحاريب يستلم العرش حتى اندلعت الاضطرابات في بابل... طيلة سنة كان يقاتل بوجه الآراميين في بابل وفي أعالي بلاد ما بين النهرين، ثم بوجه الكاشيين، كما أنه قام بعرض قوته على حدود بلاد ميديا... وبعد ذلك بسنوات قام سنحاريب بحملة غربي بحيرة فان" (٨٦).

---

[82] - المرجع السابق، ص ١١.

[83] - المرجع السابق، ص ٢٠. راجع النص الفرنسي في الملاحق.

[84] - بولس، جواد: الموسوعة التاريخية، شعوب الشرق الأدنى وحضاراته، تعريب وتحقيق سيمون عواد، دار عواد، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٥٨.

[85] - المرجع السابق، ص ٢٥٨ – ٢٥٩.

[86] - DELAPORTE, Louis: Les Peuples de l`Orient Méditérannéen, I le Proche-Orient Asiatique, Puf, Paris, 1938, p.253-254.

ولعل أوضح صورة لأعمال سنحاريب العسكرية يقدمها غونسالف: كانت مناسبة التمرد الذي هزَّ قسماً كبيراً من الامبراطورية الأشورية تغيير اللملك الأشوري. مات سرجون الثاني عام ٧٠٥،... وخلفه في نفس العام إبنه سنحاريب... وظن كثير من مناطق الامبراطورية أن الظرف ملائم لاعلان التمرد والاستقلال. ففي الجنوب انتفضت بابل التي كان يديرها سنحاريب شخصياً، وذلك سنة ٧٠٣...، وقام قائدها بجملة تحالفات داخل الامبراطورية وخارجها وشجع على الثورة والعصيان. اتجه سنحاريب أولاً نحو بابل، حيث قام بأول حملة عسكرية في حكمه عام ٧٠٣. وعلى الرغم من التحالف الكبير الذي عقده حاكم بابل الجديد بين العيلاميين والآراميين والبابليين وسواهم، فإن قائد التحالف انهزم أمام سنحاريب... وبعد حملة له في الشرق ضد الكاشيين والياسوبيغاليين Yasubigalléens، عام ٧٠٢، خصص حملته الثالثة لقمع التمرد في فينيقيا وفلسطين" [٨٧]. من البين أن الحملة على الكاشيين والياسوبيغاليين هي الحملة الثانية التي قام بها سنحاريب. وفي حملته الثالثة بدأ احتكاكه مع مناطقنا. وهذا ما يذكره حرفياً نص هنري بونيون، وبشكل خاص عندما يتحدث عن بيت – كوباتي: "في حملته الثانية اجتاح سنحاريب بلد الكاشيين والياسوبيغاليين، الذين فروا أمامه، وأسكنهم في كارديشبي وبيت – كوباتي...".

من الواضح هنا أن المعارك مع الكاشيين لم تكن في جرود عكار، كما يتوهم يواكيم، بل كانت في أعالي جبال ما بين النهرين، وبعد أن انتهت هذه المعارك انطلق سنحاريب في حملة على فينيقية وفلسطين. ولدى مروره في وادي بريسا تم وضع النقوش التي خلد فيها ذكرى تلك المعارك السابقة على وصوله إلى بلادنا هنا. هذا مع العلم أن النص الذي وضعه هنري بونيون، وهو بين يدي يواكيم [٨٨] يكفي للدلالة على كل هذه الأمور، وعلى أن Bit-Koubati ليست القبيات، ولا هي موجودة في عكار أصلاً.

---

87 - GONCALVE, Francolino J.: L`Expédition de Sennashérib en Palestine dans la littérature hébraique ancienne, Librairie Lecofere, Paris, 1986, p.105-108. راجع أيضاً حول حملة سنحاريب: G.MASPERO: Histoire Ancienne des Peuples de l`Orient, Librairie Hachette, Paris, 1904, p.501-516.

88 - إن وثيقة هنري بونيون (H.POGNON: Les Inscriptions Babiloniennes de Wadi Brissa, Paris, 1887.) غير متوفرة في سوق الكتاب بالطبع. وهي غير موجودة في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، ولا في مكتبة الجامعة اللبنانية. والنسخة الوحيدة التي عثرت عليها في مكتبة الآباء اليسوعيين، (المكتبة الشرقية) في بيروت، تنقصها مجموعة الصفحات المطبوعة بحروف طباعة. إن الكتاب الذي وضعه بونيون فيه نوعان من الكتابة. الصفحات الأولى (حوالي ٢٢ صفحة) مطبوعة بأحرف الطباعة العادية، والباقي بأحرف طباعة شبيهة بحروف الكتابة اليدوية. إن مرجع المكتبة الشرقية، لا تنقصه الصفحات الأولى فحسب، بل تنقصه من متنه الصفحات التي تتناول مواقع سنحاريب مع الكاشيين واستيلائه على Bit-

ولكن هل أن الخيال الجامح في "تعظيم" القبيات هو الذي أعمى بصيرة السيد يواكيم أم جهله للغة الفرنسية، وبالتالي اساءته لفهم النص الفرنسي الذي وضعه السفير الفرنسي؟

ما هي حقيقة ما كتبه هنري بونيون، وقد أثبتناه بنصه الفرنسي، يرجى مراجعة الملاحق ومراجعة كتاب السيد يواكيم بالذات؟ ونقوم بترجمته هنا. ننطلق من النص الفرنسي - المسماري الذي أثبته يواكيم في الجزء الثاني من كتابه، في الصفحة ٢٠ والذي عرض بعض ترجمته في الصفحة ٢٧و٢٨.

الموقع الأول: هو Simmin، يقول بونيون: "أجهل أين كان يقع بلد سيمين". بينما يقول يواكيم: "لم يحدد موقعها".

الموقع الثاني: هو le pays de Hilboun. يقول بونيون: "يذكر حزقيال خمر هذا البلد الذي يسميه ، ويعلمنا سترابون (الكتاب ١٥) أنه كان موجوداً في سورية". بينما يواكيم: "يقول أنه ربما كانت مدينة حلب. ولكن (أزيشيل) يقول: Hilbaun أنها مشهورة بعنبها ويمدحها بدون أن يحدد موقعها. أما سترابون فيقول: في كتابه الجزء (١٥) إنها من أعمال سورية، وربما يقصد بها مدينة حلب" [٨٩].

الموقع الثالث: le pays d`Arnabân أو le pays d`aranabân، يقول بونيون: "إن الموقع الجغرافي لبلد arnabân مجهول". يقول يواكيم: "يجهل مكان وقوعها".

الموقع الرابع: le pays de Soukh. يقول بونيون: "يقع بلد Soukh في وادي الفرات بالقرب من الرقة وأناه Anah، راجع H.POGNON: L`Inscription de Mérou-Nérar 1er, roi d`Assyrie, pages 74et96.". بينما يقول يواكيم: "تقع في وادي الفرات قرب بلدة الرقة".

Koubati. ويقول يواكيم الحاج في الجزء الأول من كتابه، في الصفحة ١٢١ حاشية ١: إن "الوثيقة المسمارية موجودة لدي". ولعله يقصد هذا النص المكتوب. أما الوثيقة بمعنى النقوش على الصخور، فلا نظن أن بوسعه الاحتفاظ بها. حاولنا كثيراً الحصول على النص، ولكن باءت محاولتنا بالفشل. ولكننا تمكنا بفضل صديقنا د. جورج شاهين (من عندقت – عكار) المقيم في فرنسا من الحصول على الصفحات المفقودة. فله منا جزيل الشكر والامتنان.

[89] - يتضح هنا سؤء تعريب نص بونيون الذي لم يذكر حلب أبداً هنا. كما أن (أزيشل) –ترجمة يواكيم لاسم Ezéchiel- ذكر خمر هذا البلد. Ézéchiel هو النبي حزقيال، وهو واحد من أبناء اسرائيل الأربعة الكبار. ولقد تنبأ ما بين عامي ٥٩٢ و ٥٧٠ ق.م. وهو مشهور بكتاب حزقيال، أو سفر حزقيال المكون من ٤٨ فصلاً. وهو صاحب نبؤة خراب أورشليم ودعوة العبرانيين بتقبل القصاص الذي لحق بهم، وحثهم على الصبر، مبشراً بخلاصهم. ولقد ذكر حزقيال **حلبون** (سفر حزقيال، ٢٧: ١٨): "وكانت دمشق تتاجر معك لوفرة مصنوعاتك، لوفرة كل غنى، وتزودك بخمر حلبون...".

الموقع الخامس: Le pays de Bit-Koubati. وهنا ذروة التلاعب بالنص. يقول بونيون: "اجتاح سنحاريب، في حملته الثانية، بلاد الكاشيين (Kaché) [٩٠] والياسوبيكاليه Yassoubikallai [٩١] الذين هربوا من امامه، وأسكنهم في كارديشبي Kardichpi وفي بيت - كوباتي Bit-Koubati، وعهد بحكم هاتين المدينتين إلى والي أربخا Arrabkha. وكما قلت في بحثي حول نقوش ميرو- نيراز الأول (ص ٧٣)، أعطت مدينة أربخا اسمها إلى أرباشيتيس (Arrapachitis). ومن المحتمل إذن أن **مدينة وبلد بيت- كوباتي Bit-koubati كانا يقعان**، على مسافة قصيرة شرقي هذه المقاطعة، أي **غربي وجنوبي بحيرة أورمية**. إن اسم العلم Bit-Koubati يعني "منزل شخص اسمه كوبات Koubat"؟ هذا على الأقل ما اعتقده سنحاريب، لأنه كتب اسمه .

ومن المحتمل أن بلد بيت- كوباتي كان مأهولاً بشعوب من أصل سامي". هذا مايقوله هنري بونيون، بترجمته الحرفية إلى العربية، ولنقارن هذا الكلام مع ما يقوله السيد يواكيم. يقول يواكيم: "Bit-Koubati القبيات في عكار" [٩٢]، وسبق ليواكيم أن قال: "ويقول الملك سنحاريب... أن هذه المدينة (Bit-Koubati) تقع على مقربة من هذا المكان (يقصد وادي بريسا في جرود الهرمل)... ويقول أنه كان يستورد النبيذ الفاخر من تسعة بلدان مختلفة. وكانت القبيات إحدى هذه البلدان" [٩٣]. وحتى يمعن السيد يواكيم تشويهاً في نص هنري بونيون، واساءة للترجمة من الفرنسية إلى العربية، يقول متسائلاً: "ما هي مدينة كاردشبي وأين تقع؟ (ويجيب) عندما نقرأ أن سنحاريب ملك آشور غزا الكاشيين والأثيوبيين في جرود عكار (هكذا اخترع هذه الرواية عن الحرب في هذا الموقع، لأنه يقرأ في مخيلته لا في ما كتبه هـ. بونيون!)، وكسرهم واحتل مدينتهما (الصحيح مدينتهم): (بيت كليمزاك، وكاردشبي) [٩٤]. وأنزلهم إلى كاردشبي والقبيات حيث أقام عليهم حاكماً من قبله يدعى رابشاقا". [٩٥]. ويتابع يواكيم: "هذا الكلام يحدد بصورة طبيعية أن مدينة الكاشيين المسماة بيت- كليمزاك، كانت في الجبال العالية الواقعة في جرود القبيات، بدليل أنه أنزلهم من جبالها إلى كردشبي والقبيات. فلما كان لا يوجد تسمية لبلدة بين الجبال العالية

---

[90] - في اللغة الفرنسية هناك ما يسمى الكاشيين Kassites و Kachés .

[91] - هناك لفظة Yassoubikallai و Yasubigalléen.

[92] - يواكيم الحاج، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨.

[93] - المرجع السابق، ص ١١.

[94] - المفروض أن يقول بيت-كيلامزاخ، لأن اللفظة الفرنسية هي Bit.Kilamzakh، وكارديشبي تعريباً للفظة الفرنسية Khardichpi. ولكن لا بأس بشيء من التحوير حتى تصح الفرضية الوهمية.

[95] - قارن هذا الكلام بتعريبنا لنص بونيون الذي يثبته يواكيم بنفسه. في كل ما كتبه السفير الفرنسي، لا يأتي على ذكر عكار مطلقاً.

وبين القبيات غير النقطة المعروفة باسم (كرم شباط) [٩٦]، يوجد تطابق شبه كلي بين حروف اللفظتين" [٩٧].

واضح هنا البحث عن التطابق اللفظي، أو استيهام التطابق اللفظي، لتصح العظمة التاريخية! وهذا التوهم، يدفع السيد يواكيم، بعدما يكشف تزويره للنص الفرنسي، إلى التعالم في قراءة الحروف المسمارية، حيث اخطأ عالم الآثار بونيون. يقول السيد يواكيم: "عندما نعلم أن المستشرق الفرنسي صور الحروف المسمارية كما هي على الصخرة [٩٨] بعدما مرت عليها آلاف السنين وتعرضت لعوامل الطبيعة التي أثرت وبدلت ومحت العديد من الحروف كما هو ظاهر من قراءة الوصف وتحديد عدد السطور التي أتت عليها الأيام: فعندما نعرف ذلك لانستغرب بعض التغيير في شكل الحروف ونتجرأ[٩٩] على القول بأن منطقة كرم شباط Kharmchbit هي ذاتها المعنية بلفظة كردشبي Khardechpi في كلام المستشرق [١٠٠]. هكذا يصبح السيد يواكيم عالماً بكيفية تصويب النصوص المسمارية. وليقنعنا بذلك يضع لنا في متن كتابه أربع صفحات من الحروف المسمارية والهيروغريفية، حتى ليظنها القارىء أنها من اكتشافه [١٠١].

---

96 - كرم سباط ليست بلدة، ولا قرية، هي مجرد مزرعة مشتركة بين أبناء القبيات وجعفر وعيدمون، وفي الأصل هي ملك لتركمان عيدمون، وتابعة عقارياً لهذه البلدة: عيدمون، حتى الآن. سنتناولها لاحقاً.

97 - الحاج، يواكيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨.

98 - كان عليه أن يصورها كما هي في خيال ورغبة السيد يواكيم.

99 - لا شك أنها جرأة المتطفل على العلوم، جرأة من أعمته محبته لبلدته و رغبته في تعظيمها حتى "انفلقت"! وفي هذا التطفل يقول ابن خلدون، في "المقدمة": "التطفل على الفنون عريض طويل. ومرعى الجهل بين الآنام وخيم وبيل. والحق لا يقاوم سلطانه...".

100 - نحو مزيد من التشويه والتزوير يلغي يواكيم الحرف "i" من كلمة Khardichbi.

101 - الحاج، يواكيم، مرجع سابق، الجزء الثاني، الصفحات من ٢١ إلى ٢٤. تبين لنا أن هذه الصفحات مأخوذة تصويراً عن الجزء الأول من "تاريخ سورية الدنيوي والديني، للمطران يوسف الدبس، من الصفحة ٣٤٥ حتى ٣٤٨. وبالطبع لا يكلف السيد يواكيم نفسه ضرورة ذكر مرجعه!

الفصل الثالث

القبيات: الطوبوغرافيا التاريخية والطوبونيميا Toponymie

نظرة عامة

يجب علينا، في الكلام على طبوغرافيا القبيات، التمييز بين الانتشار السكني القبياتي وامتداد القبيات في أملاكها ومجالها الجغرافي على بقعة أوسع بكثير مما تشغله الأحياء السكنية. يتوزع الانتشار السكني في القبيات على أحياء ستة لكل منها اسمه الخاص به. هي: "الغربية"، "مرتمورة"، "الضهر"، "غوايا"، "الذوق"، "القطلبة". بعض هذه الأحياء ينقسم تبعاً للموقع الجغرافي (شرق ، غرب)، مثل "مرتمورة" الشرقية و"مرتمورة" الغربية، وكذلك "الضهر" الشرقي و"الضهر" الغربي. وفيها حي "الذوق" ذوقان: "الذوق" الفوقاني و"الذوق" التحتاني. وهناك تقسيم آخر داخل الأحياء تبعاً للتجتمع السكني العائلي. فحيث يكون تجمع المساكن تابعاً لأبناء عائلة واحدة، يتخذ هذا الموقع اسم حي عائلة فلان، أو حي بيت فلان. إن كلمة "حي" بحد ذاتها هي تعبير عن علاقة قرابية وتفيد معنى العشيرة أو بعض أقسامها [١٠٢]. وعليه يقال: حي أو حارة بيت فلان، أوفلان...

بالإضافة إلى هذه الأحياء السكنية هناك المجال الجغرافي الأوسع للبلدة، هذا المجال يتحدد بالأملاك العائدة لأهالي البلدة والمندرجة في نطاقها العقاري (وخارجه أحياناً) والبلدي، وبالأراضي حيث للأهالي "حق الانتفاع" العام، وهي تسمى اليوم أملاك الجمهورية اللبنانية. يتوزع هذا المجال الجغرافي الواسع في ما يعرف باسم الكروم أو "الضهور" في "الغربية" و"مرتمورة" و"الضهر"، بالاضافة إلى جملة مزارع: كرم سباط، وحلبوسا، وكماع والعصابة، ووادي حلسبان (بما فيه بوتويج)، وشويتا...

---

102 - KAZIMIRSKI, A. de B.: Dictionnaire Arabe-Français, Librairie du Liban, Beyrouth, 2 tomes, (sans date), 1ère édition 1860, Maisonneuve et Cie Editeurs, Paris, T.1, p.523. والحي هو "محلة القوم" و"البطن من بطون العرب"، راجع: المنجد في اللغة والأعلام، حيي، ص ١٦٥؛ ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ١٣١.

ولا بد لنا في الحديث على طبوغرافيا القبيات من أن نلحظ التطور التاريخي لهذه الطبوغرافيا (اتساعاً أو تقلصاً) حتى أصبحت البلدة على ما هي عليه اليوم. فهل كانت القبيات، بانتشارها الراهن، على هذا المدى من التوسع والوحدة، أم أنه كان هناك مسار تاريخي تكونت من خلاله هذه الوحدة الاجتماعية - الجغرافية الراهنة المسماة القبيات؟ لا شك، بأن القبيات الراهنة أنطلقت من الحي المعروف اليوم باسم "القبيات العتيقة"، وتوسعت لتضم مناطق أخرى لم تكن من القبيات، وكان بعضها معروفاً كقرى مستقلة عن القبيات، وبعضها كان سكانه، على التأكيد، من غير الموارنة، أوبعض سكانه على الأقل، ومنه من كان من غير المسيحيين.

ولقد حاولنا سابقاً طرح هذه المسالة بقولنا، واصفين الانتشار السكني القبياتي: "تتوزع منازلها (أي منازل القبيات) في مجموعات تكاد تكون متميزة في تموضعها [١٠٣]، حتى ليخال الرائي أنه أمام مجموعة من القرى لا إزاء بلدة واحدة، وخاصة أن بعضها يبعد بضعة كيلومترات عن بعضه الآخر. ولعل في ذلك مبرراً أولياً للتساؤل عمّا يكوِّن بلدة واحدة من هذه الأحياء الستة المتباعدة وشبه المستقلة" [١٠٤]. وأضفنا في حينه: "مرة أخرى لا بد من طرح السؤال حول علة وأسباب اجتماع هذه الأحياء الستة في بلدة واحدة، خصوصاً أن تسمية "القبيات العتيقة" تشير إلى تجددها (أي تجدد البلدة) أو انتقال ما، لهذه البلدة، عبر سيرورة تاريخية أدت إلى جمعها في واقعها الراهن" [١٠٥]. سنحاول الآن إعادة طرح السؤال نفسه، وإلقاء المزيد من الضوء حوله، ولئن أزعج ذلك أصحاب التفكير "اليقيني" أو "التسليمي"، أصحاب "الأصالة" المارونية المزعومة [١٠٦].

يتوزع السكن في القبيات، بغالبيته (خمسة أحياء، السادس حي القطلبة هو الأصغر والآخر في تكونه والأكثر وضوحاً في تفرده واستقلاله كموقع سكني مستقل)، في مجموعات خمس تنتشر في وادٍ منفرج تحيط به الجبال من جميع

---

[103] - يعود كلامنا هذا إلى تاريخ ٢٩ أيلول ١٩٨٦، أي منذ حوالي عقد ونصف. أما اليوم فمعظم أحياء القبيات بات على شبه اتصال سكني، بحيث يتعذر مثلاً تمييز الحدود، لغير الخبير بالبلدة وأحيائها، بين أحياء "الضهر" و"غوايا" و"الذوق"و"مرتمورة". ولكن الأمر لم يكن كذلك منذ نصف قرن. فما بالك إذا عدنا أكثر إلى الوراء؟

[104] - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات"، ملف، وكالة أنباء الشرق، الشمال، العدد ٦٥، ٢٩ أيلول ١٩٨٦، ص ٣٣.

[105] - المرجع السابق، ص ٣٥.

[106] - ردّ علينا د. فوءاد سلوم، واعتبرنا "نشك" بوحدة القبيات، وكأنه استهجن اسئلتنا، بقوله: "يقصد (أي يقصد جوزف عبدالله): أن تكون أحياء القبيات الستة بلدة واحدة هو أمر موضع تساؤل وشك". راجع: سلوم، د. فوءاد: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، وكالة أنباء الشرق، الشمال، ملف، العدد ٨٦، ١٧ آب ١٩٨٧، ص ٣٣.

الجهات. ففي الشمال، هناك هضبة تمتد، عبر سلسلة من القباب والضهور، من حدود عندقت - القبيات شرقاً (حيث تقع أملاك غالبيتها لأهالي حي "مرتمورة")، حتى تلة برزق غرباً، في نهاية مرتفعات تلال "القبيات العتيقة" (حي الغربية). تشرف هذه الهضبة على قسم كبير من سهل عكار وعلى الساحل السوري. وتعتبر بداية لسلسلة الأسناد الجنوبية التي تتدرج في ارتفاعها حتى تبلغ "القموعة". كما أنها تشكل، في القسم الأكبر منه، نهاية الطبقة البركانية، الرقيقة إلى جهة الشرق، بينما تزداد سماكة في الغرب، عند حي "القبيات العتيقة" أو "الغربية". وهي تتراوح في ارتفاعها ما بين ٦٠٠م إلى الشرق، لتبلغ في نهاية الغربية (تلة برزق) ٧٠٠م.

وفي الجنوب، يقوم حي "الضهر" و"غوايا"، بموازاة حي "مرتمورة"، على سفوح "الضهور" المكتونة بين أخاديد الأسناد المؤدية إلى هضبة "شويتا" وبطاحها غرباً، حتى سفح "جبل الراس" شرقاً. ينتصب "جبل الراس" جنوبي "غوايا" مباشرة، ويتجه من الشرق إلى الغرب على ارتفاع يبلغ أقصاه، في الغرب، حوالي ٨٣٠م، عند بلوغه وادي "جورة النحلة" الفاصلة، في موقعها، بين أملاك القبيات وبلدة "عكار العتيقة". ويشرف هذا الجبل مباشرة على سهلات "شويتا" المنبسطة عند سفحه الغربي مباشرة على ارتفاع يتراوح بين ٦٠٠م و ٧٠٠م.

يتوسط السكن في حي "الذوق" وادي القبيات، فينتشر من طرف "مرتمورة الشرقية" باتجاه الجنوب الشرقي ليتجاوز حي "غوايا"، فيحتل المنطقة الواقعة على يمين المتتبع لمجرى نهر القبيات نزولاً، وذلك على ارتفاع يتراوح، من الجنوب الشرقي إلى الغرب، ما بين ٥٥٠م و ٥٠٠م. يقابل "جبل الراس" إلى الجنوب الشرقي "جبل المرغان" الذي يشرف على حي الذوق من ارتفاع يتجاوز أحياناً ٨٠٠م. وما بين هذين الجبلين يشق نهر القبيات مضيقاً يهبط من "حي القطلبة" الذي تنتشر منازله على "ضهور" تبلغ في ارتفاع السكن فيها ما يتجاوز ٧٥٠م.

يبدو أن مجرى نهر القبيات (والروافد التي تغذيه على امتداده) لعب دوراً أساسياً في تعيين هذا الانتشار السكني، بدءاً من "الضهور" المتكونة حول الشريان الأساسي للبلدة (نهر القبيات)، وفي نقاط التقاء سفوح هذه "الضهور" مع هذا المجرى، بالاضافة إلى القاعدة الواسعة نسبياً لوادي القبيات.

يخرج نهر القبيات من "نبع الجوز"، على علو حوالي ٨٥٠م، في إسفل سطح منطقة "زبود"[١٠٧] شرقي "حرف الشربيل"، وهذه المنطقة تشكل واحداً من المواقع الفاصلة بين بلدة القبيات و"عكار العتيقة". يسير ذلك النهر في وادي "حلبوسا" [١٠٨]، ليلتقي (تحت حي القطلبة)، بالروافد المتكونة إلى شرقي وادي "حلبوسا"، انطلاقاً من منحدرات "الشنبوق"، مروراً "بالعصابة" و "كماع"، ويعرف في مكان اتصال هذه الروافد إليه "بنهر المواش". وفي رأس "المواش" يلتقي الروافد من وادي "المرغان" ثم من وادي "عين الريحانة"، ولا يلبث أن تصب فيه، عند بداية المضيق المتكون بين "جبل الرأس" و "جبل المرغان"، مياه "عين الست"، وما يتجمع من المياه المنحدرة من وادي "بيت الغريب" (التابعة "لعكار العتيقة") و"بوتويج" و"حلسبان". ويستمر النهر بالجريان ببطىء، لضعف انحداره، في وادي القبيات السكنية، فيقسم البلدة قسمين، ويكون على يمين المتتبع لمجرى النهر نزولاً، حي الذوق (في منبسط وادي القبيات) وحي "مرتمورة" و"الغربية"، بينما يقع على يساره حي "الضهر" وحي "غوايا". ويتلقى هذا النهر، من "وادي البكليك"، الفاصل بين حي "الذوق" وحي "مرتمورة"، الروافد التي تتجمع في "وادي الكاسوحة"، الفاصل بين القبيات-عندقت، وفي "الحلّوف" و"الوطى". كما يتلقى، من الجهة الجنوبية، المياه المتجمعة في وادي "عين النمر" والمنحدرة من بطاح "شويتا"، عبر هذا الوادي وغيره من الأخاديد. ثم يتجاوز القبيات جنوبي حي "الغربية"، على علو حوالي ٤٦٠م، فيجتاز وادي قرية "السنديانة"، ليلتقي بعد تجاوزه "وادي الفارغ"، بين "المجدل" و"السن" بنهر "عكار العتيقة"، ويندمج فيه.

لعب هذا النهر (وما يتصل به من روافد من جهات ثلاث: الشمال والجنوب والشرق) دوراً أساسياً في اعتمار القبيات وفي تنظيم طبوغرافيا هذا

---

107 - ربما أن اسم "زبود" يعود إلى الجذر "زبد"، ويشير إلى مكان سابق لعبادة إله سامي. يقول أنيس فريحة (معجم... مرجع سابق)، عند تناوله لاسم "مزبود"، أن هذا الاسم مشتق من الجذر"زبد" (ص ١٦٧). ويذكر في مكان آخر من نفس المرجع: "جذر "زبد" اسم الإله السامي المشترك، ومعناه العطاء والسخاء" (ص ٨٢). وفي مكان ثالث يقول: " Zabad : اسم إله سامي مشترك واسم علم. ومعنى الاسم العطاء والهبة والإهداء. ويرد هذا الاسم كثيراً في أسماء الأعلام السامية والأمكنة الجغرافية مما يدل على شيوع عبادته" (ص ١٤٩). يذكر ياقوت الحموي (مرجع سابق) عدة مواضع باسم "زُبد" و"زَبد" (ج٣، ص١٣٠)، وأخرى مركبة فيها "زبد" مثل "زَبدقان" و"زُبدة" (ج٣، ص١٣٠)، أو "زَبيد" و"زُبَيدان" (ج٣، ص١٣١)، و"زُببيد" و"زُبيدية" (ج٣، ص١٣٢) كتصغير "زُبد". ولكنه يكتفي بتعيينها كأسماء مواضع دون إيضاح معناها، أو تقريبه مما يراه فريحة. يعتمد د. عبدالله الحلو نفس التفسير الذي يعتمده فريحة، ويجعل "زبود" من جذر "زبد". راجع مؤلفه: تحقيقات تاريخية لغوية...، مرجع سابق، ص ٢٩٩. وفي "معجم ما استعجم"، للبكري، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لحنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٤٧، (ج ٢، ص٦٩٤): "زَبِد: موضع بالشام...".

108 - لم نجد لها ذكراً في المعاجم الجغرافية. وربما كانت تشترك من حيث الجذر مع حلب وحلبا، ولكن هذين الأسمين هما على تفسير ملتبس في المعاجم الجفرافية. راجع عبدالله الحلو، المرجع السابق، ص ٢٢٦-٢٢٧(سنعالجه لاحقاً).

الاعتمار. لقد كان يدير مجموعة من المطاحن ما تزال آثارها حية إلى اليوم. آخر هذه المطاحن مطحنة "شمعا" إلى الجنوب الشرقي من حي "الغربية". تسبقها مطحنة "البرج" قرب سيدة "شحلو" ما بين "الضهر" و"مرتمورة"، ومطحنة "غزالة" و"نادر" و"سنَّار" و"الياس"، وذلك على أطراف حي "الذوق" المحازية للنهر تجاه حي "الضهر" و"غوايا".

وليس هناك أدنى شك بأن هذا النهر، بروافده الموسمية، لعب دوراً كبيراً في خلق الكثير من القطع الزراعية الخصبة في وادي القبيات، خاصة بما تحمله السيول المنحدرة، من أعالي هضاب عكار، في الأخاديد، من حصيلة عملية التآكل الطبيعي. وهذا ما يعني إخصاباً طبيعياً ودورياً للأرض الزراعية، القليلة الوجود أساساً في هذه المناطق الجبلية التي تغلب في تكوينها كتل الصخور. كما يعني أيضاً تكوين مناطق زراعية يطلق عليها اسم "الموشة" و"المخاضة" و"الرامية" [١٠٩].

كما أن مياه هذا النهر، ومياه الكثير من الينابيع والعيون (سنأتي على ذكرها لاحقاً) ساعدت على استقرار السكن في القبيات، ومع أن الأرض غير ملائمة، على نطاق واسع للعمل الزراعي، لكن القبياتي تمكن، بجهوده المستمرة، من استغلال ما تكون من الأراضي القليلة الصالحة للزراعة، كما أنه عمد إلى توسيع رقعتها باللجوء إلى طريقة بناء المصاطب وتكوين الجلالي. كما أحسن استغلال مصادر مياه العيون، وإن كانت شحيحة، باعتماد تقنية حقن الماء (في المحقن، أي البركة الاصطناعية). وما يزال هذا الأسلوب معتمداً حتى الآن، على صعيد فردي وجماعي، هذا مع العلم بأن الزراعة اليوم في حالة تراجع رهيب، قياساً لما كانت عليه لعقود خلت.

ولعله لنا في اسم القبيات بالذات، ما يشير إلى غنى منطقتها بالماء، سيما وأن شتى تأويلات هذا الاسم، السريانية أو العربية، ترى فيه تجمعاً للماء. وهذا

٨- "الموشة" و"المخاضة" و"الرامية" أنواع من الأرض الزراعية تنشأ أساساً على قاعدة تجمع الماء فيها، سواء ماء الأمطار والسيول الموسمية أو الماء الجارية دوماً. وتعتبر "الرامية" من أكثرها تجميعاً للماء الموسمية، بينما المخاضة تشير إلى استمرار وجود الماء في موقع معين، وقلما تجف بالكامل، وما يقرب منها عبارة "المغراق" و"المغراقة". في حين أن "الموشة" (المواش) غالباً ما تقوم إلى جانب المجاري المائية الدائمة، بينما يغلب وجود "المخاضة" والمغراقة" بالقرب من الينابيع الشحيحة. وفي القبيات كثير من هذه المواضع التي غالباً ما يُستفاد منها في الزراعات الصيفية، أو في زراعة الأشجار التي تحتاج إلى قدر كبير من الري. وتكون مهمة الفلاح فيها بعمله على تدبير جريان الماء كيلا تبقى التربة، بكاملها، مغمورة على الدوام بالمياه. ولقد أشار أنيس فريحة إلى هذا النوع من الأرض بقوله: "رامية... هناك إمكانية أن يكون الاسم جمع ranta ومعناه بركة أو صهريج لجمع ماء الشتاء" (معجم...، مرجع سابق، ص٧٨). كما أنه عين "الموشة" بكونها ما يتم انتزاعه من الماء من أرض زراعية، المرجع السابق، ص ١٧٧.

ما جعل وادي القبيات نموذجاً من وديان عكار الغنية بخصوبتها نسبياً، تلك الوديان التي دفعت بأحد قناصل فرنسا إلى تسجيل دهشته وإعجابه بها، في تقرير رفعه إلى حكومته قبيل الحرب العالمية الأولى، وضمنه الأهمية الزراعية لوديان عكار [١١٠].

ولا بد لنا ان نذكر في عداد العوامل التي شجعت الاقامة والسكن في القبيات تلك الثروة الحرجية التي نظنها كانت وافرة في ربوع البلدة ومناطقها. وربما كان العمل في قطع الأخشاب من أقدم تلك الأسباب التي دفعت إلى اعتمار القبيات، من قِبل العاملين في هذه المهنة. ولعل هذه الحال تنطبق على القسم الأكبر من السكن في جبل لبنان منذ أقدم الأزمنة، حيث اعتبر البعض أن الإقامة في جروده كانت بداية للحطابين والعاملين في قطع الأخشاب ونقلها. وفي هذا يقول الأب لامنس: "لعل الحطابين والصيادين كانوا أول من سكن لبنان والأمانوس" [١١١]. ويرى البعض أن عكار منطقة امتازت بثروتها الحرجية لدرجة جعلت أهم أقدم مركز تاريخي في عكار يستمد اسمه من غنى المنطقة بأشجارها. هذه هي حال مدينة عرقة التاريخية التي يربط أنيس فريحة اسمها بجذوع الأشجار الباسقة واستخدامها في البناء، فهو يقول: "عرقة. وهو اسم قديم ورد ذكره في الأشورية ar-qa وفي المصرية ar-qa-tu وفي رسائل تل العمارنة Ir-qa-ta ... arqé´. أخشاب وجسور للبناء. وفي عامية لبنان "العرقة" جذع أو خشبة غليظة تبنى فوق الباب أو النافذة (عتبة) [١١٢]. يظهر أن المكان بدأ كمركز لتصريف الأخشاب أو الجسور" [١١٣]. ومن الذين خصصوا ذكر القبيات كموقع من مواقع الثروات الحرجية في عكار مؤلفا "ولاية بيروت"، بقولهما: "إن أهم الأحراج في لواء طرابلس الشام هي أحراج عكار وضنية. تبتدأ[١١٤] هذه الأحراج التي تشغل قريباً من (١٥٠) ألف دونم من قرى (غابات وتحفت) وتمتد إلى أواخر حدود الضنية. وتوجد على السفوح التي يزيد ارتفاعها عن ١٥٠٠ متراً. وإن أحراج قبايات عنعنت، أرمون، عرض الحريق، روبر،

٩- كوثراني، وجيه: بلاد الشام، السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٧٥.

١٠- راجع: LAMMENS, H.(S.J.): La Syrie, Précis Historique, Dar Lahd Khater, Beyrouth, 3ème edition,1994, p.2. راجع: لامنس: تسريح...، مرجع سابق، ص ١٩٧.

١١- الخشبة التي توضع فوق الباب أو النافذة تلعب دور العتبة، وهي ليست بطول ولا بضخامة العرقة. إن العرقة خشبة ضخمة طولاً وسماكة، تلعب دور الجسر في البناء، وتستخرج عادة من جذع الشجر الطويل والباسق.

١٢- فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١١٥.

١٣- هكذا في النص والصواب تبتدئ.

جور ديري، وادي جهنم، قاطر فريم، ضنية، هي من فروع هذه السلسلة"(١١٥).
ويخص د. أبو العينين جرد القبيات، الشمبوك، وفنيدق بوجود شجر يسميه Juniperus excelsa عرعر حملايا(١١٦).

ومن الأدلة على قدم الثروة الحرجية في البلدة ما تبقى منها حتى الآن في بعض الأماكن السكنية، لاسيما أماكن العبادة. ففي الساحة العامة في القبيات، مقابل كنيسة الحبل بلا دنس، شجرة دلب خضراء عامرة، تُعرف باسم "دلبة الذوق"، يبلغ محيط دائرة جذعها حوالي أربعة أمتار؛ وفي دار كنيسة السيدة الغسّالة سنديانة محيط دائرة جذعها حوالي خمسة أمتار؛ وفي باحة كنيسة مار جرجس (شويتا) سنديانتان محيط دائرة كل منهما أكثر من خمسة أمتار؛ وكذا هي الحال في إحدى باحات دير الآباء الكرمليين...

طبوغرافيا الأحياء

نبدأ الكلام على طبوغرافيا الأحياء بدءاً من حي "الغربية". هذا أول حي يصله الزائر الآتي إلى القبيات (من طرابلس -حلبا - ... البيرة – السنديانة) من جهة الغرب، بالنسبة لباقي البلدة. يعني اسم "الغربية" وقوع هذا الحي في غرب القبيات، في طرفها الغربي. ولما كان لعبارة الحي مرادف أكثر استعمالاً محلياً أحياناً فإنه يُقال أيضاً "الحارة الغربية" أو "الغربية"، اختصاراً. بيد أن الاسم الحقيقي لهذا الحي هو "القبيات العتيقة". يعني ذلك أن الاسم الأصلي لهذا الحي هو "القبيات". وفي هذه التسمية "القبيات العتيقة" ما يُشير إلى أن أصل القبيات الراهنة بدأ في موقع هذا الحي، وفي حدود مجاله الجغرافي. ومنه بدأ المجتمع القبياتي توسعه بإعمار الأحياء الأخرى، التي اتخذت بمجموعها، ومع الزمن، وفي سياق عملية توسعها وتوحدها، اسم القبيات، مع احتفاظ كل منها باسم خاص به أصيل. ولما اتخذت القبيات الراهنة وضعها النهائي، احتفظ الأصل باسم "القبيات العتيقة".

يُعرف هذا الحي أيضاً باسم "حارة الأربعين"، نسبة إلى كنيسة "الأربعين شهيداً" التي كانت الكنيسة الوحيدة العامرة في القبيات. ومن المرجح أن الكنيسة الوحيدة التي بقي المجتمع القبياتي يقضي حاجاته الروحية فيها حتى

١٤- تميمي وبهجت: ولاية بيروت، مرجع سابق، ص ١٥٧. لعل المؤلفان أوردا أسماء الأماكن نقلاً عن خرائط أجنبية، فجاء تعريبها مخالفاً لما هو شائع. نقترح بعض التصحيح: قبايات (قبيات)، عنعنت (عندقت)، أرمون (أكروم) (؟)، روبر (؟)، جور ديري (؟)، قاطر فريم (؟).

116 - أبو العينين، د. حسن سيد أحمد: لبنان، دراسة في الجغرافيا الطبيعية، دار النهضة الهربية، بيروت، ١٩٨٠ ص ٦٣٢.

أواخر القرن الثامن عشر، هي "كنيسة الأربعين" في "حي الغربية". ولعله من المرجح أيضاً أن انتشار ابناء القبيات من "الحارة الغربية" (القبيات العتيقة) إلى باقي الأحياء والمناطق ربما حصل في أوائل القرن الثامن عشر. ولعل هذا الانتشار حصل بعد اندثار معمري المناطق المنضوية اليوم تحت اسم القبيات، لأسباب ما تزال غير واضحة تماماً، وإن كنا سنحاول العمل على جلائها قدر ما يتوفر لنا من المصادر المعنية.

أما بدء المجتمع القبياتي بالوجود في "القبيات العتيقة" (أو الغربية) فإن الخورسقف الزريبي يعود باعتماره من قِبل الموارنة إلى مرحلة بداية سيطرة المماليك على عكار، وزوال الصليبيين من المنطقة.

ننطلق في كلامنا هنا من نص تاريخي وضعه واحد من أهم (إن لم يكن الأهم) رجال الدين في القبيات، هو الخورسقف ميخائيل الزريبي [١١٧]. جاء النص بعنوان: "لمحة تاريخية" نثبت معظمه هنا، ونضع صورة عن المخطوط الذي تركه الخورسقف المذكور، في الوثائق الملحقة.

الخورسقف الزريبي: "لمحة تاريخية"

"*إننا لم نتمكن من الوقوف على تاريخ حقيقي به نعرف أصل سكان القبيات القدما المسماة قديماً (   ) نسبة لمركزها الطبيعي، مع أن الآثار القديمة الموجودة بها تدل على أنها قبل المسيح، وأن السكان بها كانوا من أمة اليهود ، كما يُستدل من كثرة الدياميس والمدافن المنقورة بصخر، ورفاة الأموات الضخمة وسمك الجماجم وطول الأعصاب الغريب... ويُظن بها أنها من بقايا الرومان نظراً للآثارات الكثيرة، وأهم أثر يوجد بها هو الأثر الموجود الآن في* وادي حلسبان *كونه يشبه بكبر حجارته* قلعة معراب بكسروان *و*هيكل أفقه *عند* مخرج نهر ابراهيم*. أما إطلاق الاسم عليه الآن بمار شليطا فربما يكون أن الصليبيين الذين احتلوا هذه الديار وشيدوا فيها الكنائس والمعابد والأديار شيدوا في هذا البناء العجيب كنيسة على اسم مار شليطا. كما يُظن بهم أنهم شيدوا المعابد الآتي ذكرها الموجودة بخراج القبيات (عدا عن الكنائس القديمة الموجودة في* عندقت *و*شدره *و*عيدمون *و*البارده *و*ممجز *و*كفرتون *وغيرها وجميعها لا تبعد الواحدة عن الأخرى مسافة عشر دقائق) أولاً كنيسة* دار عنين *أي الاستجابة، ٢ -*

---

[117] - الخورسقف الزريبي: سجل الوفيات، كنيسة مرتمورة، ص ٢٨٣. إن جميع من اشتغل على تاريخ القبيات رجع، بشكل أو آخر، إلى ما تركه هذا الخورسقف من مخطوطات ووثائق متنوعة. ولكن التعامل مع نصوصه جاء انتقائياً على درجة واسعة. كما أن هذه النصوص تعرضت، في سياق الإستفادة منها إلى التشويه في تفسيرها، وستر أو حجب بعض حقائقها وتزويرها أحياناً، وتحميلها ما لا تحتمله من المضامين، كما سنبين في سياق بحثنا.

كنيسة كماع،٣ ـ كنيسة مار سركيس وباخوس ويُظن به أنه دير للعباد نظراً إلى الغرف الموجودة للآن، ٤ ـ كنيسة الغسالة، ٥ـ كنيسة مار ضوميط التي جدد بناءها الآباء الكرمليون سنة ١٨٥٢، ٦ ـ كنيسة سيدة شحلو، ٧ـ كنيسة مار جرجس بقرية شويتا ولم تزل عامرة وبالقرب منها كنيسة تُسمى ويُقال لها غزراته، ٨ـ كنيسة الأربعين شهيداً ولم تزل إلى الآن وتقام بها الذبيحة الإلهية كل يوم، ٩ ـ كنيسة مرتموره. فجميع هذه الكنائس والقرى التي حولها دخلت الآن بخبر كان، وأصبحت خربة رميمة، ويُعرف أنها خربت بالحريق أبان الحروب التي تواترت عليها في أيام الملك الظاهر البندقداري سنة ١٢٨٩م، من المواد التي وجدناها بقرية شحلو محروقة وجدران الأبنية المشوهة بالسواد ومثلها قرية شويتا التي كانت آهلة بالسكان في عهد يوستنيانوس الثاني الأخرم سنة ٦٩٤م (الستماية وأربعة وستين م كذا في المخطوط!)، كما يُستدل على ذلك من الهرم المبني فوق ضريح وزيره مرقيان الذي جُرح في قرية أميون مع رفيقه مريق وهرب من عساكر المردة إلى شويتا وتوفي فيها. أما من بنى هذا الهرم فوق ضريحه بعلو ما ينيف عن أربعين ذراعاً هل الملك أم الأهالي فلا يُعلم. وهذا الهرم قد هدمه محمد بك العبود من البيره وعلي آغا الأسعد من عكار والبادري ماري ايسوس كرملتاني وأخذوا حجارته للبناء وذلك سنة ١٨٧٠م. وما برحت جدران القصر الذي كان ضمن فسحة الهرم للآن.

أما سكنى الموارنة في القبيات فيُظن به أنه حديث وليس بأكثر من ستماية سنة. وربما يكون قسم منهم من بقايا المردة الذين كانوا قاطنين هذه البلاد مثل قرية الباردة التي نشأ منها البطريرك موسى العكاري في عصر ألف وخمسماية م، وقرية شدرة التي منها المطران اسحاق الشدراوي في عصر ألف وستماية م، وقرية حلات الشعرة التي قيل أنه نشأ منها البطريرك الحلاتي. والقسم الباقي هم غربا ومن عهد وجيز أتوا من لبنان ورأس بعلبك ومن صدد وقطنوا في القبيات وامتزجوا مع سكانها امتزاج الراح بالماء.

أما انتشار أهلها في حارة مرتمورة والزور وضهر البلان المسماة غوايا فهو حديث جداً لا يبعد أكثر من ماية وسبعين سنة أيام ولاية الأمرا آل سيفا الذين كانوا يُرغمون السكان على غرس التوت (وبالحديث مع العامة يُقال عن كل توتة ضخمة أنها سيفلية)، كون مجموع السكان كان بحارة الأربعين أي بالحارة الغربية المسماة بالقبيات القديمة... ومنها نزح عايلة رزق وعايلة بطيخ وعائلة رعد وعائلة عماد الجميل البكفاوي الملقب بالزريبي (نسبة لتوطنه في قرية زريب بقضا حزور مدة قصيرة ومجيئه إلى القبيات ووفاته بها). وتوطنوا في حارة مرتمورة وبقوا يقضون لوازمهم الروحية وفروضهم الدينية عند خوري كنيسة الأربعين إلى أن ارتسم الخوري بطرس الراعي الذي خدم مدة قصيرة

وتوفاه الله تعالى... ثم ارتسم الخوري يوحنا بن يوسف عماد الجميل من طيب الذكر المطران يوسف حبيش مطران طرابلس الذي صار فيما بعد بطريركاً سنة ١٨١١ ورمم كنيسة مرتمورة وبقي يقدس بها إلى أن تغمده الله برحمته. وبقيت الحارة مدة سنين بغير كاهن إلى أن ارتسم كاهناً شرعياً عليهم المرحوم والدي الذي تسمى باسم عمه الخوري يوحنا وهو سركيس بن جبور بن يوسف بن عماد الجميل البكفاوي الملقب بالزريبي.

ولد سنة ١٨٣١، ولما بلغ رشده أرسلته والدته إلى بشري وهنالك درس أصول اللغة السريانية وعلم اللاهوت الأدبي على الوكيل البطريركي المرحوم الخوري يوسف بن ميخائيل عريضه رئيس كهنة بشري... وفي آب ١٨٥٥ اجتمع أهالي مرتمورة وقدموا عريضة إلى سعيد الذكر المطران بولس موسى رئيس أساقفة طرابلس بها يلتمسون منه قبول انتخابهم المرقوم كاهناً شرعياً عليهم. فسيادته غبّ الفحص عن كمال سلوكه وحسن سيرته أثبت انتخابهم له موقعاً عليه بأمضاه وختمه في اليوم الرابع عشر من شهر آب سنة ١٨٥٥م...".

ماذا نستنتج من هذا النص؟

أولاً: ينطوي هذا النص على كثير من الحقائق التاريخية، وجلّها بحاجة إلى قراءة نقدية. وهو في قسمه الأثري يقوم على الظن. ولكنه لا يخلو من كبير الفائدة في ما يخص الأمور القريبة نسبياً من زمن الكاتب، بحيث يُفيد في معرفته ما عايشه هو، وما نقله إليه كبار السن، وما شاهده شخصياً. كما أن القراءة النقدية لما يتضمنه هذا النص تجعل منه وثيقة على درجة عالية من الأهمية. هذا فضلاً عن ما يتحلى به من قدر كبير في الموضوعية التي يفتقدها المؤرخون المحدثون، لا سيما من أبناء القبيات الذين قاربوا تاريخ بلدتهم بعيون أعمتها محبة البلدة، ومرارة "العظمة"، وهذيان "الأصالة".

ثانياً: يُفهم من هذا النص أن القبيات، على كامل امتدادها الجغرافي الراهن، كانت منطقة عامرة منذ أقدم الأزمنة: "إنها قبل المسيح وإن السكان بها كانوا من أمة اليهود" [١١٨]. وهو يسجل هنا "كثرة الداميس والمدافن المنقورة بصخر". كما يسجل احتمال انتساب أهم الآثار إلى الزمن الروماني، خاصة ما هو موجود منها "في وادي حلسبان كونه يشبه بكبر حجارته قلعة معراب بكسروان وهيكل افقة عند مخرج نهر ابراهيم"، وهذا ما يمكننا، في ما لو صحّت ملاحظته، من القول والتأكيد بإعمار الفينيقيين لهذه المنطقة.

---

118 - إن عبارة "من أمة اليهود" مشطوبة بخط رقيق، ولكنه لا يعيق قراءتها بسهولة، ولعل واضع هذا الخط هو غير المؤلف.

ثالثاً: يشير إلى دور الصليبيين في إعمار المنطقة وبناء الكنائس فيها. ولا يتعصب لانتمائه الديني، فيجعل هذه الكنائس مارونية، علماً بأنه كان أهم رجل دين ماروني في البلدة. وبالتالي فهو لا يدّعي واقعاً مارونياً، كان موجوداً، دون أن يتأكد من وجوده.

رابعاً: يرى أن المجتمع القبياتي الراهن حديث الوجود نسبياً، وهو لا يعود إلاّ لبداية عهد المماليك: "أما سكنى الموارنة في القبيات فيُظن به أنه حديث وليس بأكثر من ستماية سنة". مع تأكيده أن اعتمار القبيات، كبقعة جغرافية، بدأ في "القبيات العتيقة" (الغربية) فقط. وهو يميز هنا بين من يعود من أهل القبيات إلى هذا التاريخ (ستماية سنة) وبين قسم آخر يقول فيه: "هم غربا ومن عهد وجيز أتوا من لبنان وراس بعلبك ومن صدد وقطنوا في القبيات". ويبدو هذا "العهد الوجيز" على علاقة بتوسع القبيات من "الغربية" إلى باقي الأحياء الراهنة للبلدة. وهذا ما يعبر عنه بقوله: "أما انتشار أهلها في حارة مرتمورة والزور وضهر البلان (و)غوايا فهو حديث جداً لا يبعد أكثر منماية وسبعين سنة...".

خامساً: يعتبر أن المجال الجغرافي القبياتي الراهن قد كان منطقة فيها مجموعة من القرى. فعندما يعدد الكنائس التي كانت موجودة يقول: "... فجميع هذه الكنائس والقرى التي حولها دخلت الآن في خبر كان وأصبحت خربة رميمة". طبعاً، يعزو هذا الخراب إلى الحملة التي قادها المماليك لطرد الصليبيين. ويذكر من هذه القرى بالاسم قرية "شويتا".

قرية السنديانة والقبيات؟

هل كانت قرية السنديانة الواقعة غربي "القبيات العتيقة" (الغربية) من ضمن نطاق القبيات في ما مضى؟ "السنديانة" اليوم قرية أهلها جميعهم على مذهب السنة. تذكرها "الحوليات المارونية" في الكلام على تاريخ الرهبانية كمزرعة تابعة للقبيات، أو كجزء منها. وانطلاقاً من ذلك جعل السيد يواكيم الحاج "السنديانة" مزرعة: "تابعة للقبيات قديماً، فوهبها "بونز" أمير طرابلس سنة ١١٢٧م إلى مستشفى القبة (ليس من الضير أن لانميز بين "أبي سمرا" و"القبة" ؟!)، في كونتية طرابلس الذي كان يُسمى: Hopital de Mont Pélerin... وهذا ما ذكره المستشرق الفرنسي راي E. Rey في كتابه(١١٩) بقوله: Cendiana, Casal donné en 1127 à l Hopital du Mont Pélerin, par Pons,

119 - الحاج، يواكيم: المرجع السابق، ص ٣٢٥. حافظنا على النص الفرنسي كما أورده السيد يواكيم الحاج.

Comte de Tripoli. C’ est aujourd hui un village de montagne d Akkar nommé: Sendianeh .

ذكر راي أن "السنديانة" مزرعة وهبها بونز إلى الاسبتارية، هذا صحيح. ولكنه لم يقل إنها كانت تابعة للقبيات، كما أنه قال إنها قرية أرثوذكسية "village grec" (١٢٠). لماذا "أكل" السيد يواكيم كلمة "أرثوذكسية"؟ الجواب عنده بالطبع! (لعلها رغبته بالحفاظ على النقاء الماروني!؟). وعلى العموم ليس في كلام راي ما يفيد بأن السنديانة كانت تابعة للقبيات. لماذا تزوير كلام راي؟ السيد يواكيم يعرف طبعاً!؟

لم يذكر أي مصدر آخر مثل هذا الكلام غير ما ورد، عندما وضع الأب لويس بليبل "تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية"، حيث قال، في الفصل السادس من المجلد الأول: "في سنة ١٧١٠ أنشأت الرهبانية ديراً في بلاد الدريب "عكار" بقرية القبيات على اسم العذراء مريم وهو دير السنديانة. وكان موقعه في خرائب تدعى السنديانة وتولى رياسته الأب جرجس قشوع الغسطاوي وبعد أن سكنته الرهبان نحو نصف سنة تركوه فراراً من جور الحكام. عن فرحات"(١٢١).

يكرر الأب مارون كرم اللبناني نفس الرواية عندما يقول أن الرهبانية "أنشأت، في القبيات سنة ١٧١٠، "دير السنديانة" وأسندت إدارته إلى الأب جرجش قشوع، ...، ولكن تعصب العثمانيين واضطهادهم وإذكاءهم نار الفتنة الطائفية قصد التفرقة والإيقاع بين الأخوان المواطنين! وجور الحكام وانسياق الرعاع والدهماء في تيارهم... كل ذلك أجبر رهباننا على هجر هذا الدير بعد نصف سنة"(١٢٢). ويوضح (في حاشية رقم ١ في نفس الصفحة) إن "السنديانة مزرعة تابعة للقبيات". بينما جعل بليبل "موقعه في خرائب تُدعى السنديانة".

ثمة نص، بالغ الدلالة في تعيين طبيعة العلاقة التاريخية بين قرية السنديانة والقبيات، جاء فيه: في العام ١٧٠٩ "افتتحنا ديراً في قرية القبيات وكان أصله ضيعة ودثرت وتُعرف بالسنديانة وسميناه دير السنديانة وقمنا عليه

---

[120] - راجع: E. REY: Les Colonies Franques de Syrie aux XIIème et XIIIème siècles, Alph. Picard,Editeur, Paris, 1883, p.365. إن تعيين موقع السنديانة موضع خلاف بين الذين عملوا على طبوغرافيا المواقع الصليبية في المنطقة، لا سيما وأن فيها عدة مواضع باسم السنديانة.

[121] - بليبل، الأب لويس: تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، المجلد الأول، مطبعة يوسف كوى بمصر، ١٩٢٤، ص ٨٠. ينسب السيد يواكيم هذا الكلام إلى "الأب لوريس الجميل"، في كتابه المذكور، ج٢، ص ٣٢٦.

[122] - كرم، الأب مارون: قصة الملكية في الرهبانية اللبنانية المارونية، دار الطباعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٠. يستند الأب كرم إلى بليبل في المرجع السابق. ولكن الأب بليبل اكتفى بالقول، في تفسيره لاقفال هذا الدير: "فراراً من جور الحكام"، ولم يتقدم بأي تفصيل أو إيضاح حول هذه المسألة.

رئيساً القس جرجس من غوسطا يُعرف من بيت القشوع وبقي الدير في يدنا نصف سنة وتركناه لجور الحكام"(١٢٣). يوضح هذا الكلام حقيقة أن السنديانة كانت ضيعة ودثرت، فهي لم تكن من الأصل جزءاً من القبيات بل ضيعة قائمة بذاتها، وإن كان قد حصل توسع ما نحو السنديانة فهو ليس توسع المجتمع المحلي القبياتي، بل هو طموح الرهبنة، هذا الطموح الذي اصطدم ب"جور الحكام"، وانتهى بعد نصف سنة.

غير أن الأب يوسف ابراهيم الحوراني الحصروني يلقي مزيداً من الضوء على قصة هذا الدير بقوله، وهو يعدد مآثر الأب قراعلي: "أما ما جناه الأب قراعلي لدير قزحيا في مدة توليه عليه، فهو: أولاً: إنه سنة ١٧١٠ كان قد استحصل على شرطية من إمضاء محمد حسن آغا دندش حاكم بلاد عكار. فيها يتعهد الحاكم المذكور أن يسلم الرهبان ديراً قديماً في جهات عكار، ضمن خراج قرية القبيات، يُسمى دير السنديانة، على اسم العذراء مريم، مع سائر أملاكه. وأن كل ما تملكه الرهبانية في تلك النواحي المحكومة من محمد المذكور، لا يحق للحكومة أن تضع عليه ضرائب. ولا تستوفي منه أموالاً أميرية. ولا عشر غلات. وتاريخ هذه الشرطية سنة ١١٢٢هجرية: توافق سنة ١٧١٠م. فأرسل الرئيس العام إلى هذا الدير الجديد بعض رهبان تحت رئاسة الأب جرجس القشوع الغسطاوي. حيث عنوا بترميمه، وإصلاح أراضيه. وما هي ستة أشهر حتى هجروه من جور الحاكم" (١٢٤). ويحاول الأب الحوراني الحصروني تفسير هجر الرهبانية لهذا الدير فيقول: "إما أن الحاكم الأول عُزل، والذي خلفه لم يرق له ذلك، فعامل الرهبان بالقسوة. أو أن الأهالي استرضوا الحاكم ذاته لبقاء الأراضي في حوزتهم، فعدل عن ايهابها للرهبانية. والله أعلم" (١٢٥).

يوضح كلام الأب يوسف ابراهيم الحوراني الحصروني طبيعة تلك الخرائب التي سعت الرهبانية المارونية إلى إقامة دير فيها: إنها "دير قديم"، مجهول الهوية والنسبة، لا يشغله أحد، مع وجوده في "خراج القبيات"، يتصرف به حاكم المنطقة محمد حسن آغا دندش. كما أنه يلقي بعض الضوء على السبب الذي جعل الرهبانية تضطر إلى التخلي عن إعماره. وهنا يترك احتمالاً لرفض الأهالي: "أو إن الأهالي استرضوا الحاكم ذاته لبقاء الأراضي في حوزتهم". فما المقصود بالأهالي؟ وهل هم أهالي بلدة القبيات الموارنة؟ أم هل هم أهالٍ

---

[123] - الدويهي، البطريرك اسطفان: سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، عني بنشرها وتعليق حواشيها رشيد الحوري الشرتوني، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠١، ص ١٨٤.

[124] - الحصروني، الأب يوسف ابراهيم الحوراني: تاريخ أديار معاملة الجبة، أشرف على نشره المحترم الأب يوسف الخوري (ر.ل.م.)، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية المارونية اللبنانية (١٦٩٥ – ١٩٩٥)، دير مار انطونيوس – غزير (لبنان)، ١٩٩٨، ص ١٥٧.

[125] - المرجع السابق، حاشية رقم ١، ص ١٥٧.

قبياتيون ولكن غير موارنة ولهم علاقة ما بخرائب هذا الدير؟ أم هم غير موارنة ومن خارج القبيات؟ من المستبعد أن يرفض أهالي القبيات الموارنة وجود الرهبنة المارونية بينهم، لاسيما متى كان غرضها إعمار دير سيعود عليهم بالنفع الروحي والمادي. لا سيما وأنهم كانوا، تبعاً لوصف الأب مارون كرم اللبناني، من تلك "الأقلية المسيحية" في "منطقة الدريب – عكار... المنطقة المحرومة"... حيث "هناك قرى مارونية فقيرة ومنعزلة ونائية، يتحكم بأبنائها الجهل والبؤس، ويعوزها الكثير من التعليم الديني والتفقد الراعوي" [١٢٦].

وإذا ما تذكرنا ما صادف الرهبنة اللبنانية المارونية لدى إقامتها في دير جانين، في الدريب – عكار، حين اعترض أهالي بينو الأرثوذكسيون على تملك الرهبنة المارونية كنيسة مار جرجس (دير جانين)، عام ١٨٥١، وذلك بعد مرور حوالي قرن ونصف (١٤١ سنة) على ما تعرضت له الرهبنة المارونية في السنديانة [١٢٧]، لخرجنا باحتمال أن يكون هؤلاء الأهالي الذين قصدهم الأب الحوراني الحصروني هم على مذهب الأرثوذكس، دون أن نتمكن من حسم مسألة وجودهم في "القبيات العتيقة" أم في جوارها المباشر. وما يشجعنا على طرح هذا الاحتمال هو أن الباحث راي اعتبر السنديانة، في أواخر القرن التاسع عشر، قرية أرثوذكسية بقوله [١٢٨]: CENDIANA, casal donné en 1127 à l` Hôpital du Mont-Pèlerin par Pons, comte de Tripoli. C`est aujourdhui un village grec des montagnes d Akkar, nommé Sendianeh.

"القبيات العتيقة"

يحتل حي "القبيات العتيقة" (أو "الغربية" أو "حارة الأربعين") القسم الغربي من ذلك الجبل الذي يحضن، من الشمال، الانتشار السكني القبياتي

---

126 - كرم، الأب مارون: تاريخ الملكية...، مرجع سابق، ص ٥٠.

127 - يروي الأب مارون كرم اللبناني اعتراض أهالي بينو الأرثوذكس على تملك الرهبنة المارونية لكنيسة مار جرجس – دير جانين، بعد أن سلمها لهم مطران أبرشية طرابلس بولس موسى. فهو يقول: "وعندما أحس أهل قرية بينو بتملك الرهبان وبمباشرتهم في البناء والترميم هاجموهم وأوسعوهم إهانة وقذفاً وضرباً (ليس الأمر جور المسلمين ولا الحكام، إنه صراع مسيحي – مسيحي، فلماذا لانسمي الأمور باسمائها؟!)، وهدموا كل ما كانوا رمموه من الكنيسة وبنوه من غرف. فاضطرت الرهبانية، محافظة على أرواح بنيها ورسالتها وحقوقها، إلى الإلتجاء إلى المحاكم، وقاست خسائر مالية فادحة حتى حُكم لها! واستأنفت بناء الكنيسة والدير وهي لا تأمن على حياة رهباننا!"، مرجع سابق، ص ٥٣. وهو يوضح: "يُقال أنه كان للموارنة كنيسة في بينو، ولأهل بينو كنيسة مار جرجس، وجرت المقايضة بهما سابقاً بتراضي أهل البلدتين" (حاشية رقم ١، ص ٥٣). يؤكد نفس الموقف في ادعاء أهل بينو الأرثوذكس امتلاكهم للكنيسة الأب يوسف ابراهيم الحوراني الحصروني، في مؤلفه المذكور سابقاً، ص ٥٩٩. كما يذكر ذلك الأب نايف اسطفان، في مؤلفه "تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، ص ٣٢٤و٣٢٥.

128 - راجع: E. REY: Les Colonies...,op. cit.,p.365. شددنا نحن على كلمة aujourdhui لأن الكاتب يعني بها أن قرية السنديانة كانت، في زمن كتابته لمؤلفه، أي أواخر القرن التاسع عشر، قرية أرثوذكسية: aujourdhui un village grec إنها الآن قرية أرثوذكسية. ولكن الأب نايف اسطفان لم يذكر السنديانة في عداد المواضع الأرثوذكسية، في كتابه عن أبرشية عكار (مرجع سابق).

الراهن على منحدرات وادٍ منفرج يسير في قعره نهر القبيات. ويغطي هذا الحي بعقاراته قسماً كبيراً من المسافة الممتدة من الحدود الشرقية للقبيات مع عندقت حتى حدود السنديانة عند تلة "برزق" المشرفة من ارتفاع يقارب ٧٠٠م على قسم كبير من سهل عكار والساحل السوري. يقوم هذا الحي، في الأصل، على سفح وأواسط "ضهر" بسيط يمتد من الشمال إلى الجنوب حتى نهر القبيات، بين أخدودين شبه متوازيين، في كل منهما الكثير من مصادر المياه، نسبياً. فالأخدود الشرقي المعروف باسم "وادي الكساير" فيه، في أعلى التجمع القديم للمساكن، "عين الكساير". أما الأخدود الغربي ففيه "عين النعاصة"، وإلى الغرب منها "عين العريض" القريبة من أخدود الفصل بين القبيات وقرية السنديانة المجاورة غرباً. هذا بينما كانت "عين الفوقانية"، في أعلى المنازل، تخدم لتأمين مياه الشفة، على الرغم من ضعف منسوبها.

وإلى الشرق من إسفل "وادي الكساير" ما تزال بقايا "مطحنة شمعا" أو "شمعا"، تذكرنا باسطورة "جنية شمعا" التي طالما روى مسنو القبيات حكاياتها في سهرات ليالي الشتاء الطويلة. ولكم أقسم البعض منهم أغلظ الايمان إثباتاً لحوادث حصلت للكثيرين من أبناء البلدة مع هذه "الجنية" التي كم أحرقت من ثوب وثوب "إستعارته" من منزل أصحابه دون علمهم (١٢٩).

يربط الباحثون القبياتيون في تاريخ القبيات بين وجود بقايا هذه المطحنة وتلك الشخصية التي ذكر البطريرك اسطفان الدويهي ميمرها في مدح البطريرك موسى العكاري، في العام ١٥٥٧م، وجاءت تلك الشخصية باسم "سمعان بن شمعة القبياتي" (١٣٠). هل يعود وجود هذه المطحنة إلى ذلك التاريخ القديم نسبياً (منتصف القرن السادس عشر)؟ أم هي لأحد من عقبه أو عائلته؟ هذا مع العلم أنه لم يرد، على حد علمنا، حتى الآن، اسم هذه العائلة في ماضي القبيات وحاضرها، بغير ما ذكره الدويهي حول الشاعر القبياتي صاحب ميمر مدح البطريرك موسى العكاري. ولا يوجد الآن في القبيات أحد يحمل اسم هذه العائلة. وعلى أية حال يجدر بنا أن ندرك أن ملكية المطاحن كانت بيد السلطات، ولم تشكل ملكية خاصة إلاّ بعد العمل بقانون الطابو العثماني، وذلك فقط اعتباراً من

---

129 - تتكرر الحكايات القائلة بأن فلاناً (هو المرحوم طبعاً) بينما كان ماراً بالقرب من هذه المطحنة، سمع قرع الطبول وأصوات الزغاريد، وشاهد رقص الجموع، ولما اقترب دعته، باسمه وكأنها تعرفه، أجمل راقصة ليشارك في الفرح. فلبى الدعوة وجلس. وكان عجبه شديداً لما شاهدها ترقص مزهوة بثوب زوجته. وأراد أن يتحقق من صحة ظنه بشأن الثوب، فعمد، على غفلة منها، إلى إحداث ثقب في الفستان بواسطة طرف سيجارته. وعندما رسم إشارة الصليب اختفى الجميع، وعادت الأمور إلى هدوئها المعهود. وأسرع إلى منزله، واتجه فوراً إلى الخزانة ليتفقد الثوب، فوجده مثقوباً! يدخل الإعتقاد بوجود الجن في الماء في سياق "تقديس المياه" وآلهتها، واعتبارها مسكناً للأرواح.

130 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١٨٥: "قول سمعان بن شمعة القبياتي في الميمر الذي في سنة... ١٥٥٧م ولفه عن البطرك موسى العكاري".

أواسط القرن التاسع عشر، أي في الزمن الذي لم يرد منه أي ذكر لاسم هذه العائلة. وإذا كانت "مطحنة شمعة" تحمل اسم صاحبها أو متسلمها، ولعلها تكون على صلة ما بوقف "ابن شمعة" الوارد في ما نشره الدكتور عصام خليفة عن الأوقاف في لبنان تبعاً للسجلات العثمانية في القرن السادس عشر [١٣١].

في رأس الأخدود الغربي منطقة تحمل اسم "طورزا" أو "طرزا" التي ربما تعني "الجبل الصغير"، وإن كان أنيس فريحة يرى أن هذا الاسم يشير إلى جبل ينبت الأرز فيه [١٣٢]. وقد يكون للاسم أصل آخر و حُرِّف مع الزمن: "طورزيا"، فيكون معناه جبل الراهب لأن "زيا" كعلم سرياني هو الراهب [١٣٣]. والطور عند ياقوت الحموي هو الجبل: "الطور في كلام العرب: الجبل، وقال بعض أهل اللغة: لا يُسمى طوراً حتى يكون ذا شجر ولا يقال للأجرد طور"[١٣٤]. وفي هذا تصح التسمية، جزئياً، لأن المنطقة كانت، في الماضي، بلا شك، على كثافة في شجرها، لا سيما السنديان والملول (العفص). بالطبع لم يبقَ منه اليوم غير القليل. لكن "الغطاءات النباتية في لبنان ما هي إلاّ بقايا متناثرة لغابات قديمة كانت أعظم اتساعاً وكثافة عن تلك التي نراها اليوم" [١٣٥]. وقد يكون اسم "طورزا" على علاقة في اشتقاقه، في ما خصّ "طور"، بالمعنى الذي أشار إليه ياقوت الحموي: "وقيل: سُمي طوراً بيطور بن اسماعيل" [١٣٦]. ولعل في ذلك نسبة في التسمية إلى إقامة الأيطوريين العرب، قديماً، في المنطقة، كما سنرى لاحقاً، وكما كانت الحال في منطقة "نبع الجعلوك"، شمالي هذا الحي. كما قد تكون التسمية تحريفاً لاسم "طور زيتا" فيعني جبلاً فيه أشجار الزيتون [١٣٧]، وهذا محتمل أيضاً لاشتهار المنطقة بأشجار الزيتون، في بعض مواقعها، لا سيما وأن في القبيات عائلة عريقة في قدمها في البلدة، وهي من أكبر العائلات القبياتية عدداً: زيتوني (زيتونه).

تحتل كنيسة "الأربعين شهيداً" أفضل موقع في وسط الانتشار السكني السابق، وكانت المنازل تتجمع حولها من جميع الجهات، لا سيما من الجنوب والشمال. بيد أن الانتشار السكني في هذا الحي توسع كثيراً وتجاوز المواقع المرتفعة لجهة الشمال، عند ما يُعرف ب"جوار العين" و"الأرض المصلبة"،

---

131 - راجع: KHALIFE, Issam: des Etapes Decisives dans l`Histoire du Liban, Beyrouth, p.40 et 42.

132 - فريحة، أنيس: معجم...، مرجع سابق، ص ١٠٨. نستبعد إمكان نمو الأرز في هذا الموضع لقلة ارتفاعه، فهو لا يتجاوز ٦٠٠م، مما لا يسمح بانبات شجر الأرز.

133 - المرجع السابق، ص ١٠٨.

134 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٧.

135 - أبو العينين، حسن سيد أحمد: لبنان: دراسة في الجغرافيا الطبيعية...، مرجع سابق، ص ٦٣٨.

136 - الحموي: معجم...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٧.

137 - المرجع السابق، ص ٤٧ – ٤٨.

ليصل إلى إلى منطقة "الحميرة"، على المقلب الشمالي للجبل المحيط بالقبيات شمالاً. وهناك بالقرب من "حرف عيود" و"السماقة" وقبلهما تلة "مبارك"، إلى الغرب، أرض زراعية تكثر فيها الكروم، كانت في ما مضى مجالاً لزراعات الخضر المتنوعة، تساعد في نموها العيون: "عين قرقر"، "عين الحجل"، "عين السماقة".وإلى الشرق منها تتدرج منطقة "الحميرة" لتبلغ حدود القبيات مع قرى النهرية والباردة ومنجز. وفي هذه المنطقة أيضاً تروي "عين الزيتونة" الأرض المعطاء، حتى الموضع المعروف ب"مار سمعان"، في "الحميرة الجوانية". أما لماذا دُعيت هذه المنطقة باسم "الحميرة"، فهذا ما لم نتوفق إلى احتمال نغلب الظن فيه. فطبيعة الأرض بركانية، وهي أميل إلى السواد واللون البني منها إلى الإحمرار. ولم نجد في معاجم أسماء الأماكن ما يفيدنا في شيء، مع أن الاسم شائع ويُطلق على مواضع متعددة. يرى أنيس فريحة أن حميرة "قد يكون عربياً: الحميراء ومعناه حمى رديئة أو امرأة شقراء من غير الجنس العربي. ولكننا نشك في كونه عربياً". ويتابع فريحة بقوله: "جذر حمر له معان مختلفة: (١) التخمر (٢) الحُمَّر (الاسفلت) والطين والملاط (٣) التكوين والتعريم (٤) اللون الأحمر (٥) اسم الحيوان الحمار. فبأيها سمي المكان؟" ثم يشير إلى ما طرحه الأبوان حبيقة وأرملة: "المخمر (...)" [١٣٨]. ويختم كلامه: " نحن نفضل أن نرى في الاسم اللفظ الآرامي ... : القوية، الشديدة، الصلبة" [١٣٩]. لا يذكر ياقوت الحموي عبارة "الحميرة"، ولكنه يتحدث عن "الحميراء: تصغير حمراء: موضع من نواحي المدينة ذو نخل..."[١٤٠].

ولكن ما يلفت نظرنا هو رسامة اغناطيوس مطران نابلس لكاهن قبياتي على قرية "الحميرة": "وقدمنا جدعون من قرية القبيات كاهناً على قرية الحميرة في ١٧ نيسان ١٧٩٦م" [١٤١]. فهل تكون "الحميرة" هذه هي نفس المنطقة التابعة للقبيات، وقد كانت في الماضي آهلة بالسكان؟ أم أنها كانت تابعة للقبيات ويقيم فيها في مواسم العمل الزراعي الكثير من أهالي البلدة، وكان يتبعهم كاهن ليبقى بينهم، كما درجت العادة مع أهالي القبيات الذين كانوا يعملون في مزرعة "كرم سباط"؟ أم أن "الحميرة" هذه قرية أخرى غير محددة من قبلنا، لا سيما وأن مواقع كثيرة تُعرف بهذا الاسم؟

---

138 - معنى الحميرة عند الأبوين أرملة وحبيقة هو خمير، راجع: "الدوائر السريانية في لبنان، أسماء القرى السريانية اللبنانية"، مجلة المشرق، السنة٣٧، ١٩٣٩، ص ٣٩٧.

139 - كل نصوص فريحة هنا من مرجعه المذكور سابقاً: معجم...، ص ٥٩.

140 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ص ٣٠٧. يذكر أيضاً مواضع باسم "حِمِيَر"، ولا نرى ربطاً بين التسميتين.

141 - سعادة، الأب اغناطيوس (م.ل.): "الرسامات في شرطونية المطران اغناطيوس الخازن من ١٧٨٨ إلى ١٨١٩"، المنارة، السنة ٣٠، ١٩٨٩، العدد الثالث، ص ٣٦٢.

"القبيات العتيقة" : المجتمع

نحن ندين، بشكل مطلق، للدكتور عصام خليفة بحصولنا على أقدم معلومات ومعطيات جدية، يمكن الركون إليها في ما يخص القبيات. سواء بما نشره من أبحاث اقتصادية واجتماعية كانت نتيجة اشتغاله على الأرشيف العثماني[١٤٢]، أو بما زودنا به من معلومات لولاها لاستمر عملنا التأريخي ضرباً من العلم بالغيب[١٤٣].

إن أقدم ظهور لاسم القبيات يعود إلى مطلع القرن السادس عشر، وذلك تبعاً لما هو وارد في السجلات العثمانية العائدة لإحصاءات العام ١٥١٩م[١٤٤]. انطلاقاً مما هو وارد في هذه السجلات (من معطيات نشرها د. خليفة، أو زودنا بها في مقابلاتنا معه، قبل أن ينشرها بعد) أمكننا تقدير حجم المجتمع القبياتي وقدراته الاقتصادية. كما أمكننا الحسم في مسألة سبق أن طرحها الخورسقف ميخائيل الزريبي: بدأت القبيات في الظهور والتكون انطلاقاً من حي "الغربية" (القبيات العتيقة)، وذلك لأن "شويتا" تبدو في تلك المراجع الموثوقة كقرية

---

142 - عندما نذكر الأرشيف العثماني يجب أن نتذكر أننا نعني جملة كاملة من الإجراءات المتكاملة التي تطال مجمل البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتنظيمية (الادارية) في الامبراطورية العثمانية. لقد كانت هذه البنية من أكثر أشكال التنظيم تطوراً، بعكس ما يتبادر إلى الذهن عادة من أن "التركي" يعني الفوضى والتسيب. وعلى هذه المسألة علق ولرس WEULERSSE قائلاً (Paysans de Syrie. . ., op. cit.,p.59.): L`Occident est en general sévère pour les turcs, il leur attribue généreusement la misère des paysans,. . . Pareil jugement resulte d`une erreur d`optique. . . les turcs recueillent pour ainsi dire la succession de toutes les puissances vieillies et decadents de l`Asie et sur ces debris ils élèvent la construction politique la plus stable qu`ait connu l`Islam depuis l`Empire romaine. Pendant quatre siècles il assura à ce pays la sécurité et donna aux peoples les plus divers, du Caucase au Soudan, une remarquable cohesion interne. Ce n`est point là, une oeuvre mediocre. . . أما د. خليفة فيصف الأرشيف الذي اشتغل عليه بقوله: "... تندرج هذه الوثائق، بشكل رئيسي ضمن دفترين من دفاتر الطابو مفصل، وهما يتضمنان الاحصاءات التي قامت بها الادارة العثمانية لولاية طرابلس عام ١٥١٩ وعام ١٥٧١. والاحصاء للضرائب والسكان تقليد إداري قديم العهد اعتمدته الدولة العثمانية، وكانت العملية الاحصائية تجري كل ٣٠-٤٠سنة، وقد أطلق عليها بنو عثمان "ويركي ونفوس صاييمي" أي "إحصاء الضرائب والسكان"... (أبحاث في تاريخ لبنان في العهد العثماني، ١٩٩٥، بدون تعيين دار نشر).

143 - إن ما قام به د. عصام خليفة على درجة عالية جداً من الأهمية. لقد أعطى للتأريخ، لا سيما التأريخ للشمال، مادته العينية الفعلية. ولقد كان بعمله هذا إنما يقوم بما على الحكومات، وبشكل خاص وزارة الثقافة والتعليم العالي، السعي إليه ورعايته، نقصد نقل الأرشيف العثماني إلى العربية ووضعه بتصرف الباحثين.

144 - خليفة، د. عصام: الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٠، ص ٧: "إحصاء عام ١٥١٩ ورد في الدفتر المفصّل رقم ٦٨ الموجود في أرشيف رئاسة الوزراء في اسطنبول"؛ وفي الحاشية رقم ١ من نفس الصفحة جاء: "حول مضمون هذا الدفتر، يمكن مراجعة: د. عصام خليفة: لبنان في أرشيف اطنبول، بيروت ١٩٩٦، ص ١٧. كما يمكن مراجعة د. عصام خليفة: أبحاث في تاريخ شمال لبنان في العهد العثماني، بيروت، ١٩٩٥، ص ٩".

مستقلة عن القبيات لها وضعيتها الخاصة بها، ولا تشكل بالتالي جزءاً مكوناً للقبيات، كما هي حالها اليوم.

بلغ عدد سكان القبيات، وفقاً للتقديرات المستندة إلى الإحصاء العثماني العائد للعام ١٥١٩، حوالي ١٥ عائلة[145]، وذلك على اعتبار أن القرية كانت، في حينه، تضم ١٧ ذكراً راشداً بينهم ١٥ متزوجون وإثنان عازبان. ولما كان احتساب عدد السكان يتم بضرب عدد المتزوجين بالرقم ٦، ثم يُضاف إليه عدد العازبين، وتُزاد نسبة ١٠% (كاحتمال عام للأخطأ)، يكون مجموع سكان القبيات في العام ١٥١٩ هو: (١٥x ٦+٢) + ١٠% = ١١٢نفساً[146]. وكانت القرية "تيمارية"، وقيمة تيمارها ٨٠٠ أقجة، موزعة على حصتين: ٤٠٠ حصة تيمار أولاد نافح صدر الدين، و٤٠٠ حصة عمر يحي وكانت تنتج ما يعادل ٨ مكوك من الحنطة[147].

وفي إحصاء العام ١٥٧١، بلغ عدد دافعي جزية النصارى في القبيات ٣٣ شخصاً[148]، وإذا اعتبرنا كل هؤلاء أرباب أسر ، بلغ مجموع السكان، بعد إضافة نسبة ال ١٠%، (٣٣ x ٦) + (١٠%) = ٢١٨ نفساً. وهكذا يكون عدد السكان قد تزايد مرتين في مدة نصف قرن تقريباً من العام ١٥١٩ إلى العام ١٥٧١.

وإذا شئنا المقارنة بين حجم السكان في القبيات وفي القرى والبلدات المسيحية الأخرى (والمسيحيين في القرى المختلطة)، في عكار، استطعنا ذلك استناداً إلى الجدولين الواردين في مؤلف "الضرائب...، مرجع سابق، د. عصام خليفة، ص ١٢٨ و١٢٩).

جاء في هذين الجدولين عدد الذكور الناضجين دافعي الجزية، مع ذكر القرى التي ينتمون إليها في ناحيتي: عرقة وعكار. ففي ناحية عرقة وردت القرى التالية: **بورة** (ولعلها قرية الباردة) فيها ٣٥ ذكراً ناضجاً يدفع الجزية، فيكون عدد السكان فيها: (٣٥ *٦) + (١٠%) = **٢٣١**نفساً، **منجز** (١٤ * ٦) + (١٠%) = **٩٣** نفساً، **كفر** (١٢ * ٦) + (١٠%) = ٨٠ نفساً، **دير جنين**

---

145 - خليفة، د. عصام: في مقابلة لنا معه زودنا بهذه المعلومة وبكثير سواها، نقلاً عن ما بحوزته من الأرشيف المذكور.

146 - يتم احتساب مجموع نفوس النصارى بضرب عدد المتزوجين من دافعي الجزية بالرقم ٦، ويُضاف إليه عدد دافعي الجزية من غير المتزوجين، ثم تُضاف نسبة ١٠% كاحتمال للخطأ من المتهربين من التسجيل. (حصلنا على هذه القاعدة من مقابلتنا مع د. عصام خليفة)، راجع أيضاً مداخلته في أعمال المؤتمر الأول لتاريخ جبة بشري، مرجع سابق.

147 - خليفة، د. عصام: مقابلة لنا معه.

148 - خليفة، د. عصام: الضرائب...، مرجع سابق، ص ١٢٩.

(٥٠ * ٦) + (١٠%) = **٣٣٠** نفساً، **نهر أفليس** (٢٥ * ٦) + (١٠%) = **١٦٥** نفساً، **طبو** (٢٢ * ٦) + (١٠%) = **١٤٦** نفساً. وفي ناحية عكار، وردت المعطيات التالية: **رحبة** (١٤١ * ٦) + (١٠%) = **٩٣١** نفساً، **بزبينا** (٥٩ * ٦) + (١٠%) = **٣٩٠** نفساً، **سهول السفلى** (١٤ * ٦) + (١٠%) = **٩٣** نفساً، **حنيفة** (١٣ * ٦) + (١٠%) = ٨٦ نفساً، **قبيات** (٣٣ * ٦) + (١٠%) = ٢١٨ نفساً، **مجدل** (٤٢ * ٦) + (١٠%) = ٢٧٨ نفساً، **نفس عكار** (٢٢١ * ٦) + (١٠%) = **١٤٥٩** نفساً، **قريا** (٥ * ٦) + (١٠%) = **٣٣** نفساً، **تاشع الغربية** (٧ * ٦) + (١٠%) = **٤٧** نفساً، **جبرايل** (٢٦ * ٦) + (١٠%) = **١٧٢** نفساً، **المزرعة** (٥٥ * ٦) + (١٠%) = **٣٦٣** نفساً، **عين توت** (لعلها عندقت) (٥٤ * ٦) + (١٠%) = **٣٥٧** نفساً، **عباد النصارى** (٢٥ * ٦) + (١٠%) = **١٦٥** نفساً، **عين ناقون** (٢٦ * ٦) + (١٠%) = **١٧٢** نفساً، **دمت** (٧٨ * ٦) + (١٠%) = **٥١٥** نفساً، **دبلان** (أو أصلان) (٥٧ * ٦) + (١٠%) = ٣٧٧ نفساً، **رشوت** (لعلها شويتا) (٤٠ * ٦) + (١٠%) = **٢٦٤** نفساً، **بينو** (٣٣ * ٦) + (١٠%) = **٢١٨** نفساً[١٤٩]. ومن هذه المعطيات قمنا بتركيب جدول المقارنة التالي:

---

[149] - اعتبرنا جميع كسور الأرقام أرقاماً صحيحة.

جدول مقارنة عدد سكان القبيات بغيرها من مسيحي قرى عكار
(إحصاء ١٥٧١- جزية نصارى)

اسم القرية	ترتيب	عدد السكان	سكان القبيات	الفرق
١ - قريا	١	٣٣	-٢١٨=	+١٨٥
٢ تاشع الغربية	٢	٤٧	-٢١٨=	+١٧١
٣ كفر	٣	٨٠	-٢١٨=	+١٣٨
٤ حنيفة	٤	٨٦	-٢١٨=	+١٣٢
٥ سهول السفلى	٥	٩٣	-٢١٨=	+١٢٥
٦ منجز	٥	٩٣	-٢١٨=	+١٢٥
٧ طبو	٦	١٤٦	-٢١٨=	+٧٢
٨ نهر أفليس	٧	١٦٥	-٢١٨=	+٥٣
٩ عباد النصارى	٧	١٦٥	-٢١٨=	+٥٣
١٠ جبرايل	٨	١٧٢	-٢١٨=	+٤٦
١٠ عين ناقون	٨	١٧٢	-٢١٨=	+٤٦
١١ بينو	٩	٢١٨	-٢١٨=	٠
١٢ **قبيات**	**٩**	**٢١٨**	**-٢١٨=**	**٠**
١٣ بورة	١٠	٢٣١	-٢١٨=	**-١٣**
١٤ رشوت	١١	٢٦٤	-٢١٨=	**-٤٦**
١٥ مجدل	١٢	٢٧٨	-٢١٨=	**-٦٠**
١٦ دير جنين	١٣	٣٣٠	-٢١٨=	**-١٢**
١٧ عين توت	١٤	٣٥٧	-٢١٨=	**-١٣٩**
١٨ المزرعة	١٥	٣٦٣	-٢١٨=	**-١٤٥**
١٩ دبلان	١٦	٣٧٧	-٢١٨=	**-١٥٩**
٢٠ بزبينا	١٧	٣٩٠	-٢١٨=	**-١٧٢**
٢١ دمت	١٨	٥١٥	-٢١٨=	**-٢٩٧**
٢٢ رحبة	١٩	٩٣١	-٢١٨=	**-٧١٣**
٢٣ نفس عكار	٢٠	١٤٥٩	-٢١٨=	**-١٢٤١**

ولقد أمكننا، بالإعتماد على ما عرضه د. عصام خليفة من تحليل لتوزيع الضرائب في الشمال[١٥٠]، بالإستناد إلى الإحصاءات العثمانية لعام ١٥٧١، من تكوين صورة تقريبية عن الحياة في القبيات، في القرن السادس عشر. وعليه كانت القبيات تدفع ضريبة ١٢٠٠ أقجة عن انتاجها من الحنطة ١٠ مكوك [١٥١]، و١٢٠٠ عن انتاج ٢٠ قلة زيت[١٥٢]، ٢٠٠٠ عن انتاج الكروم (من ضمن ما يسمى "مال ضيق وخراج أشجار")[١٥٣]، و٩٠ عن ٣ دواليب حرير[١٥٤]. وكانت القرية تنتج ما يعادل ١٠ مكوك من الشعير، وتدفع ٨٠٠ أقجة ضريبة ماعز ونحل، و٢٠٠أقجة ضريبة بادي هوا ورسم جر [١٥٥]. وكان يوجد في البلدة معصرتان للعنب [١٥٦]، ومطحنة واحدة [١٥٧]، ولم يُسجل فيها وجود أي معصرة للزيت [١٥٨].

شويتا

تمتد شويتا من الحدود الجنوبية الغربية للقبيات على منحدرات وادي الفارغ الذي يلتف من أمام قرية السنديانة إلى الغرب فالجنوب ليدخل وادي "المحلات" قبل أن يلتقي بوادي "جورة النحلة"[١٥٩]، حيث يبدأ الطرف الغربي ل"جبل الراس"، وهي تضم مجموعة من الأراضي المنبسطة المنتشرة فوق الضهور التي تنتهي بانحدارها، شمالاً إلى حي "الضهر" و"غوايا".

---

[150] - راجع: خليفة، د. عصام: شمال لبنان في القرن السادس عشر، جوانب من الحضارة المادية بيروت، ١٩٩٩. كما أن د. خليفة زودنا مشكوراً ببعض المعطيات غير المنشورة عن إحصاء العام ١٥١٩.

[151] - المرجع السابق، ص ٤١. كان انتاج الحنطة في العام ١٥١٩ بقدر ٨ مكوك، وكانت الضريبة تعادل ٨٠٠ أقجة موزعة: ٤٠٠ حصة تيمار أولاد نافح صدر الدين و٤٠٠حصة عمر يحيى. وهنا نفهم أن البلدة كانت تيمارية، وبالتالي يجب استبعاد فرضية امتلاك "ابن شمعة القبياتي" لمطحنة شمعا.

[152] - المرجع السابق، ص ٨٥.

[153] - المرجع السابق، ص ١٢٢.

[154] - المرجع السابق، ص ١٦٨.

[155] - مقابلة لنا مع د. خليفة.

[156] - المرجع السابق، ص ١٤٠.

[157] - المرجع السابق، ص ٥٦.

[158] - المرجع السابق، ص ١٠٠.

[159] - القسم الأول من الاسم يعني المنخفض أو الوادي. ويرى فريحة (في معجم...، مرجع سابق، ص ١٨٢) أن الاسم قد يكون عربياً . غير اننا نميل إلى اعتباره آرامياً سريانياً...: أودية، سواقٍ بين الجبال تجف صيفاً، مضائق...".ويوافق د. عبدالله الحلو (تحقيقات...، مرجع سابق، ص ٥٤٠،) على هذا التفسير: "ويعني: الوادي أو المسيل والمجرى". يذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٧٥) نحلة في البقاع، ولا يفسر فيها سوى قوله: "نحلة واحدة من النحل".

يذكر فريحة "دار شويتا" كموضع في عكار، فيقول فيه: "دار أو مسكن سوي مستقيم غير ذي عوج"[١٦٠]. ويعتمد عفيف بطرس مرهج نفس التفسير لهذا الاسم تقريباً، وذلك في معرض كلامه عن "شويت" وعن "شويا"[١٦١]. كما أن الاسم يرد في السجلات العثمانية "أشويتا"[١٦٢].

شويتا: قرية قائمة بذاتها

تعتبر شويتا من أكثر مناطق القبيات الراهنة غنى بتراثها التاريخي، لما يتواجد فيها من مواقع لها مدلول وإرث كبيران، وذلك على الرغم مما تعرضت له من هجمة محوٍ وتشويه مادية[١٦٣]، تتضافر اليوم بعملية محو معنوية من الذاكرة القبياتية، وتشويه لهذه الذاكرة، بأكثر الأساليب الفجة في التزوير الفاضح. وعلى ضوء ما توفر لنا من مراجع تاريخية يمكننا التأكيد بأن شويتا هي أقدم موقع تاريخي في القبيات تحدثت عنه هذه المراجع[١٦٤].

وإذا كانت المراجع المارونية ذكرت شويتا كقرية في بلاد عكار، بمناسبة الكلام على حملة يوستنيان الثاني الأخرم على الموارنة، عام ٦٩٤م،

---

160 - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ٦٦. وفي موضع آخر يذكر فريحة الأسماء التالية: "شواتا" و"شوايا" و"شويا" و"شويت"، ويردها جميعها إلى جذر سرياني واحد Shewa . وكلها تعني: "الأرض الممهدة المسواة والمنبسطة من جذر Shewa (ص ٩٩-١٠٠)، وهناك أيضاً "بشوات" وهي: "... bet shuita أو... shawyâta أي مكان ممهد وسوي منبسط من جذر shewa ويقابله في العربية سوي" (ص ٢٤).

161 - مرهج، عفيف بطرس: موسوعة...، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٧٦: أصل هذا الاسم (شويت) : "shuita . الأرض الممهدة الرتيبة للزرع، من جذر shwa سوى، متساوٍ". ويعتبر أصل اسم شويتا سرياني محض shewayya جمع shewé وهي اسم مفعول من shewa : ممهد وسهل ورتب، فيكون معنى الاسم الأرض الممهدة... (ج ٦، ص- ٢٧١-٢٧٢).

162 - KHALIFE, Issam: Des Etapes. . ., op. cit., p. 36.

163 - تعرض أحد أهم المواقع الأثرية في شويتا إلى عملية تدمير شبه شامل بنقل حجارة كنيسة مرقيان وقصره إلى بلدة البيرة وعكار العتيقة ودير الآباء الكرمليين في القبيات (بمشاركة هؤلاء الآباء طبعاً، فالكنيسة غير كاثوليكية)، وهذا ما يعبر عنه الخورسقف الزريبي (لمحة تاريخية، مرجع سابق) بقوله: "وهذا الهرم (بعلو ما ينيف عن أربعين ذراعاً) قد هدمه محمد بك العبود من البيرة وعلي آغا الأسعد من عكار والبادري ماري إيسوس كرملتاني وأخذوا حجارته للبناء وذلك سنة ١٨٧٠". ومنذ بضع سنوات تم نقل مجموعة أخرى من حجارته لترميم كنيسة مار جرجس شويتا، مما شوه الكنيسة هذه وزاد في محو معالم موقع مرقيان.

164 - ثمة موقعان أكثر قدماً: مار شليطا في حلسبان، والتل الذي يقوم عليه حالياً دير الآباء الكرمليين. ولكن الكلام عليهما حديث نسبياً. فالأول لم يرد له ذكر قبل: RENAN: Mission de Phénicie, op. cit. p.116، في أواخر القرن الثامن عشر، والثاني في: GHADBAN, Chaker: Deux Inscriptions Inédites de Djebel Akroum dans le Haut Akkar (Liban), MUSJ, pp. 567-578. بينما ورد الكلام على شويتا وكنيسة مريق فيها منذ القرن الثامن عشر، لا سيما في الحوليات المارونية. وتذكرها المحفوظات العثمانية منذ القرن السادس عشر.

ومقتل قائديه موريق ومريقيان، ودفن الأخير في قرية شويتا، فثمة مراجع أخرى، أكثر قدماً ذكرت شويتا "قرية" في منتصف القرن السادس عشر، بيد أن النقاب لم يُكشف عن تلك المراجع إلاّ في مطلع القرن العشرين، وذلك في سياق الكلام على ما تم الاصطلاح على تسميته كتاب "الهدى" المنسوب إلى "أبينا القديس"، والذي سماه الأباتي بطرس فهد "كتاب الهدى، دستور الطائفة المارونية في الأجيال الوسطى"[١٦٥].

لقد عثر على مخطوط هذا الكتاب الأب ابراهيم حرفوش، بينما كان يبحث في مكتبة "مار شليطا، مقبس"، تحت رقم ٨، وكان من نسخ عام ١٨٦١ للإسكندر (١٥٥٠). ونشر أول المعلومات عنه في مجلة المشرق (السنة ٦، العدد٣، عام ١٩٠٣). ومما ذكره في حينه ما يتعلق بالناسخ وتاريخ النسخ ومكانه ما يفيدنا حول كون شويتا كانت قرية من بلاد عكار، بحيث لا يرد ذكر لتبعيتها إلى القبيات: "إن ناسخ الأمانة أنبأنا عن اسمه وموطنه بالكتابة التي علقها بأحرف عربية سخيفة جداً في آخر العمود الأول من الصفحة ٨٩ وهاكها بالحرف: سنة ١٨٦١ يونانية (١٥٥٠م) تممت هذا الاعتقاد بقرية شويتا بناحية عكار من نسخة كتاب المطران أنطون مطران الرعية وكان على يد الفقير لله سمعان باسم شدياق انجيلي من قرية حدشيت من جبة بشري من جبل لبنان ابن القس هارون ابن الخوري يوحنا... (غير مقروء)"[١٦٦].

شويتا: المجتمع

بلغ عدد سكان شويتا[١٦٧]، وفق إحصاء العام ١٥١٩، ١٦٥ نسمة، على اساس وجود ٢٥ذكراً من دافعي جزية النصارى، مضافاً اليهم نسبة ١٠% كاحتمال للخطأ، وفق الصيغة التالية التي اعتمدناها سابقاً: (٢٥* ٦) + (١٠%) = ١٦٥. بينما ارتفع عدد السكان، وفق إحصاء ١٥٧١ على أساس ٤٠ ذكراً من دافعي جزية النصارى[١٦٨] (٤٠*٦) + (١٠%) = ٢٦٤ نسمة.

---

165 - فهد، الأباتي بطرس: كتاب الهدى، دستور الطائفة المارونية في الأجيال الوسطى، تحقيق، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥.

166 - حرفوش، الأب ابراهيم: "الأديار القديمة في كسروان"، المشرق، السنة السادسة، العدد٣، العام ١٩٠٣، ص ١١٨. ويضيف الأب حرفوش: وبهذه العبارة ينتهي المجلد: "انكتب في شويتا قرية من ناحية عكار وهوبرسم كاتبه الشماس سمعان ابن القس هارون من قرية حدشيت من جبة بشري..."، ص ١٢٣. كرر الأباتي بطرس فهد لدى تحقيقه هذا المخطوط ونشره (كتاب الهدى...، مرجع سابق، ص ٦٢، ٦٣، ٦٥) نفس العبارات الواردة عن شويتا.

167 - إن جميع المعطيات الواردة عن شويتا وفق الإحصاءات العثمانية لعام ١٥١٩ تفضل بتزويدنا بها، مشكوراً، الدكتور عصام خليفة.

168 - خليفة، د. عصام: الضرائب...،مرجع سابق، ص ١٢٩. يجدر بنا هنا أن نذكر أن اسم شويتا لم يرد في هذه الإحصاءات، بل ورد اسم رشوت، ولعلها هي شويتا، كما رجح لنا المؤلف.

وكانت قرية شويتا، وفق إحصاءات ١٥١٩ العثمانية، تيمارية أيضاً مثل قرية القبيات في حينه، وكانت قيمة تيمارها البالغة ٨٢٠ أقجة موزعة على وقف ورثة (١٠ قراريط) أي ما يعادل ٣٥٠ أقجة، وتيمار محمد بن سيفا (١٤ قيراطاً)، أي ٤٧٠ أقجة[١٦٩].

وكانت الضرائب في القرية موزعة، وفق إحصاءات ١٥٧١، على الشكل التالي: خاص ٤٨٠٠ أقجة، مال خاص شاهي ٣٩٦٠، مال ضيق وخراج ٢٤٠٠، عشر مال وقف ١٣٠، شعير ١٤٠٠ (٢٠ مكوك)، بادي هوا... ٢٩٠، معزى ونحل ٤٥٤، ووقف الحاج عبدالله (٩ قراريط) ١٨٠٠ أقجة، وخاص شاهي (١٥ قيراطاً) ٣٠٠٠[١٧٠]. كما كانت تنتج ١٠ مكوك من الحنطة[١٧١]، وتدفع ٣٠ أقجة ضريبة على دولاب واحد للحرير[١٧٢]، بالإضافة إلى وجود معاصر للعنب، بلغت قيمة الضريبة المدفوعة عنهما ٣٦ أقجة[١٧٣]. كما لم يسجل إنتاج زيت فيها[١٧٤].

وبالمقارنة مع القبيات تبدو شويتا قرية أكثر منها سكاناً وانتاجاً، فضلاً عن ما فيها من أوقاف تعكس استتباعها من قبل بعض رموز السلطة العثمانية المحلية. كان في شويتا، وفق الدفتر طابو رقم ٦٨ لعام ١٥١٩، وقف ذري لورثة سعاد الملوك بنت بهادر، دخله ضريبة بقيمة ٣٥٠ أقجة[١٧٥]، وكان فيها، في معطيات العام ١٥٧١، وقف ورثة الحاج عبدالله دخله ضريبة بقيمة ١٨٠٠ أقجة[١٧٦].

شويتا: بين الأرثوذكية والمونوفيزية والمارونية

تؤكد كل النصوص أن شويتا كانت في السابق قرية مستقلة عن القبيات، ولم تكن من توابعها، وإنما تُنسب إلى عكار الناحية أو البلاد. هذا فضلاً عن أنها لم تكن مارونية "أصلاً"، وعلى الأقل لم يكن سكانها من الموارنة فقط. وعندما ترد "شويتا" في معظم الحوليات المارونية، إسماً لقرية قائمة بذاتها في عكار،

---

169 - حصلنا على هذه المعطيات من مقابلة لنا مع د. عصام خليفة. أن تكون شويتا تيماراً لمحمد بن سيفا ففي ذلك ما يعني ارتباط هذه القرية بعكار العتيقة حيث كان مركز آل سيفا. ولعل في ذلك ما يأتي مصدقاً لما ذكره الخورسقف الزريبي من دور لآل سيفا في إعمار القبيات ومن أن كل توتة قديمة يُقال لها سيفلية.

170 - المرجع السابق.

171 - خليفة، د. عصام: شمال لبنان...، مرجع سابق، ص ٤١. لم يسجل فيها وجود مطاحن (ص ٥٦).

172 - المرجع السابق، ص ١٦٨.

173 - المرجع السابق، ص ١٤٠.

174 - المرجع السابق، ص ٨٥.

175 - KHALIFE, Issam: Des Etapes. . ., op. cit., p.36.

176 - مقابلة لنا مع د. عصام خليفة.

غالباً ما يُقصد بها قرية غير مارونية أبداً. وهذا ما يُلاحظه الخورسقف الزريبي، بقوله: "... قرية شويتا التي كانت آهلة بالسكان في عهد يوستنيانوس الثاني الأخرم سنة ٦٩٤م... كما يُستدل على ذلك من الهرم المبني فوق ضريح وزيره مرقيان الذي جُرح في قرية أميون... وهرب من عساكر المردة إلى شويتا وتوفي فيها. أما من بنى هذا الهرم فوق ضريحه بعلو ما ينيف عن أربعين ذراعاً هل الملك أم الأهالي فلا يُعلم".

لقد تساءل من بنى الهرم؟ وتردد في الإجابة. لقد تهيب – بتقديرنا – الاستمرار في البحث، لأن بناء الهرم يشير إلى أن من اهتم بما يمثله هذا القائد الذي جاء محارباً للمردة (أي محارباً للموارنة) ما كان من الموارنة؛ وبالتالي لن يهتم به وبتكريمه غير المعادي للمردة (المعادي للموارنة). وهذا ما يعني أن سكان شويتا في حينه كانوا على غير مذهب الموارنة، وربما كانوا ملكيين (أورثوذكس) أو مونوفيزيين، لأن يوستنيانوس الثاني الأخرم كان من أنصار المشيئة الواحدة [١٧٧].

يذهب مؤرخو القبيات (سلوم وموراني والحاج) إلى اعتبار ذكر الحوليات المارونية لقرية شويتا دليلاً على "أصالة" المارونية في القبيات. بينما الأمر على عكس ذلك تماماً. يقول الأب عفيف موراني: "تشكل شويتا محطة مارونية، حية على الدوام، بما فيها من آبار للماء ومعاصر ومدافن وقصرها الشهير بقصر مريق، القائد الذي أرسله يوستنيان الثاني وجُرح في الكورة" [١٧٨]. ويسند كلامه في حاشية رقم ٢ في نفس الصفحة إلى البطريرك اسطفان الدويهي[١٧٩].

---

177 - نصرف النظر عن الخوض في صحة الرواية القائلة بأن يوستنيان الثاني الأخرم كان قادراً على خوض غمار كل هذه الغارة الواسعة، في العام ٦٩٤، في ظل السلطة الاسلامية. ولكننا نستفيد منها في إشاراتها إلى مذاهب المسيحيين في بلادنا.

178 - موراني، الأب عفيف: مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٩.

179 - يعتمد الأب موراني كتاب البطريرك الدويهي "تاريخ الطائفة الماروني" الذي نشره رشيد الخوري الشرتوني، عن المطبعة الكاثوليكية، بيروت، عام ١٨٩٠. ماذا نقرأ في هذا المرجع حول هذا الموضوع؟: "وقد تبين أن موريق قُتل في الغارة... فأخذه الملكية ودفنوه في قرية أميون وأقاموا على اسمه كنيسة وفي كل سنة يعيدون له بها في السادس والعشرين من تموز. وأما مرقيان فحملوه من المعركة جريحاً إلى قرية شويتة التي في بلاد عكار فمات هناك وهم يعيدون له في الكنيسة التي بنوها هناك على اسمه". ورد هذا النص في الصفحة ٨٦، من المرجع المذكور، وليس في الصفحة ٢١١، كما ذكر الأب عفيف. فهل في هذا الكلام ما يفيد أن أهالي شويتة هم موارنة أم من خصوم الموارنة؟ وهل شويتة قسم من القبيات أم قرية قائمة بذاتها؟ وإذا كان هذا القائد قد أرسله يوستنيان الثاني الأخرم ليقتص من الموارنة، فهل يُعقل أن يبني له سكان شويتة كنيسة وقصراً وقبراً، ويعيدون له كما يعيد بقية الملكية؟ ورد ذكر هذه الحادثة على لسان البطريرك الدويهي في مؤلفه "أصل الموارنة"، وعنه كررها معظم من أرخ للموارنة لا سيما من المؤرخين الموارنة وخاصة رجال الدين.

أما د. سلوم، فقد جعل هو الآخر من شويتا وغيرها، محطة أساسية للموارنة، وذلك بالاستناد إلى البطريرك الدويهي أيضاً، في مؤلفه "أصل الموارنة"، ص ١٨٥.

نحن نرى عكس ذلك، فشويتا، وبالاستناد إلى الحوليات المارونية، وخاصة كتابات البطريرك الدويهي، وبالتحديد مؤلفه "أصل الموارنة"، تشكل موضعاً أكيداً لسكن غير الموارنة. ولقد سبق أن قلنا ذلك استناداً إلى نفس المرجع ونفس الصفحة التي اعتمدها سلوم في رده علينا قائلاً: "إن الدويهي في مؤلفه "أصل الموارنة" في الصفحة ١٨٥ بالذات لم يُشر إطلاقاً إلى وجود تجمع بشري مونوفيزي في القبيات حول نهاية القرن السابع عشر، بل على العكس من ذلك تماماً هو قد أشار في نفس المكان الذي قرأه كاتب الملف، إلى وجود شاعر قبياتي ماروني عاش في النصف الأول من القرن السادس عشر...". وبعد اتهامنا بالتزوير، يتابع د. سلوم متشاطراً: "أما رقم ١٦٨٨ المخادع فهو سنة إسفح يونانية المساوية لسنة ١٥٥٧ مسيحية..."، ثم يردف متسائلاً بسخرية: "فكيف إذاً ... يا قارئ التاريخ؟" [١٨٠].

مَن يزور كلام البطريرك الدويهي؟

إن موضوع الكلام الذي أكدته في مقالي وقصده د. سلوم يدور حول العام ٦٩٤م، أي القرن السابع، وهو يتناول ما يُعرف بحملة موريق وموريقيان، بايعاز من يوستنيان الثاني الأخرم، على الموارنة، ومقتل موريق في أميون وجرح موريقيان هناك وانسحابه إلى عكار حيث مات في شويتا. فهل في الصفحة ١٨٥ من مؤلف البطريرك الدويهي "أصل الموارنة" كلام حول هذا الموضوع يشير إلى وجود تجمع مونوفيزي في شويتا (في القبيات)، أم لا؟

لنترك النص يكشف ما فيه، لننقله بحرفيته، يقول البطريرك الدويهي: "قُتل موريق وأخذوا دفنوه أهل الكورة في أميون. وأصيب مرقبان رفيقه، فحمل به القوم إلى قرية شويتا، في ناحية عكار، فمات هناك. وبقية العسكر انهزموا هزيمة قبيحة. ومن هذه الغارة التي صارت بين الكورة وجبل لبنان، في سنة ستماية وأربعة وتسعين، كان نشو الفرقة بين الموارنة والملكية. فإن الذين تبعوا ديانة الملك يوسطنيانوس تسموا ملكية، فأقاموا **كنيسة** لمرقيان في شويتا، وكنيسة بأميون على اسم موريق. وفي كل سنة **يعيدون** له في السادس والعشرين من شهر تموز. **ولم يزالوا إلى يومنا هذا** متمسكين في عوايد الروم كما حلفوا

---

[180] - سلوم، د. فوءاد: "القبيات مارونية..."، مقال مذكور سابقاً، ص ٣٥ و٣٧.

على يد موريق وموريقيان القواد الذين قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة التي كان متمسك بها الملك" (١٨١).

هل في هذا الكلام إشارة واضحة إلى أن شويتا لم تكن مارونية، وإلى أنها ناصرت وأيدت مبدأ المشيئة الواحدة التي قال بها الملك يوستنيان الثاني الأخرم؟ الجواب بدهي بالإيجاب لمن يريد أن يقرأ نص البطريرك الدويهي، لا تزويره: "... تبعوا ديانة يوسطنيانوس... أقاموا كنيسة لمرقيان في شويتا... يعيدون له... قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة التي كان متمسك بها الملك".

هذا الكلام يقوله البطريرك الدويهي في أواخر القرن السابع عشر، زمن تأليفه لكتابه "أصل الموارنة". وهو يقول فيه صراحة، في الصفحة ١٨٥: "ولم يزالوا إلى يومنا هذا (أي يوم كتابة الدويهي ل"أصل الموارنة") متمسكين في عوايد الروم كما حلفوا على يد موريق وموريقيان القواد الذين قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة..." (لاحِظوا: اعتقاد المشيئة الواحدة). ألا يعني هذا الكلام أن البطريرك الدويهي يشير إلى أن شويتا ما تزال، حتى أواخر القرن السابع عشر، على "عوايد الروم" ومع "المشيئة الواحدة"؟ بالطبع الإشارة واضحة لمن يريد رؤية ما كتبه الدويهي لا تزويره.

أما حول التقويم اليوناني، فربما لا نكون على "ثقافة" سلوم "الرفيعة" لنعرف حساب هذا التقويم، كما يدعي، ولكننا نُحسن قراءة ما هو مكتوب أمامنا، ولا نخترع، ولا نحتاج لا "ذكاء" ولا "شطارة" سلوم الذي لا يفعل هنا غير أن ينقل إلينا ما هو مكتوب في نفس الصفحة، وقرأناه بالطبع: "في سنة إسفح ١٦٨٨ يونانية الموافقة لسنة ألف وخمسماية وسبعة وخمسين مسيحية"!

نذكر بأن ما هو وارد في الصفحة ١٨٥، وارد أيضاً في الصفحة ١٣٤، من نفس المؤلف "أصل الموارنة" حيث جاء: "واضح أن موريق قُتل في الغارة التي تقدم ذكرها، وأخذوه الملكية وقبروه في قرية أميون، وأقاموا على اسمه كنيسة، وفي كل سنة يعيدون له بها في السادس وعشرين من تموز. وأما مرقيان تصوب في تلك الوقعة، وحمله العسكر إلى قرية شويتا التي في بلاد عكار، وهناك مات. ويعيدون له في الكنيسة التي أنشوها باسمه" (١٨٢).

---

[181] - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، حققه وقدم له الأب أنطوان ضو، منشورات مؤسسة التراث الأهدني، أهدن، لبنان، ١٩٧٣، ص ١٨٥.

[182] - المرجع السابق، ص ١٣٤.

وما نقوله هنا، وسبق لنا أن قلناه في مقال سابق "انتقدنا" عليه سلوم، لم نستند فيه إلى مرجع البطريرك الدويهي وحده، بل كررناه في المقال وأوضحنا مراجعنا وقلنا: "وفي العام ٦٩٤ يظهر اسم شويتا - منطقة تابعة للقبيات، وهي منطقة زراعية اليوم فيها بقايا آثار قديمة - في المراجع التاريخية، وخصوصاً في "الحوليات المارونية". ففي شويتا توفي موريقيان أحد قياديين أرسلهما الأمبراطور البيزنطي جوستنيان الثاني (الأخرم) لمقاتلة موارنة لبنان دعماً للمونوفيزيين على حد زعم التقليد الماروني، أو تبعاً للإتفاق المعقود بين الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان على حد زعم "الحوليات العربية الإسلامية". ما يهمنا في هذا الأمر هو أن شويتا تبدو في "الحوليات المارونية" كقرية عكارية استقبل أهلها موريقيان. وبنوا كنيسة فوق قبره فيما بعد" (١٨٣).

ولقد حددنا مراجعنا في ما قلناه كما يلي: "راجع: اسطفان الدويهي، أصل الموارنة، نص منشور باشراف وتقديم الأب أنطوان ضو، اهدن، لبنان، ١٩٧٣، ص ١٣٤ و١٨٥. الأب ميشال غبريل: تاريخ الكنيسة السريانية المارونية الأنطاكية، ج١، بيت شباب، جبل لبنان، ١٩٠٠، ص ٥٧٠ - ٥٧٥. المطران يوسف الدبس، الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل، ص ٥٧. الشيخ طنوس الشدياق، أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠، ص ٩. يوسف مزهر، تاريخ لبنان العام، بيروت، ١٩٥٥، ص١٨٣ – ١٨٤" (١٨٤).

السيد ي. الحاج: تأريخ أم هلوسة ؟!

ولعل أطرف من طرح موضوع شويتا واستعملها لتأكيد "مارونية" القبيات "الأصيلة"، هو السيد يواكيم الحاج.

يغرق السيد يواكيم هنا في واحد من أحلام اليقظة التي دونها في ما سماه "تاريخ عكار والقبيات"، وهو يُعطي للأحداث رواية مخالفة كل المخالفة لكل ما ذكر في الأدب الماروني التاريخي، مع زعمه الاستناد إلى البطريرك الدويهي وسواه. نقتطف من روايته بعض المقاطع، كيلا نُتّهم بالمبالغة: "المعركة التي يتحدثون عنها سنة ٦٩٤... إنما كانت في سهل عكار... والجيوش التي اجتازت الحدود السورية اللبنانية (١٨٥) رابطت في سهل عكار الذي وصلت إليه أولاً، ومنه تقدمت إلى أميون بقيادة أحد قادتها المدعو (مريق) الذي قتل ودفن هناك. بينما **القائد الثاني لقي مقاومة أبناء عكار، وخاصة أبناء القبيات،** الذين نالوا منه، فاوقعوه جريحاً، ونقلوه معهم أسيراً، حيث مات متأثراً بجراحه. فالمقاتلون

---

[183] - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات" (ملف)، مقال مذكور سابقاً، ص ٣٥.

[184] - المرجع السابق، ص ٥٦، حاشية رقم ١٥.

[185] - لاحظوا الحادثة تعود للعام ٦٩٤م، والسبد يواكيم الحاج يحدثنا عن "الحدود اللبنانية السورية" التي وضعها الفرنسيون سنة ١٩٢٠!

القبياتيون هم الذين دافعوا عن أخوانهم في المعركة التي جرت في سهل عكار، وهم الذين أبسلوا القائد مرقيان ونقلوه أسير حرب وجريح معهم إلى بلدهم اعتزازاً بالنصر والغلبة، ومفاخرة باذلاله[١٨٦] وأسره، شأن كل المقاتلين المنتصرين في حروبهم. لقد كانوا من الوجهة الانسانية، من المرؤة والشهامة على قدر ما هم عليه اليوم من الوطنية والتضحية... لم يتركوا القائد الجريح في أرض المعركة يتأثر بجراحه. بل نقلوه معهم للمداواة والمعالجة...وإن كان أخذه بهذه المناسبة يُعتبر الأقرب إلى المباهاة والمفاخرة، أكثر منه للإهتمام بسلامته وشفائه" [١٨٧].

وفي مكان آخر يقول: "ويوجد في شويتا قبر "مرقيان" القائد اللعين (البابا يعتذر أما الماروني يواكيم فيصر على أن يلعن!) الذي كان على الموارنة في سورية، في اضطهادهم وتهجيرهم، بأمر من الملك يوستنيانوس الأخرم. فهذا القائد الذي تولى وشقيقه موريق أمر التنكيل بالموارنة في سورية، بقي يطاردهم ويلاحقهم حتى داخل الحدود اللبنانية. (هكذا الحدود، والكلام عن عام ٦٩٤م). ولكن الله كان في عونهم، وعلى الباغي تدور الدوائر، فقد قُتل أثناء المعركة في سهل عكار (!)... ونقله أبناء القبيات الذين انتصروا لأخوانهم، بعدما وقع جريحاً، وجاؤوا به إلى بلدتهم أسيراً، وقد مات هناك متأثراً بجراحه، ودُفن في منطقة شويتا، وما زال قبره حتى اليوم يُعرف بقبر مرقيان. وهذا ما قاله السمعاني نقلاً عن لسان الدويهي: "إن مريق قتل في الحرب التي ذكرناها، ودفنه الملكية في قرية أميون، وأقاموا على مدفنه كنيسة، وجعلوا عيداً لذكره... وأما مرقيان فجرح في وقعة الحرب، فحمل إلى قرية شويتا في عكار، ومات بعد قليل من الزمان" (ص ١٢٣).

طبعاً لا ينسى السيد يواكيم أن يحدد مرجعه في حاشية رقم ١، في نفس الصفحة، بقوله: "الدبس، تاريخ سورية، ج١، ص٣٥". والحقيقة أن الجزء الأول من "تاريخ سورية..." للدبس لا يتجاوز زمن الفينيقيين، ويبقى في عهود

---

[186] - عند هذه العبارة يعين السيد الحاج حاشية لكلامه، رقمها ٢، ص ٤٣٧ من الجزء الثاني من كتابه. ماذا نقرأ في هذه الحاشية؟: "الدويهي: أصل الموارنة، ص ١٨٤ – ١٨٥. ثم يذكر نصاً للبطريرك الدويهي: "...قُتل موريق وأخذوا دفنوه أهل الكورة في أميون. وأُصيب موريقيان رفيقه. فحمل به القوم إلى قرية شويتا في ناحية عكار. فمات هناك وبقية العسكر انهزموا هزيمة قبيحة". ما الذي انتزعه السيد يواكيم الحاج من النص وأخفاه؟ هو بالضبط الكلام الذي يشير فيه البطريرك الدويهي إلى أن أهل شويتا وأميون بنوا كنيسة في أميون وكنيسة أخرى في شويتا. الأولى لموريق، والثانية لمرقيان، وأنهم أهل أميون وشويتا كرسوا عيداً لموريق وموريقيان في ٢٦ تموز. "فأقاموا كنيسة لمرقيان في شويتا... وفي كل سنة يعيدون له في السادس والعشرين من شهر تموز... كما حلفوا على يد موريق وموريقيان القواد الذين قادوهم إلى اعتقاد المشيئة الواحدة". هكذا لو أنه نقل كل كلام الدويهي لوجد القارئ أهل شويتا على غير مذهب الموارنة، ومن أنصار الملكية أو المشيئة الواحدة. ولما كان هذا الكلام يناقض "الأصالة المارونية" للقبيات، فإن اختراع هذه "الأصالة" يلزمه بعض التزوير، والبطريرك صدره واسع!

[187] - الحاج، يواكيم: عكار في ...، ج٢، مرجع سابق، ص ٤٣٧.

ما قبل الميلاد. كما أن هذا الخبر يظهر في الجزء الجزء الخامس من المؤلف المذكور، ص ١١٧ – ١١٨، وفي الجزء التاسع، في ص ٦٠، وهو الجزء المعروف باسم "الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل".

وفي الحقيقة أن السيد يواكيم الحاج طمس قسماً من النص الذي ذكره المطران الدبس، نقلاً عن السمعاني، لأنه يتناقض مع "أحلام اليقظة اليواكيمية"، ويجعل شويتا قرية على مذهب الملكية أو المشيئة الواحدة، وفيها لمرقيان كنيسة، لا مجرد قبر أو قصر، بل كنيسة للصلاة، ليصلي بها أنصاره سكان شويتا بالذات (وهم ما كانوا موارنة) ويعيدون له، لا ليلعنوه، كما يرغب الثلاثي "التأصيلي" للقبيات (سلوم والحاج والأب موراني). وها هو نص المطران الدبس: "من البين أن موريق قتل في الحرب التي ذكرناها، ودفنه الملكية في قرية أميون، وأقاموا على مدفنه كنيسة وجعلوا عيداً لذكره في اليوم ٢٦ من تموز وهو من الأعياد المشهورة عندهم. وأما مرقيان فجرح في وقعة الحرب فحمل إلى قرية شويتة في عكار ومات بعد قليل من الزمان، وأقام الملكية له هيكلاً وعيداً. وقد ورد مثل ذلك في مقالة مرهج بن نمرون الباني في أصل الموارنة".

هل من نموذج أوضح على هذيان العظمة! نظن أن مجرد العودة إلى نصوص البطريرك الدويهي تكفي لتبيان الخفة التي يتعامل بها السيد يواكيم الحاج مع نفسه، ومع القراء، ومع المراجع التاريخية، ومع التأريخ بشكل عام. لماذا كل ذلك؟ بالطبع لنمحو الذاكرة المرتبطة بالتاريخ الفعلي، ولنخلق ذاكرة أخرى، قائمة على تزوير التاريخ، والاستخفاف بالناس وبنصوص المؤرخين، ولو كانوا من أهم مؤرخي الموارنة. لماذا؟ لنؤسس للحمة مارونية مع "موارنة" الجبل تكون استمراراً لتاريخ مختلق وقائم على الهذيان والتزوير. تلك هي وظيفة التأريخ للثلاثي: سلوم والحاج، والأب موراني، وبرعاية البعض من أركان المراجع المارونية الروحية والفكرية.

هل قاتل موارنة عكار (القبيات) في العام ٦٩٤؟

وحتى يؤكد السيد يواكيم الحاج هذا التواصل، بل قل هذه المناصرة بين الماروني العكاري (القبياتي) وموارنة الجبل، يجعل المعركة معركتين، واحدة في سهل عكار، وأخرى في الكورة. وفي سهل عكار، كما يدعي السيد يواكيم، جرح موريقيان، وحمله مقاتلو القبيات و... وهو لا ينسى كما سبق وقلنا أن يزعم الاستناد إلى المؤرخين الموارنة. لنراجع ما قاله هؤلاء المؤرخون عن هذه الواقعة. يقول البطريرك اسطفان الدويهي: "وفي سنة ٦٩٤، في أواخر الربيع، دخلت الأروام بلاد سورية فقتلوا من دير مار مارون خمسماية راهب و... ولم يزل السيف غايظاً بدم الأرثوذكسيين حتى دخل موريق وموريقيان بالجيش إلى

مدينة طرابلس. ثم خرجوا إلى الكورة فخضع لهم كل أهلها. ثم قصدوا الصعود لجبل لبنان، ونزلوا في الأوثاق فوق أميون عند قرية تدعا الناووس تحت ذيل الجبل... وعندما كان مستقر جيش الروم تحت ذيل اللبنان حارت الناس بأمرها من الخوف على الدراير والنسا، فاستغاثوا بقلب خشيع... ووردت المكاتيب مع السعاة من لاوون القايد... وأعطاهم اذن يقاتلوا الجيش... وانسكبت الرجال على الأروام... قتل موريق... واصيب مرقيان فحمل به القوم إلى قرية شويتا، في ناحية عكار، فمات هناك..."[١٨٨].

شويتا: أكثر من تجمع سكني مندثر ؟

يبدو أن شويتا الممتدة ،من الشرق، من النقطة المعروفة حتى اليوم باسم "بوابة شويتا"[١٨٩]، حتى الغرب على مشارف وادي المحلات ووادي الفارغ، بطول بضعة كلم، كانت تضم أكثر من تجمع سكني واحد، أو إثنين على الأقل. وإذا كنا لا نستطيع حسم مسألة وجودهما معاً في زمن واحد، فإننا نستطيع، بالإستناد إلى بقايا الأبنية التقدم بفرضية وجود تجمع سكني حول كنيسة مار جرجس (شويتا)، وآخر حول بقايا كنيسة مرقيان وقصره، وعلى مقربة منه بقايا ما يسمى قصر كليب أوكلاب، في ما يُعرف باسم "تلة التين".

فإلى الجنوب من كنيسة مار جرجس، وعلى مقربة مباشرة منها، ثمة بقايا لبضع خِرب ما تزال أساساتها واضحة للعيان. وإلى الشرق من الكنيسة مجموعة آبار محفورة في الصخور لجمع الماء أو خلافه، وإلى شمال الكنيسة آثار معصرة أو أكثر، ما تزال بعض حجارتها منتشرة في الجوار. وكذلك هي عليه الحال في منطقة مرقيان وقصر كليب. حيث تبدو بعض آثار الأبنية المندثرة. ولقد سبقت الإشارة إلى أن موقع "قصر مريق" تعرض للتدمير المقصود واستخدمت حجارته في تزيين ابنية في عكار العتيقة والبيرة ودير الآباء الكرمليين، منذ العام ١٨٧٠، كما استُعمل بعضها الآخر، مؤخراً، لترميم كنيسة مار جرجس شويتا.

---

188 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١٨٣ حتى ١٨٥. راجع أيضاً: الخوري منصور طنوس الحتوني، نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، مرجع سابق، ص ٤١١: "... حتى دخلت القواد مدينة طرابلس... ثم نزلوا الوطى الحافي الوطى الذي بين اميون وبين قرية الناووس الذي تحت ذيل الجبل... وقتل موريق في الغارة... واما مرقيان تصوب في تلك الوقعة وحمله العسكر الى قرية شويتى التي في بلادعكار. ومات هناك ويعيدون له في الكنيسة التي انشأوها باسمه". وآخرون كثر كرروا نفس الخبر وحددوا مكان المعركة حيث جرح مرقيان بأنه في الكورة لا في سهل عكار.

189 - هي النقطة الواقعة في موقع الفصل من الجنوب بين حي الضهر وحي غوايا، قبيل مقهى العرايش.

ومع أن الأب عفيف موراني تناول موقع "قصر مريق" في بحثه الأثري السابق الذكر، إلاّ أنه عالج هذا الموقع بخفة رافضاً استعمال المعطيات الأثرية التي برزت له وأصرّ على تأويلها "تاريخياً"، بحيث يجعل الموقع أثراً مارونياً، وهو باستناده إلى التاريخ لم يكن أقل تشويهاً للمصادر التي اعتمد عليها من تشويهه لدلالة الآثار ذاتها[١٩٠].

وكذلك كان موقفه من المدلول التاريخي ل"قصر كليب"، إذ اعتبره عائداً لزمن الأيطوريين، بدل ربطه مباشرة بإقامة عربية للكلبيين أو الكلابيين، في المنطقة. وحتى في عملية الربط مع الأيطوريين لم يُشر إلى تواجدهم على حدود القبيات مباشرة في منطقة "نبع الجعلوك"، واكتفى بذكر عاصمتهم مجدل عنجر[١٩١].

وقبل ان نختتم كلامنا في الأهمية التاريخية لقرية شويتا المندثرة، نشير إلى أن الأب عفيف موراني يُدخل في نطاقها موقعاً يُعرف باسم كنيسة غزراتا. وفي الحقيقة تقع هذه الكنيسة قي منطقة "الغزران"، التابعة لأملاك بلدة عكار العتيقة، في موقع معروف باسم "مراحات عكار". وعليه ليس هذا الموقع لا في المنطقة العقارية للقبيات ولا في نطاقها البلدي ولا هو ضمن أملاك لأهل البلدة (القبيات)، ولا هو أيضاً في منطقة حدودية بين القبيات وعكار والعتيقة. فلماذا يُدخلها الأب موراني ضمن نطاق شويتا؟ لا شك بأن الرغبة في جعل القبيات على صورة منطقة كانت مترامية الأطراف، ثم "تراجعت" حدودها، هي التي تملي على الأب المذكور عملية "اختلاق" هذا الإمتداد للأرض القبياتية إلى ما يتجاوز حدودها الحقيقية. ومع الزمن والتكرار تصبح هذه المناطق مناطق قبياتية "مسلوخة" يجدر السعي لاستعادتها.

وأخيراً يبدو أن قرية شويتا دثرت انطلاقاً من مرحلة غلبة المعنيين على آل سيفا، لا سيما في أواخر العقد الرابع من القرن السابع عشر، عندما انتهى الصراع بالقضاء الكلي على السيفيين، وتشتيتهم وتدمير قصورهم وممتلكاتهم وأوقافهم في مقرهم عكار[١٩٢]. ولعل التدمير والتشتيت لحق بشويتا وبمن كان

---

190 - راجع مناقشتنا له حول مذهب شويتا الواردة أعلاه.

191 - راجع حول "قصر كليب" و"نبع الجعلوك"، ما ذكرناه عنهما في فصل: في من استوطن عكار والقبيات...".

192 - راجع حول نهاية آل سيفا: طنوس الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات دار نظير عبود، الصفحات ١٢٩ و١٣٠ و١٣١؛ جوزف اليان: بنو سيفا ولاة طرابلس، ١٥٧٩-١٦٤٠، منشورات دار لحد خاطر، بيروت. ولقد وصف المحاسني في، "رحلته"، التدمير الذي لحق بأملاك آل سيفا : "ورأيت بيوت بني سيفا، من أذاقهم الله تعالى بعد عزهم ودولتهم انقراضاً وحيفا، في غاية الإحكام من البناء إلاّ أن الأمير فخر الدين ابن معن حرّق بعضها وأخرب بعضها، وآلت إلى الدثور والفناء،..." (ابن محاسن: المنازل المحاسنية في الرحاة الطرابلسية...، مرجع سابق، ص ٥٣). أما أحمد الخالدي الصفدي فهو

يدير شؤونها من آل سيفا، أو من كان يتولى أوقافها. كما أن المرحلة الفاصلة بين نهاية آل سيفا وبداية سلطة المراعبة في عكار كانت من أكثر المراحل اضطراباً في المنطقة، وانتهت بفضل عبث الحماديين إلى خراب جملة كبيرة من القرى والمزارع، ولعل شويتا لحقها الدمار الشامل في هذه المرحلة.

الضهر

يستمد حي الضهر اسمه من موقعه الجغرافي كبقعة مرتفعة محصورة بين مسيلين أو واديين[١٩٣]، ومن انتشار نبات البلان فيه بكثافة، ومن هنا اسمه الكامل "ضهر البلان". وهذا الاسم "الضهر" شائع جداً، وتُعرف به عدة مواقع في لبنان وعكار، كما تُعرف به بعض أحياء البلدات والقرى. يمتد هذا الحي شمالي شويتا، على الأسناد "الضهور" المحازية لمجرى نهر القبيات من وادي مطحنة "شمعا"، غرباً، حتى التل البسيط الذي يقوم عليه دير الآباء الكرمليين، شرقاً.وهو يُقسم إلى قسمين "الضهر الشرقي" و"الضهر الغربي". وفي طرف الضهر الغربي كانت تنبع "عين النمر" قبل أن تغور مياهها إثر عملية فاشلة لرفع منسوبها. يعكس اسم هذه العين وجود الوحوش المفترسة، في ما مضى، في هذه البقعة.

وبالقرب من "عين النمر" ثمة مجموعة من النواويس التي تعكس الإعتمار القديم للمنطقة، وهي محفورة في الصخور الكلسية، وتتوزع في أكثر من مكان، ما بين شويتا و"القبيات العتيقة، وفي هذا الحي، فضلاً عن وجودها في أماكن أخرى من البلدة.

بيد أن أهم موقع في الحي ربما يكون ذلك التل الذي يقوم عليه دير الآباء الكرمليين. يعتبر شاكر غضبان أن هذا التل كان عامراً في الألف الثاني قبل الميلاد ، بما فيه من بقايا تعود للعصر البرونزي الثالث، وقد عثر فيه على سهم

يصف كيفية تدمير وحرق الأمير المعني لأملاك آل سفيا، قائلاً بأنه حرق: "جميع بيوت وسرايا عكار وعين المعلمين والقلاعين لهدم حارات ابن سيفا وكانت حارات معتبرات، أخرج عليها أموال عظام، واستمر المعلمون في هذا الهدم أكثر من شهر حتى هدموا حارته وحارات توابعه وأقاربه فحصل لهم قهر وأي قهر"، (تاريخ الأمير فخر الدين المعني، تحقيق د. أسد رستم ود. فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ٧٨.

193 - SANLAVILLE, Paul: Etude géomorphologique de la region littorale du Liban, Tome I, Publi. de l`Université Libanaise, Beyrouth, 1977, p.4.

برونزي وعلى قطعة من جرن مستطيل من الحجر الأسود يزين زواياه زوج من التماثيل الممثلة لنصف الثور، وبضعة قطع خزفية[١٩٤].

غوايا

يذكر أنيس فريحة "غوايا القبيات" ويعتبر "الجزء الأول تحريف gawwayé أهل البيت الأقربون، أصحاب الملك (ضد الخارجين). وأما الجزء الثاني فهو qebibata البيوت المقببة، ذات القبب.فيكون معنى الاسم أهل القبب"[١٩٥]. لكن فريحة يذكر أيضاً: "غوِيتا ghwîta تحريف gawwayta مؤنث gawwaya الداخلي وصاحب البيت والمالك، فيكون معنى الاسم: المالكة صاحبة البيت أو العقار. وهنالك احتمال آخر هو أن يكون تحريف ge`ita : البهية الجميلة ذات الرونق"[١٩٦].

لعل السيد يواكيم الحاج استوحى هذه الرواية الأخيرة في تفسيره لاسم هذا الحي بقوله: "الكلمة لغوياً تعني: الإغراء والاستمالة للهوى. انغوى الشاب: انهوى، مال"[١٩٧]. ولكنه يرجع بهذا الاسم إلى عهد حديث جداً نسبياً: "تعود هذه التسمية تاريخياً إلى أيام آل فرعون وشيحا الذين أسسوا معملاً للحرير في القبيات (كرخانة)... وكانت بنات هذا الحي يشتغلن داخل المعمل... وهكذا كن تتمايلن بغواء في الأعياد، وفي الشوارع بعد انتهاء العمل... فكان الشباب يتنادون لملاقاتهن... قائلين: هيّا بنا إلى الغوايا... الجميلات... وهكذا لُقب الحي بهذه الصفة"[١٩٨]. بيد أن هذا الحي أسبق في وجوده بكثير من زمن تأسيس آل فرعون وشيحا لمعمل الحرير. وعليه ما كان اسمه قبل ذلك؟ ولذلك نستبعد هذا التفسير اليواكيمي.

---

[194] - GHADBAN, Chaker: Deux Inscriptions. . .,M.U.S.J., XLVIII, art. cit., P.567: La ville actuelle de Qoubaiyat recouvre un tell du 2e millénaire. Ce tell est situé sous le couvent des Carmes. J`ai fait en1967 l`acquisition pour le Musée Nationale de Beyrouth de quelques petits objets en provenance de ce tell: flèche en bronze, fragment d`un mortier en Pierre noire orné aux angles de deux protomes de taureaux, et quelques tessons de poterie. Tous ces objets datent du Bronze III.

[195] - فريحة، أنيس: معجم...، مرجع سابق، ص ١٢٨. وتحت اسم "قبيات غوايا"، وهو اسم لنفس الموضع يقول إن "غوايا هو السرياني gawwaya : الداخلي"، (ص ١٣٥).

[196] - المرجع السابق، ص ١٢٩.

[197] - الحاج، يواكيم: مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠٥.

[198] - المرجع السابق، ص ١٠٥ – ١٠٦.

وبالعودة إلى فريحة نجده يتكلم على موقع باسم مِغواية mighwayah : له معنى قريب من غوايا وهو meghawya : الداخلي، الباطني، الجواني"(١٩٩)، ومنها "جَوًّا gawwa ومعناه الداخل"(٢٠٠)، ومنها أيضاً "الجوانية من gawwanaye الداخليون أي الذين هم من الداخل مقابلة لهم بالغرباء. ولفظ الجواني والبراني من أصل سرياني"(٢٠١). إن قسماً من حي غوايا يُعرف باسم "العش"، وهذه اللفظة يعتبرها فريحة بمعنى المستنقع(٢٠٢). ومع أننا نرجح ما يراه فريحة من تفسير لهذا الاسم، فإننا نتساءل: هل تكون غوايا تحريفاً لكلمة خوايا العربية وهي اسم موضع بالقرب من الكوفة، يصفه ياقوت الحموي بقوله: "هو بناء بالصخر يمسك الماء كهيئة البركة في مسيل الأرض"(٢٠٣)، وغوايا حي مشهور بكثرة كتل الصخور، وبكثرة المياه، والحي معروف فيه "بلاط غوايا" وعلى كتفه جبل البلاط، وتكثر فيه الروايم. هذا فضلاً عن وجود عين السيحان في وادي السيحان في الطرف الجنوبي الشرقي للحي.ويرى فريحة، من بين احتمالات شتى، ارتباط هذا الاسم بوجود نبات الشيح، وهو "في السريانية siha الشيح"(٢٠٤).

يشكل حي غوايا امتداداً لحي الضهر إلى الجنوب، مقابل حي الذوق "الفوقاني"، بحيث يبدو الآن حيّا الضهر وغوايا كأنهما حياً واحداً.

مرتمورة

يعالج أنيس فريحة اسم مرتمورة في مادة "قبيات"، فيذكر "قبيات مار طمورا"، والصحيح عندنا أنها قبيات "مرتمورة"، أو أن "مرتمورة" واحد من أحياء القبيات. وهويعتبر كلمة "tamura طمورا هنا بمعنى الخفي والمختبئ"(٢٠٥). وعندما يتناول مرتمورة في عكار، يرى أن هذا الاسم "قد يكون تحريف mar mura : القديس مورا، وهو قديس مشهور في لبنان بنيت على اسمه بعض الكنائس"(٢٠٦). والحال فإن الكنائس مبنية على اسم القديسة مورة لا على اسم القديس مورا! ومع ذلك فهو يضيف: "وقد يكون معنى اسمه murra : المر

[199] - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١٧٥.
[200] - المرجع السابق، ص ٥٠.
[201] - المرجع السابق، ص ٥٠.
[202] - المرجع السابق، ص ١٦٤.
[203] - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣١٦.
[204] - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ٩٢.يذكر ياقوت الحموي ثلاثة أسماء: سَيحان وسَيح وسَيحون وكلها تدل على مجاري مائية أو أمكنة للمياه، معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٩٣ و٢٩٤.
[205] - فريحة: المرجع السابق، ص ١٣٥.
[206] - المرجع السابق، ص ١٦٦.

واللبان والرائحة الزكية. وقد يكون marat murra سيدة أو زوجة مورا (على أساس أن مورا اسم علم عام لا القديس المذكور)"[٢٠٧].

بيد إننا نرجح رد التسمية إلى وجود كنيسة "سيدة مرتمورة". وعليه تكون كلمة مار (اختصرت في الاسم مرتمورة إلى مَر) "لفظ سرياني يرد كثيراً في تركيب أسماء الأعلام والأمكنة اللبنانية:... marya في حالة الاطلاق ومعناه السيد والرب والمولى. ... mar مولاي، سيدي. واليهود يستعملون الآن لفظ... mar بمعنى السيد"[٢٠٨]. يبدو أن الحي استمد اسمه من اسم القديسة مورة التي تم إعدامها في مصر في العام ٢٨٦[٢٠٩].

يقوم حي مرتمورة إلى الشرق من "القبيات العتيقة" (الغربية)، على نفس سلسلة الهضاب البركانية الحاضنة للسكن القبياتي من الشمال. وأبرز ما يميز المسافة بين "الغربية" و"مرتمورة" هو منطقة "العربة" التي تبدأ من تخوم منازل "مرتمورة" وصولاً إلى مطحنة شمعا، جنوب شرق "الغربية"، بمحازاة نهر البلدة. وهذه المنطقة المشكلة لقسم من الخط الفاصل بين الأرض الكلسية، والبركانية، هي على العموم صخرية ووعرة، ويبدو فيها جلياً أثر الجهد البشري في تكوين الجلالي التي تروي حكاية النشاط القبياتي في السيطرة على الطبيعة وتحويلها والإستفادة منها.

في لبنان مواقع كثيرة باسم "عربة". فما معنى هذا الاسم؟ وما دلالته؟ يرى فريحة، في تفسيره لاسم "عربة قزحيا": "arbita صفصافة. وقد تكون آرامية قديمة بمعنى العربة السهل، البقعة المنبسطة"[٢١٠]. ولكن واقع الحال في "عربة" القبيات هو غير ذلك. إذ لا تشتهر هذه المنطقة بشجر الصفصاف، ولا هي منطقة سهلية أو بقعة منبسطة، بل هي عبارة عن "ضهر" ومنحدر حوله العمل البشري إلى جلالي متدرجة في أرض صخرية وعرة. كما أن الاسم لا يرد في لائحة الأبوين حبيقة وأرملة في القرى السريانية[٢١١]. لكن ياقوت الحموي يفيدنا بأن كلمة "عربة" تشير إلى مواضع إقامة العرب، ويعدد بعضاً منها[٢١٢].

بدأ هذا الحي بالتكون كأول تجمع سكني يعتمره القادمون من "القبيات العتيقة". وكان تكونه على حافتي شبه وادٍ متكون من التقاء أخدودين ينطلقان من

---

207 - المرجع السابق، ص ١٦٦.

208 - المرجع السابق، ص ١٥٩.

209 - فرماج، الأب بطرس: مروج الأخيار...، المطبعة اليسوعية ، بيروت، ط ٢، ١٨٨٠، ص ٧٩٢-٧٩٣. يجمع مؤرخو القديسين والحياة الدينية على هذا التفسير لاسم مرتمورة.

210 - فريحة، معجم...، مرجع سابق، ص ١١٤.

211 - أرملة وحبيقة: مقال سابق، المشرق.

212 - الحموي، مرجع سابق، ج ٤، ص ٩٦ و٩٧ و٩٨.

الشمال ويتجهان نحو الجنوب، مع انحراف الأخدود الشرقي غرباً وانحراف الأخدود الغربي شرقاً، بحيث أن المسافة الفاصلة بين رأسي الأخدودين ،شمالاً، أكبر بكثير مما هي عليه عند الجنوب. كما إن توزع السكن حول "الضهرين" المتكونين على الأخدودين، هو الذي جعل "مرتمورة" تُقسم إلى قسمين: الشرقية والغربية.

يبدو أن وجود نبع ماء في الجهة الشرقي لملتقى الأخدودين كان من أبرز العوامل المشجعة على السكن هناك، خاصة وأن التربة المتكونة بفعل جرف السيول من "المصايل" (المسايل)، داخل الحي، وأمامه في منطقة "البكليك" المحازية لنهر القبيات، تتيح النشاط الزراعي، وتشجع على اعتمار المنطقة. ولنا في كنيسة سيدة "شحلو" و"مطحنة البرج" شواهد على قدم الإقامة في هذا الموقع.

لم نعثر على تفسير مرض للإسم "شحلو". ولكننا وجدنا اسم علم قريب منه هو "شحلوفا" أحد بطاركة النساطرة[٢١٣]. ولعل هذا الاسم حمله بعض الموارنة النساطرة[٢١٤]، وكرموا به هذا البطريرك النسطوري بإقامة كنيسة على اسمه في هذا الموضع. ومما هو جدير بالذكر أن السائح بركارد دي مون سيون Burchard de Mont Sion ذكر، في رحلته التي قام بها في العام ١٢٥٣م، وجود نساطرة في عكار. وإذا صحّ تقديره لموقع السن شرقي عرقة، فلا يستبعد أن يكون للنساطرة وجود على مقربة من القبيات: "على بعد نصف فرسخ شرقاً من قلعة عرقة توجد مدينة "سين" التي بناها سينيوس بن كنعان، أخ أراكوس، بعد الطوفان، ولا تبعد كثيراً عن عرقة، كما ورد في سفر التكوين في الكلام عنها. وسألت نسطورياً كان يعيش هناك فقال لي أن المدينة كانت تدعى سينوكيم، وسألت مسلماً (sarrasin) هناك فأفاد بنفس الاجابة"[٢١٥].

وربما يكون لاسم "مطحنة البرج" دلالة تاريخية معينة. فهي تمتاز بموقع ملفت للنظر، إذ تقوم مباشرة على حافة نهر القبيات، على طرف سلسلة طويلة من الصخور البارزة وكأنها مرصوفة إلى جانب بعضها بعلو يتجاوز

213 - بن متى، عمرو: أخبار فطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، سنة ١٨٩٦ مسيحية، ص ١٢. جاء غلاف الكتاب باللاتينية (مع مقدمة باللاتينية أيضاً) على الشكل التالي: Maris Amri et Slibae, de Patriarchis Nestorianorum,Commentaria, ex codicibus vaticanis edidit Henricus Gismondi S. J., Romae, excudebat F. de Luigi, MDCCCXCVI (1896).

214 - راجع حول "الموارنة النساطرة": الخوري ميخائيل عبدالله غبرئيل الشبابي الماروني، تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية، المجلد الثاني، القسم الثاني، المطبعة اللبنانية في بعبدا، ١٩٠٦، خاصة الصفحات من ٤٠١ إلى ٤٣٦.

215 - BRWON, John Pairman: The Lebanon and Phoenicia, Beirut,1969, p.34.

خمسة أمتار، وبعرض أقل، ولكنها تنتصب في وسط منبسط من الأرض كحائط السور، ويبلغ طولها حوالي ١٠٠م، وتنتهي بالقرب من كنيسة "شحلو" القديمة، بأكثر من خربة و"رجمة". ومن المحتمل أن تكون هذه المطحنة قد قامت على أنقاض (أو بالقرب) من واحد من الأبراج التي كان يعتمدها التركمان في أماكن إقامتهم كحاميات عسكرية[٢١٦]. وممن أشار إلى قدم هذه المنطقة الخورسقف الزريبي الذي تحدث عن حريق هذه الكنيسة "شحلو" أثناء اجتياح المماليك للمنطقة وطرد الصليبيين[٢١٧]. كما أن البعض يعود باعتمار هذه المنطقة إلى ما قبل الميلاد، استناداً إلى شهادة شفهية عن لسان الأب تالون[٢١٨].

يبدو أن حي مرتمورة أول حي جديد تكون انطلاقاً من "القبيات العتيقة". ومن الثابت أنه أول تجمع سكني بعد "الغربية" تنشأ فيه رعية حول كنيستها الخاصة بها: سيدة مرتمورة، ومنه ظهر كهنة من أقدم كهنة القبيات. ومن هذا الحي تفرع، على ما يظهر، بشكل أساسي السكان الذين عمروا آخر حي في تكونه في القبيات: القطلبة.

الذوق

لا يذكر الخورسقف الزريبي اسم الذوق، بل يقول "الزور" عندما يتحدث عن انتشار أهل "القبيات العتيقة" في الأحياء الراهنة[219]. بيد أن الثابت في اسم هذا الحي الذي يتوسط وادي القبيات، ويشكل اليوم الحي المركزي فيها،

---

216 - راجع حول إقامة التركمان في القبيات والجوار: د. سلوم: دريب عكار...، مرجع سابق، حيث يؤكد هذه الإقامة بالاستناد إلى وثائق مطرانية طرابلس المارونية. من السخرية أن يكون الدكتور المذكور هو مرجعنا في إثبات إقامة التركمان في القبيات وهو الذي كان يسخر من هذه الفرضية. لم نتمكن من مراجعة هذه الوثائق رغم الجهود التي بذلها أمامنا الأب فريد حبقوق في مكتبة المطرانية في كرم سدة.

217 - الزريبي، الخورسقف: لمحة تاريخية، مرجع سابق.

218 - اسحق، فوزي نقولا: القبيات، دراسة سكتنية – اقتصادية – اجتماعية، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الفرع الثاني، ١٩٨٢، ص ١٩: "يوجد حجر أمام كنيسة سيدة شحلو، من المعتقد أنه حجر وثني كما أفاد شفهياً عالم الآثار الأب تالون إلى السيد فؤاد بطرس، أثناء دراسته لآثار المنطقة".

219 - الزريبي، الخورسقف: لمحة تاريخية، مرجع سابق. لم نجد في معاجم اللغة معنى لكلمة "زور" يفيد للدلالة على موقع جغرافي، وأقرب ما في معنى الزور هو للإعوجاج أو تقويمه، ولا نجد ربطاً ما بين اسم الحي والإعوجاج. ولم يذكر فريحة في معجمه لفظة "زور"، أو ما هو قريب منها. وفي "معجم ما استعجم" للبكري، (مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٠٤ و٧٠٥ و٧٠٦) "زَوراء"، و"الزّوراء" و"زُورة" أسماء مواضع، لم نراها مناسبة للمقارنة. بيد أن ياقوت الحموي يقول: "الزَّور: بفتح أوله، هو الميل والاعوجاج، والزور أيضاً الصدر: موضع في شعر ابن ميادة، وقال نصر: الزور...، موضع بين أرض بكر بن وائل وأرض بني تميم على ثلاثة أيام من طلح. والزور أيضاً: جبل يُذكر مع منور جبل في ديار سليم بالحجاز..." زُور:..، معناه الباطل: موضع ...، والزُّور: صنم كان في بلاد الدوار من أرض السند من ذهب مرصع بالجواهر..." (معجم...، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٥٧).

هو الأذواق، أو الذوق، وهو قسمان: الذوق الفوقاني (وفيه حارة السيدة "الغسالة")، والذوق التحتاني.

ثمة اختلاف في كتابة هذا الاسم بحرف "ز" أو "ذ". ولكن المعاجم اللغوية والجغرافية جميعها لا تحتوي على هذه اللفظة بالمعنى الجغرافي أو كاسم لموضع بصرف النظر عن كتابتها بالحرف "ز" أو "ذ". يُستثنى من ذلك فريحة الذي يقول: "هناك أسماء أمكنة عديدة مركبة من "زوق" واسم آخر. لنا ثلاثة آراء في تعليل الكلمة: (١) إنها تحريف ... الحارس والناطور والمراقب (من جذر ... ناظر وراقب وحرس). (٢) إنها تحريف ... duk ومعناها المكان والمحلة والموضع. (٣) إنها تحريف ... shuqa السوق. أما الأب لامنس فيعتقد أن اللفظ تركي الأصل"[٢٢٠].

يخالف فريحة في تفسيره هذا غالبية المؤرخين الذين يتفقون على أن أصل هذه الكلمة تركماني. يؤكد دروزة على أن الكلمة ظهرت في سياق عملية إقامة التركمان في لبنان[٢٢١]. ويشير عيسى اسكندر المعلوف إلى أن كلمة "زوق" تعني إمكنة إقامة التركمان [٢٢٢]. ويوضح محمد علي مكي أن المماليك أقاموا على طول الساحل اللبناني والجبال المطلة عليه أبراجاً صغيرة أطلقوا عليها اسم الأذواق[٢٢٣]. إن شبه الاجماع على أن كلمة "ذوق" ترتبط بالتركمان يعني أن هذا الحي استمد اسمه من إقامة التركمان في القبيات.

ولعل استمرار وجود جماعات من التركمان في المنطقة الملاصقة للقبيات، في عيدمون، وفي جوارها في الكواشرة، لمما يؤكد هذه الفرضية. هذا فضلاً عن أن منطقة "كرم سباط"، الجردية وهي اليوم، ملك لأبناء القبيات (يشاركهم في ملكيتها البعض من آل جعفر وبعض سكان عيدمون) ما تزال حتى الآن تابعة عقارياً (وبلدياً) لعيدمون التي كان التركمان فيها يملكون هذه المزرعة: كرم سباط[٢٢٤]. وحتى منتصف القرن التاسع عشر، كان ثمة أملاك داخل القبيات تُعرف باسم صاحبها التركماني. لقد جاء في وثيقة لوقف قطعة أرض في القبيات

---

220 - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ٨٦.

221 - دروزة، محمد عزة: العرب والعروبة، ج ١، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٥٩، ص ٢٨٠.

222 - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان، ١٩٠٧ – ١٩٠٨، ص ١٩٢: "أزواق (منازل) التركمان".

223 - مكي، محمد علي: لبنان من الفتح العربي حتى الفتح الاسلامي (٦٣٥ – ١٥١٦)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٤٢: "وقد اهتم المماليك ببناء الأبراج على طول الساحل اللبناني وفي الجبال المطلة عليه وشحنوها بالجنود النظامية، (وما يزال اسم برج مستعملاً في كثير من المناطق اللبنانية، برج حمود، برج أبو حيدر) وأنشأوا على طول الساحل أبراجاً صغيرة سموها أذواق (المفرد ذوق، مثل ذوق مكايل) وفيها قوة صغيرة من الجند دون العشرة جنود، وكانوا يسمون هذه القوة الصغيرة بالدرك".

224 - راجع في الوثائق الملحقة السندات التي تثبت الملكية السابقة لأهل عيدمون لهذه المزرعة.

بالذات لدير الآباء الكرمليين: "... الأرض التي تُسمى جورة فارس السليخ المعدة لزراعة الحبوب الكاينة في قرية القبيات المحدودة التخوم قبلة الطريق وشرقاً الدقر وبستان مضلوم (لعله مظلوم) وشمال بستان التركماني وأرض ذيب رينونه (لعله زيتونه) وغرباً الزقاق..."(٢٢٥).

وكان سبق لنا أن طرحنا هذا الاحتمال قائلين: "وإذا صح هذا التفسير لكلمة ذوق، فإنه يعني أن القبيات سابقا كانت مأهولة بالتركمان"(٢٢٦). مما أثار حفيظة أصحاب نظرية النقاء "الماروني الأصيل"، فانبرى د. سلوم ورد علينا معنفاً ومتهماً بقوله: "إن الذي يعنينا من هذا الموضوع هو الناحية التاريخية التي عالجها والتي تضمنت مغالطات كثيرة وتزويراً لتاريخ المنطقة... (وعلق على كلامنا حول احتمال إقامة التركمان قي القبيات قائلاً): "ونحن بدورنا نسأل: هل تجعل بضعة أنفار دون العشرة، غرباء موظفين في برج صغير يبدلون بين حين وحين(٢٢٧)، بلدة كبيرة كالقبيات "مأهولة" بالتركمان؟! بل أين بقاياهم وآثارهم هنا؟ هل هي في كنيسة سيدة الغسالة؟ أم سيدة شحلو؟ أم الأربعين شهيداً؟ مار جرجس؟ سيدة كماع؟ مار شليطا؟ دير عنان؟ الخ"(٢٢٨).

بيد أنه تبين له بعد فترة أن التركمان ليسوا طارئين بقدر ما تصور يوم اتهمنا بالتزوير فعاد واعترف بصحة ما كان قد اتهمنا عليه (التزوير)(٢٢٩). وهكذا عندما أعدّ أطروحة للدكتورا، في العام١٩٩٢، نسي ما سبق له وقاله في العام ١٩٨٧، وأعترف بصحة ما افترضناه، قائلاً: "وقد بقيت تلك الأذواق أعلاماً على أماكن نزولهم، ومنها في عكار ذوق العبيد (شدره) وذوق القبيات وذوق حلبا، كما سكنوا في برج عندقت وتركوا اسمهم على قبور التركمان فيها"(٢٣٠).

---

[225] - مخطوطات من دير الآباء الكرمليين (القبيات) جمعها وصنفها، بدون ترقيم أو تقديم، الأب الكرملي ميشيل حداد، في: Manuscrits Collectionnés et Rassemblés par le P. Michel HADDAD Carme Libanais. راجع : الوثائق في الملحق.

[226] - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات..."، الشمال، مقال سابق، ص ٣٤.

[227] - يتحدث عنهم وكأنهم عناصر المخافر في قوى الأمن الداخلي. ألا يعرف أن هؤلاء كانوا يقيمون مع عائلاتهم ، وغالباً ما كانوا مجموعات قرابية؟

[228] - سلوم، د. فؤاد: "القبيات ..."، الشمال، مقال سابق، ص ٣٤. كأن د. سلوم اقشعر بدنه لذكر احتمال إقامة التركمان في بلدته فاستعان ب"جميع القديسين" تعويذاً لطرد الروح التركمانية من أرض "الأصالة المارونية". وهويعرف الآن أن كنيسة مار شليطا في عندقت مبنية فوق أحد أبراج التركمان، وبحجارته أيضاً!

[229] - بالطبع دون أن يكلف نفسه عناء النقد الذاتي، اتهام الآخرين، جزافاً، بالتزوير صواب. النقد الذاتي باكتشاف قصور المعرفة وتجاوزه، عيب.

[230] - سلوم، د. فوءاد: دريب – عكار...، مرجع سابق، ص ١٠٤. علق مطانيوس شاهين غربية على موقف سلوم من إقامة التركمان في القبيات قائلاً: "لم يعد مقتنعاً أن "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، الشعلة، ١٩٩٣/٧/٢، ص ١١٨.

يبدو من بعض النواويس الموجودة في الشرق من حي الذوق أن الإقامة في هذه البقعة من القبيات قديمة للغاية، لا سيما وأن "حارة السيدة" التي اتخذت اسمها من مقام وكنيسة "سيدة الغسالة" العجائبية، تعكس، في اسم هذه الكنيسة بالذات، الوجود القديم في هذا الموقع لعبادة المواقع المائية وتقديسها. ومع أن الكنيسة مسيحية بالطبع فإنها تحمل في اسمها الأصل التاريخي لهذا الموقع المقدس، على ما يبدو، قبل المسيحية. فما هو أصل هذا الاسم: "سيدة الغسالة"؟

يرى الخوري يوحنا حبيب البيسري: "لماذا سميت سيدة الغسالة؟ لهذه التسمية معنيان: حقيقي، ومجازي. الحقيقي: بالقرب من معبدها المقدس لجهة الجنوب، ساقية ماء، لم تزل حتى اليوم. في السبوت قديماً كانت تتجمع نساء الحي، على طول أكتاف الساقية، يشعلن النار، يسخن الماء، يغسلن الثياب، ينشرنها على الصخور والجموم حولهن حتى تنشف، وعند العصر يعدن إلى بيوتهن حاملات الثياب نظيفة... وهكذا كل سبت تتداعى الجارات قائلة الواحدة للأخرى: يا الله! يا أم يوسف، يا أم ابراهيم، يا أم الياس ما بتروحوا على الغسالة؟ تعني الساقية التي عليها يتم الغسيل كالعادة. وهكذا اكتسب معبدها المقدس ... اسم الغسيل"[٢٣١].

بصرف النظر عن التعيين التاريخي لنشوء هذه التسمية كما يرويها الخوري البيسري، فمما لا شك فيه أن مقام "السيدة الغسالة" يعكس تكريساً مسيحياً لموقع هو على صلة بتقديس الماء، هذه العادة القديمة في البلاد. ولعل وجود هذه الكنيسة في سفح جبل "المرغان" يعزز هذا الاحتمال. لم نجد اللفظ "مرغان" أو "المرغان" في معجم فريحة. بيد أنه يذكر موقعاً في منطقة عاليه باسم "مراح مرتغون" Mrah Martaghun، يهمنا منه القسم الثاني من اسمه ("مرتغون" لتقارب فيه مع "مرغان")، وفيه يقول فريحة: "الجزء الثاني يجب أن يكون مركباً من لفظين، الجزء الأول منه ظاهر ... marat سيدة (مؤنث ماري). أما الجزء الثاني فهو... "guna" "لَگَن" أي إناء كبير للغسل،..."[٢٣٢]. لم نعثر في المعاجم الجغرافية على لفظة "مرغان"[٢٣٣]، غير أن القزويني يذكر موقعاً باسم "موغان": "ولاية واسعة بها قرى ومروج بآذربيجان، على يمين القاصد من أردبيل إلى تبريز، وهي جروم وأذربيجان كلها صرود كانت منازل التركمان لسعة رفغها وكثرة عشبها"[٢٣٤]. فهل يكون اسم هذا الجبل قد تكوّن

---

231 - البيسري، الخوري يوحنا حبيب: لمحة من تاريخ سيدة الغسالة العجائبية، (بدون ناشر)، ١٩٨٤، ص ١٣.

232 - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١٦٦.

233 - يذكر ياقوت الحموي (معجم...، ج ٥) مرغاب، ومرغبان، ومرغينان.

234 - القزويني: آثار البلاد...، مرجع سابق، ص ٥٦٤. كما يذكر القزويني: "مورجان: "من أعمال فارس. بها جبل فيه كهف يقطر الماء من سقفه، زعموا أن عليه طلسماً، وإن دخل ذلك الكهف واحد خرج من الماء ما يكفيه، وإن خرج ألف خرج قدر حاجة الألف".

نتيجة إقامة تركمان مصدرهم من "موغان" وتحور اللفظ مع الزمن فأصبح "مرغان"؟ وإذا كنا نميل إلى تقريب لفظ "مرغان" من "مرتغون" فإننا نعتبر سيدة "الغسالة" قد استمدت اسمها من كونها في لحف جبل المرغان "الغسل" وال"لَكَن"، وفي هذا دلالة على قدم المنطقة واعتمارها السرياني.

القطلبة

لم نتمكن من تكوين فكرة دقيقة ونهائية حول اسم هذا الحي الذي ظهر كآخر الأحياء المتكونة في القبيات. وهناك من ينسب التسمية إلى توفر شجر "القطلب" بكثرة في بقعة هذ الحي، ولكن ذلك الوجود لهذه الشجرة لا يقتصر انتشاره، وبكثرة، في هذا الحي فقط، بل هو سمة تغلب على الكثير من المواقع في جبال عكار. كما أن الاسم لا يختص بهذا الحي فقط، ففي منطقة الدورة في عكار العتيقة، موقع باسم "القطلبة"، وفي سورية، بالقرب من صافيتا، قرية أيضاً باسم القطلبة، ولا مجال هناك لنمو شجر القطلب، فضلاً عن وجود عائلة باسم القطلب، والقطلبي في سورية. ولذلك نميل إلى استبعاد هذا التفسير لاسم هذا الحي بربطه بوجود شجر القطلب. لم يرد اسم "قطلبة" في المعاجم الجغرافية. لكن فريحة يذكر "إطلبة"، ويقول فيها: "نرجح كون الاسم بالقاف: قطلبة من ... qatleb: شَبَكَ وعقد وربط شيئاً بآخر. ... qutlabé: الشجر المشتبك الملتف. وعليه يكون معنى الاسم: غابة ملتفة الأشجار، أو مكان وعر كثير الصخور والأخاديد"[٢٣٥]. إن واقع المنطقة ينطبق على توصيف فريحة لمعنى هذه العبارة، ولكن هذا التوصيف الذي يعتبر اللفظ سرياني المصدر ولا علاقة له بشجرة معينة (كشجرة القطلب)، يكاد يكون سمة عامة للمنطقة العكارية الجردية المحيطة بالقبيات، ولا يختص به هذا الحي فقط.

ونرجح، على العموم، ربط الاسم باسم علم تركماني هو "قطلو"، غالباً ما كان يقترن بلقب "بك" أو بالخاتمة "بغا"، بحيث نعثر عليه مراراً وتكراراً، لا سيما في زمن المماليك، بشكل "قطلوبك" أو "قطلوبغا". ونعتبر اسم "قطلبة" تحريفاً للأصل التركماني. وهذا ما يعزز سعة الإقامة التركمانية في القبيات، في زمن ولّى. وظننا في ذلك أن المنطقة ربما استمدت اسمها من احتمال أنها كانت وقفاً لأحد المماليك، وهو باسم "قطلو" أو "قطلوبك" أو "قطلوبغا". وذلك قياساً على ما جاء في بحث للدكتور عصام خليفة عن الأوقاف في مطلع الامبراطورية

---

[235] ـ فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ٤ – ٥.

العثمانية، وجود وقف في المنية على اسم السلطان "قطبو باي"(٢٣٦)، وآخر باسم "قطلو" في دير العرب (الزاوية)(٢٣٧).

وكان سبق لنا أن اعتمدنا هذا الاحتمال بقولنا: "نميل إلى ... ربط اسم هذا الحي بأصل تركماني هو اسم العلم "قطلو" الذي عُرف به أحد حكام طرابلس المماليك، ونعثر على هذا الاسم في كتابة منقوشة على أحد جدران مدرسة خيرية حسن : أوقفت أرملة المرحوم قطلو..."(٢٣٨). وفي حينه ردّ علينا د. سلوم، رافضاً كلامنا، مستبعداً مبدأ الوقفية، وقائلاً: "أما المدرسة فهي في طرابلس وشتان ما بين طرابلس والقبيات"(٢٣٩)، كأن المملوك أو صاحب الوقفية أو المرجع العائدة له من المفروض وجوده في الموقع الموقوف. فمن الممكن والطبيعي أن تكون مزرعة "القطلبة" في القبيات (عكار) موقوفة لصالح مدرسة "خيرية حسن" في طرابلس، أو لغير هذه المدرسة وفي غير طرابلس.

وفي محاولة من د. سلوم لحسم عملية تسمية هذا الحي يقول: "يجدر بنا أن نعطي "فكرة دقيقة ونهائية" حول اسم حي القطلبة فنؤكد أنه حديث جداً لا يمت بأية صلة إلى التركمان. إن الاسم التاريخي للحي هو "مزرعة بيت سعادة" كان يُطلق على الأراضي التي تقوم كنيسة الحي الآن على طرفها الشرقي الشمالي، وحيث لا يزال المسنون يسمون تلك الحدائق الغناء "أرض بيت سعادة"، أما اسم القطلبة فأطلق على أعلى الحي حيث "كسر" أجداد "آل ساسين"، من مرتمورة، جزءاً من أرض الغابة تاركين شجرة قطلب وارفة في ناحية من الأرض ليستظلها الزراع، فاندثر اسم "سعادة" أو كاد، وحمل الحي بكامله اسم القطلبة. ويعلم القبياتيون اليوم أن لا أثر لعائلة "سعادة" بينهم كما لاتذكرها سجلات الكنائس ولا التقاليد. فلربما كانت هذه المزرعة تخص عائلة البطريرك العظيم موسى سعادة العكاري الذي من قرية الباردة المجاورة للقبيات"(٢٤٠).

ليست بنا حاجة للعودة إلى إيضاح غنى لفظة "قطلبة" ومدلولها، ولكن ما هو بحاجة للإيضاح هو تشبث د. سلوم بالبحث عن أي وسيلة لطرد "الروح التركمانية" من القبيات، وباختراع "الأصالة المارونية". ولهذا الغرض يربط اسم "مزرعة بيت سعادة" أو "أرض بيت سعادة" بالبطريرك موسى سعادة

---

236 - خليفة، د. عصام: des Etapes .. ., op. cit., p. 40.

237 - المرجع السابق، ص ٤٤.

238 - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات"، مقال سابق، ص ٣٤. وكان مرجعنا في النص الذي أوردناه: تميمي وبهجت: ولاية بيروت، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٣١.

239 - سلوم، د. فوءاد: "القبيات مارونية..."، مقال سابق، ص ٣٥.

240 - المرجع السابق، ص ٣٥.

العكاري الذي عاش في القرن السادس عشر. كأنه كان يحق لهذا البطريرك أن يتملك المزارع والأراضي لتكون باسمه. ينسى (بالأصح يتناسى) أن الأرض كانت ملكاً للسلطان يوزعها على القادة العسكريين والحكام الاداريين، وفق قانون الملكية العثماني، وبالتالي ما كان لهذا البطريرك أن يملك مزرعة في القبيات، تحفظ اسم عائلته على مر القرون. وإن بقاء الاسم مرتبط بمن كان "متسلماً" لهذه المزرعة، وهو على أي حال ما كان البطريرك المذكور، بل هو ممن كان له موقع في السلطة العثمانية في حينه. ولا يفطن د. سلوم أن اسم "سعادة" لا يعني بالضرورة شخصية مسيحية[٢٤١]، هذا في حين أن اسم "سعادة" في "مزرعة بيت سعادة" تعني بالضرورة ربط التسمية بشخصية مسلمة لا مسيحية، شخصية قادرة على التملك، أو الالتزام، من السلطة العثمانية.

حلسبان

إن أقدم مرجع أثري تحدث عن حلسبان يعود للعام ١٨٦٤، يوم قام البعض من فريق إرنست رينان E. RENAN، بجولة سريعة في عكار. " لم نقم بغير جولة مختصرة في جبل عكار المشهور، على العموم، بطبيعته الخلابة البكر، وبجاذبية بلاد مهجورة، أكثر مما هو مشهور بآثاره. إن السيد لوكروا Lockroy هو الذي أخذ على عاتقه القيام بجولة سريعة في تلك الأنحاء التي رسم معالمها بعناية فائقة السادة ضباط هيئة أركان الحملة الفرنسية على سورية في تقريرهم الطبوغرافي. قبل ذلك كان جبل عكار أرضاً مجهولة. سأقدم هنا بعض الملاحظات التي جمعها في هذه الجولة السيد لوكروا"[٢٤٢].

241 - يعتمد الأب موراني (في: مرجع سابق بالفرنسية، ص ١١٣)، تقريباً، نفس الموقف الذي بقفه د. سلوم من اسم القطلبة، والإثنان يرجعان إلى نفس المرجع: أرشيف مطرانية طرابلس المارونية، سيامات المطران اسطفان عواد. لكن الأب موراني يعود بوجود "بيت سعاده" إلى زمن أسبق بكثير من زمن البطريرك موسى سعادة العكاري، إنه يرجع به إلى زمن الصليبيين، إلى القرن الثاني عشر (هكذا تكون "الأصالة المارونية" أعمق). بيد أن هذا المرجع (ارشيف مطرانية طرابلس) يطرح مسألة يتحاشى طرحها الإثنان: إسم كنيسة القطلبة، أو "مزرعة بيت سعاده". لقد ورد النص المتعلق بموضوعنا كما يلي: "قد رسمنا ولدنا ابراهيم طنوس فهد من القبيات مرتلاً وقارئاً وشمعدانياً ورسايلياً وانجيلياً في ٥ أيار ١٨٨٠، وفي ١٥ منه رسمناه كاهناً في قداساتنا الاحتفالية في كنيسة كرسينا وعلى مذبح مرتمورا في مزرعة بيت سعاده في القبيات ودُعي أنطونيوس". إن كنيسة القطلبة معروفة اليوم باسم "سيدة النصر"، والكنيسة المذكورة في رسامة الخوري فهد هي كنيسة "مرتمورا"، والكنيسة التي يذكرها الأب موراني (المرجع السابق، ص ١١٣، حاشية رقم ١) هي "مار يوحنا". فما هو الاسم الحقيقي لهذه الكنيسة؟ وكيف تحول الاسم إلى "سيدة النصر"؟ ومن أين أتى الأب موراني باسم "مار يوحنا"؟

242 - E. RENAN: Mission. . ., op. cit., p. 116.

في هذه الملاحظات يسمي لوكروا وادي "حلسبان" باسم "إلسباي" (El-lesbey)[٢٤٣] ، نظن التسمية حِلسباي، لتعذر النطق بالحرف "ح" على الفرنسي. ولكن حرف "ن" لا يطرح أي مشكلة، فلماذا لم يذكره في كتابته للاسم. لعل الناس في حينه كانت تسمي الموقع بهذا الاسم. هذا مع العلم بأنه ذكر الموقع المجاور له بلفظه المحلي المعروف به حتى اليوم: بوتويج (Boutouedj). عندما وضع الخورسقف الزريبي، بعد أكثر من نصف قرن، "لمحة تاريخية" عن القبيات، اعتبر أهم أثر فيها "هو الأثر الموجود الآن في وادي حلسبان"[٢٤٤]. وعليه إما أن المستكشف الفرنسي أساء سماع ولفظ، وبالتالي كتابة الاسم "حلسبان"، فجاء عنده "حِلسباي"، وإما أن الاسم كان في أصله "حلسباي"، ثم تعرض للتحريف مع الزمن، فرسى على لفظه الراهن: "حلسبان".

بيد أن الأب موراني يتحفنا برواية لتفسير هذا الاسم تقوم على مجرد اختراعات وهمية تتستر خلف عبارة كثيراً ما أساء استخدامها الثلاثي (سلوم، الحاج، موراني)، نقصد بها عبارة "التقليد". يرى الأب موراني: "يحمل الوادي اليوم اسم "حلسبان"، بينما يؤكد مسنو القبيات أن هذا الوادي كان يُسمى حصن البال (Hicn-el Bal) (لعله يقصد حصن البعل)"[٢٤٥]. إن أحداً في القبيات، غير الثلاثي المذكور، لم يسمع بأن وادي حلسبان، كان اسمه "حصن البال" أو "حصن البان". ولو أن المسنين كانوا يذكرون شيئاً من هذا القبيل لباحوا به إلى

243 - المرجع السابق، ص ١١٧، حيث جاء ذكر المنطقة بوصفها "بالقرب من القبيات": Près de Cobbaiet, à Ellesbey.

244 - جاء شيء من التقارب بين وصف رينان ووصف الخورسقف الزريبي الذي يقول عن الأثر الموجود في حلسبان: "كونه يشبه بحجارته قلعة معراب بكسروان وهيكل أفقه عند مخرج نهر ابراهيم"، بينما يقول رينان: "لاحظت وجود كوة مربعة داخل الحائط شبيهة بتلك الموجودة في قلعة صربا" (المرجع السابق، ص ١١٧).

245 - الأب موراني: مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٨٦. قبل قليل يتحفنا الأب موراني بتوصيف ل"عين الست" الواقعة على مدخل وادي حلسبان، بقوله أن لمياه هذه العين خصائص "علاجية": "لا يجهلها سكان المحلة الذين يروون عنها أروع الحكايات" (المرجع السابق، ص ١٨٥). وفي الحقيقة هذا الكلام هو من ابتكار خيال الأب المذكور، فحسب. إن ل"عين القبو" في وادي عودين هذه السمات، ولكن "عين الست" معروفة بمكان "جلسته" مريحة، كمنتزه فقط. وليس من التقليد أن تُذكر العذراء مريم باسم "الست"، بل باسم السيدة، وإذا كانت عبارة madame, dame, Notre Dame بالفرنسية تصح للدلالة على العذراء، ففي القبيات لا يقول أحد عن العذراء "الست"، بل "السيدة". وإذا كانت عبارة "ستنا مريم"، أو "ستي السيدة" مستعملة أحياناً بالصيغة التي أشرت إليها، بحيث تكون لفظة "الست" كقسم أول من كلمة مركبة، فإن لفظة "الست" غير مستعملة لوحدها للدلالة على المواقع المقدسة. وفي القبيات، حيث معظم الكنائس على اسم العذراء، لا يقول الناس: كنيسة الست مرتمورة، بل سيدة مرتمورة؛ ولا كنيسة ست الضهر، بل سيدة الضهر؛ ولا كنيسة ست الحبل بلا دنس، بل سيدة الحبل بلا دنس؛ ولا كنيسة الست الغسالة الجائبية، بل سيدة الغسالة العجائبية؛ ولا كنيسة ست النصر، بل سيدة النصر؛ ولا كنيسة ست الشنبوق، بل سيدة الشنبوق؛ ولا كنيسة الست شحلو، بل سيدة شحلو. ولو أن "عين الست" كانت على صلة بالعذراء لقيل فيها "عين السيدة". ولكن الرغبة باختلاق القداسة في كل شيء في القبيات، جعلت الأب المحترم يضرب عرض الحائط ب"التقليد" فيقوِّله ما لم يقله، وينسب إليه ما لا يعترف به.

المستكشف الفرنسي لوكروا، في العام ١٨٦٤، وهو إنما تعرف على اسم هذا الموقع من سكان المحلة، ولكان الخورسقف الزريبي قد أتى على ذكره في مطلع القرن العشرين. هنا، مع لوكروا، ومع الخورسقف الزريبي، نستطيع البحث عن عناصر التقليد الأكثر بعداً بكثير. ليس التقليد "اختراع"، بل تراث يكشفه الناس لدى طرح الموضوع المتعلق به عليهم، ولما كان هذا الموضوع قد طُرح منذ أقل من قرن ونصف،في المرة الأولى، ومنذ ثلاثة أرباع القرن في المرة الثانية، فليس من الصحيح الادعاء بوجود تسمية ما ونسبها إلى التقليد.

ومع أننا لم نتمكن من حل لغز اسم "حلسبان"، فإننا نستبعد كلياً رواية الأب موراني الذي ينطلق من اختراع شخصي ينسبه، زوراً، إلى "التقليد"، ليأتي الاسم "حصن البان"، أو "حصن البعل".

وفي هذا الموقع يقول د. سلوم: "معبد "حلسبان" (هليوس بان) في مزرعة تابعة للقبيات... معبد روماني..."(٢٤٦). وفي شريط مصور عن منطقة القبيات، بثه تلفزيون (Lbc) في ٢٠٠٠/٣/١٩، وكان تم إعداده بالاشتراك مع وزارة الثقافة والتعليم العالي في لبنان، يوضح د. سلوم معنى "هليوس بان" بقوله: "معبد الاله بان الروماني اليوناني الذي كان إله الرعيان والقطعان والغابات ترك اسمه على المنطقة حلسبان، هيليوس بان، بان العظيم الممجد".

صحيح أن بان هو إله "الرعاة لدى الأغريق. كان يصور بقرنين وأنف معقوف وذنب ورجلي تيس. ويعيش في الكهوف والغابات وقمم الجبال ويحمي القطعان...، واطلق اسمه على مدينتين في سورية هما بانياس على البحر الأبيض المتوسط وسفح جبل حرمون"(٢٤٧). غير أن "هليوس" تعني الشمس، وما ينسب لها من قداسة على علاقة بعبادة الشمس. ففي مصر مدينة هيليوبوليس القديمة، وبعلبك هيليوبوليس، هي مدينة الشمس (Héliopolis) حيث هيليوس (hélios) تعني الشمس وبوليس (polis) مدينة. ولو سلمنا بأن حلسبان هي تحريف "هليوس بان" لكان معناها: شمس بان.

ثمة سؤال يفرض نفسه بالضرورة: لماذا لم يأتِ الأب موراني على ذكر ما قاله رينان عن هذا الموقع؟ هذا مع العلم أن كتاب رينان "بعثة إلى فينيقة" Mission de Phénicie وارد في عداد المراجع التي اعتمدها الأب المذكور. فلماذا لم يذكر ما جاء في كتاب رينان؟ الجواب ببساطة لأن ما هو وارد عند

---

246 - سلوم، د. فؤاد: دريب...، مرجع سابق، ص ٩٦.

247 - عبودي، هنري س.: معجم الحضارات...، مرجع سابق، ص ٢١٣.

رينان يتعارض مع الفرضية السريانية التي يدّعيها الأب موراني،لا سيما وأنه أشار إلى عدم وجود أعمدة أو بقاياها. ماذا في كتاب "بعثة إلى فينيقية" عن حلسبان؟

"ثمة بالقرب من القبيات، في (إلسباي) حِلسباي (El-lesbey)، حائطان باقيان من بناء قديم فسيح. حجارته كبيرة، ولا تحمل أثراً للملاط. وهي مبنية بطريقة رائعة، بحيث أن جوانبها المعدة للإتصال ببعضها مفرغة قليلاً، فتبقي فراغاً بينها، محجوباً عن الخارج تماماً بفضل الجوانب المحيطة بهذا الفراغ المحفور في الحجارة، وهي جوانب الحجارة المتصلة ببعضها. لم أرَ آثاراً لأعمدة؛ بيد أني لاحظت كوة مربعة داخل الحائط، شبيهة بتلك الموجودة في "قلعة صربا"، ويحيط بها إطار من الطراز اليوناني.

"وتوجهت، بالقرب من هناك، إلى بوتويج (Boutouedj) لأتفحص آثاراً قيل لي أنها مهمة؛ لم أجد غير منزل، وجدته حديث البناء بشكل واضح، ولكن بينما كنت أتفحص الجوار شاهدت حجرة محفورة في الصخر على شيء من العمق، ولكنها قليلة الأهمية"[٢٤٨].

عندما تم وصف البناء القائم في حلسبان في العام ١٨٦٤، في "بعثة إلى فينيقية"، كان منه حائطان قائمان، مما يعطي الواصف لهما فرصة أكبر بكثير من تلك التي درس خلالها الأب موراني نفس البناء، بعد أن كان دثر منه ما كان قائماً قبل أكثر من قرن. لم يرد في كتاب رينان كلام عن الطراز الروماني القديم ولا عن الطراز السرياني[٢٤٩]، في البناء كما فعل الأب موراني، بل جاء توصيف طراز البناء بأنه يوناني (style grec)، وعلى شبه ب"قلعة صربا". كذلك قل عن وصف الخورسقف الزريبي وهو شاهد على حال البناء قبل أكثر من نصف قرن على وصف الأب موراني له. ومما له دلالة كبيرة هو أن مار شليطا لم يرد له أي ذكر في "بعثة إلى فينيقية"؛ فهل تكرس البناء كمكان للعبادة على اسم مار شليطا في مرحلة لاحقة؟ هذا ما نرجحه لا سيما وأن تطور الكنائس والرعايا في القبيات كان في زمن "بعثة إلى فينيقية" ما يزال في بدايات انطلاقه من كنيسة الأربعين في "القبيات العتيقة" وكنيسة مرتمورة إلى غيرها. وبالتالي أيضاً كان توسع القبيات باتجاه حلسبان والقطلبة والجرد في بداياته، ولم يترسخ بعد جيداً، ليستدعي بناء الكنائس، كما حصل لاحقاً.

---

[248] - RENAN: op. cit., p.117.

[249] - راجع حول توصيف الأب موراني لهذا البناء، مرجعه المذكور (بالفرنسية)، ص ١٨٩ و١٩٠.

الشمبوق

تمتد القبيات، بدءاً من حي القطلبة، إلى الجنوب الشرقي، عبر مزارع الجرد، المعروفة بالشمبوق (أو الشنبوق) وكرم سباط (أو شباط). وهي منطقة عريقة في قدمها،غنية بأسمائها، وإن يكن تراثها بحاجة إلى المزيد من العمل على نبش آثارها التي بإمكانها تنوير تاريخ المنطقة.

من المتعارف عليه في البلدة أن عبارة "الشمبوق" تعني شجرة السنديان الفتية؛ ولكنه من المعروف أن هذه المنطقة غنية بشجر السنديان الغض والكبير. ويذكر فريحة عبارة "الشمبوق" بقوله: "أرجح أنه تصحيف... ... (shabbuqa): العصا والقضيب والهراوة، والشجرة الصغيرة النامية ذات الفرع الواحد، وفي عامية لبنان الشبُّوق، وهي سريانية"[٢٥٠]. وفي سفح الشمبوق، على مقربة من منازل حي القطلبة، يطالعنا موقع عريق في قدمه، معروف اليوم باسم سيدة كماع (في اللفظ المحلي). من معنى هذا الاسم نستدل على قدم اعتمار المنطقة باعتبار أن هذا المعنى يعيدنا إلى زمن الوثنية. يقول فريحة: "سيدة قماع (تعني) الساحر والراقي والمُعوذ. وربما أصلاً مكان وثني لولي أو رجل يتعاطى عمل السحر والتعويذ"[٢٥١]. ولعل هذا الموقع الذي كان على صلة ما بالعبادة الوثنية تحول مع الزمن، وتكرس معبداً مسيحياً باسم "سيدة كماع". لم نتمكن من تكوين فكرة عن زمن وكيفية هذا التحول، ومذهب المسيحيين الذين كرسوه.

إن البحث الذي قام به الأب موراني حول هذا الموقع لم يأتِ بأي جديد في المعلومات الأثرية، ولما كان يفتقر أيضاً – كغيره – إلى المعطيات التاريخة، فإنه عمد إلى اختلاق افتراضات تاريخية لا أساس لها من الصحة. يقول الأب موراني، وهو يحاول معرفة ما إذا كان البناء القائم في هذا الموقع كنيسة من جناح (صحن nef) واحد أو إثنين: "يجب قبل كل شيء، معرفة الشعب المتملك لهذا البناء ودراسة طقوسه الروحية، قبل أن نجيب على كل هذه الأسئلة. ولما كنا نجهل ماضي هذا الشعب، سنحاول تحليل هذه الأسئلة على ضوء ما بين أيدينا من معطيات"[٢٥٢]. ولهذا بدل تريثه بانتظار المزيد من الحفريات والدراسات الجدية تقدم بافتراضات مجانية.

إلى الشرق من هذا الموقع هناك "أم حارتين" موقع لم نتمكن من معرفة شيء عنه. والمنطقة الواقعة ما بينهما تُعرف ب"العصابة"، ولعلها كانت مقراً

---

[250] - فريحة، معجم...، مرجع سابق، ص ٩٨.

[251] - المرجع السابق، ص ٩٢.

[252] - الأب موراني، مرجع سابق، بالفرنسية، ص ٢٠٣.

لجماعة "عصابة" من "الخارجين على القانون"، ربما من أتباع الحماديين الذين ينسب لهم معظم المؤرخين الفوضى والتخريب، في المرحلة التي أعقبت زوال سلطة آل سيفا عن عكار. وفي المقلب الجنوبي من "العصابة" هناك منطقة "حلبوسا" الغنية كغيرها من أماكن هذا الجرد بالمياه. لم نجد هذا اللفظ في المعاجم الجغرافية، ولعل التفسير الذي يقدمه الأب موراني بعيد عن الصواب: "مكان الحليب"[٢٥٣].

بيد أن تفسير د. الحلو للفظة "حلب" فيه ربما ما قد يفيدنا في فهم معنى "حلبوسا"، إذا اعتبرنا جذرها "حلب". يقول د. الحلو في سياق تفسيره لاسم "حلب": "أما تفسير الاسم فمسألة لا يوجد لها حل مقنع وأكيد، إذ أنه لو ورد ذكره في المصادر ما قبل العربية بلفظ مشابه للفظه العربي المعروف لكان من الممكن اعتبار هذه التسمية مشتقة بالأصل من الحليب. فعدا عن كتابته بالحاء بدل الخاء مما لا يعتبر مشكلة أساسية، نجد أنه يرد في الكتابات المسمارية أحياناً بشكل "خلب" وأحياناً أخرى بالباء المخففة التي تقابل ال p اللاتينية "خلـپ "... ومثل ذلك في النصوص المصرية التي استخدمت عدا عن ذلك الراء بدلاً من اللام "خرب أو خرپ ". بالنظر لما ذُكر لا يستبعد أن تكون للتسمية علاقة باشتقاق أشوري المنشأ من لفظة خلـپـو – halpu – التي تعني "حجارة"... إضافة لمعنى آخر هو "البرودة والجليد". أو من لفظة مشابهة... وتعني غابة الصفصاف"[٢٥٤]. ولما كان سكان القطلبة قد أفادونا عن قلة وجود الحجارة في الحي، خاصة قي القسم المعروف منه بالمواش أو القاطع، وأنهم أتوا بمعظم الحجارة لبناء المنازل من "حلبوسا"، فإننا نميل إلى اعتبار اسم "حلبوسا" أشوري الأصل، مما يعكس الغنى التاريخي للمنطقة[٢٥٥].

بالعودة إلى الشمبوق، وعلى مسافة قريبة إلى الشمال الشرقي من كنيسة سيدة الشمبوق الحديثة البناء، هناك موقع معروف باسم "كنيسة دار عنين"، في مطل مشرف على وادي "عودين"[٢٥٦]. طرحنا قيمة هذا الموقع والملابسات

---

[253] - المرجع السابق، ص ٢٠٠. يعطي فريحة (معجم...، مرجع سابق، ص ٥٨) معنى الحليب أو ما يقاربه للفظة "حلبا"، ويشاركه الرأي، تقريباً، د. عبدالله الحلو (مرجع سابق، ص ٢٢٧).

[254] - الحلو، د. عبدالله: المرجع السابق، ص ٢٢٧.

[255] - ثمة احتمال أن يكون الاسم على علاقة بمكان لتصنيع الفخار(علماً بأن المنطقة غير مشهورة بذلك)، يرى عفيف بطرس مرهج (موسوعة...، ج ٦، ص ٩) وهو يعالج اسم "ذوق الحبالصة" أن الاسم "حبالصة" قد يكون تحريفاً ل"حلبيسا" (halbisa): القوارير والجرار.

[256] - يرفض الأب موراني (مرجع سابق، بالفرنسية، ص ٢١٣) اقتراح الأب لامنس باحتمال أن تكون التسمية على صلة باسم دير يعقوبي: "عودين"، ورد ذكره في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين؛ راجع: Actes du 11ème Congès des Orientalistes: Profession de foi adressé par les Abbés des Couvents de la Province d`Arabie à Jacques BARADEE, par M. TH. LAMY,pp. (117 -137) . يتمسك الأب موراني بتفسير لفظة "عودين": "جمع سرياني لكلمة

المحيطة باسمه، ومدلول هذا الاسم في مكان آخر من هذا البحث، تحت عنوان: في من استوطن عكار والقبيات... . بيد أن الأب موراني ينسج رواية طريفة حول هذا الموقع تشبه أحداثها رواية نوح في التوراة. وهو ينقل هذه الرواية، على حد زعمه عن لسان راع مسلم شاب. لدى استفسارنا مسني القبيات حول هذه الرواية تبين لنا أن أحداً لم يسمع بها، وانكروا احتمال حدوثها لا سيما وأن أبطالها انتقلوا في طريقهم عبر "وادي" القبيات على حد زعم الرواية[٢٥٧].

كرم سباط (شباط)

هي آخر بقعة تمتد عليها أملاك القبيات، وهي آخر المواقع التي توسع إليها المجتمع القبياتي الراهن، في فترة غير بعيدة في الزمن، ولعلها لا تتجاوز أواسط القرن التاسع عشر. ثمة أكثر من معنى للفظ "كرم سباط" (أو شباط)، وهي تعكس عمقاً تاريخياً للمنطقة على أية حال. وإذا كان القسم الأول للاسم "كرم" يعني مزارع تغلب عليها زراعة الكرمة، فإن القسم الثاني "سباط" (أو شباط) محط تأويلات متضاربة. يذكر فريحة موضعاً في منطقة بعلبك باسم "النبي سباط"، ويرى أنه "قد يكون تحريف شباط غير انني أرجح كونه فينيقياً... (sufeṭ) أو (sõfeṭ): القاضي والحاكم، من جذر يرد في العبرية والفينيقية... shafaṭ: قضى وحكم، ومنه الاسم العبري يهوشافاط: الله حكم"[٢٥٨].

وعليه استناداً إلى هذا التأويل للفظ "سباط" يعود تاريخ المنطقة إلى الزمن الفينيقي، أو اليهودي. والأسماء الدالة على الوجود التاريخي لليهود في مناطقنا غير قليلة، ففضلاً عن أكثر من موقع في القبيات وجوارها معروف باسم "قبور اليهود" (وربما هذا ما دفع الخورسقف الزريبي في لمحته التاريخية إلى اعتبار سكان المنطقة القدماء على أمة اليهود)، وهناك منطقة في كرم سباط

"عودو" (oudo) بمعنى "الغابة المقدسة" (مرجع سابق، ص ٢١٣). بالعودة إلى فريحة (معجم...، مرجع سابق، ص ١١٩) جاءت "عودين (udin) ومفردها (uda): قضبان وعيدان". لا وجود لعنصر القداسة في هذا التفسير السرياني للاسم. فمن أين أتى به الأب موراني؟

257 - راجع الرواية في مؤلف الأب موراني السابق الذكر، ص ٢٠٩ و٢٠٧؛ تتحدث الرواية عن عاصفة ثلجية هبت على منطقة الجرد. حاول خوري مزرعة هناك دفع أبناء المزرعة لمغادرة المنطقة، فرفضوا. رحل الخوري مع قسم من السكان وبقي الآخرون هناك. وكان عند الخوري حمامتان. ترك واحدة طليقة، ووضع الثانية في الداخل. وفي الليل تفقد أحد الفلاحين منزل الخوري، فوجد الحمامة ميتة. كان يعرف أن عند الخوري حمامتان، فأدرك حكمة الخوري. نجا الخوري مع من رافقه ونزح إلى قرية ضهر صفرا، ومات أهل المزرعة الباقون. راجعنا بعد فترة شخص واحد من من استفسرناهم الأمر، ليقول لقد سمع مرة بذلك والبطرك ألقى حرماً على من يبقى في الجرد بعد شهري تشرين؟!

258 - فريحة، معجم...، مرجع سابق، ص ١٨١.

تُعرف باسم "حرف شيت"، وشيت الابن الثالث لآدم[٢٥٩]، ومكان آخر معروف باسم "شير عزرائيل".

بيد أنه في المعاجم الجغرافية العربية لفظ قريب من "سباط" هو "ساباط". وعلى ما يروي القزويني "ساباط" هي "بليدة كانت بقرب مدائن كسرى، أصله بلاشاباد يعني عمارة بلاش، وهو من ملوك الفرس، فعربته العرب وقالوا ساباط"[٢٦٠]. بينما يرى ياقوت الحموي أن "ساباط كسرى": "بالمدائن موقع معروف، وبالعجمية بَلاس أباذ، وبلاس: اسم رجل... قال أبو المنذر: إنما سُمي ساباط الذي بالمدائن بساباط بن باطا كان ينزله فسُمي به..."[٢٦١]. وإذا صحت هذه النسبة في اسم "كرم سباط" فإنها تعني وجود الفرس في بلادنا هذه. ويجدر بنا لفت النظر إلى أن هذه المنطقة كانت معروفة باسم "كرم ساباط" منذ عدة قرون، ولقد ذكرها ابن محاسن بهذا الاسم "كرم ساباط"، ووصفه بأنه "مشهور"، في رحلته (المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية) التي قام بها في العام ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م[٢٦٢]. بيد أن الحموي يعطي تفسيراً آخر للفظ: "والساباط عند العرب: سقيفة بين دارَين من تحتها طريق نافذ"[٢٦٣]. فهل يكون "كرم سباط" اشتهر بمثل هذه السقيفة، لا سيما وأن هذه المنطقة كانت ممراً؟

لعله لم يمر فاتح على لبنان إلاّ وترك له أثراً في منطقة كرم سباط. وأغنى تلك الآثار المعروفة هي البابلية، ومنها بشكل خاص ما تم التعارف عليه باسم "شير الصنم"، في موقع عينه الأب تالون على الشكل التالي: "تقع الكتلة الصخرية التي نقش عليها (النصب) على ارتفاع يتراوح بين ١٥٥٠و١٦٠٠م، حيث يبدأ بالتكون واديان، يهبط أحدهما مباشرة نحو البحر عبر عكار العتيقة، بينما ينحرف الثاني إلى الشمال الغربي ليمر في مزرعة زبود قبل أن يصل إلى القبيات. ثمة ممر ثالث ينطلق نحو الجنوب، فيمر تحت هضبة القموعة، وفي ظل غابات الصنوبر، يستمر، عبر تاشع وممنع والقنطرة ليصل مباشرة إلى عرقة. يعني ذلك كم إن موقع هذا النصب حسن الإختيار!" [٢٦٤]. بالطبع لهذا النصب

---

259 - "وعرف آدم امرأته مرة أخرى فولدت ابناً وسمته شيتاً" (تكوين/٤: ٢٥)، "شيت، ابن آدم " (تكوين/ ٥: ٣).

260 - القزويني: آثار...، مرجع سابق، ص ٣٨٥.

261 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٦٦.

262 - المحاسني: المنازل المحاسنية...، مرجع سابق، ص ٥٢: "ومررنا فيه على وادٍ مهيل يقال له وادي السبع وعلى كرم ساباط المشهور...".

263 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٦٦.

264 - يعود للأب تالون الفضل باكتشاف هذا الأثر البابلي. راجع: M. TALLON (S.J.): Une Nouvelle Stèle Babylonienne au Akkar (Liban Nord), M.U.S.J., Tome XLIV, Fasc. I, 1968, p.7.

البابلي صلة بتلك الآثار التي خلفها البابليون في وادي بريسا قرب الهرمل وفي وادي السبع في أكروم[٢٦٥].

وكذلك ليست الآثار الرومانية معدومة في المنطقة المحيطة بكرم سباط، لا سيما تلك المتعلقة بتحديد الملكيات، أو بتعيين أصناف الأشجار التي احتكرت الامبراطورية الرومانية حق التصرف بها[٢٦٦]. لقد حدد الأب تالون أهمية "كرم سباط" لموقعه على الطريق التاريخية التي تنطلق من أكروم أو الهرمل وتدور، مروراً بكرم سباط، حول تلال القموعة لتصل إلى الساحل (عرقة)[٢٦٧]. ولقد افتتح هذه الطريق، برأي الأب تالون، البابليون والرومان، كما اعتمدها والعرب ومن ثم الصليبيون.

ونظن أن المماليك أهتموا بهذه الطريق أيضاً، وكذلك العثمانيون من بعدهم. ويبدو أن هذه الطريق (وإن كانت ثانوية، برأي الأب تالون) بقيت في زمن العثمانيين معتمدة أيضاً. ولقد سلكها المحاسني في رحلته، في العام ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، من دشق... بعلبك... الهرمل... أكروم، عكار العتيقة... عرقة... طرابلس. وهو يقول واصفاً مشاهداته لدى انتقاله من بلدة الهرمل، "صعوداً على جبل أشرفنا منه على قلعة حمص وعلى بحيرتها، ورأيت البركة في غاية الطول... وأشرفنا على قرى كثيرة شهيرة... ،... وحصل لنا في هذه المرحلة مشقة عظيمة لا توصف... فإنها عبارة عن صعود في نحو خمسين جبل وكل صعود يلزم منه الهبوط... ولقد أشرفت ونحن بأحد هذه الجبال على قلعة الحصن (حصن الأكراد)...، ... ومررنا فيه على وادٍ مهيل يُقال له وادي السبع وعلى كرم ساباط المشهور... وفي هذه المرحلة مشينا أكثرها وتحملنا ضررها وما وصلنا عكار إلاّ وكل منا على الأرض لا يستطيع القرار..."[٢٦٨].

وأكثر من استقر في "كرم سباط"،على ما يبدو، التركمان. ففي المنطقة وجوارها كثير من المواضع المعروفة حتى اليوم ب"قبور التركمان" و"مقل

---

265 - سبقت الإشارة لهذين الموقعي. راجع: H. POGNON: Les Inscriptions. . ., op. cit.; H. LAMMENS: Notes épigraphiques. . ., Musée Belge, 1902, op. cit; P. RONZEVALLE: Rev. Bib., 1903, t. XII, p.600,604.

266 - H. POGNON: op. cit.; Chaker GHADBAN: op. cit. ; R. MOUTERDE: M.U.S.J., t. XXXIV, 1957, op. cit.

267 - M. TALLON: Monumentes Romains. . .,M.U.S.J., T. XLIV, Fasc. V, op. cit., P.51,62.

268 - المحاسني، مرجع سابق، ص ٥٠ و٥١ و٥٢.

التركمان". وما تزال المنطقة تابعة عقارياً لبلدة عيدمون. وتثبت الوثائق[٢٦٩] المتعلقة بعمليات شراء بعض أبناء القبيات للأراضي (في كرم سباط) أن أصحابها السابقين كانوا من تركمان عيدمون، يعني ذلك أن المنطقة كانت بحوزتهم وتصرفهم، ثم تملكوها مع صدور قانون الطابو العثماني في منتصف القرن التاسع عشر. وبعد ذلك بدأ أهل القبيات يتملكون هناك. وإن كان لأبناء القبيات من وجود أسبق على هذا التاريخ، فهو وجودهم كمجرد فلاحين يعملون في تلك الأنحاء. وعلى العموم فإن الحضور القبياتي (على الأقل كمالكين) هو حديث جداً في منطقة كرم سباط.

ويجدر بنا قبل أن نختم الكلام على هذا الموقع الإشارة إلى اعتماره من قبل عناصر عربية اسلامية (علوية) تركت أسماءها على بعض مواقعه، مثل جبل الأدرع، وصار الأدرع...، ففي هذه الأسماء إشارة إلى احتفاظ هذين الموضعين بأسماء شاغلين سابقين لها: عائلة الأدرع العربية الموجودة اليوم في أكروم، لا سيما بلدة كفرتون، لكنها الآن على مذهب السنة[٢٧٠].

---

269 - راجع الوثائق في الملاحق.

270 - جاء في "اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، ص ٣٦": "الأدرعي:...، هذه النسبة لجماعة من العلويين ينسبون إلى الأدرع، وهو لقب أبي جعفر محمد بن الأمير الكوفي المعروف بالطبيب ابن ... علي بن أبي طالب، ..."

القسم الثالث

في الأصول الاتنية لعكار والقبيات

الفصل الأول: في من استوطن عكار والقبيات من الشعوب والأقوام عبر التاريخ

الفصل الثاني: في عائلات القبيات وأصولها

الفصل الأول

في من استوطن عكار والقبيات من الشعوب والأقوام عبر التاريخ

ليس هناك من شك بأن الشعب العكاري، بما فيه سكان القبيات، هو مزيج متراكب فوق بعضه البعض، لشتى الشعوب والأقوام التي اعتمرت المنطقة منذ أقدم الأزمنة. وليس من السهل تحديد موقع وكيفية استمرار كل من هذه الشعوب والأقوام، أو معرفة أرومة السكان الحاليين لهذه البلدة العكارية أو تلك، نظراً لضرورات وواقع الامتزاج التاريخي والانصهار الاثني.

هذا فضلاً عن صعوبة تحديد هوية هذه الشعوب في مواقع سكنها التاريخي العكاري، لأن الأمر يستلزم بحثاً موسعاً ومسحاً أثرياً شاملاً ما تزال منطقة عكار بعيدة جداً عن متناوله. فالكثير من الأقوام والشعوب بادت وضاعت في مطاوي التاريخ وتراكم الجغرافيا والجيولوجيا العكارية عبر التاريخ. كما دثرت معالمها المادية، وما بقي منها ما يزال دفيناً، والظاهر منه مجهول الهوية في معظمه.

وإذا كانت المعرفة الدقيقة والصارمة صعبة فإنه يمكننا الاستدلال تقريبياً إلى طبيعة الشعوب التي استوطنت عكار (والقبيات) انطلاقاً من الأبحاث التاريخية والانتروبولوجية والأثرية التي شملت لبنان وسورية. فلا بد من أن يحكم عكار، بحكم موقعها الجغرافي والستراتيجي[1]، ما حكم الساحل اللبناني-السوري، وكذلك الداخل اللبنان- السوري أيضاً (البقاع وامتداده شمالاً جنوباً).

كما أن هناك سلسلة من الأبحاث التاريخية والأثرية والجغرافية التي اختصت بها منطقة عكار أو بعض مواقعها المميزة (سنشير إليها في مواقعها)

---

[1] - سبقت الإشارة إلى أهمية هذا الموقع. ونكتفي هنا بذكر ما قاله رينان RENAN عندما اعتبر السهل العكاري (الممتد من عمريت – رأس شمرا حتى طرابلس) من المناطق القليلة التي ميزتها الطبيعة بأرض صالحة للزراعة تخترقها كثرة من المجاري المائية، أهمها النهر الكبير... ورأى أن عوامل الخصوبة هذه، مضافة إلى حسنات موقع المنطقة كحلقة وصل عبر وادي النهر الكبير (البقيعة) مع سورية الداخلية (البقاع)، تفسر انتشار المدن الهامة في هذه المنطقة، منذ أقدم الأزمنة، حيث نجد مع كل خطوة آثارها وبقاياها. راجع: E.RENAN: Mission de Phénicie, Imprimerie Impériale, Paris, 1864, Edition avec introduction de Sami KARKABI,Terre du Liban, Beyrouth, 1er Octobre 1997, p.115.

تمكننا من إلقاء الضوء على هذه المسألة، وتسمح لنا بتعيين دقيق لحد كبير للشعوب التي عمرت مناطقنا العكارية. أضف إلى ذلك ما احتفظت به المنطقة من أسماء تعود بقدمها إلى قدم الأزمنة، بحيث استمر السكان الحاليون يطلقون على مواقع منطقتهم نفس الأسماء التي عرفت بها منذ القدم[٢]. وبالتالي يمكننا انطلاقاً من هذه الأسماء الاستدلال على الارث التاريخي وتعيين الشعوب التي عمرت البلاد منذ فجر التاريخ.

عكار ومراحل ما قبل التاريخ

أولاً. يقسم تاريخ البشرية إلى مراحل ما قبل التاريخ Préhistoire ومراحل التاريخ. وتم تعيين الحد الفاصل بين ما قبل التاريخ والتاريخ بحوالي ٥٠٠٠ سنة ق.م.، حين تم اختراع الكتابة، وصار بالتالي ممكناً تدوين بعض وقائع الشعوب الأساسية[٣]. تغطي عبارة ما قبل التاريخ الزمن الممتد من ظهور أصول الانسان، أو أسلافه، حتى "الثورات النيوليتية" التي بدأت في الشرق الأدنى منذ حوالي ١٠٠٠٠ سنة وفي أوروبا منذ حوالي ٦٠٠٠ سنة ق.م.[٤]. وقد شبه فيليب حتي عصر التاريخ من حيث مدته القصيرة قياساً على عصور ما قبل التاريخ بأن عصر التاريخ يعادل القسم المرئي من جبل الجليد المغمور بالمياه[٥].

ويعود العلماء في عصر ما قبل التاريخ إلى عشرات ملايين السنين، حوالي ٦٠ مليون سنة[٦]، يوم ظهر ما يسميه العلماء Primates[٧]، وكان آخرها منذ حوالي عشرين مليون سنة، وهو المعروف باسم كينيابيتيكوس Kenyapithecus، الذي يشكل الجد المشترك[٨] قبل ظهور البشريات Hominidés[٩]. ومنذ حوالي مليوني سنة سجل العلماء ظهور أول أسلاف الانسان. وتتالت في القرن العشرين الاكتشافات العلمية الانتروبولوجية مسجلة مراحل متقدمة في تطور تكوين الجنس البشري من Homo-habilus الانسان

---

2 - يشير رينان إلى هذه الظاهرة مسجلاً احتفاظ الأماكن بأسمائها الأصلية، ويعتبر ذلك بمثابة "قانون عام في كل فينيقيا". المرجع السابق، حاشسة ٢، ص ٢١.

3 - راجع: MOURRE, Michel: Dictionnaire Encyclopédique d Histoire, T.4, Bordas, Paris, 1997, p.4484.

يرى فيليب حتي: "قد بزغ فجر التاريخ في هذه البلاد (أي في سورية) في أوائل الألف الثالث ق.م.، وذلك على أثر اختراع الكتابة في مهدي الحضارة المجاورين في جنوبي بلاد الرافدين ومصر وانتشاره من هذين المركزين"؛ راجع: حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص٧.

4 - MOURRE ، مرجع سابق، ج٤، ص ٤٤٨١.

5 - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص٧.

6 - MOURRE ، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤٨٢.

7 - أوائل الثدييات التي منها البشرية والقردية.

8 - MOURRE ، مرجع سابق، ج٤، ص٤٤٨٢.

9 - الأصل الذي منه خرج الانسان Homo .

المؤهل إلى Homo-erectus الانسان المنتصب على قدميه إلى Homo-sapiens الانسان العاقل و Homo-faber الانسان الصانع.

لا يعني ذلك أن هناك سلالة واحدة تدرجت صعداً، في بقعة معينة من العالم. بل هناك اكتشافات قررت، بالاستناد إلى تقنيات متطورة لقياس عمر المطمورات والمتحجرات وأحجام العظام، وتمفصل الهيكل العظمي...، أن هناك انماط من الانسان، تطور حجم جمجمته، وطريقة تنقله (على اليدين والرجلين)، وكيفية المشي والوقوف، وصولاً إلى تحرير اليدين، والقدرة على استعمالهما لغير ضرورة الانتقال. هذا فضلاً عن اعتماد تلك الاكتشافات على دراسة ما خلفه البشر القدماء من بقايا الأدوات التي صنعوها والآثار التي خلفوها في أماكن تواجدهم، وذلك عبر مراحل طويلة من التطور التاريخي. ويقسم العلماء المعنيون (من مؤرخين وانتروبولوجيين وآثاريين) عصور ما قبل التاريخ إلى قسمين أساسيين: عهود الباليوليت Paléolithique[١٠]، وعهد النيوليت Néolithique[١١]، وتفصل بينهما مراحل انتقالية هي مرحلة الميزوليت Mésolithique[١٢].

ثانياً. يرى البعض أنه يستحيل كتابة تاريخ عكار في عصور ما قبل التاريخ لغياب مصادر المعلومات، "بانعدام الحفريات الأثرية" في المنطقة[١٣].

---

10 - عصر الباليوليت Paléolithique ، أطلق عليه هذه التسمية، في العام ١٨٦٥، العالم جون لوبوك LUBBOCK ، ويقصد بها العصر الحجري القديم: Paléo = قديم، Lithique (lithos) = حجر. وهو العصر الذي فيه تم استخدام الحجر المشطوب في صناعة أدوات الانسان. يمثل هذا العصر أطول مرحلة في تاريخ البشرية. ويقسم إلى ثلاثة أدوار تبعاً لطبيعة الأدوات الحجرية: الطور الأدنى (الذي استمر حتى حوالي ١٠٠٠٠٠سنة ق.م.)، والأوسط (استمر من حوالي ١٠٠٠٠٠ إلى حوالي ٤٠٠٠٠ سنة ق.م.)، والأعلى (استمر حتى حوالي ١٠٠٠٠سنة ق.م.)؛ راجع: MOURRE ، مرجع سابق، ج٤، ص٤١١٧ و٤١١٨.

11 - عصر النيوليت Néolithique والعبارة مشتقة من اليونانية neos (جديد) و lithos حجر، ويقصد بها العصر الحجري الجديد، ويسمى المصقول. وقد صاغ هذه العبارة العالم جون لوبوك، في العام ١٨٦٥. وأهم سمة لهذا العصر هو أن الانسان لم يطور أدواته الحجرية فحسب، بل تحول جذرياً، تقريباً، من مجرد مستهلك (تقوم حياته على الصيد وجمع الطعام) إلى منتج يمارس الزراعة وتربية الحيوان. وفي هذا يكمن ما يسمى ب"الثورات النيوليتية"؛ راجع: MOURRE ، مرجع سابق، ج٤، من ص ٣٨٦٢ حتى ص ٣٨٦٥.

12 - مرحلة الميزوليت Mésolithique هي التي استمر فيها استخدام الحجر المشطوب، ولكنها تميزت ببدايات العمل الزراعي وتربية الحيوان، ولهذا فإنها تعتبر مرحلة انتقالية هيأت الشروط للإنتقال من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث. راجع: Mourre ، مرجع سابق، ج٣، ص ٣٦١٠، وج٤، ص ٤١١٩. جعل عفيف بطرس مرهج هذه المرحلة الانتقالية في نهاية العصور القديمة، بقوله: "الدور الميزوليتي... هو الحد الفاصل بين العصور القديمة والعصور الحديثة"؛ مرجع سابق، ج١، ص ١٤. راجع حول مراحل ما قبل التاريخ: حتي، تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، الفصل الأول والثاني.

13 - الزعبي، د. محمد خالد: تاريخ عكار...، مرجع سابق: "بالنسبة للأعصر الحجرية فان المعلومات عن تاريخ منطقة عكار خلالها معدومة لانعدام الحفريات الأثرية فيها" (ص ٣٢). قد لا تكون الحفريات الأثرية في عكار على درجة من الغزارة والشمول، ولكنها ليست معدومة. ويبدو أن د. الزعبي لم يأخذ بعين الاعتبار الحفريات والدراسات التي أجريت في عكار وحولها، وفي طرابلس والبقاع (الهرمل) وسورية، وما لها من قيمة دلالية. كما أنه لم يتعرف، على ما يبدو، على الدراسات التي تمت في عكار بالذات والتي سنذكرها في سياق بحثنا.

بيد أن الأمر ليس تماماً على هذه الصورة. فإن عكار جزء عضوي من منطقة أثبتت الأبحاث الأثرية فيها وجود إنسان ما قبل التاريخ في العديد من مواقعها وإن تكن هذه المواقع ليست عكارية مباشرة، فإنها على مقربة منها. وفي هذا الصدد يقول د.فيليب حتي: "أخذت الحفريات الأثرية التي حصلت في الثلاثين سنة الأخيرة في البوادي المجهولة في شمالي سورية وشرقها وفي كهوف لبنان وتلال فلسطين... تطلعنا على أسرار الحضارات القديمة المنسية. وقد أثبتت هذه الحفريات دون شك أن هذه المنطقة التي أهملها الأثريون مدة طويلة... كانت أكثر تقدماً في أقدم العصور مما كنا نظن حتى الان"[١٤]. ويضيف حتي معدداً المواقع: "ومن الكهوف التي وجدت فيها أدوات من العصر الحجري القديم ودرسها العلماء في لبنان وفلسطين كهوف عدلون والكرمل... وفي رأس الشمرة أو أوغاريت القديمة"[١٥]. وفي أواسط العصر الحجري القديم يعدد حتي: "منطقة نهر الجوز (قرب البترون) ونهر ابراهيم"[١٦]. وفي الدور الأخير من العصر الحجري القديم يذكر المؤلف: "مكتشفات كهوف أنطلياس ونهر الكلب... وكسار عقيل قرب انطلياس..."[١٧].

أما حارث بستاني فيرى: "أن وجود الانسان في لبنان يعود إلى حوالي مليون سنة. ومن المعروف اليوم أن الانسان-الصانع homo-faber الرحال قد عاش بدون انقطاع، على سفوح الجبال، وفي المغاور، وعلى ضفاف الأنهر والشواطىء، حتى ظهور الانسان-العاقل homo-sapiens، جدنا المباشر، والذي يمثله، في هذه المنطقة من الشرق-الأوسط، انسان أنطلياس الذي تعود بقاياه إلى أكثر من أربعين ألف سنة. ثمة أدوات من جميع عهود ما قبل التاريخ تم العثور عليها في مواقع متفرقة على كل أرضنا: عدلون، نهر ابراهيم، نهر الجوز، أبو حلقة، العقيبة، نهر بيروت، رأس بيروت، كسار عقيل، الزهراني، حراجل، على مرتفعات جبال لبنان، جعيتا، وأخيراً جبيل"[١٨].

وإذا انتقلنا إلى المقلب الجنوبي والجنوبي الشرقي من عكار، حيث تم القيام في البقاع الشمالي، لا سيما قرب الهرمل ورأس بعلبك، بحفريات أثرية

---

[14] - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ٧. يشير ريشار لوبو LEBEAU إلى أهمية سورية والأردن في العصور الحجرية ويشدد على بدء "الثورة النيوليتية" في بلادنا؛ راجع: LEBEAU, Richard: Syrie, Jordanie, Guides Arthaud, Paris, 1999, p. 26 et 27 et 28.

[15] - حتي، المرجع السابق، ص ٩.

[16] - المرجع السابق، ص ١٢.

[17] - المرجع السابق، ص ١٢-١٣. يذكر حتي في مؤلفه جملة من المراجع التي اهتمت بهذا الأمر ونشرت أبحاثاً قيمة، يشير أحدها إلى سكن "الانسان بصورة متواصلة لوادي انطلياس منذ ٣٠٠٠٠سنة ق.م.".

[18] - BOUSTANY, Hareth: Liban, Guides Arthaud, Paris, 1998, p. 19. إن الكثير من المناطق التي ذكرها حارث بستاني ذكرها أيضاً الأمير موريس شهاب، ومنها "سواحل طرابلس"؛ راجع: عفيف بطرس مرهج، مرجع سابق، ج١، ص ١٤.

هادفة لدراسة مراحل ما قبل التاريخ، لوجدنا أن هذه الأعمال قد أثبتت وجود آثار وعناصر حضارية تعود إلى مراحل العصر النيوليتي القديم والمتوسط، وإلى ما يسمى عصر الرعاة النيوليتي (Néolithique des pasteurs). وعليه فإننا نميل إلى اعتبار عكار منطقة خاضعة بالضرورة لما هو خاضع له كل الواقع اللبناني والسوري من حيث وجود الانسان معتمراً لهذه المنطقة من اقدم العهود. إن هذه الأبحاث التي أشرنا إليها تنتهي بالخلاصة التالية: "ثمة حفريتان قدمتا قطعاً مميزة... تكشف وجود صلاة مع العصر النيوليتي كما هو معروف على الساحل اللبناني، وخاصة في جبيل. وهذا ما يعزز وحدة ما قبل التاريخ اللبناني، وربما سنتوصل قريباً إلى معرفة العلاقات التي يجب أن تكون قائمة بين المواقع السورية ومواقع الساحل المتوسطي. وهذا يبين أن البقاع يشكلا عنصراً هاماً لحل مسالة اعتمار الشرق الأوسط في العصور النيوليتية"[١٩].

الساميون

ماذا حل بانسان ماقبل التاريخ، هذا الانسان الذي بنى أولى مداميك الحضارة باعتماد الزراعة وتربية الحيوان، وما يؤدي إليه ذلك من حياة الاستقرار وبناء التجمعات السكنية؟ كان هذا الانسان ينتمي إلى شعب الشرق الأوسط، أو حوض البحر البيض المتوسط، لا سيما في مناطقه الافريقية-الشرقية والآسيوية-الغربية فإذا به يندثر وتغيب أخباره، بعد زوال حضوره، ولا يعود لوجوده من ذكر في غير الدواثر التي ذكرنا بعضها. يرى انيس فريحة، في مقدمة معجمه، أن: "هذا اللبناني الأول الذي لم يكن يختلف عرقاً وحضارة عن عرق حوض البحر الأبيض المتوسط تلاشى في العرق السامي الذي طغى على البلاد من شمالي الجزيرة العربية"[٢٠]. أم هل أن الطوفان الذي ضرب المنطقة قبيل الألف الثالث ق.م. أنزل بهذا الشعب المتوسطي كارثة ماحقة، كما حصل للسومرين الذي توقفت انطلاقة مدنهم؟[٢١].

---

19 - BESANSON (Jacques) et HOURS (Francis): Quelques sites préhistoriques nouveaux dans la Béqaa, Mélanges de l Université Saint-Joseph, Tome XLIV, 1968, p.84.

20 - فريحة، أنيس: معجم...، مرجع سابق، المقدمة، ص ١٣.

21 - PALANQUE, J-R; Les Impérialismes antiques,. . . , op. cit. p.8. ومن الجدير بالذكر أن بلاد ما بين النهرين شهدت في العهود القديمة حالات من الطوفان، أهمها ذلك الذي حصل حوالي الألف الرابع قبل الميلاد. ويعتقد البعض أن هذا الطوفان يتوافق مع ما هو وارد في التوراة. وفي الألف الثالث ذكر للطوفان في ملحمة جلجامش، حيث قررت الآلهة في هذه الرواية إفناء الانسانية بالطوفان، وفي ذلك يلعب إيا Ea دور نوح. وفي النصوص السومرية يقابل نوح الإله زيوسودرا Ziusudra ، وفي الأشورية أوتنابيشتين Utnapishtin ، وفي البابلية أترامازيس Atramhasis ، وفي الحثية نا-وا-مو-لي-ايل Na-ah-mu-li-el ، وفي هذا قرابة مع اسم نوح؛ راجع: O NEILL, Amanda: Les Temps Bibliques, Editions Soline,France, 1993, p.22.

يميل معظم المؤرخين إلى اعتبار صراع البدو الآتين من الصحراء، لاسيما الجزيرة العربية، ضد السكان الحضر، أهل المدن والأمصار هو الذي أدى إلى اندثار هذا العرق المتوسطي. وفي هذا يقول فيليب حتي: "النـزاع القديم بين الأرض المزروعة والبادية هو حقيقة أساسية في جغرافية هذه المنطقة (سورية الطبيعية)... وهذا النـزاع له ما يقابله في النـزاع القديم أيضاً بين البدو الرحل الذين لا يملكون شيئاً في البادية وبين المزارعين المستقرين الذين يملكون أشياء في السهول الخصبة"[٢٢]. ويقول في مكان آخر: "كان تاريخ الشرق الأدنى بكامله مشهد حركة كبرى تنطوي على تلك الغزوات والهجمات المتكررة التي يقوم بها البدو الطامعون في حياة الرخاء التي تمتع بها السكان الحضر في الأراضي المجاورة"[٢٣]. وإلى هذه الظاهرة أشار ماسبيرو MASPERO عند كلامه عن "قبائل الصحراء العربية، العمالقة وغيرهم، الذين أطلق عليهم المصريون اسم شاسو Shasou (أهل السلب والنهب)، المتنقلون ما بين خليج السويس وضفاف الفرات، على تخوم الأراضي الزراعية، والذين لا يكفون عن انهاك الحضر في سورية. وكانوا مرهوبي الجانب في سهول الجنوب والشمال، كما كانت سورية المجوفة (البقاع) وفينيقيا عرضة لغزواتهم، كما كان السائح يصادفهم في مضائق لبنان، وعلى طريق دمشق"[٢٤].

إن حركة الصراع هذه بين البداوة والحضارة، كانت عبارة عن سلسلة هجرات انطلقت من "موطن أصلي" يرى حتي احتماله الأفضل في شبه الجزيرة العربية[٢٥]. وعرفت الشعوب التي قامت بموجات الهجرة من الصحراء إلى سورية الطبيعة باسم الشعوب السامية أو الساميين. والساميون، حسب الرواية التوراتية، هم المتحدرون من سام الابن الاكبر لنوح: "ولما كان نوح ابن خمس مئة سنة ولد سام وحام ويافث"[٢٦]. أما بنو سام، فهم حسب الرواية التوراتية: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وأرام[٢٧]. ولقد استوطن عيلام جنوبي بلاد العجم، وأشور منه الاشوريون، وأرفكشاد أقام في بلاد ما بين النهرين، وإلى لود ينتسب اللوديون في بر الأناضول، ولآرام في سهل آرام ما بين النهرين. وفي رواية توراتية أخرى: "بنـو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولـود وآرام

---

22 - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص ٤٧.
23 - المرجع السابق، ص ٦٦؛ راجع أيضاً: فريحة، معجم...، مرجع سابق، ص ١٣ من المقدمة.
24 - MASPERO: Histoire Ancienne. . .,op. cit. p.222-223.
25 - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص ٦٧.
26 - سفر التكوين/ ٥: ٣٢؛ ٦: ١٠؛ ٧: ١٣؛ ٩: ١٨ و ١٩؛ ١٠: ١...
27 - سفر التكوين/ ١٠: ٢٢-٢٣.

وعوص وحول وجاثر وماشك"[٢٨]. وتبعاً للرواية التوراتية ليس الكنعانيون ساميين بل هم حاميون: "وبنو حام: كوش ومصرائيم وفوط وكنعان"[٢٩].

بيد أن تسمية الساميين هي تسمية لغوية تشمل الذين تكلموا أو يتكلمون لغة سامية[٣٠]. و"اللغات السامية كما يُعرف بها الأخصائيون، هي المجموعة التي تضم: الأشورية – البابلية، والكنعانية – الفينيقية، والآرامية – السريانية، والعبرية والعربية والحبشية"[٣١]. ويلاحظ حتي نواحي التشابه في هذه اللغات، خاصة في صيغة الفعل الثلاثي كمصدر أساسي، وزمنَي الفعل الماضي والمضارع، وطريقة التصريف، فضلاً عن تشابه الكلمات الأساسية كالضمائر وأسماء القرابة والأعداد..."[٣٢]. ويضيف حتي: "هذه القرابة اللغوية بين الشعوب التي تتكلم اللغات السامية هي أهم رابطة تبرر ضمهم تحت اسم واحد ولكنها ليست الرابطة الوحيدة. فإذا ما قارنا مؤسساتهم الاجتماعية وعقائدهم الدينية وصفاتهم النفسية وأوصافهم الطبيعية اتضحت لنا نواحي هامة للتشابه. وعندئذ لا بد من الاستنتاج بأن بعض أسلاف الذين تكلموا البابلية والأشورية والأمورية والكنعانية والعبرية والآرامية والعربية والحبشية كانوا غالباً يشكلون جماعة واحدة قبل أن تحصل بينهم هذه الاختلافات وأن هذه الجماعة كانت تتكلم اللغة نفسها وتعيش في المكان نفسه"[٣٣]. أما هذا الموقع فهو يعينه بوصفه شبه الجزيرة العربية. ويوضح أن أهل الجزيرة العربية لا يعني أنهم جميعهم من العرب. وهو يستخدم هنا عبارتين بالانكليزية ليميز بين من سكن شبه الجزيرة العربية فهو من Arabians ومن يتكلم العربية وإن يكن من غير قومية العرب، وهو من Arabs[٣٤].

الأموريون – الكنعانيون

يبدو أن الأموريين والكنعانيين من أرومة واحدة أو أصل واحد، لعله الأصل الكنعاني. ذلك "أن الموجة التي أتت بالشعب الأموري من الصحراء

---

[28] - سفر الأخبار الأول/ ١: ١٧. وفي هذا السفر: "من سام إلى ابراهيم: سام وأرفكشاد وشالح وعابر وفالج ورعو وسروج وتارح وأبرام وهو ابراهيم، وابنا ابراهيم إسحق واسماعيل وهذه سلالتهم: بنو اسماعيل... وتيما ويطور" (من الآية ٢٤ حتى الآية ٣١).

[29] - المرجع السابق، ١: ٨؛ وكذلك تكوين/ ١٠: ٦. و"حام هو أبو كنعان"، تكوين/ ٩: ١٨.

[30] - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص ٦٦.

[31] - مفرج، طوني: موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط، المجلد الأول، دار نوبيليس، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٢.

[32] - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ج١، ص ٦٦.

[33] - المرجع السابق، ص ٦٦-٦٧.

[34] - المرجع السابق، حاشية رقم١، ص ٦٧.

العربية إلى الهلال الخصيب هي الموجة ذاتها التي أتت بالشعب الكنعاني"[٣٥].
ويرى ماسبيرو أن الكنعانيين، الذين عُرفوا لاحقاً باسم الفينيقيين، اعتمروا الساحل اللبناني، بينما عُرف كنعانيو الداخل (البقاع والشمال) بالأموريين[٣٦]. والأموريون هم "أول شعب سامي هام بحث عن موطن له في البلاد السورية وأقام فيها"[٣٧]. وفي هذا يقول حتي: "نرجح أنه دخل لبنان قبائل بدوية مع ماشيتها وقطعانها عن طريق سهل البقاع وشمالي سورية"[٣٨]. ولم يكن هذا الشعب يُسمي نفسه بالاسم الذي أُطلق عليه، بل إن السومريين هم الذين سموهم هكذا، ولفظة الأموريين غير سامية، وهي تعني سكان البلاد الواقعة إلى الغرب[٣٩].

وإذا كان حتي يرى أن الأموريين طبعوا لبنان كله بطابعهم[٤٠]، فمما لاشك فيه أنهم طبعوا عكار بطابعهم لفترة طويلة. "ففي شمالي لبنان قرية تُعرف باسم عمريت (وفي النقوش المصرية "عمرط" وفي التاريخ الكلاسيكي ماراتوس Marathus)"[٤١]. هذا بينما يرى ماسبيرو أن الأموريين أسسوا إمارة قاعدتها قادس (جنوبي حمص)[٤٢]. وفي مرحلة لاحقة من تاريخ الأموريين كانت عكار في صلب الإمارات الأمورية: "انحصرت الدولة، أو الدول الأمورية في سورية الوسطى وكانت تشمل في ذروتها حسب ما تخبرنا إياه رسائل تل العمارنة – وهي أهم مصادرنا – قسماً كبيراً من شمالي لبنان وساحله وسورية المجوفة ولبنان الشرقي ومنطقة دمشق. ويظهر على مسرح التاريخ أحد ملوك

---

35 - حتي: تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، دار الثقافة، بيروت، مقدمة الطبعة الثانية، ١٩٧٢، (ب.ت.) ص ٨١؛ فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١٤ من المقدمة؛ وكذلك طوني مفرج، مرجع سابق، ص ٢٨.

36 - MASPERO : مرجع سابق، الفصل الخامس، لا سيما من ص ٢١٦ حتى ص ٢٢٥؛ وكذلك حتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ٨١-٨٢.

37 - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ٧٠.

38 - حتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ٨١.

39 - "وهذه التسمية "أموريون" أطلقها عليهم جيرانهم إلى الشرق، أي السومريون"، حتي: تاريخ لبنان...، المرجع السابق، ص ٨١، وكذلك في تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ٧٠: "الشعب الذي سمّاه جيرانه السومريون في الشرق بالأموريين ولا ندري الاسم الذي كان يطلقه على نفسه. فكلمة "أموريين" إذاً غير سامية وتعني "الغربيين". وقد تكون لفظة "الأموري" عبرانية، ولكنها تجعل الأموريين كالكنعانيين غير ساميين، وهم من سلالة كنعان. راجع: تكوين/ ١٠: ١٥ و١٦ و١٧؛ وكذلك الأخبار الأول/ ١: ١٤.

40 - حتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ٨١: "قد تكون اللاحقة "ون" أو "ان" التي تظهر في اسم لبنان وصيدون وعسقلان لاحقة أمورية.

41 - المرجع السابق، ص ٨١. وفي "تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص٧٠، يقول حتي: "ويُقال أن اسم "لبنان" و"صيدون" و"عسقلان" أمورية في نهاية أسمائها. وفي اسم عمريت الحديثة الواقعة على الساحل الفينيقي الشمالي ما يخلد اسم الأموريين".

42 - MASPERO : مرجع سابق، ص ٢٢٢. يذكر حتي استناداً إلى نتائج الحفريات في "ماري" إمارة للأموريين، مركزها "قطنة، وهي اليوم المشرفة شمال شرقي حمص"، تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ٧٣-٧٤.

هذه الدول وهو عبد عشرتا التابع لمصر برسالة... كان عبد عشرتا عند كتابة هذه الرسالة في بلدة (عرقة) إرقة Irkat الفينيقية التي كان قد فتحها..."[٤٣].

بيد أنه لم يكن لكنعانيي الداخل (الأموريين)[٤٤] نفس التأثير، لجهة أصالته وديمومته، الذي تركه كنعانيو الساحل (الفينيقيون). لقد ترك الفينيقيون بصمات ساطعة ما تزال حية في مواقع عديدة من لبنان وعكار (اللبنانية والسورية)، وإليهم تنتسب تسمية عكار سابقاً: عرقة. جاء في سفر التكوين: "وكنعان ولد صيدون بكره وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعرقي والسيني والأروادي والصماري والحماتي"[٤٥].

من الواضح أن هذه الأسماء تشير إلى القبائل الكنعانية – ومنها الفينيقية – وأماكن استيطانها. وثمة إجماع على أن العرقيين كنعانيون – فينيقيون سكنوا عرقة وجوارها وعمروها[٤٦]. وإلى الشمال من مجال عرقة كانت مدينة "سين" ومنطقتها[٤٧].

لا تذكر الروايات والمعلومات عن الزمن الفينيقي شيئاً عن القبيات. وإن كان من الضروري أن تكون القبيات جزءاً من المجال الفينيقي. بيد أن حسان سركيس استنتج وجود مدينة فينيقية في عكار، هي في منطقة على الحدود الشمالية للقبيات، وهي معروفة اليوم باسم بلدة منجز. واعتبر أن هذه المدينة شكلت واحدة من المدن – الأحياء الثلاثة التي تكونت منها المحالفة المعروفة بين أرواد وصيدا وصور[٤٨].

---

43 - حتي: المرجع السابق، ص ٧٥-٧٦.

44 - "ليس هنالك من فروق عرقية أساسية بين الشعب الكنعاني – الذي كان يسميه الأغريق الشعب الفينيقي – وبين الأموريين. غير أنه على مر الزمن وبحكم الجوار اكتسب الشعب الأموري مزايا جسدية من السومريين والحوريين بينما اكتسب الشعب الفينيقي مزايا الشعوب المتوسطية التي كانت تتوطن لبنان قبل مجيئهم إليه"، حتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ٨١. تؤكد هذه المسألة النصوص التوراتية ولكنها تجعل الكنعانيين والأموريين حاميين لا ساميين.

45 - تكوين/ ١٠: ١٥ و١٦ و١٧. وفي رواية أخرى مشابهة: "وكنعان ولد صيدون بكره، وحثاً واليبوسيين والأموريين والجرجاشيين والحويين والعرقيين والسينيين والروادبين والصماريين والحماتيين"، الأخبار الأول/ ١: ١٣ و١٤ و١٥ و١٦.

46 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، ج١، ص ١٢٠: "العرقيون، وكانوا يسكنون عرقا وجوارها في عمل عكار في الشمال من طرابلس إلى النهر الكبير". وفي ص ٢٥٢: "ويلي النهر الكبير إلى الجنوب عرقا المعروفة حتى اليوم بهذا الاسم وكانت عاصمة العرقيين".

47 - المرجع السابق، ص ١٢٠: "السينيون وكانوا يسكنون مدينة سين في الشمال من عرقا". ومنهم من يرى مدينة سين في "السن" في عكار السورية عند نهر السن بين جبلة شمالاً والمرقب جنوباً، ومنهم من يراها في "شان" العكارية.

48 - SARKIS, Hassan: Histoire de Tripoli des Origines à l`Occupation Franque, Les Cahiers de l`Oronte, No. 10, 1971-1972, Liban, pp. 81-102.

الحثيون

ليس لدينا أثر ينبئنا عن إقامة الحثيين واستقرارهم في عكار. غير إننا نستدل من روايات التاريخ على كونهم قد أقاموا في عكار وفي كثير من مناطق لبنان.وإذا ما تذكرنا مع الأب لامنس أن: "حاضرة ملكهم في سورية مدينة قدس التي يظن العلماء أن موقعها كان في المحل المعروف اليوم باسم تل النبي مند عند بحيرة قطينة قريباً من حمص"[٤٩]، لأدركنا أنه كان لا بد لهم من احتلال عكار والسيطرة عليها. وفي هذا يقول الأب لامنس: "لا يمكننا بأن نسلم بأن الحثيين تغاضوا عن احتلال وادي النهر الكبير الذي يفصل لبنان عن جبل النصيرية... فلا بد إذن من القول أن الحثيين بعد أن استولوا على البقاع ملكوا أيضاً عطف لبنان الشرقي والمسالك التي تفضي إلى لبنان الغربي"[٥٠]. ولم يكن أمر الحثيين كمجرد غزاة محتلين، بل إننا نرى التوراة تصف مناطقنا باسمهم: "من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير، نهر الفرات، كل أرض الحثيين..."[٥١].

الآراميون

لعل الموجة الثانية التي اجتاحت لبنان وأثرت في تكوين شعبه، بعد الموجة الكنعانية (الفينيقية-الامورية)، هي الموجة الآرامية[٥٢].

وإذا كانت الحركة الآرامية وحضورها قد شهدا نجاحاً كبيراً في سورية[٥٣]، فقد وقف جبل لبنان وساحله عائقاً أمام انتشارهم وتمددهم: "كان جبل لبنان عائقاً في طريق هذا التوسع نحو الغرب واستمر فيه ازدهار الجماعات الحثية والامورية بينما بقيت المدن الكنعانية في السهل الساحلي بدون أن تمس"[٥٤].

ومن أكثر الممالك الآرامية تأثيراً على لبنان، عامة، وعكار، خاصة، هي "آرام حمص" أو "آرام صوبة". "كانت صوبة عاصمة مملكة بنفس الاسم. والكلمة مشتقة من صهوبة Sehobah بمعنى أحمر أو نحاس. و يُظن أن موقعها

---

[49] - الأب لامنس: تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ٢٠٣.

[50] - المرجع السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

[51] - سفر يشوع/ ١: ٤.

[52] - "إن الهجرة الآرامية كانت بعد الهجرتين الأمورية والكنعانية ثالث حركة سامية كبرى أتت من الصحراء"، حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ١٧٤.

[53] - المرجع السابق، ص ١٧٥. وحتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ١١٠.

[54] - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ١٧٥-١٧٦. وكذلك الأمر في: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ١١٠: "أما جبل لبنان فقد كان سداً أو حاجزاً في وجه هذا التغلغل الآرامي غرباً. فلم تصب الجاليات الأمورية والحثية في المناطق الجبلية بسوء بل ظلت محتفظة باستقلالها وازدهارها. وأما أهل السواحل من الكنعانيين فلم يشعروا بهذه الموجة لا من قريب ولا من بعيد".

هو في كالسس Calcis أو عنجر الحديثة جنوبي زحلة في البقاع..."[٥٥]. لم يكن للآراميين تأثير عسكري على بلادنا، بل أن أثرهم الفعلي هو لغوي وثقافي، ويعود ذلك بشكل خاص إلى دورهم التجاري والثقافي. وما أن أطل القرن الثامن ق.م. حتى كانت الآرامية قد حلت محل الكنعانية كلغة عامة في البلاد[٥٦].

الهجرات العربية

لم يكن للغزو المصري والأشوري والبابلي والكلداني والفارسي ومن ثم اليوناني والروماني، من أثر كبير في تركيب سكان البلد، وإن أبقى التاريخ لنا من كل هؤلاء آثاراً وعلامات دالة على مرورهم في بلادنا، مسجلين انتصاراتهم وغزواتهم العسكرية. وإذا كان لنا إن نستثني الفرس، فإننا نرى أن العناصر البشرية الأخرى تكاد تكون معدومة التأثير في التراكب السكاني للشعب اللبناني[٥٧].

أهمية الموجات العربية في تكوين الشعب العكاري والقبياتي

لعل الهجرات الأهم في تكويين الشعب اللبناني، ومنه العكاريون والقبياتيون، تعود إلى سلسلة الموجات العربية التي تدفقت إلى المنطقة واندمجت فيها عبر العصور. إن تدفق الهجرات عبر بادية الشام إلى سورية ولبنان ظاهرة تاريخية قديمة العهد، وصفها جاك ولرس WEULERSSE بأنها "اختراق البداوة لعالم الاستقرار الزراعي": "بمحازاة الصحراء الممتدة من البحر الأحمر حتى الخليج الفارسي (العربي) يمكننا الخروج بنفس الاستنتاج: لم يتكون هناك المجتمع الريفي، بغالبيته، من حضر بالولادة، بل من بدو سابقين تحضروا. وليس هذا الأمر عارضاً عصرياً، بل نجده ملحوظاً بثبات فائق طيلة العصور. وهذا ما تتوافق عليه وثائق جميع مراحل التاريخ. نحن إزاء واحد من ألغاز التاريخ: كيف نفسر قيام الصحراء، بانتظام ودوام، بتوليد أعداد من البشر كالجراد؟ كيف نفسر قيام الصحراء، أي الفراغ، باسكان ما هو معمور بالسكان؟

---

55 - حتي: تاريخ سورية ولبنان...، مرجع سابق، ص ١٧٧-١٧٨. طوني مفرج: موسوعة...، مرجع سابق، ص ٣٢. فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص٢٠-٢١ من المقدمة. في هذين المرجعين الأخيرين إحالات إلى أسفار التوراة حيث ورد مراراً اسم هذه المملكة "آرام صوبة".

56 - "إن الآراميين احتفظوا بلهجتهم السامية الأصلية التي نسميها الآرامية وهي اللغة التي تكلم بها السيد المسيح والتي عاشت وأصبحت لغة الناس في منطقة غربي آسيا بكاملها. والعجيب في انتشار هذه اللغة وفي صيرورتها لغة البلاد بأجمعها أنها لم تنتشر بفضل عوامل سياسية بل بفضل عوامل تجارية. فقد كان التوسع التجاري لا التوسع السياسي سبباً في نشرها في البلاد. ففي القرن الثامن ق.م. حلّت الآرامية محل الكنعانية التي كانت لغة سورية، وظلت اللغة السائدة في البلاد إلى الفتح العربي في القرن السابع للميلاد، عندما أخذت العربية تحل محلها"، حتي: تاريخ لبنان...، مرجع سابق، ص ١١٠.

57 - لم نتطرق إلى العبرانيين مع أن هناك الكثير من الآثار والأسماء والمعطيات التاريخية الدالة على تواجدهم في مناطقنا. ونظن أن الكثير منهم اندثر واندمج في شعوبنا على الرغم من نـزعة الإنعزال المشهورة في تاريخهم.

ولكن الأمر هو هنا: سواء نظرنا إلى قرَوي حوران أو المعمورة السورية (شرقي مدن حمص وحماة)، أو قروي ضفاف الفرات أو ضفاف دجلة العراقي، فجميعهم، تقريباً، يفتخرون بأنهم من أصول بدوية، كما أن سلوكهم وتقاليدهم وحتى لغتهم تشهد بأنهم لم يقطعوا إلاَّ من زمن قصير مع الحياة البدوية"(٥٨).

وفي اشارة إلى قدم ظاهرة الهجرات العربية إلى سورية، منذ ما قبل الفتح الاسلامي، يقول رينيه دوسو: "من الخطأ أن يعتقد الانسان أن دخول العناصر العربية إلى الشام يرجع زمنه إلى الفتح الاسلامي: إن الوثبة التي مكنت المسلمين من تحطيم الخطوط البيزنطية في موقعة اليرموك (٦٣٦) ومن غزو سوريا، ثم الزحف نحو الشرق... هذه الوثبة قد دلَّت على القوة العربية في أوجها؛ ومع ذلك فإن تلك الوثبة لم تكن إلاَّ بمثابة تعظيم لاتجاه قد ترك آثاراً عديدة في التاريخ. وبعبارة أخرى، إذا كان الفتح الاسلامي... يبدو كما لو كان حادثاً شاذاً في اتساعه، فهو في الحقيقة يعد حركة طبيعية للسكان العرب الذين كانوا يتجهون دائماً لا إلى غزو الأقاليم الحضرية فحسب بل إلى الاقامة فيها أيضاً"(٥٩).

الأيطوريون العرب

يرد ذكر الأيطوريين في النصوص التوراتية التي جعلت "يطور" من سلالة اسماعيل، كما جعلت سلالة "قطورة" زوجة ابراهيم، جذر أرومة العرب(٦٠). جاء في سفر التكوين: "وهذه أسماء بني اسماعيل بحسب أسمائهم وسلالتهم: نبايوت بكر اسماعيل، وقيدار وأدبئيل ومِبسام، ومشماع ودومة ومسَّا وحدار وتيما و يطور ونافيش وقدمة"(٦١). وجاء في "تاريخ العالم" الموضوع عام ٤١٦-٤١٧م: "وتزوج اسماعيل بن ابراهيم امرأة من العماليق، فولدت له...: نبت (Nebuyot) ومنهم النبط وقيدار (Qedar) ومنهم العرب الاسماعليون وأدبيل (Odbeel)، ومبسم (Mibsum)، ومشمع (Mishmu)، ودوما (Duma)، وقدما ومسَّى (Massa)، وحدد (Hadad)، وتيما (Tima)، و يتور (Ietur)، ونافش (Naphish)(٦٢).

---

58 - WEULERSSE, Jacques: Paysans de Syrie et du Proche-Orient, nrf, Gallimard, Paris, 3ème édition, 1946, p.64.

59 - دوسو، رينيه: العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، راجعه د. محمد مصطفى زيادة، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية، ص ٢.

60 - الكتاب المقدس، مرجع سابق، حاشية ١، ص ١٠٤: "من قطورة تتحدر شعوب جزيرة العرب".

61 - تكوين/ ٢٥: ١٣ و١٤ و١٥. وكذلك: "من سام إلى ابراهيم: سام وأرفكشاد وشالح وعابر وفالج ورعو وسروج وناحور وتارح وأبرام الذي هو ابراهيم، وأبناء ابراهيم إسحق واسماعيل وهذه سلالتهم: ... وتيما ويطور"، الأخبار الأول/١: من ٢٤ حتى٣١.

62 - أوروسيوس: تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة (منتصف القرن الرابع الهجري)، حققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٩٢.

انطلاقاً من يتور (أو يطور) نشأت قبائل الأيطوريين العرب، الذين أطلقوا اسمهم على بعض الأماكن التي اختصوا بها اقامتهم، منذ أن "هاجروا من الحجاز قبل الميلاد بستة قرون"[٦٣]. ولعل أول منطقة أقاموا بها كانت شرقي- شمالي فلسطين وهي التي عُرفت باسم أيتورية، وقد ذكر القديس لوقا وجود هذه المنطقة باسم "أيطورية"، في العام ٢٩ ميلادي[٦٤]. وكثيراً ما ذكر "العهد القديم"، في ترجمته اليونانية أو اللاتينية، الصراعات اليهودية مع الأيطوريين، وكانت غنائم اليهود من الأيطوريين والشعوب المجاورة لهم كبيرة مما يعني أن هذه الأمم كانت مزدهرة[٦٥]. ويوضح فيغورو Vigouroux أن الأيطوريين على غرار كثير من الشعوب المجاورة، لم يقطنوا على الدوام في نفس المنطقة. لقد كانوا، في زمن غزو اليهود لبلاد كنعان، شرقي البحر الميت، وفي زمن داود في جوار المؤابيين والأموريين، وفي أكثر مرحلة معروفة من تاريخهم كانوا يسكنون في لبنان أو في جواره"[٦٦]. ولقد تركوا، على حد زعم مؤلفي "الاسلام والمسيحية في لبنان"، اسمهم في منطقة جزين من خلال "حيتورة وحيطورة"[٦٧].

وفي هذا السياق يقول السيد يوسف الحوراني: "وإذا شئنا تعرف أساس التكوين الحالي للبنان نعود إلى زمن غزوة الاسكندر لمدينة صور. فقد ذكر أريان[٦٨] أن الاسكندر ترك الحصار وذهب إلى البلاد العربية في جبل لبنان الداخلي لضم الأهلين هناك إلى جانبه بالحرب أو بالمعاهدات. ويبدو من هذه الاشارة أن العرب كانوا قد بدأوا يستقرون مع الأيطوريين في الجنوب والبقاع الجنوبي؛ حتى إذا ما جاء القرن الأول للميلاد أصبحوا منتشرين في جميع أنحاء لبنان، ويستخدمون منعة أرضه الطبيعية للقيام بأعمال الغزو والاغارة على القوافل..."[٦٩]. ويعتبر رينيه دوسو أن الأيطوريين يقدمون بتاريخهم خير مثل

---

63 - المدني والزعبي، الاسلام والمسيحية...، مرجع سابق، ص ٣٤.

64 - لوقا، الفصل الثالث، الآية الأولى: "وفي السنة الخامسة عشرة من ملك القيصر طيباريوس، إذ كان بيلاطس حاكم اليهودية، وهيرودس أمير الربع على الجليل، وفيليبس أخوه أمير الربع على أيطورية وبلاد تراخونيتس...". يوضح (الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرجع سابق، ط ٢، منشورات المكتبة الكاثوليكية، بيروت): "أن طيباريوس ولي الحكم في رومية السنة ١٤م... ايطورية وبلاد تراخونيتس: إلى الشرق من الأردن"، ص ١٧٩.

65 - VIGOUROUX: Dctionnaire de la Bible, volume VI, Col.1039.

66 - المرجع السابق، عامود ١٠٤٠.

67 - المدني والزعبي: مرجع سابق حاشية رقم ٥، ص ٣٤. وبالاستناد إلى أنيس فريحة في "معجم الأسماء..." فإن حيطورا تعني "عشيرة الجبل، أو حي الجبل"، وهي في جزين، ص ٦٢. ويرى الأبوان حبيقة وأرملة أن حيطورا هي "الجبل أو الجبل الحي (جزين)". المشرق، ١٩٣٩، "الدواثر السريانية في لبنان وسورية"، ص٣٩٧.

68 - المقصود المؤرخ أريان في مؤلفه "سيرة الاسكندر".

69 - الحوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه... العهد الفينيقي، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٦-٥٧. يضيف المؤلف نقلاً عن سترابو: "وقد ذكر سترابو ... وجود العرب (الأيطوريين) في زغرتا والبترون، وفي كهوف الشواطىء، كما ذكر لهم حصوناً في "سنا" و"بورما" (برمانا؟) وكانوا يحتلون مدينة جبيل وبيروت... ولقد ذكر جوزفوس وجود سلطة خاصة بالأيطوريين، وكان زعيمهم سحيم

على إقامة العرب في سورية ولبنان(٧٠). ويؤكد الأب لامنس قدم وجود العرب الأيطوريين في لبنان، ويعود بهذا الوجود إلى ما قبل الفتح الروماني لسورية(٧١). كما أن المؤرخ فيليب حتي يسجل وجود الأيطوريين في سورية ويعطيهم دوراً هاماً في نشر الرسالة المسيحية، إذ منهم كان الكثير من تلاميذ المسيح(٧٢). كما أن المؤرخ المطران يوسف الدبس تعرض لموضوع الأيطوريين العرب وتناول إمارتهم في لبنان(٧٣).

لم يكن وجود الأيطوريين في لبنان عارضاً او سطحياً، بل كانوا يسيطرون على معظم أراضيه ويقيمون سلطات محلية في مواقع متعددة منه تتوارثها سلالات حاكمة. وكانوا يشكلون جزءاً من حالة شاملة لسلطات عربية منتشرة في سورية ولبنان. ومن بين هذه السلطات برز الأيطوريون بوصفهم من المحاربين الأشداء الذين قاوموا السيطرة الرومانية بشدة(٧٤).

يوضح د. أسد رستم نشوء هذه الامارات العربية في أكثر من مكان في مؤلفاته، ومفاد ذلك أنه في أواخر الحكم اليوناني "عمَّ الاضطراب واشتد الارتباك في مملكة السلوقيين فتسربت من حدود البادية عشائر جديدة شدت أزر

الشهير يسود على معظم مناطق جبل لبنان". وهو يحدد مرجعه "تاريخ اليهود القديم"، ١٤: ١٣ و١٤، ص٤٣٣. وقد ذكر حكم سحيم الأيطوري هذا المؤرخ الروماني تاسيت في حولياته، ١٢: ٢٣.

70 - دوسو، رينيه، العرب في سوريا...، مرجع سابق: "ولكن المثل الذي ربما يعد خير الأمثلة على إقامة العرب في سوريا، يقدمه لنا الأيتوريون، لأن الوثائق التاريخية تتيح لنا أن نتبعهم خلال حركتهم في دخول البلاد السورية. فالعهد القديم يسلك "يطور" بين أبناء اسماعيل، أي بين القبائل ذات الجنس العربي. ومع ذلك فإذا كان سفر التكوين يحدد إقامة "يطور" في بادية الشام، وفي جزيرة العرب، فإن "سفر الأيام"، وهو أحدث تأليفاً، يسكنه في شرقي الأردن. وفي العهد الروماني نجد الأيتوريين يقيمون في لبنان الداخلي، وكانوا يُعرفون تارة بأنهم عرب، وطوراً بأنهم سوريون. والواقع أن بعض أسماء الجنود الأيتوريين، التي احتفظت بها النقوش اللاتينية، بعضها أسماء آرامية، والبعض الاخر أسماء عربية". ص ١١.

71 - لامنس: تسريح الأبصار...، مرجع سابق: "إن الرومان لمَّا فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من الغزاة كانوا عشعشوا في جباله الساحلية الممتدة من طرابلس إلى جبيل. وهم الأيطوريون. وليس هؤلاء القوم من لبنان وإنما أصلهم من اللجا ومن جبال حوران وكانوا ذوي بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتخذوا خيراته كطعمة ثم تشوفوا إلى لبنان فاستولوا عليه قبل زمن الدولة الرومانية بقليل.والأيطوريون إحدى القبائل العربية والآرامية". ص ٢١١. ويقول لامنس في حاشية (١) في نفس الصفحة: "كل الأعلام الأيطورية الأصل الواردة في الكتابات القديمة إما عربية وإما آرامية".

72 - حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ج ١: "كانت منطقة الجليل (في آخر أيام السلوقيين)... تسكنها لمدة طويلة شعوب غير يهودية وأصبح يسكنه الآن الأيتوريون وهم من أصل عربي ولغتهم آرامية. وقد خير سكان الجليل بين الطرد والختان. ولذلك كان كثيرون من السكان الذين عمل بينهم المسيح واتخذ منهم أكثر تلاميذه من أصل غير يهودي ويتكلمون اللغة العبرية برطانة". ص ٢٦٩-٢٧٠.

73 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٣، الصفحات ٢٣٥ حتى ٢٣٨ وكذلك ٤٥٣ و ٤٥٩.

74 - المدني والزعبي: الاسلام والمسيحية في لبنان، مرجع سابق: "كان الأيطوريون قوة لبنانية جديدة، ركزت فيه الحرية والأمجاد، واتحدت مع سكانه للدفاع عنه تجاه الاجتياح الروماني" ص ٣٥. ويضيف المؤلفان في حاشية في نفس الصفحة: "دام الحرب بين اللبنانيين والرومان ٤٤ عاماً من عام ٦٤ لعام ٢٠ ق.م.

القبائل النبطية التي قويت شوكتها وامتد نفوذها أحياناً حتى أطراف سورية وفينيقية وفلسطين. وفرضت هذه العشائر الأتاوة على التجارة وأبناء السبيل واستقر زعماؤهم في بعض الأماكن فاسسوا إمارات مستقلة في كل شيء تقريباً... وأشهر هذه الامارات الرها في الشمال والرستن وحمص في وادي العاصي وخلقيص (مجدل عنجر) في البقاع ووادي بردى وتلال لبنان الشمالية والساحل البحري من البترون حتى طرابلس وعكار... واشهر رجالات هذه الامارات في هذه الفترة التي نحن بصددها معن الأول وأبجر الأول في الرها وشمسي جرام ويمبليخ في الرستن وحمص وبطليموس ابن مناوس في البقاع ووادي بردى وذيونيسوس في طرابلس[٧٥].

وفي إشارته إلى ضعف السلطة المركزية في آخر ايام السلوقيين يسجل د.فيليب حتي وجود السلطات المحلية التالية: "لم يكن اليهود وحدهم الذين يضغطون على المراكز التي تنهار فيها السلطة السلوقية بل كانت القبائل العربية المجاورة أيضاً وخاصة الأنباط على حدود الامبراطورية الجنوبية... وبدت تبرز حوالي العام ١٣ ق.م. سلالة عربية في الرها تعتمد على فريتا اسمياً ويسمى ملوكها باسم أبجر. ونجحت قبيلة أخرى في جعل شيوخها حكام دولة جديدة تتمركز حول حمص وتتبع السلوقيين بالاسم فقط. كذلك توطدت دولة وطنية أخرى تتالف من الأيتوريين في سورية المجوفة واتخذت عنجر عاصمة لها... وأصبح الأنباط العرب الآن قوة هامة وكانوا قد طردوا بقايا الأدوميين من منطقة البتراء قبل ٣١٢ق.م. ثم انتزعوا سورية المجوفة من أيدي السلوقيين حوالي ٨٥ ق.م. ووضعت دمشق نفسها تحت حمايتهم لتتجنب مصيراً أسوأ فيما لو وقعت في أيدي الأمير الايتوري. وكان الأيتوريون آنذاك يكتسحون الشاطىء بين صيدا وتيوبروسوبون (Theouprosopon) ويخربون حقول جبيل وبيروت"[٧٦].

وكيلا يعزى هذا الحضور العربي ونموه في سوريا ولبنان إلى دور الرومانيين فحسب، يوضح رينيه دوسو: "والهجرة العربية إلى لبنان لاينبغي أن تنسب إلى النظام الروماني فحسب كما يتبادر إلى الذهن. فالظروف هي التي يسرتها في تلك الفترة وخلعت عليها طابعاً من السلام. وقبل وصول بومبي إلىسورية كانت مدينة حمص تحت سلطان قبيلة عربية، بدليل أن أمرائها سمبسيجراموس Sampsigeramus وجمبليخوس Jambliehus وعزيزوس

---

75 - رستم، د.أسد: تاريخ اليونان، من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩، ص ١٢٧. يضيف رستم في نفس المكان، تحت عنوان "الحارث الثالث في دمشق": "يرى رجال الاختصاص أن بطليموس إبن مناوس صاحب مجدل عنجر فرض سلطته في هذه المدة التي نحن بصددها على الجليل وحوران ووادي بردى والبقاع والساحل اللبناني ولاسيما البترون ورأس شقعة... وأنه أنشأ القلاع في تلال لبنان الشمالية في خيغورتة وسنان وبورومة فوق جبيل والبترون..." ص ١٢٧.

76 - حتي: تاريخ سوريا ولبنان...، مرجع سابق، ص ٢٧٠-٢٧١.

Azizus وسوؤمس Soemus تحمل اسمائها طابعاً عربياً خالصاً؛ وسنعثر عليها في نصوص صفوية. وفي بلدة الرها كانت تحكم أسر لها نفس الاسماء العربية..."[٧٧].

ويجمع المؤرخون على أن بومبي هو الذي وجه ضربة موجعة للأيطوريين في لبنان، وذلك نتيجة مقاومتهم الشديدة للرومان على ما يوضحه الأب لامنس: "والأيطوريون إحدى القبائل العربية أو الآرامية التي كانت منذ ذاك العهد مدَّت ظل سطوتها على البلاد الواقعة في جنوبي دمشق وشرقيها. وكان شيخ القبيلة أوانئذ يدعى بطليموس ابن منَّايوس من اعظم أهل سورية ثروة وقدراً. وكان يحكم على بلد الأيطوريين الأصلي. ويتولى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشمالية مع مدينتي بعلبك وكلسيس Chalcis وكان له عسكر من الفرسان يبلغ عدد ٨٠٠٠ فارس. ولما زحف بومبيوس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي في قبضة أحد الأيطوريين من قرابة بطليموس بن منايوس يُدعى ديونيسيوس. فاضطر الرومان لتوطيد دعائم سلطانهم أن يحاربوا هؤلاء **الدخلاء** حرباً عواناً كانت نتيجتها وبالاً على أهل أيطورية فأسر بنبيوس قائدُهم ديونيسيوس وأمر بقطع رأسه ثم توغل في لبنان فأخرب حصون جيغرتا وسنَّان وبوروما وكان غزاة الأيطوريين يقحمون من هذه المقامات المنيعة على المدن الساحلية..."[٧٨].

يعطي د. أسد رستم مزيداً من التفاصيل حول انتشار الأيطوريين وسلطتهم في لبنان، وذلك في معرض وصفه لنشاط بومبي (بومبيوس، بومبايوس) في توسيع ولاية سورية وتنظيمها، فيقول: "... وضرب العيطوريين في معاقلهم في تلال لبنان ولا سيما في جرود جبيل والبترون وأمر بديونيسيوس أمير طرابلس وكينراس Kinras أمير جبيل فقُتلا وأكره بطليموس ابن مناوس Mennaeos أمير عنجر Chalcis على دفع ألف وزنة"[٧٩].

قلّص الرومان، قليلاً، من سلطة الأيطوريين عندما ضربهم بومبي عام ٦٤ ق.م. واستمرت سلالاتهم في تسيير أمور إماراتها لأن الرومان اعتمدوا

---

77 - دوسو: العرب في سورية...، مرجع سابق، ص ١١. وفي مكان آخر يشير دوسو إلى سلطة الأيطوريين في لبنان، بقوله: "قبل العصر المسيحي، كان الأيتوريون يسيطرون على مملكة تقع في لبنان الداخلي، وكانت عاصمتها شلكيس (عنجر) في البقاع. ومن هناك امتد سلطانهم في لبنان حتى الشاطئ الفينيقي فاستولوا على الطريق المشهور في ثيوبروسوبون Téouprosopon واستولوا أيضاً على ميناء فطرس Botrys وكانوا يقلقون جبيل وبيروت..."، ص ١٣-١٤.

78 - لامنس: تسريح الأبصار...، مرجع سابق، ص ٢١١-٢١٢. شددنا نحن على عبارة "الدخلاء"، مع اعتذارنا من الأب لامنس، فهي عبارة طريفة للغاية أن يكون الأيطوريون "دخلاء" والرومان "من أهل البيت"!

79 - رستم، أسد: عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه (٤٤ق.م.- ٦٩ب.م.)، ج٢، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥، ص ١٤٨. يستند معظم المؤرخين في كلامهم على ضرب بومبي للأيطوريين إلى الجغرافي سترابون.

عليها وعلى غيرها من الإمارات العربية في حماية الحدود الشرقية: "أبقى بومبايوس الإمارات الوطنية المستقلة إما لتفصل بين روما ومناظرتها برتبة فتتحمل الصدمات الأولى على أقل تقدير وإما لتؤمن الأمن عند الحاجة. فاستمرت إمارة الرها العربية في الشمال الشرقي بيد أباجرتها وإمارة العيطوريين العرب في البقاع وحتى وادي بردى وإمارة شمسي غرام العربي في حمص وضواحيها ومملكة الأنباط العرب في جنوب الأردن وحتى الحجاز"(٨٠).

وبعد قيام أوغسطوس قيصر بتوسيع ولاية سورية، بضم قيليقية Cilicie إليها، في العام ٢٧ ق.م.، وتقسيمها إلى سورية الشمالية وسورية الجنوبية، وبينما كانت سورية الشمالية تُحكم مباشرة من قبل الوالي الروماني "ظلت سورية الجنوبية خارج المدن الحرة خاضعة لأميري حمص وعنجر يردان عنها غزوات البدو من الشرق ومطامع العشائر اللبنانية المعتصمة في السلسلتين الغربية والشرقية. وظل ابن زينون Zenodorus شيخ المشايخ Tetrachus والكاهن الأعلى مسيطراً على وادي البقاع وبعلبك ومنحدرات السلسلتين الغربية والشرقية والغوطة وحوران حتى السنة ٢٤ ق.م. فلما غفل عن واجبه وأهمل مراقبة الأمن في مناطقه سُلخت عنه إمارة اللجا Trachonitis والبثنية Batanaea وحوران Auronitis وضمت إلى منطقة هيرودس. ولدى وفاته في السنة ٢٠ ق.م. ألحقت بعهدة هيرودس أيضاً المنطقة الواقعة بين الجليل واللجا. وفي السنة ١٤ ق.م. قضت ظروف روما الداخلية... بإقطاع أبطال الحرب الأهلية أراضي يستغلونها فجاء أغريبة بالفرقتين المقدونية الخامسة Legio Macedonica والأوغسطية الثامنة Legio Augusta وأنزلـهما في بيروت وبعلبك وأوجب عليهما صد غزوات العشائر اللبنانية وفرض هيبة رومة عليها. وظلت هذه العشائر تركب هواها وتصر على غيّها فاضطر كويرينيوس في السنة٦-٧ ب.م. أن يجرد عليها حملة منظمة وأن يدخل بعض أفرادها في قوات روما المساندة. ثم قسمت روما الإمارة العيطورية العربية إلى ثلاث إمارات إلى إمارة عنجر Chalcis وإمارة وادي بردى Abila وإمارة عرقة Arca واستمرت هذه الإمارات مستقلة استقلالاً إدارياً حتى نهاية القرن الأول"(٨١).

بعد زوال سلطة الأيطوريين مع نهاية القرن الأول الميلادي "وباد ذكرهم من التاريخ لا ريب أن بقاياهم امتزجت بأهل لبنان"(٨٢). ولكن هل من ذكر محدد للأيطوريين في عكار والقبيات؟ وهل من آثار محددة تثبت إقامتهم واستمرارهم في هذه المنطقة؟ ذكرنا قبل قليل استمرار إمارة عرقة الأيطورية

---

[80] - المرجع السابق، ص ١٤٨.

[81] - المرجع السابق، ص ١٤٩.

[82] - لامنس: تسريح...، مرجع سابق، ص ٢١٢.

حتى نهاية القرن الأول الميلادي. ويبدو أن عرقة صارت بيد الأيطوريين حوالي العام ٨٥ ق. م.، بيد أنه من المؤكد أنها كانت بيدهم عندما سيطر بومبي على جبال لبنان عام ٦٤ أو ٦٣ ق.م. "وفي العام ٤٨ق.م.، وبعد موت بومبي، كان قيصر César نفسه (خليفة بومبي) يعاني صعوبات في مصر: فقدم لنجدته بضعة أمراء، بينهم بتلماوس "الذي يقيم في جبل لبنان". يوضح المؤرخ جوزيفوس، الذي ندين له بهذه المعلومات، أنه ابن سُهيموس Sohaimos ، وبالتالي هو غير بتلماوس بن مناوس، الذي لم يبسط سلطته على هذا القسم من جبل لبنان. ولهذا تم افتراض أن مقاطعة بتلماوس بن سُهيموس ليست غير إمارة عرقة الأيطورية، التي سيعتبرها بلين القديم Pline l` Ancien في عداد تيترارخيات سورية الرومانية، كما أن العديد من نصوص قدماء المؤلفين في التاريخ تسمح لنا بان نستنتج بإن حكامها كانوا، ما بين ٣٧ إلى ٤٩ تقريباً، من سلالة سُهيموس[٨٣].

يرى جان ستاركي أن "إمارة عرقة ربما امتدت، في حينه، على المنطقة الجبلية حتى رأس شكا، لأن هذه هي الحدود الجنوبية لاقليم المدينة كما عينها أحد النقوش العائدة للقرن الثاني[٨٤]... (وفي تلك المرحلة) كانت عرقة متجهة نحو الجبل، ومن هناك نحو بعلبك (هيليوبوليس – مدينة الشمس) وقد تبنت آلهتها"[٨٥]. ويضيف ستاركي: "ثمة ضريح، لطالما حير العلماء والسواح، نقصد النصب الهرمي في الهرمل شمالي بعلبك، قد يكون ضريحاً لتخليد ذكر أحد أمراء عرقة"[٨٦]. وعلى الرغم من أن عرقة خرجت عن سلطة الأيطوريين، خاصة في زمن أنطونين التقي (١٣٨ – ١٦١)، ومع اسمها قيصرية لبنان Césarée du Liban ، فقد استمرت تحمل اسم قيصرية الأيطوريين. ويفسر

---

83 - STARCKY, Jean: Arca du Liban, Les Cahiers de l`Oronte, No. 10, 1971-1972, Liban, p.108.

84 - لعل النقش الذي يشير إليه هو الذي تحدث عنه رينان Renan في مؤلفه Mission de Phénicie (مرجع سابق، ص١٤٩). والمقصود نقش باللاتينية يعين حدود عرقة مع جيغرتا.

85 - STARCKY, op. cit., p.108-109.

86 - المرجع السابق، ص ١٠٩. ينسب الأب نايف اسطفان إلى جان ستاركي، في نفس المقال الذي ذكرناه، كلاماً لم يقله: "امتدت حدود إمارة عرقا من بلدة شكا جنوباً إلى هيليبوليس شمالاً "بعلبك" حيث شيد هناك قبر هرمي الشكل لهرمل أمير عرقة ومنذ ذلك التاريخ عُرفت هذه المنطقة باسم الهرمل نسبة إلى أمير عرقة". ورد هذا النص عند الأب نايف اسطفان في مؤلفه تاريخ أبرشية عكار...، مرجع سابق، ص ٢٢. وهو ينسب هذا الكلام إلى جان ستاركي الذي لم يقل هذا القول، ولم يسم أمير عرقة، ولا ادعى أن اسم الهرمل يعود لهذا الأمير. والصحيح هو كما ذكرنا نحن استناداً إلى نص ستاركي، القائل بالفرنسية: Ajoutons qu`un mausolée qui a beaucoup intrigué les savants et les touristes, à savoir le monument pyramidal de Hermel au nord de Baalbek, pourrait bien être le memorial funéraire d`un prince d`Arca. حول علاقة الأيطوريين بالهرمل، يذكر الأب كارلوس شاد إمارة أيطورية صغيرة في الهرمل، وذلك في معرض تعيينه الحدود الجنوبية الغربية لموقع حمص: "إن مدينة لاذقية لبنان (Laodicea ad Libanum) (تل النبي مند) وجبال لبنان تحد إقليمها، بالقرب من إمارة الهرمل الأيطورية الصغيرة". راجع: CHAD, Carlos (S.J.): Les Dynasties d`Emèse, Dar El-Machreq, Beyrouth, 1972, p.24. ولكن الأب شاد لم يذكر أي أمير أيطوري باسم هرمل.

ستاركي ذلك بقوله: "كما لو أن الرَومنة Romanisation لم تلغ السمات العربية لعرقة وأرضها الجبلية"[٨٧].

أما حول علاقة إمارة عرقا الأيطورية ببعلبك، فإن عالم الآثار هنري سيريغ Henri SEYRIG يوضحها استناداً إلى تحليله للعبادة الأيطورية وللنقود التي سكّها الأيطوريون وسكتها إمارة عرقة. ينطلق سيريغ من اعتباره لأهمية بعلبك الدينية، وهي التي استرعت اهتمام الرومان، خاصة وانها لعبت دوراً هاماً في إمارة عنجر الأيطورية، في مرحلة تفسخ السلطة السلوقية ووصول الرومان[٨٨]. كانت بعلبك، قبل أن يحولها أوغسطوس حوالي العام ١٥ قبل الميلاد إلى مستعمرة للجنود الرومان، تابعة لإمارة عنجر الأيطورية العربية[٨٩]. إن اهتمام الرومان مركزياً بتنظيم أمور العبادة في سورية، لا سيما في بعلبك، كان غرضه "توحيد سكان المنطقة والمعمرين الرومان الذين أدخلتهم الامبراطورية لأول مرة في البلاد، في عبادة موحدة"[٩٠]. ولقد كانت هذه العبادة للثالوث البعلبكي Triade héliopolitaine مرعية في الساحل اللبناني، على أقله مسألة القرابة الدينية بين عرقة وجبيل.

وهذا ما عالجه الأب رونزفال Ronzevalle وهو يشتغل على النقوش الواردة على العملات التي أصدرتها جبيل وعرقة وأرطوسية، حيث كانت غالبية المدن تمجد الثالوث البعلبكي وتعطيه نكهة تتوافق مع آلهتها المحلية[٩١]. وفي هذه

---

87 - STARCKY, op. cit., p.109.

88 - SEYRIG, Henri: Questions Héliopolitaines, Antiquités Syriennes, Cinquième Série, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris,1958, p.108.

89 - المرجع السابق، ص ١٠٨، حيث يقول سيريغ: "كان آخر تيترارك لعنجر زينودور (زينون) Zénodore المتوفي في العام٢٠ق.م.. إن حكام عنجر الأيطوريين كانوا ينتمون إلى واحدة من السلالات العربية الحاكمة الصغيرة التي استقرت في مقاطعات متعددة من سورية بفضل الفوضى التي شاعت في آخر أيام السلوقيين، وحيث كانت تمارس حياة شبه مستقلة: سمسيجرام في حمص، ديونيسوس في طرابلس، بتلماوس في عنجر الذين ظهروا في مطلع القرن الأول قبل الميلاد، وهم بذلك يشيرون إلى تغلغل عربي ملحوظ في هذه المناطق". ويوضح الكاتب في حاشية له في نفس الصفحة: "ثمة دلائل على هذا التغلغل هي أقدم بكثير، ذلك أن الاسكندر الكبير اضطر إلى قطع حصاره لصور لمقاتلة العرب في السلسلة الشرقية من لبنان. وبالتأكيد فإن السلوقيين أوقفوا هذا التقدم البدوي طيلة المرحلة التي استمر فيها تماسك سلطانهم". وهذا ما سبقت لنا الإشارة إليه.

90 - المرجع السابق، ص ١١٥.

91 - راجع: P. S. RONZEVALLE (S.J): Notes et Etudes d`Archéologie Orientales, (Deuxième Série) Venus Lugens et Adoni Byblius, Mélanges de l`Université Saint-Joseph, Tome XV, fasc.4, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1930. يعالج مخايل ألوف (في تاريخ بعلبك، مرجع سابق)، مسألة اهتمام الرومان بتوحيد العبادة، وكذلك مسألة "الثالوث البعلبكي": "ومما لا يحتاج إلى برهان أن دولة الرومان لما دخلت سورية فاتحة... تقربت من الشعب الشرقي وكرّمت آلهته وشيدت لها الهياكل الفخمة... وكان لبعلبك مدينته المقدسة أعظم نصيب من جهود الرومان في استرضاء الشعب المغلوب على أمره..." (ص ٤). كما يطرح ألوف نفس الموضوع في الفصل الثالث من كتابه، خاصة في ص ٦١ وما بعدها. وفي الثالوث البعلبكي، يقول: "رجح بعض علماء الآثار أن هياكل بعلبك كانت

المسألة تفسير لاتجاه عرقة نحو بعلبك، سواء في ظل حكم السلالة الأيطورية أو بعدها. ومن الجدير بالذكر في هذا الخصوص، عملية تنظيم الاتصال بين عكار الأيطورية وبعلبك، لا سيما في تأمين الطرق والمعابر. تدل على هذا الأمر الآثار التي عُثر عليها. منها الأثر الذي تم العثور عليه في فنيدق، وقام بدراسته سيريغ مستخلصاً وجود مزار في الجبل (فنيدق) لتكريم الثالوث البعلبكي، في محطة على الطريق المؤدية من أرطوسية وعرقا ففنيدق والهرمل إلى بعلبك(٩٢).

أوضحنا حتى الآن أن الأيطوريين كانوا يقطنون عكار من الساحل عند أرطوسية مروراً بعرقة، وصولاً إلى الأعالي (فنيدق) وإلى الهرمل، وذلك استناداً إلى آثار العبادة والطريق الجبلية التي تربط عكار بالبقاع. فهل كانت القبيات مأهولة بالأيطوريين؟ وما الدليل على ذلك؟ لم يُشر أحد إلى وجود أثر مباشر للأيطوريين في القبيات بالذات، باستثناء الأب موراني الذي يتقدم، متسرعاً، بفرضية مجانية تبدو بعيدة عن الصواب(٩٣).

بيد أن عالم الآثار سيريغ يتحفنا ببحث له حول موقع متاخم للبلدة من شمالها، هو مقام الرب في محلة نبع الجعلوك. يقول في مقدمة بحثه: "مقام الرب - أو كما يُقال أحياناً بيت جعلوك – موقع في آخر شمالي لبنان... نصل إليه بصعوبة إما من قرية البيرة، على مسير ساعة منها، إما من قرية منجز على

مكرسة لإله... ذو ثلاثة أقانيم: جوبيتر (المشتري) ومركور (عطارد) وفينوس (الزهرة) مستدلين على ذلك من كتابات وُجدت في دير القلعة وفي أثينا ذُكرت فيها أسماء هذه الآلهة منسوبة لإيليوبوليس" (ص ٦١). ويضيف (في ص ٦٢): "إنني أعتقد بأن هذا الثالوث الروماني كان شبيهاً بالثالوث الفينيقي المؤلف من أب وأم وولد أو البعل وعشتروت وملكارت تعبَّده الرومان بشكله الشرقي دون تغيير إلا في الأسماء".

[92] - راجع: SEYRIG, Henri: Bas-Relief de la Triade de Baalbek Trouvé à Fneideq, Bulletin de Musée de Beyrouth, 1955, t. XII, pp.25-28. يشير سيريغ هنا إلى أنه تم العثور على نقش آخر للعبادة البعلبكية (ص ٢٧) في منطقة الهرمل. أما ألوف فيقول أنه عثر "في الهرمل (على) قاعدة حجرية مربعة الشكل علوها ٤٠ سنتيمتراً على ثلاثة وجوه منها الثالوث البعلبكي بكامله ولكنه مهشم. فعلى الوجه الواحد الإله الأب وعلى الوجه الثاني الإله الأم وعلى الوجه الثالث الإله الإبن. وأظن أنه لم يوجد إلى الآن ما يمثل هذا الثالوث بكامله كهذه القاعدة. وقد أرشدت إليها مصلحة الآثار القديمة في المفوضية العليا فامتلكتها وهي مصونة في متحف مدينة بيروت"، (ألوف، تاريخ بعلبك...، مرجع سابق، ص ٦٢). كما أن سيريغ نفسه تناول أهمية اكتشاف نقش الثالوث البعلبكي في فنيدق، بقوله: "إن العلاقات بين بعلبك وأرطوسية وقيصرية لبنان (عرقة) لا يشهد عليها فقط وجود جوبيتر (المشتري) البعلبكي في معبد مشترك في هاتين البلدتين، بل أيضاً النقش المكتشف حديثاً في فنيدق في أعالي لبنان، وذلك على طريق للدواب (البغال) تربط هذه المدن الثلاثة ببعضها". راجع: SEYRIG, Henri: Une Monnaie de Césarée du Liban, Antiquités Syriennes, Sixième Série, Extraits de Syria, 1958-1965, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1966, p.42.

[93] - MOURANI: op. cit., p.169. يعتبر الأب موراني أن بقايا الخرب الموجودة في محلة شويتا (القبيات) والمعروفة باسم "قصر كليب" هي من بقايا الأيطوريين، دون أن يتقدم بأي دليل على ادعائه المجاني. ولما كنا نستبعد ذلك نرى نسبة هذا الأثر إلى عرب أحدث من زمن الأيطوريين.

مسير نصف ساعة(٩٤). كانت كل هذه المنطقة مأهولة، في عصر الرومان بالأيطوريين، وهم شعب عربي "تَرَومَنَ" لحد ما، وربما كان يتبع قيصرية لبنان، عرقة القديمة، التي ورد اسمها أحياناً على عملاتها، قيصرية الأيطوريين"(٩٥). يُستفاد من هذا البحث أن اليطوريين كانوا يقطنون المنطقة (بيت جعلوك والجوار) حوالي مطلع النصف الثاني من القرن الميلادي الثالث(٩٦). وبطبيعة الحال لا يمكننا غير تأكيد إقامة الأيطوريين في القبيات بالذات بحكم المجاورة المباشرة لبيت جعلوك والقبيات.

وفي الزمن الذي كان فيه الأيطوريون العرب يقيمون في عكار، كانت منطقتنا عرضة لمؤثرات سلالة عربية أخرى حكمت إمارة حمص لفترة طويلة، لا سيما في العصر الروماني: سلالة سمسيجرام. ولقد كان بين الإمارات الأيطورية وأهل الإمارة الحمصية حدود متداخلة ومشتركة وتحالفات ومصاهرات متنوعة. هذا فضلاً عن المعتقدات المشتركة: "أتينا – اللات نيميسيس Athéna - Allât Némésis ... "(٩٧). ولهذا لا نستبعد وجود عناصر من العشائر الحمصية في عكار، ولعل بعضها امتزج في الشعب العكاري، الأيطوري وغيره. ولنا في ما كشفه الأب موتيرد من نقش قديم، في قرية عين تنتا (في الدريب، على بضعة كيلومترات من القبيات) خير دليل على التواصل السكاني بين أهل حمص وعكار(٩٨).

ولا بد لنا من أن نذكر تلك السلالة العربية النبطية التي حكمت تدمر وطورتها إلى أن بلغت أوجها في عهد زينب ملكة تدمر التي بلغت بسلطانها

---

94 - لم يذكر سيريغ إمكان بلوغ "مقام الرب" أو "نبع الجعلوك" عن طريق القبيات، مع أن هذا الموقع متاخم للبلدة.

95 - SEYRIG, Henri: Némésis et le Temple de Maqam Er-Rabb, Mélanges de l`Université Saint- Joseph, T.37, fasc.15, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1961, p.261.

96 - يعالج المقال (المرجع السابق) نقوشاً يعود تاريخ أحدها إلى "شهر شباط ٢٦٢ ب.م." (ص ١٦٤). وفيه إشارة إلى عبادة سكان المنطقة، الأيطوريين العرب، الإلهة العربية "اللات" (ص ٢٦٦).

97 - CHAD, op. cit., p.84. "كانت، بين حمص والأيطوريين، حدود مشتركة، ومصاهرات عديدة، جاءت لتشد أواصر الصلات بين العشيرتين العربيتين" (ص ٨٥).

98 - R. MOUTERDE (S. J.): Reliefs et Inscriptions de la Syrie et du Liban, Mélanges de l`Université Saint-Joseph, T.34, fasc.2, 1957, Imp. Catho., Beyrouth, pp.205-238. يعود تاريخ هذا النقش إلى السنة ٨٤ ميلادية، فيه كلام عن عبد معتق، كان سيده من سلالة سمسيجرام (ص ٢٢٧).

مصر، في الربع الثالث من القرن الميلادي الثالث[٩٩]، وما كان لهذه السلالة من أثر في توسيع الإمتداد العربي إلى منطقة عكار وسواها.

وعلى الرغم من ما قلناه بخصوص الأيطوريين العرب، استناداً إلى المراجع العديدة الواردة في بحثنا، لا يتورع د. سلوم عن القول: "لم يكن العرب يوماً بعيدين عن الدريب التي تقع جنوب حمص، على أبواب بادية الشام، فكانت زمن الأيطوريين العرب، بين عاصمتيهم: عنجر وطرابلس، لا سيما والدريب المنفذ بين الساحل اللبناني والداخل السوري، المتقاطع مع وادي العاصي. لكن الدريب كوطن، لشعب عربي الأرومة، لم تظهر بهذه الصفة، أقله في المصادر التاريخية التي بين أيدينا"[١٠٠]. وفي الحقيقة أربكت قضية الأيطوريين العرب صديقنا د. سلوم. فهم من أرومة عربية، وهو يريد الدريب على نقاء آرامي سرياني. فما العمل؟ لم يجد غير صيغة يقول فيها كان الدريب بين عاصمتي الأيطوريين، طرابلس وعنجر. وبالتالي قد يكون تأثر بهم. ولكن المراجع لا تذكرهم في الدريب بالذات. اسلوب طريف للهروب من الموضوع، وتمييع الوجود الأيطوري في الدريب. لقد ذكر د. سلوم نبع الجعلوك، المجاور مباشرة لبلدته (بلدتي أيضاً) القبيات، وقال بوجود معبد روماني فيه[١٠١]. كان عليه أن يذكر أن هذا المعبد هو معبد أيطوري، حيث كان يقيم الأيطوريون، الذين كانوا تابعين على الأرجح إلى عرقة التي عرفت باسم قيصرية الأيطوريين، أو كانوا يتبعون لامارة الهرمل الأيطورية الصغيرة. وعلى أي حال كانت منطقة الدريب، حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الثالث موطناً للقبائل العربية، وخاصة الأيطورية. وهذا ما تؤكد عليه كثرة من المراجع الموجودة بمتناول من شاء البحث عن الحقائق، لا طمسها. وإذا كان د. سلوم بحاجة إلى مراجع فبحثنا هذا يغنيه بها. وله في ما يلي مباشرة، مراجع حول الأقوام العربية في كل المنطقة.

القبائل العربية اليمنية في عكار

ليست بنا حاجة إلى إعادة التأكيد على أن هجرة العرب إلى بلاد الشام، ومنها لبنان، قديمة جداً. ولكن نود الآن إظهار نوعية أولئك العرب المعروفين بأسماء قبائلهم، خاصة من نزل منهم في عكار وجوارها، ومنهم من ترك آثاره القديمة وأطلق على بعض مناطق بلادنا اسماءً هي أسماء علم عربية قديمة،

---

99 - راجع: البني، د. عدنان والأسعد، خالد: تدمر (أثرياً، تاريخياً، سياسياً) ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٩؛ الخوري عيسى أسعد: تاريخ حمص...، مرجع سابق، ص ٣٤٤-٣٨٢؛ حتي: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ص ٤٣٢-٤٤٦.

100 - سلوم، د. فؤاد: دريب...، مرجع سابق، ص ١١١.

101 - المرجع السابق، ص ٩٥.

ومنهم من حمل معه آلهته وأقام لها مراكز عبادة في عكار، وعلى مقربة من القبيات بالذات.

يقول د. فيليب حتي: "تؤكد المرويات أنه حوالي نفس الوقت الذي كانت فيه الدولة التدمرية آخذة بالزوال كانت إحدى القبائل العربية الجنوبية تشق طريقها إلى حوران. وهؤلاء هم بنو غسان... وفي حوران صادفوا سكاناً من العرب أتوا قبلهم وهم الضجاعم..."[١٠٢]. ويرى مؤلفا "الاسلام والمسيحية..." أنه: "هاجر فريق من القحطانيين اليمانيين إلى لبنان في القرن الثاني قبل الميلاد، ونزلوا الجبال التي عُرفت فيما بعد بعاملة"[١٠٣]. ويضيف هذان المؤلفان أن الفوج القضاعي الأول أتى لبنان منذ ١٠٠ عام قبل الميلاد[١٠٤]. أما صاحب "خطط الشام" فيُرجع ورود القضاعيين إلى لبنان إلى زمن أقدم من قرنين ق م، ويُفصّل في نزول العشائر في سورية وجوارها[١٠٥].

وفي هذا التفصيل يقول: "فاذا جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسان من آل جفنة وغيرهم، وإذا تياسرت من حمص عن البحر الكبير وهو بحر الروم وقعت في أرض بهراء"[١٠٦]. وأرض بهراء أو جبل البهراء المعروفة اليوم بجبال العلويين، استمدت اسمها من بهراء بن عَمرو، وهي قبيلة عربية قضاعية. ويضيف محمد كرد علي في "خطط...": " ... وأهل حمص جميعاً يمن من طيء وكندة وحمير وكلب وهمدان وغيرهم من البطون ..."[١٠٧].

---

102 - حتي: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج١، ص ٤٤٦.

103 - المدني والزعبي: مرجع سابق، ص ٣٧.

104 - المرجع السابق، ص ٣٨: "الفوج القضاعي الأول ١٠٠عام ق م: هذا الفوج هو من قبيلة قضاعة، المشهورة بفروعها الكثيرة في اليمن والشام والعراق نـزل جبل عاملة منذ القرن الأول للميلاد فوجد القحطانيين والكنعانيين والأيتوريين والآراميين والأنباط منتشرين في سهوله وأوديته فاختلط بهم، ومنذ اليوم الذي حلّ فيه هذا الفوج عُرف هذا الجبل بجبل عاملة نسبة إلى الأميرة عاملة القضاعية، والدة الحارث بن عدي القضاعي...". أما المطران يوسف الدبس فيقول في هذا الموضوع، تحت عنوان "ملوك غسان في دمشق وما يليها": "وظعن مع بني غسان بنو عاملة بن سبأ مع سبعة أحياء أخرى وتوطنوا في دمشق ونواحيها، وأقام بنو عاملة في جبل هناك يسمى إلى الآن بجبل عاملة... وكان قبل غسان في سورية عرب يقال لهم الضجاعمة من بني سليح من بطون نـزار وعدنان فأخرجوهم عن ديارهم..." (تاريخ سورية...، ج٤، ص٤٤ و٤٥ و٤٦. ويقول ما يقارب هذا الكلام محمد كرد علي: "سار ضجعم ابن حماطة ولبيد بن الحدرجان السليحي في جماعة من سليح وقبائل من قضاعة إلى أطراف الشام..." (خطط الشام، المجلد الأول، ج١، ص٢٤). ولمزيد من التفاصيل حول "عاملة" من المفيد العودة إلى : الامام السيد محسن الأمين، خطط جبل عامل، الدار العالمية، بيروت،١٩٨٣، ص ١٢ – ٧١.

105 - علي، محمد كرد: خطط الشام، مرجع سابق، م١، ج١، ص ٢٤-٢٥. يشارك كثير من المؤرخين في وجهة النظر هذه، حول قِدم الزمن الذي ورد فيه العرب إلى الديار الشامية. ومنهم صاحب كتاب "تاريخ حمص" (مرجع سابق، ج١، ص٤٠٤...٤١٥).

106 - علي، محمد كرد: خطط...، مرجع سابق، م١، ج١، ص ٢٦.

107 - المرجع السابق، ص ٢١.

"معروجا" و"عروبة" و"الفلس"

معروجا. من الأدلة على إقامة العرب في عكار قبل الميلاد، ما تركوه من أسماء جغرافية أتوا بها معهم من مواطنهم العربية الأصلية. من ذلك "معروجا"، وهي منطقة في جبل أكروم، في قسمه المشرف على وادي عودين (عندقت) شرقي القبيات، بالقرب من منازل عائلة الأدرع المقيمة في "الجوزات" التابعة لقرية كفرتون في أكروم. جاء ذكر "معروجا" في "آثار البلاد وأخبار العباد" للجغرافي القزويني. والكلمة في الأصل اسم علم لامرأة، أُطلق على جبل كانت تقيم فيه قبيلة طيء. ورد ذلك في رواية القزويني بقوله: "أجأ وسلمى، جبلان بأرض الحجاز، وبهما مسكن طيء وقراهم... قيل أجأ اسم رجل وسلمى اسم امرأة كانا يألفان عند امرأة اسمها معروجا. فعرف زوج سلمى بحالهما فهربا منه، فذهب خلفهما وقتل سلمى على جبل سلمى وأجأ على جبل أجأ، ومعروجا على معروجا، فسميت المواضع بهم"[١٠٨]. و"معروجا" منطقة غير عامرة اليوم، بيد أنه تكثر فيها علامات الإقامة في أزمنة قديمة، لما فيها من آبار قديمة منقورة في الصخور، ومن بقايا الخِرب.

أما "**عروبة**" فهي من المواقع المعروفة في جبال عكار العالية. ولقد اعتبرها مؤلفا "ولاية بيروت" من بقايا آثار الفينيقيين والرومان[١٠٩]. بيد إننا نظن هذا الموضع أثراً عربياً يعود لعرب الجاهلية، وهو يطابق يوم الجمعة ومعناه "عروبة"[١١٠].

الفلس، الفليس. من المواقع الجغرافية – الدينية (الوثنية) في عكار، على مقربة من القبيات، بقايا قلعة الفليس الصليبية. وهي معروفة اليوم كمنطقة تابعة لقرية منجز، بجوار سيدة القلعة التي استمدت اسمها من القلعة الصليبية التي كانت معروفة باسم الفليس Felice أو الفيليسيوم Felicium . ومع أننا لن ندخل في عرض تاريخي تفصيلي لهذا الموقع، فإننا نكتفي الآن بالإشارة إلى أن الموقع اشتهر في زمن الصليبيين كبرج أو كحصن صغير، ولكنه يعود لزمن أسبق على الوجود الصليبي، كما بين ذلك الأب لامنس الذي عثر على بقايا أثر

---

108 - القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨، ص ٧٤.

109 - تميمي وبهجت: مرجع سابق، ص ٢٣٩: "ويوجد في قضاء عكار ثلاثة خرب تسمى "عروبة" و"مرجحين" و"قلتعات" وهي من بقية آثار الفينيقيين والرومانيين".

110 - ابن سيدَه: المخصص، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ج٢، السفر ٩، بيروت (ب ت)، ص ٤٢: "أسماء الأيام في الجاهلية (ابن دريد): السبت: شيار، والأحد: أول، والإثنان: أهون وأوهد وأهود، والثلاثاء: جبار، والأربعاء: دبار، والخميس: مؤنس، والجمعة: العروبة".

استنتج منه أن الموقع أقدم من المرحلة الصليبية[١١١]. ونظن أن قلعة الفليس تعود بأصلها إلى تسمية عربية لها علاقة بعبادة صنم يرجع إلى زمن الجاهلية. وقبل الغوص في تفاصيل ذلك نشير إلى أن أنيس فريحة، لم يذكر في "معجمه"، وكذلك عفيف بطرس مرهج في "موسوعته"، اسم هذا الموقع. ولكنهما طرحا تفسيراً لاسم موقع في الجنوب اللبناني هو "طير فلسي". فقال فريحة: "طير فلسي. اسم غامض. الفليسة في عامية لبنان أرض دلغانية شديدة تميل إلى السواد وإذا جفت تفتت. وقد يكون الاسم إشارة تاريخية على غاية من الأهمية: إشارة إلى عبادة الأعضاء التناسلية Phallus وهي عبادة سامية دخلت إلى الاغريقية ولا سيما في طقوس Dionysus . وقد يكون من "فَلس" عملة كانت للروم البيزنطيين Follis وعُربت"[١١٢].

لكن المراجع العربية تعتبر كلمة "فلس" اسماً لصنم كانت تعبده إحدى القبائل العربية في الجاهلية. جاء في "معجم الحضارات السامية": "الفلس وثن كان لقبيلة طيء"[١١٣]. أما "معجم البلدان" لياقوت الحموي فيقول: "فلس... علم مرتجل لاسم صنم، هكذا وجدناه مضبوطاً في الجمهرة عن ابن الكلبي فيما رواه السكري عن ابن حبيب عنه، ووجدناه في كتاب الأصنام بخط ابن الجواليقي الذي نقله عن خط ابن الفرات وأسنده إلى الكلبي فَلسٌ ... قال ابن حبيب: الفلس اسم صنم كان بنجد تعبده طيء وكان قريباً من فيد وكان سدنته بني بولان، وقيل: الفلس أنف أحمر في وسط أجأ وأجأ أسود، وقال ابن دريد: الفلس صنم كان لطيء بعث إليه رسول الله، صلى الله عليه وسلم علياً، رضي الله عنه، ليهدمه سنة تسعة ومعه مائة وخمسون من الأنصار... قال: قرأت على هشام بن محمد الكلبي في سنة ٢٠١، قال: أنبأنا أبو باسل الطائي عن عمه عنترة بن الأخرس قال: كان لطيء صنم يقال له الفَلس... قال عنترة: وكان الفلس أنفاً أحمر في وسط جبلهم الذي يقال له أجأ كأنه تمثال إنسان وكانوا يعبدونه ويهدون إليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتيه خائف إلاّ أمن ولا يطرد أحد طريدة فيلجأ بها إليه إلاّ تركت ولم تخفر حويته، وكان سدنته بني بولان، وبولان هو الذي بدأ بعبادته، فكان آخر سدنة منهم رجل يقال له صيفي فأطرد ناقة خلية لامرأة من كلب من بني عليم كانت جارة لمالك ابن كلثوم الشمخي... فلم يزل الفلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي، صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه علي بن أبي

---

[١١١] - LAMMENS: Le Pays des Nosairis, Itinéraire et Notes Archéologiques, op. cit. p. 278 - 279.

[112] - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١٠٩؛ وعنه ينقل، حرفياً تقريباً، عفيف بطرس مرهج، في مؤلفه: موسوعة...، مرجع سابق، ج٧، ص ٨.

[113] - عبودي، هنري س.: معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس – لبنان، ط ٢، ١٩٩١، ص ٦٥٠. و"الفلس صنم لطيء"، راجع: أحمد فارس الشدياق: الساق على الساق في ما هو الفارياق، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦، ص ٢٠٧. و"الفلس، صنم كان لطيء في الجاهلية"، راجع: ابن سيدَه، مرجع سابق، ج ٤، السفر ١٣، ص ١٠٤.

طالب، كرم الله وجهه، فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان قلّده إياهما يقال لهما مخذم ورسوب..."[١١٤]. ترد نفس المعطيات التي يذكرها ياقوت الحموي والقزويني، حول الفلس، في "كتاب الأصنام" لابن الكلبي، وهو مرجعهما في ذلك[١١٥].

وبناءً على ما تقدم حول أصل عبارة "فلس" فإننا نرجح أن تكون قبيلة عربية من بني طيء من القبائل اليمانية قد أقامت في هذه المنطقة وحملت معها تقاليدها الدينية الوثنية، ومارست عبادة إلهها المحلي "فلس"، في مقام نصبته له بالقرب من منجز، وهو ما تحول مع الزمن إلى قلعة الفليس. ولقد كان في أصل عبادة العرب للأوثان، على ما يرى ابن الكلبي، هو نقلهم في ترحالهم وتنقلاتهم لبعض أحجار الحرم، فهو يقول: "وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلاّ احتمل معه حجراً من حجارة الحرم، تعظيماً للحرم وصبابة بمكة. فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمناً منهم وصبابة بالحرم وحباً له"[١١٦]. ويضيف في مكان آخر مفسراً تطور هذه العبادة للأصنام: "فكان الرجل، إذا سافر فنـزل منـزلاً، أخذ أربعة أحجارٍ فنظر إلى أحسنها فاتخذه رباً، وجعل ثلاث أثافي لقدره، وإذا ارتحل تركه، فإذا نـزل منـزلاً آخر، فعل مثل ذلك"[١١٧].

وإذا ما جمعنا بين يوم الجمعة الجاهلي "العروبة" و"معروجا" في جبل أكروم وعبادة الإلهة العربية "اللات" في نبع الجعلوك (مقام الرب) أمكننا أن نضيف عبادة الفلس، وعليه تكون قلعة الفليس الصليبية، في أساسها، عربية الأصل على الأرجح.

آثار وأسماء عربية في القبيات

العربة. ثمة مواقع كثيرة في لبنان تعرف باسم العربة. وبعض الأماكن مركبة الاسم من كلمة عربة واسم آخر. العربة في القبيات هي موقع ملاصق لحي مرتمورة لجهة الغرب وهو يفصل هذا الحي عن حي "الغربية". حاولنا فهم أصل ومعنى هذا الاسم لنرى مدلوله، فوجدنا فريحة يعطيه معنى شجرة الصفصاف، أو يرده إلى أصل آرامي قديم، معناه "السهل والبقعة

---

114 - الحموي، ياقوت: معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٧٣-٣٧٤. يختصر القزويني نفس الكلام، في "آثار البلاد..."، مرجع سابق، ص ٧٤.

115 - ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٤، من ص ٥٩ إلى ص ٦٢.وفي طبعة أخرى بدون الحواشي، لنفس المحقق، ترد المعطيات نفسها، ص٣٧ و٣٨، وهي طبعة لايبزيغ، عام ١٩٤١.

116 - المرجع السابق، (١٩٢٤)، ص ٦.

117 - المرجع السابق، ص ٣٣.

المنبسطة"[١١٨]. وجاراه في ذلك حرفياً عفيف بطرس مرهج[١١٩]. وبما أن العربة في القبيات غير معروفة بأنباتها لشجرة الصفصاف، ولا هي منطقة سهلية، وليست "بقعة منبسطة"، بل هي، على العكس من ذلك تماماً، عبارة عن "ضهر" وأرض وعرة، وعلى انحدار غير يسير، وقد حولت هذه المنطقة يد القبياتي وجهوده الكبيرة إلى "جلالي" تسندها سلسلة من حيطان الدعم (هي مندثرة اليوم في معظمها) لحفظ التربة... لكل ذلك رفضنا تفسير هذه التسمية بإعادتها إلى أصل سرياني أو آرامي. واعتمدنا تفسيراً آخر للتسمية يرى أصلها عربياً. ذلك أن معنى "العربة" هو أنها "في الأصل اسم لبلاد العرب"[١٢٠]. وهي اسم عُرفت به مواضع عديدة في بلاد العرب. فهي "قرية في أول وادي نخلة من جهة مكة"[١٢١]. "والعربة أيضاً: موضع بفلسطين كانت به وقعة للمسلمين في أول الاسلام"[١٢٢]. وقد تكون "العربة" في القبيات تميزت بهذا الاسم لنـزول قطان عرب فيها.

"دار عنين"

في جرد القبيات خربة، هي في العرف المحلي، بقايا أثر مسيحي يُعرف باسم "دار عنان" أو "عُنَين".لم نجد ذكراً لهذا الاسم "عِنان" أو "عُنَين" في معجم فريحة. ولم نجد معنى له كاسم ديني إلاّ عند الأب عفيف موراني: "المساعدة الدائمة"[١٢٣]. طبعاً، لم يحدد الأب المذكور مرجعه في تفسير هذا الاسم، ولا إلى ماذا اعتمد في تقرير هذا الأمر، فاكتفى قائلاً: "... عْنَـين nein' : المساعدة الدائمة"...".

ولكننا عثرنا على لفظة "عِنان" و"عُنَين" كاسم علم لفرع إحدى القبائل العربية، ذكرها ياقوت الحموي، وهو يبحث في مادة "روضة"، حيث يقول: "روضة بطن عِنان: بكسر العين؛ قال المخبل السعدي:

عفا العرض بعدي من سليمى فحائله   فبطن عِنان روضه فأفاكله"[١٢٤].

وذكر ياقوت الحموي في مكان آخر علماً هو "عُنَين"، وذلك في كلامه على "بحتر"، حيث يقول: "بحتر:... روضة في وسط أجأ أحد جبلي طيء قرب

---

118 - فريحة: معجم...، مرجع سابق، ص ١١٤.

119 - مرهج: موسوعة...، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٣٣: "عربة في السريانية Arbeta : صفصافة، وقد تكون آرامية بمعنى السهل، البقعة المنبسطة".

120 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٩٦.

121 - المرجع السابق، ص ٩٦.

122 - المرجع السابق، ص ٩٨.

123 - الأب موراني، مرجع سابق بالفرنسية، ص ٢٠٦. يعطي الخورسقف الزريبي لهذا الاسم معنى "الاستجابة".

124 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٣، ص ٨٦.

جوّ"، كأنها مسماة بالقبيلة، وهو بحتر بن عتود بن عُنَين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء"(١٢٥).

وعليه تبدو لنا عروبة هذا الموقع أكثر احتمالاً، خاصة وأن المراجع المعنية بأسماء المواقع السريانية لم تأتِ على ذكره(١٢٦). وانطلاقاً من ذلك نظن أن هذا المكان يعود في تسميته إلى (مرجعية عربية) شخصية أو قبيلة باسم "عنان" أو "عنين"، استوطنت المنطقة وأطلقت عليها الاسم. وربما كانت تلك المرجعية من القبائل العربية المتنصرة التي أمت المنطقة، أو ربما هي تنصرت هنا، وأقامت لها كنيسة في هذه "الدار" التي عرفت باسم "دار عنين". وقد يكون هذا الموقع غير مسيحي في الأساس ثم اصطبغ مقامه بالمسيحية، كما هي الحال في كل أماكن العبادة التي تتراكب نسبتها الدينية على نسبة آخر شاغليها. وهنا يجدر بنا، لا سيما مع غياب التفسير السرياني المسيحي لهذا الموقع، أن نميل إلى نسب التسمية إلى ما عُرف باسم "عرب عنين". وهم تلك العشائر التي منها من عرف موقعاً متقدماً في زمن المماليك، وهم الذين أشار إليهم العمري بقوله: "ولد ربيعة أربعة، وهم: فضل ومرا وثابت ودغفل... فضل منهم آل عيسى، وقد صاروا بيوتاً، وأميرهم وأمير سائر آل فضل أحمد بن مهنا. وبيت فضل بن عيسى... وبيت حارث بن عيسى..."(١٢٧). ويذكر ديار هذه العشائر مع حلفائها: "وديارهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى رحبة آخذين على شقّي الفرات..."(١٢٨). وكان سبق له أن وصفهم بأنهم: "ملوك البر، وأمراء الشام والعراق والحجاز"(١٢٩). ولذلك لا نستبعد أن تكون بعض سلالتهم قد أتت عكار، ومنها بعض مناطق القبيات (الجرد)، في زمن المماليك، حيث اتسع سلطانهم: "كان من خبر هذا البيت الذي رُفعت عمده، وشد بطرف الجوزاء وتده، يد سلفت لعيسى بن مهنا عند الظاهر بيبرس حال تشريده وتطريده احتاج فيها إلى فرس يركبه، فبالغ في إكرامه، وأركبه خير خيله؛ فلما ملك قلّده الإمرة، ورقاه... وقُلّد في الأيام المنصورية ولدُه الإمرة..."(١٣٠). ويعود العمري بزعامة هذه العشيرة إلى

---

[125] - المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤١. أما ابن فضل الله العمري فإنه يجعل من "عُنَين بن سلامان، من طيء" أصلاً يتدرج ليتصل به نسب آل ربيعة، فهو يقول: "وربيعة رجل من سلسلة بن عنين بن سلامان من طيء"، راجع: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت،١٩٨٥، ص ١١٢. وفي ص ١١٣ يضيف: "والأصح في نسب ربيعة هذا أنه ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج... بن معن بن عتود بن عنين بن سلامان ...من طيء".

[126] - لم يرد هذا الاسم في لائحة الأب حبيقة وأرملة، مرجع سابق. ولا في "معجم..."، فريحة، ولا في "موسوعة..." مرهج.

[127] - ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، مرجع سابق، ص ١١٤.

[128] - المرجع السابق، ص ١١٦.

[129] - المرجع السابق، ص ١١٢.

[130] - المرجع السابق، ص ١١٦-١١٧. "ثم إن الإمرة صارت لولده الأمير حسام الدين بن عيسى في أيام المنصور قلاوون، وعلت مكانته..." ص ١١٨.

مرحلة أسبق، إلى زمن "طغتكين صاحب دمشق" عندما كان "جد مهنا هذا أبو أحمد الأمير الآن هو الأمير مانع بن حُديثة بن فضل بن ربيعة الطائي الشامي التدمري، وكان أمير عرب الشام في دولة طغتكين صاحب دمشق"(١٣١). كما يعود بعلاقاتها مع المماليك إلى زمن فيه "لم يُصرح لأحد من هذا البيت بإمرة على العرب بتقليد من السلطان إلاّ من أيام العادل أبي بكر أخي السلطان صلاح الدين..."(١٣٢). وكل هؤلاء الذين يتحدث عنهم العمري، على امتداد سلطتهم زمنياً ومكانياً، يقول في نسبهم: "هذا البيت أوله رجل من طيء من بني سلسلة بن عنين بن سلامان. نشأ هذا الرجل في أيام أتابك زنكي، وأيام ولده نور الدين الشهيد... وإلى عنين ينتسب كل عرب عنين من كان من ولده أو من حلفائه..."(١٣٣). ولهذا من المحتمل أن يكون أحد أبناء هذه العشائر قد أقام في جرود القبيات، وترك هذا الأثر المسمى اليوم "دار عنين".

يجدر بنا قبل أن نختم الكلام على هذا الموضع أن نذكر أن الخورسقف الزريبي هو أفضل من يمكنه أن ينقل إلينا كيفية محافظة التقليد المحلي على طبيعة هذا المكان. ولقد ذكره الخورسقف المذكور، في "اللمحة التاريخية"، في معرض تعداده الكنائس الخربة في المنطقة، بقوله حرفياً: "كنيسة دار عنين أي الإستجابة"(١٣٤). فهو لم يذكره كدير، بل "دار"، وفي هذه الدار كنيسة. ولعل دار هنا تعني مزرعة أو قرية، لا مجرد موقع ديني. أما لماذا يصر د. سلوم على لفظة دير(١٣٥)، مع أنه كثيراً ما يعلل "أصالته" بالتقليد؟ ترى ألا تدخل مخطوطات الخورسقف الزريبي في عداد جمع هذا التقليد والتعبير عنه؟

قصر كليب: ثمة موقع آخر في نطاق القبيات، هو عبارة عن بقايا خراب أثري، واضح، من لفظه، في انتمائه إلى أصل عربي. إنه "قصر كليب" في منطقة شويتا في القبيات. يرد الأب عفيف موراني هذا الموقع، مع قلعة عروبة، إلى أصل أيطوري، بقوله: ثمة مواقع ثلاثة تعود إلى زمن الأيطوريين: "قصر كليب باسم إحدى قبائلهم المشهورة، وقلعة عروبة على رأس القموعة، وقلعة الرنتا في عكار"؛ ويوضح في حاشية في اسفل الصفحة التي ورد فيها هذا الكلام معنى قلعة عروبة: "حصن الغروب" أو "المغيب": ويصح هذا بالنسبة إلى الموقع الجغرافي تجاه حمص"(١٣٦)، بمعنى أن هذه القلعة هي غربي حمص. ويعتبر

---

131 - المرجع السابق، ص ١١٧.
132 - المرجع السابق، ص ١١٧.
133 - المرجع السابق، ص ١١٧.
134 - الزريبي، الخورسقف مخائيل: "لمحة تاريخية" مرجع سابق، ص ٢٨٣.
135 - سلوم، د.فوءاد: "القبيات..."، مرجع سابق، ص ٣٤؛ والأب موراني، مرجع سابق، ص ٢٠٥.
136 - الأب موراني: مرجع سابق بالفرنسية، ص ١٩.

الأب موراني أن الأيطوريين استولوا على حمص وجوارها وحكموا فيها زهاء أكثر من قرن[١٣٧].

ينطلق الأب موراني هنا من مغالطة أساسية حول علاقة الأيطوريين بحمص، ذلك أن مدى سلطة الأيطوريين، جغرافياً، كانت مجاورة (ومتزامنة تقريباً) لسلطة سلالة عربية أخرى كان مركزها مدينة حمص بالذات، هي سلالة سمسيجرام، كما أوضحناه سابقاً، في كلامنا على الأصول السكانية العربية القديمة في بلادنا. ولعل سلطة الأيطوريين قلما تجاوزت منطقة الهرمل، واكتفت هناك بامارة أيطورية صغيرة.

الأمر الثاني البعيد عن أي سند تاريخي هو ادعاء الأب موراني برد "قصر كليب" إلى اسم واحدة من قبائل الأيطوريين. وهذا ما لم يقل به أحد من المؤرخين، إن أحداً لم يتحدث في تعداد أسماء القبائل الأيطورية، ليرد عنده "كليب" كقبيلة أيطورية. وفي الحقيقة إن هذا الاسم يؤشر صراحة على نسبه إلى قبيلة "كليب" أو "كلاب" أو "كلب" العربية، أو على أن باني القصر كان عربياً بهذا الاسم. وبالتالي، لا يصح نسب هذا الموقع إلى الأيطوريين، بل من الضروري نسبته إلى قبيلة جاءت إلى المنطقة في زمن لاحق على الزمن الأيطوري. ولعل العرب (أو العربي) الذين بنوا هذا القصرفي شويتا (القبيات) هم من عداد أؤلئك الذين قصدهم محمد كرد علي بقوله، نقلاً عن اليعقوبي: "وأهل حمص جميعهم من طيء وكندة وحمير وكلب وهمدان وغيرهم من البطون... وأهل تدمر كلب..." وفي مكان آخر يقول: "وما وقع في ديار كلب من القرى تدمر وسلمية والعاصمية وحمص وهي حميرية..."[١٣٨]. أما ياقوت الحموي فلم يتردد عن تسمية سهل البقاع باسم "بقاع كلب" لاشتهار هذا السهل بهذه القبيلة على ما يبدو: "البقاع... موضع يقال له بقاع كلب، قريب من دمشق، وهو أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق"[١٣٩].

وإذا لم يكن باني هذا القصر في شويتا من بني كلب الذين استوطنوا مناطقنا قبل الفتح الاسلامي، فربما يكون من أولئك الذين توسعوا في استيطان لبنان بعد هذا الفتح، ومنهم من عشائر بني كلب، الذين بدأ دورهم يظهر في زمن الخلفاء الراشدين، وكان لهم في حمص حضور فعلي وشاركوا في القتال، إلى

---

137 - المرجع السابق، ص ١٩.

138 - علي، محمد كرد: خطط...، مرجع سابق، م ١، ج ١، ص ٢٦. وتقول د. أمينة البيطار: "بنو كلب بطن من قضاعة من القحطانية، وهم بنو كلب بن وبرة، أما بنو بحدل فبطن من بني كلب بن تغلب بن حلوان... من قضاعة... وقد سكن بنو كلب غربي نهر الفرات في بادية الشام... كما نـزلوا ... وحلب وقراها، وفي تدمر وأطراف الشام... كما سكنت أعداد منهم بعض قرى غوطة دمشق"، راجع: أمينة البيطار، مواقف أمراء العرب بالشام والعراق (من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري)، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٠، ص ١٤٣.

139 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٧٠.

جانب معاوية ضد علي في موقعة صفين. ويذكر صاحب "تاريخ حمص"، في كلامه على هذه الموقعة: "كان لواء المعركة بيد عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أمير حمص؛ وكان قلب جيش معاوية أهل دمشق... والميمنة أهل حمص وعليهم ذو الكلاع الحميري... أما رجالة حمص فكان عليهم حوشب ذو ظليم... وعلى قضاعة حمص عباد بن زياد الكلبي..."(١٤٠). ومن الطبيعي أن يكون القضاعيون والكلبيون منتشرين في جوار حمص وعكار. وقد يكون أحد الكلبيين هو من قام ببناء قصر كليب في شويتا. وهناك احتمال بأن يكون هذا القصر من بناء بعض بني كلب أو كلاب ممن ذكرهم العمري في كلامه على آل ربيعة: "وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم... بنو كلب، وبعض بني كلاب..."(١٤١). (ثمة احتمال لعلاقة بني كلاب المرداسيين بهذا الموقع، سنعرضه لاحقاً).

الغساسنة في سورية

تعتبر هجرة العرب الغساسنة من الهجرات العربية البالغة التأثير في سورية وتاريخها، وفي تكوين شعبها من قبل الفتح العربي الاسلامي. "يظهر أن بلوغ بني غسان إلى الشام كان في القرن الثاني للميلاد أو بدء القرن الثالث"(١٤٢). ويرى الأب لويس شيخو أن: "غسان قبيلة يمنية قدمت جهات الشام بعد انفجار سد مأرب وسيل العرم فاستوطنتها ثم تغلبت على أهلها فصار إليها الأمر، وعلى قول كتبة العرب كان الأمر قبل غسان لبني سليح وقبل بني سليح تنوخ..."(١٤٣). أما الحصني فيقول: "لما تم ملك دمشق للرومانيين... أمّر عليها الرومانيون من قبلهم غسان فانتظمت لهم مع ما بضواحيها من القرى واستمرت تحت إمارتهم إلى أن استلمها منهم المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب..."(١٤٤).

اتسعت سلطة الغساسنة فكانت تشمل المناطق الداخلة في معظم اقليم حوران والبلقاء وفينيقية ولبنان وفلسطين(١٤٥). ويرى أحمد اسماعيل علي: "أما حدود مملكة آل غسان فلم تكن ثابتة، بل متبدلة متغيرة حسب سلطة الملوك وتغيرهم، فملكهم كان يتوسع ويتقلص بحسب الظروف فيصل إلى مقربة من دمشق، وإلى فلسطين الثانية ولبنان وإلى ولايات سورية الشمالية في بعض

---

140 - أسعد: تاريخ حمص...، مرجع سابق، قسم ٢، ص ٤٥.

141 - العمري: مسالك الأبصار...، مرجع سابق، ص ١١٥.

142 - الدبس: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٦.

143 - شيخو، الأب لويس: "نصرانية غسان"، المشرق، السنة ١٠، ١٩٠٧، العدد ١١، ص ٥٢٢.

144 - الحصني، محمد أديب آل تقي الدين: كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له كمال سليمان الصليبي، ج ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٨.

145 - علي، محمد كرد: خطط...، مرجع سابق، م ١، ج ١، ص ٦٦.

الأحيان..."[١٤٦]. ولا بد أن يكون بعض الغساسنة قد استوطن عكار لقربها من البقاع وحمص، هذه المناطق التي خصّها الهمذاني باقامة بني غسان: "قال الهمذاني عن القبائل العربية التي سكنت الشام: وإن جزت جبل عاملة تريد قصد دمشق وحمص وما يليها فهي ديار غسان من آل جفنة وغيرهم..."[١٤٧].

الفتح الاسلامي: تدفق العرب

ليس هناك أدنى شك بأن الفتح الاسلامي عزز موجات الهجرة العربية إلى سورية عامة وشجع الاستيطان العربي في بلاد الشام. وإذا كانت عناصر قوة الفتح الاسلامي لم تستقر مباشرة في الإقامة في المناطق الساحلية من لبنان، فقد كان من نصيب عكار المجاورة لحمص أن تشهد، بحكم قربها من حمص بالذات، أولى حالات الاستيطان العربي الاسلامي. "ربما كانت مدينة حمص هي المدينة الوحيدة التي سكنتها القبائل العربية بعد الفتح مباشرة، قال ابن الأثير: "لما فتح أبو عبيدة حمص، أنزلها السمط بن الأسود الكندي في بني معاوية، والأشعث بن ميناس في السكون، والمقداد في بلي، وأنـزلها غيرهم"[١٤٨]. ويرى منير الخوري عيسى أسعد في هذا الاستيطان السريع من قبل المسلمين في حمص أوضح دليل على وجود العرب في حمص قبل الاسلام: "ومن أظهر الأدلة على وجود العرب في حمص قبل الاسلام، رغبة العديد من المسلمين الأوائل في استيطان هذه المدينة مع ذرياتهم وإننا لنذكر منهم القائد خالد بن الوليد والحصين المبراني وحابس بن سعيد الطائي وشرحبيل بن السمط الكندي... وغيرهم من الصحابة والمحدثين الذين عاصروا النبي العربي وسمعوا عنه"[١٤٩].

ولم يطل الأمر حتى استوطنت قبائل عربية في أمهات المدن، وفي عكار نـزل "في عرقة... قوم من ربيعة من بني حنيفة"[١٥٠]. وإذا كانت بعض القبائل العربية المسيحية آثرت الانسحاب مع البيزنطيين، فإن قسماً كبيراً فضّل البقاء بشروط المسلمين. وقد كان للعهد الأموي سياسة ناجحة في احتواء شتى

---

146 - علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام (منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي)، دار دمشق، ط ٣، ١٩٩٤، ص ٩٠. يشارك في هذا الرأي د. حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ص ٨١: "لم تكن حدود مملكة غسان ثابتة، بل كانت تتبدل وتتغير بتبدل قوة الملوك وتغيرها، فكانت تتسع حيناً فتشمل الجولان وحوران وبعض فلسطين والأردن ولبنان وأطراف الشام، وبعض مناطق حمص، ومساحات واسعة من بادية الشام، وكانت تتقلص حيناً فتصير أضيق من ذلك بكثير...".

147 - أسعد، منير الخوري عيسى: تاريخ حمص، القسم ٢، نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية، ١٩٨٤، ص ٢٦-٢٧. راجع أيضاً: محمد كرد علي: خطط...، مرجع سابق، م ١، ج ١، ص٢٦.

148 - عطوان، د. حسين: الجغرافية التاريخية...، مرجع سابق، ص٩٧.

149 - اسعد: تارخ حمص...، مرجع سابق، القسم ٢، ص ٢٧-٢٨.

150 - عطوان: الجغرافية التاريخية...، مرجع سابق، ص ١١١.

العناصر المكونة للمجتمع من فرس وزط وجراجمة (المردة)"[١٥١]. وكان جوهر حركة الاستيعاب يقوم على وجهتين متعاكستين: إجلاء لبعض السكان، وإسكان لآخرين مكانهم، وذلك وفق ضرورات نشر الدعوة وحماية المواقع المفتوحة وافتتاح أخرى. وفي أخبار البلاذري وغيره ما يوضح هذه الحركة. ففي فتح عكار والساحل اللبناني يقول البلاذري: "إن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا وعرقة وجبيل وبيروت وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه ثم أن الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان فقصد لهم معاوية حتى فتحها ثم رمها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع"[١٥٢]. وكانت سياسة الإخلاء والإسكان على أوضح صورة لها في فتح حمص: "إن السمط بن الأسود الكندي كان صالح أهل حمص فلما قدم أبو عبيدة أمضى صلحه وإن السمط قسم حمص خططاً بين المسلمين حتى نزلوها وأسكنهم في كل مرفوض جلا أهله أو ساحة متروكة"[١٥٣].

ولقد تحكم بسياسة الإجلاء والإسكان المنطق الدفاعي، خاصة متى كانت المواقع عرضة لمحاولات البيزنطيين باستعادتها. فحيث كان يُبدي السكان المحليون تعاطفاً إزاء الروم كان يُعتمد الإجلاء. كما اعتمد إجلاء بعض الفرس واليهود وإسكانهم في السواحل اطمئناناً لهم في موقفهم الايجابي من الدولة الاسلامية، وكيلا يحصل فراغ يغري البيزنطيين ويسهل عودتهم. وفي هذا الأمر يقول عمر عبد السلام تدمري: "لقد شعر "معاوية" بخطورة الفراغ السكاني الكبير في المدن الساحلية، ولهذا اهتم بعمرانها وإسكانها، فقام بترميم ثغر صور، وأتى بجماعة كبيرة من يهود الأردن وأسكنهم في حصن طرابلس..."[١٥٤]. كما قدم المسلمون إغراءات لإسكان السواحل كالإعفاء من الجزية ومنح الأراضي[١٥٥]. وهكذا كان يتم إجلاء بعض المدن الداخلية من بعض سكانها من الفرس واليهود وإسكانهم في مدن الساحل، ومنها عرقة[١٥٦]. وفي الحقيقة كان موقف الجماعات، في زمن الخلفاء الراشدين والأمويين، من دولة الاسلام ودولة البيزنطيين هو الذي يحدد أمر الإجلاء والإسكان. ولم يقتصر أمر الإسكان في

---

[151] - راجع: تدمري، د. عمر عبد السلام: لبنان من الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، جروس – برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠، خاصة القسم الأول، من ص ٢٣ حتى ص ١٠٦.

[152] - البلاذري: كتاب فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٠١، ص ١٣٣.

[153] - المرجع السابق، ص ١٣٧.

[154] - تدمري: لبنان من الفتح الاسلامي ...، مرجع سابق، ص ٥٤.

[155] - المرجع السابق، ص ٥٥.

[156] - المرجع السابق، ص ٥٥.

السواحل على غير المسيحيين، ذلك أنه عندما "استأمن جماعة من الروم أذن لهم معاوية بالإقامة في طرابلس"(١٥٧).

ومع أن الفتح الاسلامي كان سعياً لاقامة وتوسيع دولة دينية إسلامية فانه اتصف بمرونة وبتسامح نسبي كبيرين تجاه مسيحيي البلاد المفتوحة، لا سيما في سورية. ولقد تجلى ذلك في التعامل مع الأقباط والجراجمة والأنباط وسواهم. كما تجلى بشكل خاص مع مسيحيي القبائل العربية. ولنا في مثال "جبلة بن الأيهم الغساني" خير دليل على هذه السياسة الاسلامية الاستيعابية للآخرين. لقد قاتل جبلة مع قومه وغيرهم من المسيحيين العرب المسلمين في سورية في موقعة اليرموك(١٥٨)... وبعد انهزام البيزنطيين، وعندما أتى عمر بن الخطاب إلى الشام، جاءه جبلة بن الأيهم الغساني "وهو على نصرانيته، فعرض عمر عليه الاسلام وأداء الصدقة، فأبى ذلك وقال أقيم على ديني وأودي الصدقة، فقال عمر إن أقمت على دينك فأد الجزية، فأنف منها، فقال عمر ما عندنا لك إلاّ واحدة من ثلاث: إما الاسلام وإما أداء الجزية وإما الذهاب إلى حيث شئت. فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفاً فلما بلغ ذلك عمر ندم. وعاتبه عبادة ابن الصامت فقال لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم"(١٥٩).

وعلى العموم، يمكننا استناداً إلى المكانة التي حظيت بها حمص منذ الفتح الاسلامي، وخاصة في أيام الأمويين (٦٦٠-٧٥٠)، ورعايتهم لها(١٦٠)، أن نستنتج نمو الاستيطان العربي في عكار، على الأقل بحكم المجاورة المباشرة لهذه المدينة التي يشكل قسم من عكار ما يُعرف باسم "فرجة حمص" أو "مدخل حمص".

ولقد صار من الصواب اليوم القول أن عكار استمدت اسمها العربي في مرحلة الخلافة الأموية، مع "عكار القضاعي"، على أقل تقدير(١٦١).

لم تتوقف الموجات العربية للإقامة في لبنان في الأزمنة اللاحقة. ذلك أن العباسيين (٧٥٠-٩٠٣) اهتموا "منذ نشوء دولتهم في العراق بلبنان وساعدوا على عماره فندب أبو جعفر (المنصور) عام ٧٥٨ والرشيد عام ٨٠٤ والمتوكل

---

157 - المرجع السابق، ص ٥٥.

158 - البلاذري: كتاب فتوح...، مرجع سابق، ص ١٤١: "جمع هرقل جموعاً كثيرة من الروم وأهل الشام وأهل الجزيرة وأرمينية تكون زهاء مائتي ألف وولى عليهم رجلاً من خاصته وبعث على مقدمته جبلة بن الأيهم الغساني في مستعربة الشام من لخم وجذام وغيرهم وعزم على محاربة المسلمين... فاقتتلوا على اليرموك...".

159 - المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

160 - راجع: أسعد: تاريخ حمص، مرجع سابق، القسم ٢، ص ١١٨: "كانت حمص في زمن الأمويين في مقدمة المدن السورية الباسقة المجد، إذ كانت محجة الخلفاء ومقصد الكثيرين من أمرائهم".

161 - راجع: الزعبي، د. محمد خالد: تاريخ عكار...، مرجع سابق. إلى هذا المؤرخ العكاري يعود الفضل في نـزع الحجاب عن أهم مصدر لحسم تأويل اسم عكار.

عام ٨٢٠ بعض القبائل التنوخية واللخمية العراقية للهجرة إليه"[١٦٢]. ويعود ابراهيم بك الأسود بهجرة هذه القبائل إلى لبنان إلى فترات أسبق وينسب لهم الإقامة في مناطق من لبنان أشمل من جنوبي كسروان وجوار بيروت[١٦٣]. وينسب للبعض منهم الرحيل إلى شمالي لبنان والإقامة في البقاع وتأسيس قرية قصرنبا[١٦٤]. ويضيف: "وكان أول من رحل من تلك القبائل العربية إلى لبنان الأمير فوارس تنوخ بقبيلته... ثم رحل بنو أرسلان ثم بنو شويزان فسارت هذه القبائل في السهول المحازية نهر العاصي حتى وصلوا بعلبك فحلّوا فيها وانبثوا في سهل البقاع حتى بلغوا زحلة ثم رقوا سلاسل الجبال إلى عين دارة..."[١٦٥].

الإمارات العربية في بلاد الشام وعكار

استمرت موجات الإرتحال العربي إلى بلاد الشام حتى بلغ من حجم القبائل العربية فيها، مع نهاية الدولة العباسية، ما جعلها، في زمن الأخشيديين والفاطميين، تؤسس مجموعة إمارات استولت على الشمال السوري (حلب وجوارها) وعلى قسم كبير من الساحل. بدأت هذه المحاولات القبائلية في تأسيس إمارات عربية مع الحمدانيين، لا سيما سيف الدولة الحمداني الذي اتخذ من حلب عاصمة لإمارته ووسع حدودها حتى حمص قبل أن يقضي الفاطميون على هذه الإمارة عام ٩٩١. ومما يشير إلى كثرة العرب قرب عكار وفيها، حول حمص، ما يذكره ابن العديم عن حرب سيف الدولة الحمداني مع كافور الخشيدي، وذلك بقوله في أخبار العام ٣٣٥هـ (٩٤٦م): "وجاء سيف الدولة إلى حمص؛ وجمع جمعاً لم يجتمع له قط مثله، من بني عقيل ، وبني نمير، وبني كلب، وبني كلاب. وخرج من حمص. وخرجت عساكر ابن طغج من دمشق فالتقوا بمرج عذراء..."[١٦٦]. وما كادت إمارة الحمدانيين تأفل حتى علا نجم مشروع إمارة عربية ثانية كانت أبعد أثراً في امتدادها في عكار، وهي إمارة بني مرداس

---

[162] - المدني والزعبي: الاسلام ...، مرجع سابق، ص ٤٥-٤٦.في هذه المسألة يقول الخوري منصور طنوس الحتوني: "سنة ٧٥٨ قدم الخليفة أبو جعفر المنصور من بغداد إلى دمشق فقدم إليه من بلاد المعرة الأمير ارسلان وأخوه الأمير منذر بجماعة من عشيرتهما... فأمرهما أن يسكنا في جبال بيروت الخالية من السكان وأنعم عليهما بمقاطعات معلومة، فسكن الأمير ارسلان في سن الفيل، والأمير المنذر في حصن سلحمور وتفرق باقي الأمراء والمقدمين في بلاد كسرولن...". ويضيف: "وسنة٨٢٠ أقبل الأمير تنوخ الملقب بالمنذر من الجبل الأعلى ومعه بعض أمراء القبيلة وكانوا عشر طوائف وسكنوا في جنوبي لبنان بجوار كسروان في الجبال الخالية من السكان...". راجع: نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، (المطبوع عام ١٨٨٤)، طبعة جديدة طبق الأصل، دار كنعان، ١٩٨٣، ص ٣٢ و٣٣.

[163] - الأسود، ابراهيم بك: كتاب ذخائر لبنان، طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان، سنة ١٨٩٦، راجع تحت عنوان "الأمراء التنوخيون والقيسيون"، من ص ١٣١ حتى ص ١٦٣.

[164] - المرجع السابق، ص ١٣٥.

[165] - المرجع السابق، ص ١٣٧.

[166] - ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ١، المعهد الفرنسي بدمشق، دمشق، ١٩٥١، ص ١١٨.

الكلابيين(١٦٧). ينتسب بنو مرداس إلى بني كلاب وهم قيسيون(١٦٨). و"يعتبر بنو كلاب من أشد العرب قوة وأكثرهم عدداً... وقد ازداد نفوذهم في عهد الدولة الأخشيدية، إذ أن محمد بن طغج الأخشيد، قلد أحمد بن سعيد الكلابي شيخ قبيلة بني كلاب حلب، فاستدعى هذا أنصاره وأقرباءه إليه فازداد الكلابيون في المنطقة وزاد نفوذهم"(١٦٩).

كان بروز المرداسيين وتأسيس إمارتهم جزءاً من حركة شاملة للقبائل العربية التي توسعت في حضورها ونفوذها في بلاد الشام، في مرحلة ضعف السلطة المركزية الاسلامية. ولقد نشأ تحالف ضم أبرز رموز القبائل العربية في بلاد الشام، وكان غرضه السيطرة على هذه البلاد وإقامة إمارات مستقلة. يروي ابن العديم أنه في العام ٤١٥هـ (١٠٢٤م) "حالف ابو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي سنان بن عليان الكلبي وحسّان بن المفرج بن الجراح الطائي على الظاهر (الظاهر ابو الحسين علي، الحاكم الفاطمي)، وتحالفوا على احتواء الشام، وتقاسموا البلاد. فتكون فلسطين وما برسمها لحسّان، ودمشق وما ينسب إليها لسنان، وحلب وما معها لصالح. فأنفذ الظاهر إلى فلسطين أنوشتكين الدزبري والياً، فاجتمع الأمراء الثلاثة على حربه، فهزموه إلى عسقلان"(١٧٠).

ويذكر الأنطاكي هذه المحالفة، ويعود بها إلى زمن أسبق من العام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، بقوله، في أخبار العام ٤١٥هـ: "إن أمراء عرب الشام، وهم يومئذ: حسّان بن المفرج بن الجراح أمير الطائيين، وصالح بن مرداس أمير الكلابيين، وسنان بن عليان أمير الكلبيين، تواطأوا وجددوا حلفاً بينهم على حال كانوا عليها قرروها بينهم في أيام الحاكم، وفي أول أيام الظاهر. ورجعوا عنها. وهي أنهم يتعاضدون ويتفقون على الإحتواء على جميع أعمال الشام وحلب، ويتوزعون

---

167 - راجع حول هذه الإمارة: د. محمد أحمد عبد المولى: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (مصر)، ط ١، ١٩٨٥. وكذلك: د. محمد محمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الخادي عشر والثاني عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٠.

168 - عبد المولى، د. محمد أحمد: بنو مرداس الكلابيون...، مرجع سابق، ص ١١: "بنو مرداس أو المرداسيون عشيرة من عشائر كلاب بن ربيعة، من بطون بني عامر بن صعصعة إحدى عمائر قبيلة هوازن... من قيس (عيلان)... من عرب الشمال الحجازية، الذين ينحدرون من صلب نـزار بن معد بن عدنان...". وفي "الإمارات العربية في بلاد الشام" ل"د.محمد محمد مرسي الشيخ" (مرجع سابق، ص ٢١): "وينتسب... بنو مرداس إلى بني كلاب. وبنو كلاب هؤلاء بطن من ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة بن قيس. أي إنهم من العرب المضريين".

169 - البيطار، د. أمينة: موقف أمراء العرب...، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

170 - ابن العديم: زبدة...، ج ١، مرجع سابق، ص ٢٢٣-٢٢٤. راجع أيضاً: ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٣، ص ٢٤٨. أيضاً، د. أمينة البيطار: موقف أمراء العرب...، مرجع سابق، ص ١٢٧. وابن الأثير: الكمل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٦١.

البلاد..."[١٧١]. ولقد أسفرت هذه المحالفة التي تعكس مدى تغلغل العنصر العربي في المجتمع السوري وبلاد الشام، عن سيطرة بني مرداس على مناطق حلب وعلى قسم كبير من لبنان، بما في ذلك عكار. ففي العام ٤١٦هـ (١٠٢٥م) "ملك صالح بن مرداس حمص وبعلبك وصيدا وحصن بن عكار (في ناحية طرابلس) معما كان في يده من الرحبة ومنبج وبالس والرفنية"[١٧٢].

وبطبيعة الحال من يملك حصن بن عكار لا بد له من أن يملك القبيات الملاصقة لبلدة عكار، ومن أن يقيم في منطقة حكمه أنصاره وعشائره. ولربما كان، على الأرجح، "قصر كليب" في شويتا (القبيات) يعود إلى تلك المرحلة، وإلى تلك العشائر الكلابية.

الأكراد والتركمان في عكار (والقبيات)

بدأ التسرب التركي البطيء إلى المجتمع العربي على أبواب منتصف القرن التاسع للميلاد، لا سيما في زمن الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ) (٨٣٣-٨٤١م). ثم استفحل أمر العناصر التركية في زمن الطولونيين والأخشيديين. وفي أيام المرداسيين بدأ شأن الأكراد والترك (التركمان) يتعاظم. وفي هذا يقول محمد محمد مرسي الشيخ: "لم تكن طائفة الترك والتركمان ومن صاحبهم من الديالمة والكرج وغيرهم هي الطوائف الوحيدة التي عرفها العصر المرداسي، فلقد كان الأكراد يمثلون عنصراً هاماً من رعايا الإمارة، ويتردد في الكتب المعاصرة أسماء رجال من الأكراد خدموا لدى أمراء بني مرداس، وفي شيزر، وفي طرابلس أيضاً. مما يوحي بأن انتشار هذه الفئة لم يكن قاصراً على إمارة بعينها"[١٧٣]. ويكفي للدلالة على أهمية العنصر الكردي هو تغييرهم لأسماء بعض المواقع التي صارت تعرف باسمهم: الأكراد. من ذلك حصن الصفح أو السفح الذي أسكن فيه المرداسيون جماعة من الأكراد فصار يُعرف باسمهم: "حصن الأكراد"[١٧٤].

---

[171] - الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى: تاريخ الأنطاكي "المعروف بصلة تاريخ أوتيخا"، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، جروس-برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠، ص ٣٩٠. ومما تجدر ملاحظته في هذه المحاولة أنها تجاوزت الصراع التاريخي بين القيسيين واليمنيين. فبنو مرداس الكلابيون قيسيون، بينما عشائر الكلبيين والطائيين يمنيون.

[172] - الأنطاكي: المرجع السابق، ص ٤٠٢. يذكر ذلك أيضاً ابن العديم (زبدة...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٣٠): "وملك صالح في هذه السنة (٤١٦هـ/١٠٢٥م): حمص، وبعلبك، وصيدا، وحصن ابن عكار بناحية طرابلس. وكان بيده الرحبة، ومنبج، وبالس، ورفنية".

[173] - د. محمد ممحمد مرسي الشيخ: الإمارات العربية...، مرجع سابق، ص ٤٥١.

[174] - المرجع السابق، ص ٤٥١: "يذكر المؤرخ ابن شداد أن شبل الدولة نصر المرداسي أرسل في سنة ٤٢٤هـ (١٠٣٣م) فرقة من الأكراد للدفاع عن قلعة تقع إلى الشرق من أنطرطوس على جبل الخليل

استمر الترك والكرد في التغلغل في المجتمع السوري عامة، والعكاري خاصة، في عهدي المماليك والعثمانيين، حتى بات متعذراً تقريباً البت في الأصل الإتني لبعض السلالات التي حكمت عكار وقسماً من لبنان وسورية، مثل آل سيفا الذين يخلط الباحثون بين أصلهم الكردي أو التركماني(١٧٥)، ومثل المراعبة الذين يرى بعضهم أصلهم عربياً والبعض الآخر كردياً(١٧٦).

خلاصة الأمر بعد هذا العرض للإتنيات والأقوام التي استوطنت عكار غلبة الطابع العربي عليها لجهة الإتنية واللغة معاً. ومع استقرار الأمور في زمن الآمبراطورية العثمانية، كانت البنية الإتنية قد ترسخت بدءاً من عهد المماليك. وما حصل لاحقاً من تغيرات إتنية في عكار لم يؤدِ إلى أي انقلاب جذري في هذه البنية الإتنية. ولعل السرد الذي قدمه د. فاروق حبلص يلخص بشكل جيد مسار التركيبة الإتنية العكارية الراهنة(١٧٧).

كانت تُسمى قلعة الصفح ولذلك أُضيف اسمها لأولئك المدافعين عنها فعرفت بعدئذ بحصن الأكراد". أما جوزف اليان فيقول: أرسل المرداسيون عام ٤٢٢هـ (١٠٣١م) الذين كانوا يحكمون حلب... جالية كردية إلى جنوبي بلاد العلويين – فعرفت المحلة التي أتوا إليها باسم حصن الأكراد"، بنو سيفا، ولاة طرابلس (١٥٧٩ – ١٦٤٠)، منشورات دار لحد خاطر، منشورات الدائرة، بيروت، ١٩٨٧، ص ١٧.

[175] - راجع: اليان، مرجع سابق، من ص ١٧ إلى ص ٣١، حيث يلخص المؤلف وجهات نظر المؤرخين في "نسبة بني سيفا"، وتأرجحها بين رواية تجعلهم أكراداً وأخرى تركماناً.

[176] - راجع: خالد مصطفى مرعب: الإمارة المرعبية، امتدادها الجغرافي وتطورها السياسي حتى سنة ١٨٤٠، ج ١، إشراف د. فاروق حبلص، دار البخاري، طرابلس، لبنان، ١٩٩٢. يعالج المؤلف في الفصل الثاني (ص ٥٣ حتى ص ٨٤) من الباب الأول "أصل الأمراء المراعبة ونسبهم". ويرفض اعتبارهم من الأكراد، فيصر على عروبتهم من بني أسد من خزيمة من منطقة نجد في بلاد شمالي الحجاز (ص ٧٠). وحول كيفية اندراج التركمان والأكراد في المجتمع السوري، من المفيد مراجعة: نوفان رجا الحمود، العسكر في بلاد الشام (في القرنين السادس عشر والسابع عشر)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.

[177] - حبلص، د. فاروق: تاريخ عكار...، مرجع سابق، راجع القسم الثاني، الفصل الثاني، "أصول السكان" من ص ٢٧٥ حتى ص ٢٩٤.

الفصل الثاني
في عائلات القبيات وأصولها

في "كتاب منتخبات التواريخ لدمشق" يطرح محمد أديب الحصني صعوبة التحقيق في أصول الأمم التي استوطنت البلاد الشامية، نظراً لغموض تاريخها القديم[١٧٨]. ومن الطبيعي أن ترتفع درجة هذه الصعوبة بازدياد الغموض عندما يتعلق الأمر بوضع تاريخ وأصول العائلات، خاصة متى كانت متواضعة في حضورها ودورها التاريخي. ولكن كتابة تاريخ العائلات عند الموارنة يزداد صعوبة بحكم موقف إيديولوجي يسعى ليقيم حداً يفصل ما بين الأصول العربية لبعض العائلات وانتمائها إلى المارونية. ويبدو أن هذا الموقف هو استمرار وانعكاس للدعوة بفصل "الماروني" عن محيطه الجغرافي والمجتمعي. كما هو استمرار وانعكاس للقول ب"أصالة مارونية" مزعومة ترفض أي صلة بين أبنائها وأبناء الطوائف والديانات الأخرى، أو أي صلة بين الماروني والعربي. فكأن المارونية إثنية لم تعرف الاختلاط بغيرها، وكأن من دخلها لم يخرج منها، ومن ليس منها أصلاً لن يعرف طريقاً إليها. ولعمري في هذا "مأساة" الموارنة. ومن قبيل هذا القول المساواة بين الموارنة والمردة وما جرَّه من حوار كان من المفروض أن يكون قد قفله وأنهاه المطران يوسف دريان في مطالعته الرائعة في "البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة"[١٧٩]. ومن هذا القبيل أيضاً الحوار الذي اشترك فيه رجال الدين (ومنهم الموارنة) حول أصول العائلات المارونية المذهب، إذ انبرى البعض رافضاً صلة العائلات المارونية بأي أصول عربية، لاسيما بعد نشر "ديوان خواطر الجنان ونظم أزاهر البيان" و"نبذة تاريخية عن أصل نسب بعض أهل قرطبا"[١٨٠]. وقام كل من الخوري اسطفان البشعلاني[١٨١] والأب

---

[178] - الحصني، محمد أديب آل تقي الدين: كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له د. كمال سليمان الصليبي، ج ١، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩، ص ٣٢: "من أغمض الغوامض وأشكل المشكلات عند المؤرخين المحققين تحقيق أصول الأمم التي استوطنت هذه البلاد قديماً لما ذكرناه من غموض تاريخها القديم...".

[179] - دريان، المطران يوسف: كتاب البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة، دار كنعان، طبعة جديدة طبق الأصل، ١٩٨٤. يعود نشر الكتاب لعام ١٩٠٣

[180] - السخني القرطباوي، الأب أوغسطين سالم: ديوان خواطر الجنان ونظم أزاهر البيان، طُبع على نفقة نسيبه السيد لويس رحال، سنة ١٩٣٩.

[181] - البشعلاني، الخوري اسطفان: تاريخ بشعلي وصليما، بيروت، ١٩٤٨.

الكفرنيسي[١٨٢]، برفض ما ورد في "خواطر الجنان..." عن أصول بعض العائلات القرطباوية وغيرها، ورفضا أي عودة بهذه الأصول إلى ما قبل القرن الخامس عشر أو السادس عشر، لعدم القدرة على "التثبت من تلك الأنساب والأسماء وتحقيقها"[١٨٣]. ثم قام الخورسقف يوسف زيادة برد مزاعم البشعلاني والكفرنيسي مؤكداً على سلامة مراجع "ديوان خواطر الجنان..."[١٨٤]. وفي رده هذا أورد كلاماً للخوري اسطفان البشعلاني يكشف فيه سبب رفضه (رفض البشعلاني) لأي أصول عربية للموارنة: "إن القس غسطين فتح فتحاً مبنياً يقلب أوضاعنا ويغير وجه تاريخنا ويهدم كل ما بناه علماؤنا هو وصاحب كتاب "أصدق ما كان" فكلاهما يتنازعان مارونيتنا الأول بالأصل العربي والثاني بالأصل اليعقوبي"[١٨٥]. ولقد رد القس يوسف اسكندر على كلام البشعلاني بما لا يحتاج إلى أي توضيح، قائلاً: "وجوابنا: مما تقدم يتضح سبب اجتهاد الخوري بشعلاني لإنكار وجود نبذة القس يوسف اسكندر، وهو خوفه من تضعضع المارونية. فهل إذا كان أصل بعض الأسر المارونية عربياً يضير أمجاد الطائفة لا بل ألا يكون ذلك دليلاً واضحاً على حيويتها ونهضتها واكتسابها عناصر غريبة عنها؟"[١٨٦].

هذا الحوار الذي لم ينقطع يوماً ما – وأن كانت غلبة "الأصالة" المارونية "المنزهة" عن كل إرث عربي راجحة في التاريخ الماروني- استأنفناه في العام ١٩٨٦، مع وضعه في سياقه الإيديولوجي وكشف وظيفته في التعبئة السياسية الهادفة إلى فصل الموارنة – ولبنان إن أمكن- عن المحيط العربي، باعتماد مقولة "الأمة المارونية" واستطراداً الفينيقية، وأحياناً اللبنانية[١٨٧]. وقد ردّ علينا في حينه د. فؤاد سلوم، بمقال بعنوان (القبيات مارونية أصلاً واستمراراً) يوحي بالأصالة المارونية التي لا يرغب صاحبها بأن "تشوبها

---

182 - الكفرنيسي، الأب بولس مبارك الخوري: تاريخ عائلة الخوري تادي ومواطنها، طبع في الشياح – لبنان،١٩٥٧.

183 - المرجع السابق، ص ٥٧ – ٥٨.

184 - زيادة، الخورسقف يوسف: "القس الخوري يوسف اسكندر القرطباوي"، المشرق، السنة ٥٣، تموز – ت١ ١٩٥٩، ص ٤٣٣ – ٤٥٤.

185 - المرجع السابق، ص ٤٤٥.

186 - المرجع السابق، ص ٤٤٥. يندرج في هذا السياق العقلاني الرصين، دون أن يكون طرفاً مباشراً في الحوار، الشيخ أدمون بليبل، في مؤلفه "تقويم بكفيا الكبرى"، مطبعة العرائس، بكفيا – لبنان، ١٩٣٥، ص ١٧، حيث يقدم لكلامه على "أصل سكان ناحية بكفيا" قائلاً: " ينقسم أصل سكان ناحية بكفيا كما ينقسم أصل جميع اللبنانيين إلى ثلاثة أقسام. فالقسم الأول متحدر من سلالة ارامية – فينيقية. والثاني من سلالة عربية. والثالث من سلالات مختلف الأعاجم الذين فتحوا هذه البلاد براً وبحراً وظل بعض أبنائهم فيها فاستعربوا أخيراً كما استعرب الآراميون والفينيقيون بعدما استولت العربية عليهم ونشرت علومها وثقافتها في ربوعهم. هذا من جهة الأصل والنسب أما من جهة الأديان والمذاهب فان بعض اللبنانيين كانوا مسيحيين قبل الاسلام فحافظوا على دينهم. وبعضهم أسلموا في سوريا وداخلها فرجعوا إلى دين أجدادهم بعد مجيئهم إلى لبنان. ومنهم من كانوا مسلمين في سوريا ومصر وشبه الجزيرة العربية فحافظ بعضهم على الدين الاسلامي واعتنق البعض الآخر الدين الدرزي وتنصر غيرهم لأسباب خاصة".

187 - عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات – ملف"، مقال سابق، الشمال، ص ٣٢ – ٥٦.

شائبة" عربية أو من طوائف أخرى، مسيحية أو غيرها[١٨٨]. وهنا سنستأنف ذات الحوار مع د.سلوم والسيد يواكيم الحاج[١٨٩].

ما كان يخطر ببالنا يوم قمنا ببحث (في أواخر السبعينات من القرن المنصرم) في "العلاقات السياسية في القبيات"[١٩٠] أن أبناء هذه البلدة يهتمون بالأنساب وبأصول عائلاتهم. بيد أن ظننا هذا سرعان ما تبين ضعفه. فكثير من عائلات القبيات تتناقل "خطاباً" معيناً يحدد أصلها ومنبتها وبعض تاريخها. والبعض منها لا يتمسك بمجرد رواية شفهية، بل يحتفظ بوثائق مطبوعة ومنشورة، قد تكون صحيحة أو وهمية، لكن أهميتها تكمن في اقتنائها والإعتراف بها. ولقد عثرنا على قسم من مخطوط لأقدم من كتب في تاريخ القبيات، الخورسقف الزريبي، يعرض فيه تسلسل عائلات عبدو والزريبي وبريدي وصياح[١٩١]. كما أن بعض أبناء عائلة ضاهر حاول وضع شجرة (جدول) عائلية[١٩٢]. وكذلك الأمر بالنسبة لعائلة غصن[١٩٣]. كما أن هناك محاولة متواضعة قام بها أحد أفراد فرع من عائلة حنا، من بيت جبور[١٩٤]. ويحتفظ بعض أبناء عائلة الشدياق برسم أنيق لشجرة نسب العائلة. لم نعتمد في عرض عائلات القبيات معياراً محدداً، وإن كنا حاولنا أحياناً تغليب التقدير التقريبي لعدد أبناء العائلات. وعليه لا يعكس تسلسل ورود العائلات أي أهمية غير (أحياناً) أهمية عدد أفرادها التقريبي.

عائلة حنّا

لم تنجح كل المحاولات في بحثنا حول هذه العائلة في كشف أصلها وتحقيقه، ولا في رسم تسلسلها وصولاً إلى جد مشترك هو مؤسسها في البلدة. يرى كل فروع هذه العائلة السبعة (حنّا، موسى، أنطون، جبور الياس وجبور حنّأ، نادر، ملحم، رفقة) أنهم ينتسبون كلهم[١٩٥] إلى أصل واحد، ولكنهم لا

---

188 - سلوم، د. فوءاد: "القبيات مارونية..."، مقال سابق، الشمال.

189 - لنا عودة إلى هذا الحوار تحت عنوان "الموارنة في عكار والقبيات".

190 - ABDALLAH, Joseph: Rapports du Pouvoir. . ., op. cit. .

191 - هو دفتر مخطوط من ١٤ ورقة (طول ٢٠ سنتم وعرض ١٣ سنتم)، بالحبر الأسود. وضعه الخورسقف الزريبي، في العشرينات أو الثلاثينات من القرن العشرين، استناداً إلى محادثاته مع المسنين وإلى بعض المراجع والوثائق. وأغلب الظن أن هذا الدفتر فقد قسماً من أوراقه، وأن له تتمة ما.

192 - هذا ما حاوله الأستاذ شاهين نادر (ضاهر) وطوني نادر (ضاهر)، وحصلنا منهما مشكورَين على صورة عن عملهما.

193 - قام الأستاذ إيلي ماجد غصن بمحاولة وضع جدول لعائلة غصن. وبعض أبناء هذه العائلة يحتفظ بنبذة تاريخية قصيرة عن عائلة غصن عموماً، وضعها ونشرها يوسف سليم غصن، بعنوان: تاريخ آل غصن(١٣٠٥ – ١٩٥٨)، وهي عبارة عن أربع صفحات مطبوعة بتاريخ ١٩٥٨.

194 - قام الأستاذ طنوس جبور بمحاولة وضع جدول بتسلسل جب آل جبور.

195 - لعل فرع رفقة اندرج حديثاً نسبياً في هذه العائلة، وذلك في سياق مشروع سياسي محلي، قام به ابراهيم موسى حنا (الملقب ابراهيم النجار)، الذي كان أول من عمل على توحيد عائلة حنّأ ليضمن لنفسه أتباعاً يمكنونه من بلوغ رئاسة أول مجلس بلدي في القبيات، ١٩٢١ – ١٩٢٤. وفي مقابلة لنا مع السيد عبود رفقة (١٩٨٠/١١/١٥) أكد فيها أن بداية جمع العائلة وتوحيدها كان بالسعي لبناء مدفن مشترك لكل العائلة.

يتمكنون من ضبط صلات القرابة بين هذه الفروع. تقيم هذه العائلة في أربعة أحياء في القبيات: الغربية، الضهر، الذوق، غوايا. ومنها خرج أول رئيس لأول مجلس بلدي في القبيات، هو السيد ابراهيم موسى حنا (ابراهيم النجار) في مجلس ١٩٢١-١٩٢٤. كما أنها قدمت ثلاثة مخاتير في حي الضهر، مركز التواجد الرئيسي لهذه العائلة. ولا يعود وجود هذه العائلة في القبيات لغير أكثر من ٢٠٠ سنة بقليل[١٩٦]. لديهم أقارب في ربلة (سورية).

عائلة زيتونة: أصل هذه العائلة من حوران كما يرى الاستاذ المرحوم عبدالله زيتونة[١٩٧]. وأبناؤها لا يعرفون تاريخ وفودهم إلى القبيات. ولقد أتوا كرعاة مع مواشيهم[١٩٨]. ولديهم أقارب في ربلة (سورية) يتبادلون الزيارات أحياناً معهم، كما هو شأن عائلة حنّا، لا سيما في المواسم الانتخابية. والعائلتان (حنّا وزيتونة) تعتبران أن فرعيهما في ربلة ذهبا من القبيات إلى هناك. كانت هذه العائلة، في مطلع القرن العشرين تضم أكبر عدد من فقراء القبيات[١٩٩]. تتوزع هذه العائلة إلى خمسة فروع: الخوري، أنطوان، ابراهيم، فارس، سلوم. وهذه الفروع لا تستطيع تحديد صلتها القرابية ونسبتها إلى الجد المشترك، مع قناعتها بتكوين عائلة واحدة.

عائلة الشدياق

يحتفظ بعض أبناء هذه العائلة بشجرة عائلة تعود بأصلها إلى مؤسس العائلة "الجد الأول الشدياق شاهين المشروقي"[٢٠٠]. وثمة نص من ثلاثة أسطر في أسفل هذه الشجرة النسبية يؤكد أنها تختص فقط بعائلة شدياق القبيات، وعائلة فهد[٢٠١] مما يعني أنهما تتفرعان من عائلة واحدة، أو هما فرعان لعائلة واحدة. وآل المشروقي هم، على حد زعم مسعد منصور مسعد واضع شجرة النسبية، "ينتسبون إلى عشيرة عريقة من صلب الأمير يوحنّا من أمراء لبنان وهو أمير

---

196 - تم جمع معظم معلوماتنا عن عائلة حنّا من مقابلات أجريناها مع: يوسف عزيز حنّا،، ١٩٨٠/١١/١٠، (كان مختاراً في حي الضهر)، أنطون حنّا (١٩٨٠/١١/١٩)، يوسف موسى حنّا (١٩٨٠/١١/٢٢)، الخوري يوسف حنّا (١٩٨٠/١١/٢٢)، الأستاذ طنوس جبور (١٩٨٠/١١/١٠)، الأستاذ محسن سركيس (أوقات متفرقة).

197 - مقابلة لنا معه (١٩٨٠/١١/١٠).

198 - المرجع السابق.

199 - سجلات كنيسة الذوق لعام ١٩١١/١٩١٠.

200 - "أنشئت هذه الشجرة في ٢٠ أيلول ١٩٥٦"، على يد مسعد منصور مسعد، من عشقوت. وهو واضع كتاب "نبذة تاريخية عن بني المشروقي"، مطابع سيما، بيروت، ١٩٥٠. من الملفت للنظر أنه لم يأتِ في كتابه على ذكر عائلة الشدياق في القبيات مع أنه هو الذي ضمهم إلى شجرة النسب التي وضعها.

201 - نثبت هنا هذا النص بكامله: "الجد الأول الشدياق شاهين المشروقي. صدر حتى الآن خمسة فروع من الشجرة النسبية التي غرسها الشدياق شاهين المشروقي الوافد من صدد الشرق إلى حصروت عام ١٤٧٠ والتي قام بجمعها وتأليفها مسعد منصور مسعد واضع تاريخ بني المشروقي تمثل فرعاً واحداً من سبعة فروع أخرى ستنتشر تباعاً. أما باقي الفروع قد انتهى وضعها وجاهزة للطبع، أما الفرع الذي نسبته أعلاه من أصل هذه الشجرة المكوّن من عائلة شدياق القبيات وعائلة فهد".

الموارنة الذي قتل في قب الياس من قرى البقاع بمكيدة كادها له يوستينيانوس الأخرم بن الملك قسطنطين اللحياني ملك الروم سنة ٦٨٥... وآل المشروقي ينتسبون إلى جدهم الجامع الشدياق شاهين المشروقي الذي نشأ في حصرون في جبة بشري من مقاطعات لبنان الشمالي في أوائل القرن الخامس عشر. أما لقب مشروقي فقد لقب به هذا الجد الجامع لهجرته موطنه حصرون إلى صدد الشرق في جوار حمص مع من هجرها من سكانها تخلصاً من ظلم الحاكم وهرباً من الضيق الذي استحوذ على الناس من جراء ذلك. وكان عوده إليها توافر أسباب الرزق فيها واستتباب الأمن في ربوعها على ما رواه الدويهي في تاريخ الطائفة المارونية"[٢٠٢]. بيد أن العودة إلى ما رواه الدويهي تفيدنا بخبر مغاير لأصل هذه العائلة الشدياق. فالدويهي لا يأتي على ذكر ارتحال هذه العائلة من حصرون إلى صدد الشرق، بل يجعل وفودها من صدد الشرق، في أخبار العام ١٤٧٢، من ضمن مهاجرة أوسع ضمَّت عدة عائلات جاءت بلاد الجبة وهناك تعاضدت مع اليعاقبة. ففي "تاريخ الأزمنة"، وأثناء روايته لاتساع "غواية" اليعاقبة، يذكر وفود عائلات مشرقية دعمت الدعوة اليعقوبية: "...كبرت شوكتهم (أي شوكة اليعاقبة) وصاروا يتباينوا جهراً في جبة بشراي وتبعهم كثيرون من بقوفا وقرية موسى وغيرهم، وجاءت بعض أعيال من بلاد الشرق صددية وأخذوا السكنة في الجبة، مثل بيت شاهين في حصرون، وبيت الحج حسن في حدشيت وغيرهم... ومحول معهم المقدم الجاهل، فأدخلوا ضرراً عظيماً على بيعة الله"[٢٠٣]. ويبدو أن السيد مسعد منصور مسعد قد اقتفى في تأريخه لعائلة الشدياق أثر السيد سليم مخايل عواد في مؤلفه "الأسرة الحصرونية او بيت المشروقي". وكان سبق للفيكونت فيليب دي ترازي أن ناقش عواد هذا في أصل أسرة الشدياق، وفي كيفية تشويشه وتزويره (الهاء لعواد) لما تقدم به سابقاً البطريرك الدويهي، حيث كان يحدد أصل عائلة الشدياق الصددية وانتماءها اليعقوبي[٢٠٤].

---

202 - مسعد، مسعد منصور: نبذة تاريخية...، مرجع سابق، ص ١٠ – ١١. وفي مكان آخر من نفس المؤلف يقول: "... الشدياق شاهين المشروقي، الذي نزح مع أولاده من صدد الشرق إلى حصرون في جبة بشري في ولاية المقدمين سنة ١٤٧٠ واستوطنوها ثم تفرقت ذريته في أنحاء مختلفة من لبنان وسوريا..." (ص ٢٠). راجع: ص ٨٨ – ٨٩.

203 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة...، مرجع سابق، ص ٣٦٢.

204 - دي ترازي، الفيكونت فيليب: أصدق ما كان ...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٧، وخاصة من ص ٧٢ حتى ص ٧٤. يثبت دي ترازي نصوص الدويهي بحرفيتها: "كبرت شوكة اليعاقبة وصاروا يتباينوا (يتظاهرون) جهراً في جبة بشري. وتبعوهم كثيرين من بقوفا وقرية موسى. وجاءت بعض عيال من بلاد الشرق صددية أخذوا السكنة (السكنى) في الجبة من بيت شاهين في حصرون وبيت الحاج حسن في عمشيت وغيرهم الذين كانوا مقاوى (أقوياء) في المال" (ص ٢٧). "ثم قرأنا في "تاريخ الطائفة المارونية" تأليف البطريرك الدويهي عينه وقد نشره عام ١٨٩٠ المعلم رشيد الشرتوني ما نصه: "وبسبب ما اشتهر به لبنان آونئذ من الأمن والطمأنينة قصده الناس من الأماكن البعيدة مثل أولاد جمعة الذين تركوا عين حليا وسكنوا بشري. وأولاد شاهين الذين رحلوا من صدد الشرق وسكنوا قرية حصرون. والخوري يوحنا والقس ايليا وأخوهما الشدياق جرجس أولاد الحاج حسن انتقلوا من نابلس إلى حدشيت" (ص ٧٣).

إن أحداً لا يوضح كيفية اتصال نسب عائلة الشدياق في القبيات بعائلة الشدياق في باقي المناطق، وإن كان مسعد منصور مسعد، واضع الشجرة النسبية لعائلة الشدياق (القبيات) يوحي، كما ظن فوزي اسحق، بعمله هذا بصلة ما، بين شدياق - القبيات وشدياق - عشقوت، مقرراً: "أن مؤسس عائلة فهد في القبيات نزح من عشقوت-قضاء كسروان في تاريخ مجهول"[٢٠٥]. أما السيد يواكيم الحاج فيقول: "واستناداً إلى شجرة عائلة وهبة وحاكمة التي نظمها وجمعها السيد مسعد منصور مسعد صاحب تاريخ بني المشروقي والمؤرخة بتاريخ ٢٠-٩-١٩٩٣[٢٠٦] وما ذكره (الدكتور فوزي نقولا اسحق) في رسالة ماجستير[٢٠٧]... فإن آل فهد وآل الشدياق وآل حاكمة وآل وهبة وآل رزق، هم جميعاً ينتسبون إلى الشدياق شاهين بن رعد الحصروني الملقب بالمشروقي والله أعلم"[٢٠٨].

ينفرد، على حد علمنا، الخورسقف بطرس حبيقة بذكر انتقال فرع "من نسل الشدياق شاهين الملقب بالمشروقي" إلى القبيات عكار، ويعين تاريخ هذا الانتقال بالقرن السادس عشر، وذلك في سياق كلامه على أصل عائلة خلف، فيقول: "عائلة خلف: أصلها: من أسرة شاهين المارونية في رأس بعلبك، وهي

---

205 - اسحق، فوزي: القبيات، دراسة...، مرجع سابق، ص ٨١، حيث يقول: "يتبين من هذه الشجرة أن مؤسس عائلة فهد في القبيات نزح من عشقوت...". وفي الحقيقة ليس في هذه الشجرة ما يوحي بذلك. كما أن واضع هذه الشجرة، مسعد منصور مسعد، لم يأت على ذكر فرع عائلة الشدياق في القبيات في مؤلفه "نبذة تاريخية عن بني المشروقي"، مرجع سابق.

206 - إن واضع الشجرة النسبية لعائلة وهبة وحاكمه هو السيد ابراهيم وهبة، لا مسعد منصور مسعد. وهذا واضح للغاية في مؤلف السيد يواكيم الحاج بالذات (ص ٦٣٨)، حيث جاء على يسار الشجرة النسبية: "عائلة وهبه وحاكمه. جمعت هذه الشجرة من قبل السيد ابراهيم وهبه واستشير الخوري الزريبي (؟) بتصحيح بعض المعلومات عن صلب الشجرة. القبيات – تاريخ ٢٠- ٩ – ١٩٩٣."؛ وعلى يمين الشجرة ما يلي: "الجد الأول الشدياق شاهين الحصروني (؟)" ...؛ وكلام يفيد بأنه تمت الإستعانة بالشجرة التي وضعها مسعد منصور مسعد بتاريخ ٢٠ – ٩ – ١٩٥٦. راجع: يواكيم الحاج: عكار في التاريخ...، ج ٢، مرجع سابق، ص ٦٣٨. هكذا بدل أن يقول: استعان ابراهيم وهبه في وضع شجرة شدياق القبيات بالشجرة التي وضعها مسعد منصور مسعد، يقول عن هذه الشجرة "نظمها وجمعها" مسعد بالذات!

207 - هَزلت مسألة استخدام الألقاب العلمية. صاحب رسالة الماجستير صار دكتوراً، كما صار كل ناسخ ومجمع للأخبار "من هب ودب" مؤرخاً. لا بأس في زمن صار فيه كل أمي جمع ثروة من تجارة "التهريب" مرشحاً للانتخابات وينادونه "أستاذاً".

208 - الحاج، يواكيم: المرجع السابق، ص ٦٣٧. في الكلام عن ارتحال شاهين المشروقي من صدد إلى حصرون، يعين السيد يواكيم تاريخ عام ١٥١٥ زمناً لهذا الارتحال، مغيراً كلام البطريرك الدويهي وناسباً له ما لم يقله، لأن البطريرك عيّن عام ١٤٧٢، ومغالطاً حقيقة تاريخية بدهية يدرسها طلاب المرحلة الابتدائية في مادة التاريخ، وهي أن السلطان سليم العثماني انتصر على سلطان المماليك قانصوه الغوري عام ١٥١٦. وما يذكره البطريرك الدويهي عن حركة الانتقال والمهاجرة في زمن غلبة السلطان سليم العثماني للسلطان قانصوه الغوري لا يشمل أبداً عائلة الشدياق. وإذا كان السيد يواكيم الحاج قد قرأ لفظة الشدياق في كلام الدويهي، فهي "للشدياق سركيس بن الخازن...". يقول الدويهي: "كذلك النصارى (جاؤوا) من بلاد طرابلس فسكنوا أهالي المجدل في عرامون، وأهالي يانوح في كفور الفتوح، والشيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن مخايل من يانوح في اغزير، وبيت كميد وكذلك الشدياق سركيس بن الخازن في سنة انمه (أي ١٥٤٥ مسيحية)..."، الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٣٩٢. قارن مع ما جاء في نص "المؤرخ" السيد يواكيم الحاج!

من نسل الشدياق شاهين الملقب بالمشروقي من سلالة رعد الحصروني... إنه في القرن السادس عشر نشأ في رأس بعلبك رجل منهم (نسل الشدياق...) عنده ستة شبان وبنت، نزلت يوماً لتستقي الماء من المجر فاعتدى عليها أمير من بني حرفوش فقتله إخوتها ورحلوا إلى النبك وجنين ونابلوس وحسية وأميون والكورة والقبيات عكار وهؤلاء موارنة..."[٢٠٩].

وإذا كانت عائلة الشدياق شاهين المشروقي قد انتهت باستقرارها في مواقع معلومة لحد كبير، فمن غير المعروف تماماً كيف وصل فرعها "القبياتي" إلى البلدة. فهل أتى من الجبل اللبناني؟ أم أنه حلّ في القبيات في سياق الترحال؟ أسئلة تبقى معلقة، بدون إجابة أكيدة. بيد أنه من المؤكد تقريباً أن هذه العائلة استقرت في القبيات في زمن قديم نسبياً، ولعلها أسبق في حضورها المحلي من عائلتي عبدو وضاهر مثلاً. قدمت هذه العائلة، الشدياق، أول وجوه معروفين للسلطة المحلية في القبيات، وذلك على ضوء المراجع المتوفرة لدينا حتى الآن. لقد ورد في سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس اسم "رزق بن فهد، شيخ القبيات"، واسم "مطانيوس فهد، شيخ القبيات"[٢١٠].

تضم عائلة الشدياق في القبيات الفروع التالية: فهد، رزق، ضاهر (فهد)، وهبة، حاكمه، الشدياق. وتتوزع إقامة أبنائها في حي مرتمورة والذوق والقطلبة. لا تتمتع هذه العائلة، مجتمعة، بعصبية عائلية، فالعصبية فيها محصورة، على شيء من الوهن، داخل الفروع. وهناك من يظن من بعض أبنائها بالذات أن فرع الشدياق يشكل عائلة مستقلة لا علاقة لها بباقي الفروع المذكورة[٢١١]. وقد يتعزز هذا الاحتمال إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما جاء في مخطوط الأب اغناطيوس طنوس الخوري[٢١٢] حيث يتحدث الأب المذكور عن كل فروع هذه

---

209 - حبيقه، الخورسقف بطرس: تاريخ بسكنتا وأسرها، منشورات الحركة الثقافية – بسكنتا، بدون تاريخ، ص ٢٨٢. يسند حبيقه كلامه إلى مراجع مبهمة وغير محددة.

210 - ورد الأول في السجل رقم ١٣، ص ٣٠٨، في العام ١١٦٤هـ/١٧٥٠م؛ والثاني في نفس السجل لعام ١١٦٦هـ/١٧٥٢.

211 - لفرعي حاكمه ووهبه رابطة عائلية. كما أن السيد مطانيوس وهبه أفادنا (وهو بعمر ٨٠ سنة)، في مقابلة لنا معه، بتاريخ (١٩٨١/١/١٣)، بظنه أن فرع الشدياق هو من غير هذه العائلات وهو عائلة خاصة بنفسها.

212 - الخوري، الأب اغناطيوس طنوس: أبرشية طرابلس المارونية وأسرها ومشاهيرها (مخطوط). هذا المؤلف عبارة عن مخطوط باللغة العربية كتبه الأب اغناطيوس طنوس الخوري (الراهب اللبناني). يتألف من ١٤ دفتر صغير. يحتوي على معلومات عن القرى التابعة لأبرشية طرابلس المارونية منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى مطلع الأربعينات من القرن العشرين. تنطوي هذه المعلومات على: موقع القرية الجغرافي، تاريخها، عيالها، آثارها، كنيسة القرية، كهنتها ورهبانها، مدرستها، مشاهيرها، أحداثها"، راجع: يوسف، الأب جورج: الحياة الثقافية في زغرتا الزاوية (نهاية القرن التاسع عشر – نهاية القرن العشرين) تحليل وثائقي انطلاقاً من مخطوط "تاريخ أبرشية طرابلس المارونية"... بحث لنيل شهادة الدبلوم في العلوم الاجتماعية (علم اجتماع المعرفة)، إشراف د. فريدريك معتوق، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، الفرع الثالث، ١٩٩٨/١٩٩٩، ص ١٠. زودنا الخوري جورج يوسف، مشكوراً، بكثير من معلومات هذا المخطوط المتعلقة بالقبيات.

العائلة مقرراً صلاتها القرابية باستثناء فرع الشدياق فإنه لا يأتي على ذكره(٢١٣). وربما اعتبر أصل العائلة "بيت رزق"، فهو يقول فيهم: "**بيت رزق:** من أقدم عيل مرتمورة. مجهول أصلهم. منهم اليوم أنطونيوس بن الياس بن ابراهيم طنوس رزق، أولاده: ابراهيم والياس ورزق ويوسف. وابراهيم بن يوسف بن ابراهيم طنوس رزق، واخوه حبيب، وهذا أولاده يوسف ومخايل. ويتفرع من بيت رزق **فرع فهد**، منهم مخول بن موسى فهد، وأولاده فهد ويوسف وشكري وسليم. و**فرع انطونيس:** منهم اليوم ساسين طنوس ساسين انطونيوس وأخوه الياس من سكان القطلبة. وبيت فهد منهم في القطلبة يدعون **بيت ضاهر فهد رزق**، ومنهم ضاهر يوسف طنوس ضاهر فهد وأولاده سبعة فهد ويوسف... و**فرع حاكمه**، منهم مخول شاهين حاكمه، ويوسف ولده عسكري في جيش فرنسة. ويوسف جرجس حاكمه وولده وديع. وابراهيم شاهين حاكمه وولداه سليم ويوسف في البرازيل. و**فرع وهبه:** منهم اليوم يوسف مخول وهبه. وجرجس موسى وهبه وأولاده: حبيب ووهيب ويوسف. ويوسف طنوس موسى وهبه عسكري جندرمة لبناني. وعدد بيت رزق وفروعهم المذكورين ٢٥٠ ونيف (مقيمين) و٥٠ مهاجرين. ومنهم الخوري أنطونيوس بن طنوس ضاهر فهد رزق من القطلبة، وكاهنها مات سنة ١٩٠٩ بعمر ٦٥"(٢١٤). لا يأتي صاحب المخطوط على ذكر أي صلة لهذه العئلة بعائلة الشدياق شاهين المشروقي. ويكتفي بقوله: "مجهول أصلهم". وعليه لا يعتبر، على ما يبدو، فرع الشدياق داخلاً في عداد هذه الفروع المذكورة. لكن التقليد العام في هذه الفروع لا يستبعد، وإن كان لا يحسم، وجود قرابة معها. ولقد عثرنا في أوراق ومحفوظات عائلة الزريبي على "حجة بيع" قطعة أرض من "أولاد عيسى الشدياق" إلى أحد أبناء عائلة الزريبي، بتاريخ ٢٥ ك١ ١٩٤٩، وردت أسماء البائعين فيها كما يلي: رزق عيسى الشدياق واخوته: يوسف وابراهيم ونادر وشاهين. وفي نهايتها جاء: "المقرين بما فيه ولاد عيسى الشدياق المشروقي"(٢١٥).

عائلة ضاهر

في مطلع كلامه على هذه العائلة يقرر السيد يواكيم الحاج بأنها تنتسب إلى عائلة الرزي، ويجعلها فرعاً من المشايخ آل الضاهر في الزاوية. فهو يبدأ كلامه: "ينتسب المشايخ آل الضاهر في القبيات إلى جدهم الأعلى أبو شديد ضاهر الرزي. وان أسرة بني الرزي أصلها من حوران في سورية، وقد انتقلوا إلى لبنان على أثر المضايقات التي كان يتعرض لها المسيحيون في سورية، ونزلوا في العاقورة. هذا ما يؤكده تاريخ العاقورة لمؤلفه الخوري لويس الهاشم،

---

213 - لم يغطِ ما وصلنا من المخطوط كل عائلات القبيات، وكاد ينحصر ما وصلنا بعائلات حي مرتمورة، ولعله لهذا السبب لم يذكر فرع الشدياق.

214 - مخطوط أبرشية طرابلس...، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٥ – ١٧٦.

215 - راجع الوثائق الملحقة.

صفحة ٤٨٣، كما جاء حرفياً فيه: "... أسرة الضاهر قيل انها نزحت من العاقورة إلى ذوق القبيات في بلاد عكار"[٢١٦].

وفي الحقيقة إن ما يتقدم به السيد الحاج هنا، على الرغم من كل أسانيده، هو مجرد اختلاق لا أساس له من الصحة. فجميع من تحدث عن عائلة الرزي، وعائلة الضاهر في الزاوية، والذين يستشهد بهم السيد الحاج بالذات، لم يأتوا على ذكر أي ربط، ولو تلميحاً، بين عائلة "ضاهر" في القبيات وعائلة "الضاهر" في الزاوية، أو عائلة الرزي. والخوري لويس الهاشم تحدث، عرضاً، عن نزوح عائلة "ضاهر" لا "الضاهر" إلى القبيات. وهو لم ينسب "ضاهر" المنتزح إلى القبيات إلى عائلة الرزي، ولا اعتبره من مشايخ "الضاهر". كما أنه ذكره في سياق الكلام على العائلات القليلة الأهمية. أما نص الخوري الهاشم فقد جاء، حرفياً، كما يلي: "أسرة ضاهر... قيل... نزحت إلى ذوق القبيات في بلاد عكار"[٢١٧].

ومن المعلوم أن عائلة ضاهر في القبيات ليست في الأصل من عائلات المشايخ المعروفة في لبنان والمنطقة، بل هي بلغت ذلك تدريجياً، فحملت لقب أفندي ثم شيخ (وكان المقصود به شيخ قرية، وهذا نوع من المشايخ الصغار).كما أن الكنية "ضاهر" كنية مستحدثة، فالكنية الأساسية هي "سعد". وفي موشح نظمه الخورسقف الزريبي، بتاريخ ٢٣ نيسان ١٨٨٢، يقول مادحاً طنوس "أفندي" ضاهر[٢١٨]:

"يا **بني سعد** تعالى بدركم   فوق أين المجد من هذي الديار".

وفي ٣ ك[١] ١٩١٥، وإثر وفاة الشيخ ابراهيم طنوس ضاهر، نظم الخورسقف الزريبي قصيدة رثاء مطلعها:

"لخطب فاصبروا يا **آل سعد**   عليه فالأسى لا عاد يجدي"[٢١٩].

في جدول التسلسل النسبي الذي عمل على وضعه لعائلة "ضاهر" الأستاذان شاهين نادر شاهين (ضاهر) طوني خليل نادر (ضاهر) يرد اسم مطانيوس كأقدم جد للعائلة في القبيات، ومن الابن الأول سعد وعطية وبشور، والتسلسل اللاحق هو من نسل سعد. ومن سعد: شاهين وموسى وطنوس وعبدو. ومن شاهين: ضاهر ونادر وابراهيم. ولعل فرع ضاهر هو الذي اكتسب الشهرة، فاستمدت العائلة كنيتها منه مع الزمن. بينما استمرت كنية سعد محصورة بفرع واحد من فروع هذه العائلة.

---

216 - الحاج، يواكيم: تاريخ عكار...، ج ٢، مرجع سابق، ص ٥٧٨.

217 - الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورة...، مرجع سابق، ص ٤٨٣.

218 - من محفوظات الخورسقف الزريبي، راجع الملاحق. أما مناسبة المديح فيوضحها الخورسقف بقوله: "بينما كنت مع لفيف من التلامذة في النزهة وجالسين على شير الباطية بالقرب من جونية، وإذ ورد إليّ تحرير من... رفعتلو طنوس أفندي ضاهر من القبيات افتقاداً عن صحتي وأحوالي ويطمني عن صحة والدي وأهلي فقلت فيه مادحاً:...".

219 - المرجع السابق، راجع الملاحق.

أما حول أصل هذه العائلة ومنبتها، فقد أفادنا الشيخ ميشال ضاهر (مواليد١٩٠٩)، في مقابلة لنا معه، بتاريخ ١٩٨١/١١/١٠: "عائلتنا أصلها من حوران. هكذا أخبرني والدي. كما إني عثرت عند السيدة عطية (لم يحضره اسمها) زوجة عطية، ابن عمنا، لأننا، نحن وهو، من جد واحد، على رق غزال عليه تاريخ عطية وضاهر. مفاد هذا التاريخ أنه كان لأمير قبيلتنا المقيمة في حوران أربعة أولاد وأخ عازب. فقام الأخير بقتل الأمير إثر خلاف معه، وشتت أولاده الأربعة. فغادروا حوران. وربما ذهب أحدهم إلى جبل كيورداغ. والثلاثة الباقون بلغوا وادي النصارى. وبقي واحد هناك في قرية غاب عني اسمها. ومن هناك انتقل الأخيران، فاستقر واحد في بينو وسكن هناك، وتحول إلى مذهب الروم ومنه آل عطية. بينما استقر أخوه في حارة "الغربية"، ومنه تحدرت عائلتنا في القبيات"(٢٢٠). ولقد رفض النائب الأسبق ميشيل ضاهر الرواية القائلة بقدوم "ضاهر" من العاقورة إلى القبيات. كما أن أحداً من العائلة لم يدّع أي انتساب لأسرة الرزي أو لمشايخ الضاهر في الزاوية. ويبدو أن مجيء هذه العائلة إلى القبيات كان متزامناً مع وفود عائلة ثانية كبيرة، هي عائلة عبدو(٢٢١).

يجدر بنا التوقف أمام احتمال أن تكون عائلة ضاهر من "بني سعد" الذين يذكرهم صاحب "تقويم بكفيا الكبرى"، الشيخ أدمون بليبل. يرى بليبل أن جدود اسرته "الأقدمين ينتسبون إلى قبيلة بني سعد العربية المسلمة في الكاظمية قرب بغداد... إن أبناء تلك القبيلة... لا يزالون إلى الآن مقيمين في المكان الآنف الذكر... وإن البعض الآخر انتقلوا إلى بلدة الهرمل في لبنان من نحو تسعين سنة... (ويضيف): والمفهوم عن هؤلاء الأحفاد أن نكبة شديدة ألمت مرة بقبيلتهم فنزح ثلاثة منهم إلى حوران ومنها انتقل أولادهم إلى لبنان الشمالي فإلى قرية جاج، وقد تنصروا لأسباب زمانية ومكانية... أقامهم الأمير منصور العسافي، عام ١٥٤٥، في ساقية المسك (قرب بكفيا)، غير أن البليبليين أقاموا هنا مدة وجيزة ورجعوا إلى عكار... ومنها إلى ساقية المسك ثانية سنة ١٦٠٠"(٢٢٢). فهل يكون أسلاف عائلة ضاهر من إحدى عشائر بني سعد، لا سيما وأنهم عرفوا أصلاً بكنية سعد وما يزال فرع منهم يعرف حتى اليوم بها؟ ولا يقتصر ذكر ارتحال هذه العائلة على اجتهاد الشيخ أدمون بليبل فقط، بل يذكر ذلك أيضاً الأب أنطونيوس شبلي، وهو يحقق وينشر ما جاء به الأب يوسف بليبل الراهب اللبناني(٢٢٣).

---

220 - مقابلة مع النائب الأسبق ميشيال ضاهر في ١٩٨١/١١/١٠.

221 - المرجع السابق.

222 - بليبل، الشيخ أدمون: تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها، مطبعة العرائس، بكفيا، (لبنان)، ١٩٣٥، ص ٢١٢/٢١١. نلفت النظر إلى أن عيسى اسكندر المعلوف يذكر (دواني القطوف...، ص ٣٨) مزار لولي الشيخ سعد في قرية الشيخ سعد، في حوران في قضاء الشيخ سعد (ص ١٦).

223 - شبلي، الأب انطونيوس اللبناني: "الآثار المطوية... نبذة أثرية تاريخية"، المشرق، السنة ٥٣، العدد أيار – حزيران ١٩٥٩، ص ٣١٣/٣٠٥.

عرفت عائلة ضاهر نجاحاً في ميدان التجارة والأعمال، لا سيما تجارة القطران. وأصبحت تدريجياً العائلة المتربعة على رأس السلطة السياسية المحلية، إثر مزاحمتها لعائلة عبدو. وما لبثت أن قدمت ممثلين لقضاء عكار في المجلس النيابي، وفي مجلس الوزراء. تمتاز هذه العائلة بعصبية عائلية فعلية، تكاد تكون فريدة من نوعها في القبيات. لا سيما وأن أفرادها يحسنون إجراء حسابات المعارضة والموالاة لزعامتها، على الرغم من التنافس الدائم داخل العائلة.

قدمت هذه العائلة "شهيداً" في سبيل الاستقلال، هو عبدالله طنوس ضاهر، بعد إدانته من قبل جمال باشا التركي بتهمة التجسس لصالح المخابرات الفرنسية على المصالح العثمانية. يروي الأب اغناطيوس طنوس الخوري عملية وملابسات إعدام "الشهيد" عبدالله ضاهر، على الشكل التالي: "استشهاد عبدالله ضاهر (القبيات): سبب شنقه هو أن الحكومة الفرنسية كان لها دين على السلطان عبد الحميد وأرادت استيفاءه. فقرر السلطان بيع الأملاك التي باسمه في سورية بجوار حمص[٢٢٤] إيفاءً للديون المذكورة. وإذ ذاك كلفت قنصلاتو فرنسة في بيروت العامة عبدالله ضاهر ليدرس أحوال تلك الأملاك. فقام بالمهمة ووضع تقريراً ضافياً بشكل جغرافية مفصلة لكل تلك الأملاك وأحوالها (كلمة غير مقروءة) ومزارعيها وأطوارهم. وأتبعها بنظرياته وملاحظاته مما يتعلق بمصالح فرنسة وسياستها. ولما ضبطت الحكومة التركية بأمر جمال باشا أوراق القنصلاتو وبينها قرار عبدالله المذكور فكان ذلك مما أغضب جمال باشا وأودى بحياة عبدالله مع معظم الذين لهم ذكر في تلك الأوراق"[٢٢٥].

وعلى العموم يبدو لنا أن هذه العائلة الحورانية الأصل هي على صلة قرابة ما بعائلة عبدو الحورانية الأصل أيضاً، وبالبعض من عائلات القبيات وعكار، لا سيما من خلال الإقرار بالقرابة مع عائلة عطية (بينو). سنعود لطرح هذه المسألة بعد أن نتناول عائلة عبدو.

عائلة عبدو

هناك مصدران مخطوطان يقدمان معلومات عن هذه العائلة: أوراق الخورسقف ميخائيل الزريبي، والمخطوط السابق الذكر للأب اغناطيوس طنوس الخوري. يتقاطع هذان المصدران تقاطعاً كبيراً، ملفتاً للنظر حتى لنميل إلى الظن بأن الواحد منهما ربما أخذ عن الآخر. وفي هذا نعتقد أن الأب اغناطيوس استمد معلوماته من الخورسقف الزريبي.

---

224 ـ كانت العبارة هنا بالأصل: "بين حمص وحماه والجزيرة"، ثم قام الكاتب بشطب كلمة "بين"، واستبدلها بكلمة "بجوار"، وشطب "حماه والجزيرة".

225 ـ مخطوط أبرشية طرابلس...، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٧.

يقول الخورسقف الزريبي: "عائلة نادر بالقبيات: قيل أن نادر[٢٢٦] أتى من جهات حوران في عصر ١٧٠٠ تقريباً[٢٢٧] وتوطن في القبيات. وقيل أنه كان له أخوان: عطيه ورعد. فعطيه قطن في قرية بينو، مقاطعة الجومة. ورعد بقي في القبيات، ومنه تفرعت عائلة رعد وميخايل. نادر خلف أربعة أولاد وهم جرجس وعبده وموسى والياس... وابراهيم خلف يوسف وشموني التي هي والدتي وما برحت حية ترزق بعمر ينوف عن ٩٨ بعقل واف، وعنها أخذت هذه السلسلة[٢٢٨].

أما الأب اغناطيوس طنوس الخوري فيقول: "عائلة نادر ورعد. وهما أخوان. وكان لهما أخ آخر اسمه عطيه سكن بينو ونسله اليوم فيها بيت عطيه روم أرثوذكس. وكلهم من حوران. وعام ١٧٠٠ تقريباً توطن نادر ورعد القبيات، وألف نسلهما عائلتين: بيت نادر، ونادر خلف جرجس وعبده وموسى والياس، أجداد لفروع تسمى كل منها باسم واحد منهم. فرع جرجس نادر ونسله اليوم في الذوق ديب بن طنوس يوسف جرجس ، ومخول بن يوسف طنوس جرجس، وأخوه موسى. وفرع عبده نادر أشهر بالوجاهة وكرم الضيافة والنفوذ واحترمه معاصروه لنفوذه وتقواه وكان شيخ القبيات كلها. وورثه أولاده: أسبر وطنوس، عضو إدارة في حلبا، وبرهان ونادر وكانوا عياناً وجهاء في عكار يرعى جانبهم جميع معاصريهم. ومنهم اليوم جواد أفندي ابن برهان المذكور دارس أديب ورئيس بلدية القبيات، (كان) مأمور الريجي سابقاً، وجابي الأموال الأميرية حالياً. وفريد وأنطونيوس ولدا مخول أسبر عبده. والأول جندرمه لبناني، والثاني سرجان بالقناصة اللبنانية. ومنهم أيضاً عزيز نادر (عبده) الثري الكبير الشهير، أبوه عبود نادر عبده نادر، وعبده وأديب أبناء أخي عزيز المثريان نظيره. وفرع موسى (نادر) منهم نادر موسى وولده يوسف في الضهر. وفرع الياس (نادر) في الضهر منهم اليوم أنطونيوس بن جرجس نادر الياس جندرمه لبناني، ونادر بن يوسف بن جرجس نادر الياس. وعدد بيت نادر وفروعهم في القبيات ثلاثماية نفس مقيمين، وماية مهاجرين. وعائلة رعد (الذي هو أخو نادر) كان منهم الخوري يوسف بن ابراهيم رعد، مات سنة ١٩١٦، بعمر ٦٤. (وجاء وراءه) الخوري يوسف الثاني، رسمه عريضة في ١٦ أيار سبة ١٩٢٦، ومات في ٨ ك[١] سنة ١٩٣١ بعمر ٤٢. ومنهم اليوم الياس ابن الخوري يوسف رعد الأول من وجهاء القرية المعتبرين، وتفرع من بيت رعد بيت مخايل، اشتهر منهم ابراهيم نادر مخايل بوجاهته ومكانته، ونادر مخول

---

226 - نقرأ فوق السطر الأول، على مسافة متوسطة بين "أن" وكلمة "نادر" كلمة "أبا"، بحيث يصبح النص: "قيل أن أبا نادر". ونظن الصحيح "نادراً" لا "أبا نادر". تدفعنا لذلك المقارنة مع نص الأب اغناطيس طنوس الخوري.

227 - لعل المقصود هو حوالي العام ١٧٠٠، أو في مطلع القرن الثامن عشر؛ الكتابة المخطوطة هكذا: "عصر سنة ١٧٠٠".

228 - الزريبي، الخورسقف ميخائيل: مخطوط في بعض عائلات القبيات، مرجع سابق.

نادر وجيه معتبر، والخوري يوسف بن الياس بن يوسف بن طنوس مخايل كاهن الرعية الحالي، ولد سنة ١٨٩١، وتعلم في مار يعقوب ورسمه عريضة في ١٦ آذار سنة ١٩٢٩، ومنذئذ يتولى التدريس في مدرسة دير الكرمل بالقبيات (حتى الآن ١٩٣٩). وعدد بيت رعد وبيت مخايل اليوم ٣٥٠ مقيمين و٥٠ مهاجرين"[٢٢٩].

إن هذه المعطيات التي تؤكد على القرابة بين عائلة نادر (عبدو) وعائلة رعد (مع مخايل)، من جهة، وعطيه (بينو)، من جهة ثانية، تطرح أكثر من مسألة بحاجة للتعميق والإيضاح، على مستوى الأصل المذهبي لهذه العائلات (وهذا ما سنعالجه في مكان لاحق) وعلى مستوى التطور الديمغرافي في القبيات، كما على مستوى طبيعة الصلات (بل قل القرابة) مع عائلة ضاهر في القبيات. ولربما استقبلت القبيات هجرة هذه العائلات معاً وفي لحظة واحدة، في مطلع القرن الثامن عشر، ولربما كانت كل هذه العائلات تعود لمنبت أو أرومة واحدة.

بداية يبدو أمراً ثابتاً موضوع القرابة بين عائلة عبدو وعائلتي رعد ومخايل. كما هو ثابت أيضاً أمر قرابتهما مع عائلة عطيه في بينو. ولكن ما هو بحاجة إلى شيء من التوضيح هو الصلة التي تربط هذه العائلات (عبدو ورعد ومخايل وعطيه) بعائلة ضاهر (القبيات). وفي الواقع تقول هذه المعطيات:

أولاً: إن نادر جد عائلة عبدو كان عنده أخوان: رعد (القبيات) وعطيه (بينو).

ثانياً: إن جد عائلة ضاهر كان عنده أخوان: بشور (بدون عقب) وعطيه (بينو).

فهل نحن إزاء نفس شخصية "عطيه" (بينو) ونسله على مذهب الأرثوذكس في الروايتين، أم هناك أكثر من "عطيه" واحد؟ نحن نميل إلى ترجيح كون شخصية "عطيه" واحدة، وهي نفسها في الحالتين، لا سيما وأنه ليس في بينو عائلتان منفصلتان باسم واحد "عطيه". وهذا ما يدفعنا إلى الظن بأن هذه العائلات جميعها (عبدو، رعد (ومخايل)، ضاهر، عطيه) تتحدر من أصل واحد. ولكن لنرَ ما كان عليه موقف كل واحدة منها عندما واجهنا بعض وجوهها باحتمال هذه المعادلة.

تؤكد عائلة عبدو باحتمال كبير لقرابتها مع عائلتي رعد ومخايل، وكذلك مع عائلة عطيه بينو. ولكنها لا تقر بوجود قرابة (غير بعض علاقات المصاهرة) مع عائلة ضاهر[٢٣٠]. أما عائلة ضاهر فهي تنكر أي احتمال قرابة مع أي عائلة أخرى في القبيات، وترجح احتمال القرابة مع عائلة عطيه (بينو)[٢٣١]. هذا بينما

---

[229] - مخطوط تاريخ أبرشية...، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٤ ــ ١٧٥.

[230] - مقابلاتنا مع أبناء عائلة عبدو، خاصة مع الشيخ فريد عبدو والمحامي الشيخ صبري عبدو.

[231] - مقابلاتنا مع البعض من أبناء هذه العائلة، لا سيما مع النائب الأسبق الشيخ ميشيل ضاهر.

تؤكد عائلتا رعد ومخايل قرابتهما مع بعضهما، وتنفيان القرابة مع عائلة ضاهر، ولا تقران بقرابة مع عائلة عبدو، ولكنهما تعترفان بنوع من "الصلات المميزة" مع عائلة عبدو[٢٣٢].

ورغبة منا في إنضاج هذا البحث أجرينا اتصالات في بلدة بينو مع بعض أبناء عائلة عطيه. وتبين لنا أن لعائلة عطيه في بينو شجرة نسبية تغطي ١١ جيلاً، من العام ١٦٤٠ حتى العام ١٩٣٤. تبدأ هذه الشجرة النسبية من الجد فرج عطيه الحوراني (أتى من حوران)[٢٣٣]. وكان له خمسة أولاد: نقولا، حنّا، عطيه، الياس، سليمان. وتضم الشجرة النسبية سلالة عطيه فقط. أما من تبقى من الأجوة فليس له فيها غير أغصان مقطوعة. كما أن "مخايل"، أحد أبناء عطيه الخمسة (وفق الشجرة)، يتمثل بغصن مقطوع، مع أن له ذرية من نسله في بينو[٢٣٤]. ولقد أفادنا السيد سامي عطيه (واضع شجرة نسب عائلته) ومختار بينو حينذاك (وهو من عائلة عطيه، وكان بعمر ٧٠ سنة) بعدم وجود أي علاقة قرابية مع عائلات القبيات. ولكن الإثنان أكدا أنه كان لعائلة عطيه الأرثوذكسية، منذ حوالي ٣٠٠ سنة، كنيسة في دير جانين (على مقربة من القبيات)، وقد تمت مبادلتها بكنيسة مارونية في بينو (مار سركيس). تتقاطع هذه المعلومة[٢٣٥] مع أخرى تطرح أن جد عائلة عطيه كان قد أقام لفترة في القبيات[٢٣٦].

إن مجمل هذه المعطيات، في ما لو صحّت، تؤشر على أن هجرة هذه العائلات (عبدو ورعد ومخايل وضاهر وعطيه) من حوران قد كانت متزامنة. هذا إن لم تكن جميعها من أرومة واحدة. غير أن حجم هذه العائلات، الآن وفي زمن كلام الأب اغناطيوس طنوس الخوري، وشبه الاجماع على وصولها إلى القبيات حوالي العام ١٧٠٠، يدل على الحداثة النسبية للمجتمع القبياتي الراهن، الذي تكون حول مجتمع أسبق، لكنه لا يتعدى كونه مجرد نواة. وفي هذا ما هو مصدق لما سبق أن ذكرناه، نقلاً عن الخورسقف الزريبي، من أن اعتمار المجتمع الراهن للقبيات في شتى أحيائها، باستثناء "القبيات العتيقة" أو "الغربية"، هو حديث، ويعود للنصف الأول من القرن الثامن عشر: "أما انتشار

---

232 - مقابلاتنا مع بعض أبناء عائلتي رعد ومخايل، خاصة مع السيد امطانيوس ابراهيم رعد والسيد الياس رعد. أما المحامي جوزيف مخايل فهو ينفي نفياً قاطعاً أي احتمال للقرابة مع عائلة عبدو.

233 - يؤكد النسابة عيسى اسكندر المعلوف قدوم عائلة عطيه من حوران. راجع للمؤلف، دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ٢٦٧: "قدم بنو عطيه من أذرع في حوران إلى لبنان في منتصف القرن الخامس عشر للميلاد وتفرقوا في بلاد عكار ولبنان..."، ولكنه يعود إلى زمن أسبق. وفي شدرا بالقرب من القبيات عائلة تكنى عطيه أيضاً.

234 - قام بجمع المعلومات وبوضع التسلسل النسبي في الشجرة المذكورة السيد سامي عطيه، وكان بعمر ٨٢ سنة عندما أجرينا المقابلة معه في العام ١٩٨١.

235 - سبق لنا طرح مسألة مبادلة الكنيسة عندما استعرضنا عملية تأسيس الرهبنة اللبنانية المارونية لدير لها في دير جانين، وكذلك عندما ناقشنا علاقة السنديانة بالقبيات.

236 - هذا ما صرّح لنا به (في مقابلتنا له بتاريخ ١٩٨٢/٢/١٠) السيد فايز جريج وهو الذي قام برسم الشجرة النسبية لعائلة عطيه، استناداً إلى الجدول النسبي والمعطيات التي جمعها السيد سامي عطيه.

أهلها في حارة مرتمورة والزور (يقصد منطقة الذوق)... وغوايا فهو حديث جداً لا يبعد أكثر من ماية وسبعين سنة..."[٢٣٧].

عائلة بريدي

البريدي في العربية هو صاحب البريد الذي يضمنه ويعمل على تأمينه. وبعض البريديين اتخذ شهرة كبيرة، لا سيما في أواخر الخلافة العباسية في بغداد، في منتصف القرن العاشر. وكثيراً ما تناولته الحوليات العربية بعرض أخباره في الأهواز[٢٣٨]. هل تعود عائلة بريدي في لبنان (والقبيات) بأصلها إلى بريديي العراق أو إيران؟ هذا ما سبق لنا أن رجحناه أثناء بحثنا في تكوين السلطة السياسية في أحد أحياء زحلة[٢٣٩]. هذا مع العلم أن بعض أبناء عائلة بريدي في القبيات لم ترق له هذه النسبة مطلقاً، وهو يفضل عليها رواية موهومة تجعل كنية بريدي تصحيفاً لاسم افرنجي من سلالة "صليبية"[٢٤٠].
بيد أنه هناك إجماع في بحوث العائلات اللبنانية على أن عائلة بريدي اللبنانية انطلقت من رأس بعلبك وتفرعت في لبنان. يرى عيسى اسكندر المعلوف أن بني "البريدي أسرة نشأت في رأس بعلبك وبرحها أربعة أشخاص. جاء أحدهم زحلة وهو جد الموجودين فيها إلى اليوم... والثاني ذهب إلى القبيات في عكار ولم تزل سلالته فيها إلى يومنا، والثالث إلى عجلتون... والرابع إلى الشويفات"[٢٤١].

وفي بعض الذاكرة القبياتية ما يشير إلى مجيء عائلة بريدي (القبيات) من زحلة لا من رأس بعلبك، كما يرى المعلوف، أو هو يؤكد على الأقل على وجود صلة ما بين بريديي زحلة والقبيات. ففي مقابلة لنا مع سعد غصن (القبيات)، روى "أن بيت بريدي أتوا من زحلة، وسكنوا بداية عند بيت غصن. ثم برز منهم خيال يقال له أبو سركيس البريدي. وعند وفاته قامت زوجته بتزيين فرسه، وندبته قائلة:

يا زرقا يا ام الشامات — لا تقولي خيالك مات
خيالك راح عَ زحلة — يجبلك عدة وركابات"[٢٤٢].

يتركز سكن عائلة البريدي في حي الضهر (القبيات)، ومنهم فرع في بلدة عندقت المجاورة للقبيات. ويبدو أن وفودهم إلى البلدة أحدث من غيره إذا ما صحت الرواية التي قيلت لنا.

237- الزريبي، الخورسقف، لمحة تاريخية، مرجع سابق.

238 - راجع على سبيل المثال: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد ٦. دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، لا سيما في أخبار الحوادث من سنة ٣٢٣هـ حتى سنة ٣٣٠هـ، ص ٢٤٦ حتى ٢٩٧. راجع أيضاً: البطريرك اسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٥٣ – ٥٤...

239 - عبدالله، جوزف: تكوين السلطة السياسية في حوش الأمراء، بحث لنيل شهادة الميتريز في علم الاجتماع السياسي، إشراف د. سهيل القش، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، بيروت، ١٩٧٩. أكد لنا السيد كميل بريدي (من زحلة) هذا الانتماء لبريديي لبنان، ص ٥٦ – ٥٧.

240 - مقابلات لنا مع بعض أبناء عائلة بريدي.

241 - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ٣٩٢، حاشية ٢.

242 - مقابلة مع السيد سعد غصن، وكان بعمر ٨٠ سنة، بتاريخ ١٩٨١/٣/٨.

عائلة بطرس

لا نعرف الكثير عن هذه العائلة وأصلها. وهي على فرعين أساسيين، الأكبر عدداً يقيم في حي الذوق، والثاني في حي الضهر، وهو الأبرز من حيث حضوره الاجتماعي والسياسي. كان مؤسسه البدوي أسعد بطرس العاقوري مختاراً لحي الضهر. وقد لعب ابنه الاستاذ جوزف بطرس دوراً كبيراً في السياسة المحلية من خلال عمله إلى جانب النائب الأسبق مخايل ضاهر. واستناداً إلى جد هذا الفرع يمكننا ترجيح كون هذه العائلة نزحت إلى القبيات من بلدة العاقورة. فالخوري لويس الهاشم يقول: "وعاقوري ذوق القبيات منهم جرجس العاقوري"[٢٤٣]،ويريد بقوله هذا تقرير أصل عائلة هذا الرجل من العاقورة. لم نتمكن من تحقيق وضع وشخصية جرجس العاقوري. كما لم نتمكن من ضبط القرابة بين فرعي هذه العائلة.

عائلة الزريبي

تنتمي هذه العائلة، في الأصل إلى واحدة من العائلات العربية التي نزحت من القرب من الشام إلى جبل لبنان. وعائلة الزريبي، على حد رواية أبنائها وكثير من المؤرخين والنسابة، فرع من عائلة الجميل المشهورة في لبنان، وفي بكفيا خاصة. يقول الشيخ أدمون بليبل: "بيت الجميل وهم من أقدم سكان جاج، أصلهم من قرية يحفوفا قرب الشام، ومنهم من يقول أن أصلهم من القدس ثم أتوا إلى صيدا ومنها إلى جاج... نزح أبناء الجميل إلى بكفيا سنة ١٥٤٥..."[٢٤٤]. وفي مكان آخر يضيف: أنه في زمن حكم العسافيين لمقاطعة كسروان كان النصارى "يومئذ مقيمين في بلاد جبيل والشمال. ولقد غضب مرة الأمير منصور العسافي على الشيعيين النازلين في مقاطعته... ثم ارتأى أن يقرب إليه المسيحيين... فجاء إليه أولاد الجميل وقابلوه في غزير مركز إقامته وكان مجيئهم من قرية جاج في خلال سنة ١٥٤٥... أقطعهم على بكفيا وضواحيها الشمالية... لقبوا بالمشايخ سنة ١٧١١ على أثر فوز الأمير حيدر الشهابي في موقعة عين دارا... عملوا في دور الأمراء اللمعيين والمراديين..."[٢٤٥].

وحول طبيعة القرابة والصلة بين عائلة الجميل والزريبي يقول: "ولظروف زمنية ومكانية تفرق بعض أبنائهم فانتقلوا... وغيرهم إلى سمار جبيل والقبيات "عكار" ويعرفون فيها ببيت الزريبي نسبة إلى زريب ومنهم المونسينيور مخايل الزريبي، والظاهر أن هؤلاء نزحوا من وادي شاهين بعد حركة سنة ١٨٦٠، وقيل أيضاً أنهم من فرع عماد الجميل"[٢٤٦].

---

243 - الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورا، مرجع سابق، ص ٣٨٨.

244 - بليبل، الشيخ أدمون: تقويم بكفيا...، مرجع سابق، ص ٦١.

245 - المرجع السابق، ص ٦٤ – ٦٥.

246 - المرجع السابق، ص ٦٥.

أما الأب أنطونيوس شبلي (الراهب اللبناني) فإنه مع تأكيده على ارتحال عائلة الجميل أساساً من سورية، فهو يعين حوران مصدراً لهذا الارتحال، وذلك في معرض كلامه على عائلات بليبل والجميل والخازن، بقوله: "لنذكر هذه العايلة بليبل... لها قدمية من زمان التنوخيين والسوافيين (بني سيفا) كقدمية عايلة بيت الخازن وعايلة بيت الجميل العايلتين حضرتا من حوران... وعايلة بيت الجميل لها أعمال عظيمة أيضاً، وبعد أن حضروا من حوران سكنوا بكفيا ورحلوا لعكار ومن عكار حضروا لجاج ومن جاج رجعوا لبكفيا..."[٢٤٧].

يؤكد هذه المعطيات العامة عن عائلة الزريبي الأب اغناطيوس طنوس الخوري في "مخطوط أبرشية..."، بقوله: "عائلة الزريبي. هم من بيت الجميل من بكفيا جدهم الأول وأخواه حنّاً وأيوب، نزخوا من بكفيا بعهد الأمير ملحم شهاب. حنا قطن سمار جبيل (...) وأيوب قطن رشعين (...). وأما عماد فرحل بعائلته إلى قرية الزريب في قضاء حزور (الذي هو قضاء صافيتا اليوم) ولعدم وجود موارنة هناك جاء القبيات سنة ١٧٤٧ هاجراً الزريب. وفي القبيات عُرف بالزريبي لمجيئه إليها من الزريب. ومات سنة ١٧٦٠، عن ولد له اسمه يوسف. وهذا خلف موسى ومخايل والخوري يوحنا وجبور، وهم أجداد بيت الزريبي الحاليين في مارتموره وضهر البلان. وفي الأولى اشتهر منهم الخورسقف مخايل ابن الخوري يوحنا بن جبور بن يوسف بن عماد الجميل، ولد سنة ١٨٦٣ في ١ ك[١]، وعمده الخوري بولس زيتونه خادم الذوق (بالقبيات)، وبعد أن تلقى مبادئ القراءة بالقرية أرسله أبوه الخوري حنا، عام ١٨٧٧ إلى مدرسة الرومية بواسطة الخوري اسطفان عواد كاتب أسرار البطريركية إذ ذاك (ومطران طرابلس فيما بعد). وتركها سنة ١٨٨٤ متضلعاً من السريانية وآداب العربية والفلسفة واللاهوت النظري والأدبي. وله من قلمه قصائد شعرية وتاريخية رائعة. وفي ٢٨ك[٢] سنة ١٨٨٨ رسمه اسطفان عواد كاهناً. ومارس خدمة الرعية والتدريس في مدرسة زغرتا والكرمل بالقبيات مدة طويلة. ثم تعين وكيلاً أسقفياً مفوضاً بتحليل الموانع وفحص الدعاوى الكنسية فخدم بكل أمانة وغيرة، فكافأه سيادة عريضا بأن رقاه إلى رتبة خورسقف في ٤ أيار ١٩٢٦ وجدد له النيابة والتفويض. وكان ما اعتمد عليه في فحص الكهنة والرعايا باسم سيادته. وفي ٢٧ ك[١] ١٩٣٧ توفاه الله شبعان من الأيام وأعمال البر والتقى. ولده اليوم سليم الخوري الزريبي وولداه ميشال شاب مثقف أديب وأنطون دارس أكليريكي معد للكهنوت في معهد غزير الماروني اليسوعي، وقد ولد في ٣ أيار ١٩٢٣. ومنهم آل الزريبي سركيس يوسف الخوري حنا وأخوته حبيب وطنوس من الثريين الوجهاء في المتحدة (الولايات)، وابراهيم نظيرهما في البرازيل، ورفول من أصحاب الثروة والجاه... وأخواه أمين وكليم. وفي ضهر البلان ابراهيم بن

---

247 - شبلي، الأب انطونيوس: "الآثار المطوية..."، مقال سابق، ص ٣٠٩.

الخوري ابراهيم الزريبي، واخوته يوسف ومخايل وجرجس. ومنهم كان الخوري حنا ابن عم الخوري حنا المذكور، والخوري ابراهيم بن مخول الزريبي مات سنة... بعمر... . وعدد بيت الزريبي اليوم في مارتموره والضهر ١١٧ مقيمين ومهاجرين ٧٠"[٢٤٨].

إن ما جاء عن عائلة الزريبي في المرجع المخطوطة والمطبوعة والمنشورة تؤكده وثائق هذه العائلة في مخطوطات الخورسقف الزريبي. وهنا ننشر النص الحرفي لما جاء في بعض هذه المخطوطات عن العائلة: "تاريخ عايلة عماد الجميل. بأيام الأمير ملحم الشهابي نزح من بكفيا الشيخ عماد الجميل وأخواه نجهل اسماهما[٢٤٩]. أحدهما توطن في سمار جبيل والثاني في قرية رشعين"[٢٥٠]. وعماد وعايلته أتى إلى قرية الزريب في قضا حزور (بلاد صافيتا). ولما لم تطب له الإقامة لعدم وجود موارنة فأتى إلى القبيات سنة ١٧٤٧ آملاً أن الأمير عساف ابن الأمير حسين اللمعي يسترضيه ويرجع له أملاكه في بكفيا ووادي شاهين وعين الخروبة وطاحون شتوية. وعندما سُئل: من أين أنت؟ أجاب: من قرية الزريب. فلقب بالزريبي، وزوج بناته في القبيات، واتخذ لابنه يوسف ابنت من القبيات. وتوفاه الله تعالى سنة ١٧٦٠. وبقيت الصكوك محفوظة بيد زوجته وولده يوسف"[٢٥١].

" يوسف خلف ثلاثة أولاد[٢٥٢] وثلاث بنات. وهم موسى وميخايل والخوري يوحنا وجبور. والبنت الأولى تزوجت بهلال نصار والثانية بعبود دميان والثالثة بيوسف دميان. أسرة موسى: موسى خلف يوسف. ويوسف خلف ابراهيم وموسى. فابراهيم خلف يوسف. ويوسف خلف ابراهيم. وابراهيم خلف رشيده ومريم. وموسى خلف حنا وابراهيم وطنوس وجرجس والياس وهدلا وثلجه. فحنا خلف يوسف وابراهيم. ويوسف بن حنا خلف سيده وسيسيليا. وابراهيم خلف مريم وابراهيم وطنوس والياس توفوا بغير عقب. وجرجس خلف يوسف ومطانيوس وميخايل. ويوسف بن جرجس خلف جرجس ومريم وماريا وأنجال. أسرة ميخايل: ميخايل خلف ميخايل. وهذا تزوج بحنة ابنت طربيه، وخلف يوسف والخوري ابراهيم وطنوس وخمس بنات، وهن مرشا وحنه وثليجه ونجمه وكتور. فيوسف خلف ثلاثة ذكور وابنتين، وهم موسى وميخايل وطنوس ولطيفة ومريم. فموسى وميخايل ماتا عازبين. وطنوس سافر إلى أميركا، ونجهل اسم أولاده."

---

248 - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٣ – ١٧٤.

249 - إن كلمتي "نجهل اسماهما" شطبتا بخط واحد رقيق، وكتب فوق السطر اسم "أيوب" ثم اسم "حنا". والظن أن هذه إضافة إلى أصل المخطوط.

250 - ورد اسم أيوب فوق السطر بين كلمة "الثاني" وكلمة "قرية". وهذه بظننا إضافة أخرى إلى المخطوط.

251 - جاء في حاشية في اسفل الصفحة: "حاشية: بقيت هذه الأملاك بتسليم الخوري بطرس (ابن عمه "؟"). ولما توفي أرسلت زوجته بعضاً من الصكوك الخاصة إلى نسيبها المطران إيليا وقفاً إلى دير بكركي".

252 - شطبت كلمة ثلاثة ووضع تحتها الرقم ٤.

"الخوري ابراهيم خلف من ساره، ابنة طنوس الخوري جدعون، محبة وحسيبه، وخلف من زينه، ابنت يوسف سمعان، ابراهيم ويوسف وسليم وميشال وخليل ومطانيوس وجرجس وترازيا ونجمة. فابراهيم خلف أمين وسليم وحبيب وهند... ويوسف خلف فوءاد وأمين... وميشال خلف رامز وفريد وشفيق. وجرجس خلف أوليان وريمون. وسليم توفي عازباً. وخليل تزوج في المهجر ونجهل اسم (؟) أولاده جميل وابراهيم. طنوس خلف يوسف ومخول وسركيس وزكية التي توفيت عازبةً. فيوسف نجهل أسماء بنيه في المهجر. ومخول عاقر. وسركيس خلف يوسف وزكية وطنوس ومريم وإيلان."

"أسرة الخوري يوحنا الأول ابن يوسف عماد: الخوري يوحنا خلف ابراهيم ورافايل وهيلانه. فابراهيم خلف حنا ومخول وشموني (جدة الخوري يوسف مخايل) ومرشا وطرفة. فحنا توفي بغير عقب. وميخايل خلف يوسف (وهذا توفي طفلاً)، وتقلا ونجمه من زوجته الأولى، وسافر إلى كلرس البرازيل، وهناك تزوج ابنة ايطاليانية وخلف منها ابراهيم ويوسف وخنا، وتوفاه الله في ١٨ آذار سنة ١٩٣٠. ورافايل خلف مروش وسوسان في عزير. مروش اقترنت ببولس زينون فخلفت داود وشكري وغاتا وتقلا وساره التي ماتت عزيبة. وسوسان اقترنت بالياس ابراهيم طعمه عزير، وخلفت سليمان ويوسف ويسرا وناسيما وكرجيه وهدلا وكتور".

"أسرة جبور (ابن يوسف عماد): جبور خلف يوسف وجرجس وشاهين وسركيس الذي صار كاهناً باسم عنه الخوري يوحنا، ومرتا زوجة يوسف حنا سمعان. فجرجس خلف جبور ومرشا وشما. وجبور خلف جرجس وياسمين ومريم وكوكب. وجرجس خلف في المهجر خليل وصابات ومريم. ويوسف خلف ابراهيم وجرجس وطنوس وموره ورفقه وموسى. جرجس وطنوس توفيا عازبين. وابراهيم خلف يوسف ونجمة ومريم التي توفيت عازبة. ويوسف خلف مريم، ونجهل أسماء الذين ولدوا له في المهجر. وموسى ميخايل وبنتاً نجهل اسمها. وشاهين جبور خلف يوسف وابراهيم وطنوس وشاهين ومرتا ومريم. ويوسف خلف ولدين سليم وميخايل وبنتاً تدعى سليمه. سليم خلف شريفه. ابراهيم خلف حبيب. وحبيب خلف جوزفين ونجمه. وطنوس خلف في بلانسيا فنزويلا من زوجته مريم بنت حنا ساسين البجاوي من طرابلس وهم... وشاهين بن شاهين خلف يوسف وميخائيل مطانيوس وعفيفه ومريم ومرتا. خلف الخوري يوسف ميخايل (؟). ومريم خلفت يوسف ولطيفه".

"أسرة الخوري يوحنا الثاني بهذا الاسم: هو سركيس بن جبور بن يوسف عماد الجميل البكفاوي ولد سنة ١٨٣٤، وسيم كاهناً في ١٧ شباط سنة ١٨٥٥، وتوفاه الله في ١٢ ت[٢] سنة ١٨٩٣. اقترن بشموني ابنة ابراهيم يوسف جرجس نادر، وخلف يوسف واغناطيوس. وابراهيم ولد يوسف اقترن بكاترين ابنة شاهين جمعه من عائلة نصار وخلف حبيب وسركيس وطنوس وابراهيم ومريم

وأستير وكامله. حبيب ابنه اقترن بعفيفه ابنة الشيخ ابراهيم سركيس قسطون، وخلف منها يوسف. وسركيس اقترن بماري ابنة ابراهيم نصرالله الباطولي من غزير، وخلف يوسف وطنوس وكاترين وسيده. وطنوس تزوج بابنة ايطاليانية بالمهجر ولم يولد له بنون منها. وابراهيم اقترن بابنة الياس خليل مارون من جزين، وخلف منها يوسف وشفيق وتوفيق ووديع. واغناطيوس اقترن بساره ابنة أنطون عبود دميان، وخلف منها أمين ورافايل وكليم ووديع ونجمه ومريم. فأمين خلف اغناطيوس (مات شاباً عزيباً) في ٢٥ ك١ سنة ١٩٢٣، ومطانيوس وحبيب. ورافايل اقترن بابنة عمه كامله فخلف منها ساره ومريم وكاترين... ووديع اقترن بمريم ابنة الياس موسى طنوس ميخايل، وخلف منها يوسف وسيده ومات غريقاً في النهر الكبير بعمر ٣٠ سنة في ٢٨ أيلول سنة ١٩٢٦ (وستة أشهر). ونجمه اقترنت بيوسف الياس رعد، وخلفت الياس واغناطيوس ومطانيوس ومريم. ومريم اقترنت بيوسف أسعد غصن، وخلفت في المهجر ماري تراز، وهذه تزوجت بشاب من غزير. وكليم اقترن بصابات ابنة ابراهيم عبود دميان، وخلف يوسف واغناطيوس ووديع ومريم ونجمه وسيده ووديع".

"ابراهيم ابن الخوري حنا ولد في اليوم الأول من شهر ك١ سنة ١٨٦٣، ودرس العلوم السريانية والعربية والمنطق والفلسفة واللاهوت النظري والأدبي في مدرسة الرومية. اقترن بالآنسة ملكه ابنة مخول ابراهيم مخايل سنة ١٨٨٧. وولد له منها ولداً سماه سليماً. وسيم كاهناً في ٢٨ ك٢ سنة ١٨٨٨، باسم الخوري مخايل، وتوفت زوجته في ٥ تموز سنة ١٨٩١، وسيم خورسقفاً في ١٤ نيسان سنة١٩٢٦. ولده سليم اقترن بالآنسة غاريتا ابنة الخوري يوسف رعد في ١١شباط سنة ١٩٠٩، ورزق منها أربعة أولاد وبنتين، وهم يوسف وميشال ومخايل ومطانيوس وحنه وملكه. فيوسف توفي شاباً بعمر ١٦ سنة وخمسة أشهر، غريقاً في النهر الكبير، في ٢٨ أيلول سنة ١٩٢٦. وميشال توفي طفلاً بعمر سنتين. وحنه توفت طفلة. وميخايل درس اللغة العربية والافرنسية والحساب والجغرافيا والجبر على حضرة العلامة القس جبريل السرعلي في مدرسة سيدة القلعة. ومطانيوس الآن يتلقى علومه بمدرسة الآباء الكرمليين بالقبيات"[٢٥٣].

عائلة غصن

يأتي المؤرخ النسابة عيسى اسكندر المعلوف على ذكر عائلة غصن في أكثر من موضع في مؤلفه "دواني القطوف...". وهو ينسب "بيت غصن في الكورة" إلى فرع من بني المعلوف يرجعون إلى جدهم ضو الذي لقب في الكورة

---

[253] - جميع هذه المعلومات عن عائلة الزريبي مأخوذة عن : نبذة في بعض عائلات القبيات، وضعها الخورسقف الزريبي، وهي مجموعة أوراق من دفتر فقد قسماً من أوراقه، بدون تاريخ. يرجح الخوري سليم الزريبي تاريخ هذه النبذة في العام ١٨٨٨، وبرأينا أن التاريخ يجب أن يكون أقرب إلينا بكثير لأن في النبذة أخباراً عن العام ١٩٢٦. حافظنا على نشر القسم الأكبر من هذه النبذة الخاصة بعائلة الزريبي لما فيها من معطيات عن علاقات الزواج والمصاهرة، وعن الأسماء المعتمدة، وعن بعض العائلات الأخرى.

بعائلة صليبا لأنه مسيحي..."(٢٥٤). ويعود في موضع آخر ليقول: "أصل أسرة غصن حورانية قدم جدها غصن لبنان بأسرته وكان حفيده عيسى ماهراً بصناعة التصوير فسكن القبيات في عكار والآخرون في حمص..."(٢٥٥).

يذكر الأب اغناطيوس طنوس الخوري عائلة غصن في طليعة كلامه على عائلات القبيات. ويقول فيهم: "بيت غصن أصلهم من حمص روم كاثوليك من بيت غصن هناك الذين منهم إلى اليوم الخوري سليمان سمعان وجوزاف. ومنهم أيضاً في بيروت بيت غصن... وآل غصن القبيات قطنوها وتمورنوا منذ سنة ١٨٢٠، وجدهم الياس يوسف غصن ورزق أولاداً هم يوسف وعيسى ومخايل وغصن ويونس وعبده وأسعد. يوسف سكن قرية ضهر البلان من قرى القبيات، ومن أولاده اليوم هناك عبدالله والد أمين وسعدالله وسليم (عسكري) ويوسف ومخايل له ولد واحد اسمه ابراهيم سكن وولداه يوسف وعقل وأولادهم (أولاد يوسف هم جميل وكمال عسكريان في القناصة وسليم وشوكات، وأولاد عقل عبده وحورج) حارة الغربية في القبيات من سنة ١٨٩٠. والباقون من أولاد الياس يوسف غصن ظلوا في مارتموره. ومن أولادهم سليم بن عيسى (مختار سابق...) وولداه يوسف شاب مثقف وغصن تلميذ الأكليريكية اليسوعية معد للكهنوت. ألاكسندر ابن عبدالله عيسى. ثم أمين بن يونس وهورجل مثري وجيه ومناصر المشاريع الدينية والخيرية منها تبرعه بمائة ليرة ذهب لبناء كنيسة مارتموره. وولداه يونس مثقف راق، وسعدالله. وحبيب أخو أمين. وكلهم مهاجرون أغنياء وجهاء في فينزواله، ولهما يوسف أخوهما مقيم مع عائلته في مرتموره. ومنهم أيضاً كامل بن سليم يوسف غصن من ضهر البلان باشاويش وترجمان الجندرمة في طرابلس، وهومن أهل الثقافة والأدب والوجاهة. ومنهم في مرتموره يوسف بن قبلان بن مخايل (مخول) غصن عسكري في الجيش الفرنسي. وعدد آل غصن اليوم في مرتموره والضهر والغربيه مائة نفس. وكان منهم في الضهر الخوري يوسف بن يوسف غصن مات سنة ١٩٢٧، بعمر ٦٥، وولده اليوم الخوري لويس كاهن رعية الضهر حالياً، ولد سنة... وارتسم سنة..."(٢٥٦). وفي مكان آخر يقول الأب اغناطيوس طنوس الخوري عن نفس العائلة: "بيت غصن القبيات: عدّهم الخوري قسطنطين الباشا بين أشهر وأشرف أسر الروم الكاثوليك الذين هاجروا حمص في القرن ١٨ هرباً من جور الاضطهاد الاسلامي..."(٢٥٧).

---

[254] - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ١٥٢، حاشية رقم ٢.
[255] - المرجع السابق، ص ٤٧٨، حاشية رقم ١.
[256] - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٢ – ١٧٣.
[257] - المرجع السابق، الدفتر السادس، ص ٢٤٤.

تقر ذاكرة هذه العائلة بمعظم ما يروى عن تاريخها وأصلها. ويرى بعضهم أن مجيئهم إلى القبيات حديث، وربما كانوا يلقبون ب"بيت الحلال"[٢٥٨]. والبعض الآخر يحتفظ بنبذة تاريخية مطبوعة[٢٥٩]، نثبتها هنا لدلالتها الرمزية وليس بالضرورة لثقتنا بصحة ما فيها من وقائع تاريخية.

"آل غصن. عن تاريخ الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني العاملي. قال ابن الأثير: أنه أتى من بلاد العراق الموصل سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م) أحد أمراء بني حمدان الضحاك بن جندل بن حمدان مع عشائره من تغلب وربيعة وقيس وقحطان إلى البلاد الشامية، ففوض إليه ملك الشام طاغتكين التركي السلجوقي مقاطعة وادي التيم والشوف فسكن بها مع عشائره وأحلافه. فكان تارة يحارب الافرنج في جبل عامل وسواحل لبنان وتارة يحالفهم ضد ملك الشام إلى أن اشتد ساعده فعصى على ملك الشام شمس الملوك حفيد طاغتكين. فجرد هذا عليه جيشاً جراراً وهاجمه ثم استرضاه وفوض إليه مقاطعة بعلبك والبقاع حيث انقسمت عشائره إلى شيع مختلفة. واعتنق فريق منهم الديانة المسيحية من حيث الوسط الذي عاشوا فيه وبقوا هناك حتى سنة ١٣٠٥م. ثم نزح فريق منهم إلى عكار وجبل عامل وحمص وحماه وحلب.

"أما العائلات التي تفرعت من الأصل الحمداني فنذكر بعضاً منها وهي: آل ابراهيم وآل فارس وآل صالح توطنوا النبك. آل رعد توطنوا سير الضنيه. آل علام وآل عطار توطنوا بعلبك. آل غصن توطنوا حلب آل فرحات توطنوا قرحة. سلالة الأمير سيف الدولة توطنت حلب. آل الصغير توطنزا جبل عامل. وها تاريخ عائلتنا كما اتصل بنا من مصادر موثوق بها نقدمه لك شعراً:

حنانك موصل وطني المفدى	ويا وطن الجدود الأقدمينا
قبيلة تغلب في كل واد	يعززها شباب آمرونا
لها في القلب الشواق وحب	وحرقة مخلص تدمي العيونا
ورثنا المجد عنها وارتحلنا	إلى لبنان نسكن آمنينا

-.-.-.-.-.-

فجدنا ابن ضحاك أمير	شجاع لن يطال ولن يهونا
جيوشه في السهول وفي الروابي	ووادي التيم حوله عرينا
فطاردنا الفرنجة وانتصرنا	وربك كان خير الناصرينا
وكنا ولم نزل أمراء مجد	لأنا إلى المعالي السابقونا
نشأنا من بني حمدان فرعاً	ووائل ثم قحطان ذوونا

---

258 - مقابلة مع المرحوم سعد غصن.

259 - زودنا بصورة عنها السيد يوسف رشيد غصن، في مقابلة لنا معه. وهي عبارة عن أربع صفحات مطبوعة. الصفحة الأولى كغلاف عليها: "تاريخ آل غصن، ١٣٠٥ – ١٩٥٨، لناشره يوسف سليم غصن". لا يوجد أي شيء على الصفحة الأخيرة، بينما تحتوي الصفحتان الثانية والثالثة على نص من مقطعين وقصيدة. وتنتهي: "١٩٥٨ الشياح، يوسف سليم غصن".

لواؤنا في الوغى يفدي علاه   شباب في الحروب مجربونا
وقد كنا في الاسلام نوراً   وجدنا والرفاق موحدونا
لنا شرف الأسرة من قديم   تخر لها الأعادي ساجدينا
لأن الجد ضحاك أمير   أطاح بسيفه المتآمرينا

-.-.-.-.-.-.-

ففي لبناننا، في كسروان   تنصر "غصننا" والتابعونا
وبعد معارك دامت طويلاً   "عصينا الملك فيها أن ندينا"
نزلنا مدينة الشهباء أهلاً   وسهلاً حيث كنا الأقربينا
وفي حلب وفي تلك الضواحي   سكنا بلدة الشياح حينا
وفيها دير رهبان وحوز   وأشجار تجاوزت القرونا
ومن حلب إلى لبنان جئنا   نزلنا ترتش جبل الأمينا
وغادرنا الجبل إلى سهول   جعلنا رمولها كنزاً ثمينا
ملأنا أرضها شجراً وتوتاً   غرسنا سهلها عنباً وتينا
وأسميناها شياحاً جديداً   لنذكر دائماً وطناً حنونا
وفيها لم نزل أسياد مجد   رفيع رغم أنف المفسدينا
غصوننا أثمرت ثمراً شهياً   شباباً للعلى يتسابقونا
بأخلاق مهذبة ونور   يشع فيكشف الحق المبينا
فهذي خطة الأجداد كانت   فخاراً للبنين الصادقينا
فقل للناس نحن إذا شمخنا   ولم نظهر صغاراً خانعينا
فذاك لأننا من بيت مجد   عريق روحه يختال فينا
من الأبطال من جد كريم   من الأمراء بيت المالكينا

-.-.-.-.-.-.-

فهذا المجد للتاريخ يبقى   ونورثه إذا متنا بنينا
بنونا على المكارم قد تربوا   ونحن على الدهور الخالدونا".

-. - . - . - .-

عائلة معيكي

لا يعرف أبناء هذه العائلة المكان الذي ارتحلوا عنه إلى القبيات[٢٦٠]. ولم نسمع بفرع لهذه العائلة في منطقة أخرى من لبنان أوغيره. فهل هم من وادي "معكة" في فلسطين؟ احتمال لا براهين عليه. هذا بينما يجعلهم فوزي اسحق من العاقورة[٢٦١].

---

[260] - مقابلة مع الأستاذ شعلان معيكي، في ١٩٨٠/٢/٣.

[261] - اسحق، فوزي: مرجع سابق، ص ٨١: "معيكي: جاءت القبيات من العاقورا، وسكنت حي الضهر...". لم يوضح الكاتب مصدره. وهذا أمر لم يذكره الخوري لويس الهاشم في مؤلفه عن العاقورة وعائلاتها.

عائلة قديح

واحدة من العائلات القديمة في القبيات، ولعلها انحدرت من بلدة عكار العتيقة تباعاً. وهي تعود بأصلها إلى أسرة داغر التنورية. و"يتصل نسب أسرة داغر بجدها الأعلى الذي انتزح عن بلاد ما بين النهرين إلى لبنان. ويدور على ألسنة سكان تنورين وحردين ولحفد وغيرها من دساكر لبنان حتى اليوم أن آل داغر يتفرعون من أرومة سريانية مونوفيزيتية...، ومن فروع داغر نذكر آل راشد وقديح وعويس وبني الهوا..."[٢٦٢].

يوافق الخورسقف يوسف داغر التنوري على كون أصل عائلة داغر التنورية (منها تحدرت عائلة قديح) من بلاد ما بين النهرين بقوله في جد الأسرة التنورية: "إن رجلاً من بين النهرين يدعى خطار هجر بغداد سنة ١٤٢١ واستوطن حلب ثم نقل أحد أحفاده المدعو قرقماز إلى دمشق حيث عهد إليه بمنصب "كاتخداه" أمين سر نائب الشام. ثم اتهم بممالئة الثائرين بسبب فداحة الضرائب فهرب إلى لبنان سنة ١٤٧١ واستقر في يانوح حيث تنصر مع عائلته: وإليك نص ما جاء في مخطوط الأب بطرس مطر المؤرخ سنة ١٦٥٠ "جد أهالي تنورين هو بغدادي نقل من بغداد إلى حلب ورحل أحد أحفاده إلى الشام ثم لبنان. فعيال تنورين مرجعها إلى أصل واحد"[٢٦٣].

لا يأتي الخورسقف يوسف داغر التنوري على ذكر عائلة قديح في القبيات عندما يتحدث عن فروع عائلة داغر. ومع تأكيه على أن أصل العائلة (داغر) في تنورين، وفروعها في برحليون وأوتان قرب حمص، في جبل الحلو، فهو لايذكر قديح هنا. وكذلك لا يذكر هذه العائلة عندما يتحدث عن نزوح أحد أحفاد جد العائلات التنورية إلى الهرمل وإقامته في مرجحين[٢٦٤]. إن اسم قديح يرد في عداد فروع داغر المقيمة في أواخر القرن السابع عشر في بعض مناطق جبل لبنان. يقول الخورسقف المذكور: "وفي بيت جهجاه بطرس عويس من شحتول (عرامون) أوراق اطلع عليها صاحب هذا التاريخ مع سيادة المطران الياس ريشا مآلها: أنه في سنة ١٦٨٥ نزح من تنورين طنوس داغر وأقام في رام ثمان سنين ثم نقل إلى ما بين البوار والصفراء حيث أقطعه الشيخ محمد عمر حماده أملاكاً واسعة. وتوفي عن أربعة ذكور، ريشا وراشد وقديح وعويس"[٢٦٥]. ويوضح الخورسقف أن سلالة داغر معروفة، في جونية وغادير وحارة صخر والبوار والصفراء وجبيل وغزير، ببني ريشا وبني راشد الذين تفرع منهم بنو الهوا وبنو قديح وبنو عويس..."[٢٦٦].

---

262 - دي تيرازي، الفيكونت فيليب: أصدق ما كان...، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

263 - داغر التنوري، الخورسقف يوسف: لبنان، لمحات في تاريخه وآثاره وأسره، طبعه آميل داغر، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، لبنان، ١٩٣٨، ص ١٧٧.

264 - المرجع السابق، ص ١٧٨ وما بعدها.

265 - المرجع السابق، ص ١٩٣.

266 - المرجع السابق، ص ١٩٣.

هل يكون بنو قديح سلالة قديح بن طنوس داغر أم من فروع بني راشد كما يوحي النص الأخير للخورسقف يوسف داغر التنوري؟ وفي مطلق الأحوال يتعين مما سبق أن ارتحال بني قديح إلى مناطقنا متزامن تقريباً (النصف الأول من القرن الثامن عشر) مع وفود الكثير من العائلات المعروفة في القبيات اليوم، مما ينفي ما هو شائع عندنا من أن هذه العائلة هي من أعرق العائلات. هذا فضلاً عن أنه ليس هناك في المراجع ما يوحي بنزوح بني قديح المتحدرين من عائلة داغر التنوري إلى القبيات[٢٦٧]. ولنا في انتشار هذه العائلة في أكثر من مكان في الدريب (القبيات والعوينات والتليل) وفي بلدة عكار العتيقة ما يوحي بحجم لها لا يتوافق مع سكوت المراجع المتعلقة بهذه العائلة عن ذكر ارتحالها إلى عكار، في ما لو كانت من سلالة داغر التنوري. وهذا ما يجعلنا نميل إلى عدم اعتبارها من الأسر التنورية الأصل. ويتعزز هذا الميل مع ما هو سائد في القبيات من قدم هذه العائلة (قديح) وعراقتها، مما يتنافى مع احتمال وفودها إلى القبيات في النصف الأول من القرن الثامن عشر.

عائلة بيسري – سركيس

إن عائلتي بيسري وسركيس حديثتا العهد في القبيات، تعودان إلى أواخر القرن التاسع عشر. وهما تنتميان إلى أصل "بيسري" من حدشيت. يقول الأب اغناطيوس طنوس الخوري، في سياق كلامه على قرية المغراقة: "مزرعة المغراقة، تابعة مختارية عيدمون. وهي شمالي مرتموره وغربي عندقت، قرب عيدمون غرباً. بيوتها عشرة، وكلها موارنة، ونفوسها ٣٢ مقيمين و٦ مهاجرين. وأهلها عائلة واحدة هي بيت البيسري. وأصلهم من حدشيت، واقرباؤهم في حواره وقنات وغيرها... وجيههم اليوم هاشم البيسري وولداه ميشال وهاشم، وطنوس بن الخوري جرجس وولده ديب. ويوسف طنوس ابراهيم البيسري. وكان منهم كهنة هم الخوري جرجس الأول، مات سنة ١٨٩٧، ودفن في عندقت، بعمر ٦٠. والخوري جرجس بن عيسى طنوس البيسري مات سنة ١٩٠٦، بعمر ٧٠. ومنهم اليوم الخوري يوسف بن ابراهيم بن يوسف البيسري المعروف عند العامة بالخوري المقدسية، خادم سيدة الغسالة في الذوق والمغراقة، ولد سنة ١٨٨٦، ورسمه اسطفان عواد سنة ١٩٠٤. وقد توطن الذوق نهائياً منذ سنة ١٨٨٩، حيث جاءت به أمه مع أخيه وهما طفلان يتيمان، وأصبح من أهل الذوق، وأولاده يوسف وابنه أديب، ثم أنطونيوس وابنه حفيظ،

---

267 - عندما عالج السيد يواكيم الحاج عائلات القبيات، وضع له د. سلوم نبذة عن عائلة قديح، جاء فيها: "من كسروان انتقلت عائلة قديح إلى عكار، في بداية القرن الثامن عشر..."، راجع : يواكيم الحاج، عكار في التاريخ...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦٦٧. لم يحدد د. سلوم مرجعه، ولكنه تقدم بذلك افتراضاً من عنده. وأردف كلامه برفض وجود أي قرابة مع عائلة "قديح" الشيعة (الجنوب) أو السنة (طرابلس)، وفي هذه المسألة احتمال لا يجوز التغاضي عنه.

ثم حبيب وهو شدياق معد للكهنوت في مار يعقوب، كرم سده، وسيدعى الخوري لويس (؟) وابنه أدمون، والشدياق لويس المذكور ولد سنة ١٩١٢"[٢٦٨].

أما عن عائلة سركيس، فإن الأب اغناطيوس طنوس الخوري يذكرها في كلامه على قرية باسم "مشتى بيت سركيس"، تابعة لرعية الكفرون (سورية)، وفيها يقول: "عيالها. فيها عائلة واحدة هي بيت سركيس أصلهم من حدشيت من بيت البيسري. أجدادهم الأولون ثلاثة أخوة الشماس سركيس والأشقر ويوسف. رحلوا عن حدشيت بسبب أن كان لهم أخت جميلة الوجه طلبها أحد حكام الجبة المتاولة إذ ذاك. فأبوها عليه فأخذها بالقوة واغتصبها. وبعد تمكن الأخوة المذكورون من قتل المتوالي. وهربوا بأختهم إلى بلاد صافيتا وسكنوا المشتى في ناحية حزور أو الكفرون، وذلك حوالي سنة ١٦٠٠. ووقفوا فلاحين عند أغوات التركمان. ومع الأيام تحرروا وتملكوا... فاشتهر منهم أشخاص وجهاء مثل بشور... ولبشور المذكور ولد هو الخوري سركيس، ولد سنة ١٨٤٥، ورسمه المطران المريض سنة ١٨٦٨، أيام ترمل الأبرشية من المطران بولس موسى، وخدم عائلته في المشتى طيلة حياته الكهنوتية إلى وفاته في سنة ١٩١٨. وهو أول وآخر خوري من بيت سركيس"[٢٦٩].

وذاكرة أبناء هاتين العائلتين حية لقرب عهد ارتحالهم إلى القبيات، وهي تؤكد، على العموم، الرواية هذه. ففي مقابلة لنا مع السيد يوسف البيسري (بتاريخ ١٩٨٢/٤/١٠) أكد لنا أن أصل العائلة من حدشيت. واعتبر أن بيت سركيس "بيسرية"، وحدود القرابة برأيه تصل إلى أن الجدود أبناء عم، أو ربما كانوا أخوة.

أما الأستاذ محسن سركيس فقد وافق، على العموم، (بتاريخ ١٩٨٢/٢/١٣، وغيره)، على صحة المعلومات السابقة، بما رواه لنا قائلاً: "أصل عائلة سركيس من حدشيت. سميت سركيس نسبة إلى أحد أفراد عائلة الخوري، وكان كاهناً، ترك الرهبنة (كان اسمه الأب سركيس)[٢٧٠]، وتزوج، وعنه تفرعت عائلة سركيس. وهناك قرابة، في الجد الواحد مع بيت البيسري وهم من حدشيت. نزحت العائلة من حدشيت إلى مشتى بيت الحلو. وهناك حارة خاصة بعائلة بيت سركيس، وجميعهم موارنة. سنة ١٨٩٦ توفي جدي يوسف سركيس، وترك وراءه نسيم ومخايل (ذهبا إلى المكسيك) وبنتين، وحبيب... ثم جاء الياس لوحده إلى لبنان ودخل المدرسة الأكليريكية في أيام مطرانية عريضه... عام ١٩١٤، هرب من الأتراك، من السويس، وأتى إلى القبيات، فنزل عند خالته، وهي زوجة خليل نادر (ضاهر)، ثم أتى بأخويه عيسى ومطانيوس. وبقي عند خالته حتى عام ١٩٢٧. ثم تملك هو وأخوته في حي الضهر".

---

268 - "مخطوط تاريخ أبرشية...، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٨.

269 - المرجع السابق، ص ١٣١.

270 - قارن مع معلومات الأب اغناطيوس طنوس الخوري السابق الذكر.

عائلة الراعي

لا يحتفظ أبناء هذه العائلة بذاكرة تؤشر على ماضيهم وزمن ارتحالهم إلى القبيات ومكان هذا الارتحال. كما أنهم لا يحسنون ضبط صلاتهم بأبناء عائلة الراعي في عندقت. يعتبر الأب اغناطيوس طنوس الخوري: "من عيال عندقت بيت الراعي. أصلهم من بيت الراعي في زحلة، ومنهم فروع في سرعل ونهر ابراهيم..."[٢٧١]. وفي كلام لنفس الأب عن سكان "مزرعة القطلبة" التي يعتبرها "تابعة لمرتموره أو فرع منها في المختارية. وعيالها مزيج من عيال مرتموره والزوق والضهر...، ... وأولاد يوسف الياس طنوس الخوري الراعي...، وهؤلاء كلهم من مرتموره. وأولاد يوسف بطرس الراعي من ضهر البلان"[٢٧٢]. وهذا ما يفهم منه أن عائلة الراعي المقيمة في القطلبة كانت سابقاً في مرتموره والضهر. ولكنه لا يربط بينهم وبين أبناء عائلة الراعي في عندقت. بيد أن نفس الأب يذكر هذه العائلة في مكان آخر من نفس المخطوط، ويلقي مزيداً من الضوء على تاريخها وأصلها وارتحالها إلى شمالي لبنان وعندقت. فهو يقول أن بيت الراعي من الروم الكاثوليك من زحلة. ارتحلوا منها إلى الشام، وهناك كان عندهم ابنة رغب بالزواج بها أحد الجنود الأتراك، وأمام رفضهم وتعرضهم للضغوطات تركوا الشام و"فروا بعيالهم ومتاعهم إلى شمالي لبنان متفرقين، فسكن بعضهم عندقت وبعضهم توطن سرعل وضفة نهر ابراهيم في العقبة"[٢٧٣].

عائلة هلال

كثيرة هي العائلات اللبنانية التي تحمل كنية "هلال"، في شتى المناطق ومن شتى المذاهب والأديان. ثمة إجماع على الأصل العربي لهذه العائلة. "ينتسب بنو هلال إلى القبائل القيسية المضرية التي كانت تعيش في شمالي الجزيرة العربية"[٢٧٤]. أما القلقشندي فقال: "بنو هلال بطن من النخع من القحطانية ثم قال أيضاً: بنو هلال بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية... وجبل بني هلال معروف بالشام ومنه قلعة هلال المشهورة"[٢٧٥]. وفي "اللباب في تهذيب الأنساب" نسبتين لبني هلال، تلك التي ذكرها القلقشندي، وأخرى تعود "إلى هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عوف... ابن تيم الله بن النمر بن قاسط، بطن من النمر"[٢٧٦].

---

271 - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧١.
272 - المرجع السابق، ص ١٧٧.
273 - المرجع السابق، الدفتر الثاني، ص ٦٤.
274 - القطب، سمير عبد الرزاق: أنساب العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨، ص ٢١٨.
275 - المرجع السابق، ص ٢٥٤. و"جبل بني هلال: بحوران من أرض دمشق، تحته قرى كثيرة، ومنها قرية تعرف بالمالكية..."، راجع: ياقوت الحموي، معجم...، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠٣.
276 - الجزري، عزالدين ابنالأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠، ص ٣٩٦.

ويجعل عيسى اسكندر المعلوف، في مؤلفه دواني القطوف، بني هلال فرع من التنوحيين الذين أموا لبنان وكانوا عشر قبائل، منهم بنو هلال[٢٧٧]. ويذكر في موضع آخر من نفس المؤلف فرع مسيحي من بني هلال، فيجعله من رأس بعلبك، ومن هناك ارتحل فريق منه إلى زحلة وآخر إلى بلودان[٢٧٨]. وفي كلام الخوري لويس الهاشم على العائلات العاقورية يذكر عائلة هلال ويجعل أصلها من بلودان[٢٧٩].

لا تعرف عائلة هلال القبياتية المكان الذي ارتحلت منه إلى القبيات ولا زمن هذا الارتحال، ولا تشير المصادر التي راجعناها إلى ذلك[٢٨٠]. تقيم عائلة هلال في أحياء ثلاثة في القبيات: الغربية والضهر وغوايا. ويبدو أنها من العائلات القديمة، ومنها فرع باسم عائلة "سيدة"، ذكره الأب اغناطيوس طنوس الخوري، في سياق كلامه على عائلات منجز: "ومن رهبان منجز اليوم الأخ ابراهيم بن حنا بن مخول بن طنوس من عائلة بيت سيدة التي قدم منها إلى منجز حنا مخول سيدة سنة ١٩٠١[٢٨١] وأصلهم من قبيات الغربية من بيت الهلال ومنها هجرت جدتهم الأرملة سيدة إلى العوينات إلى أن هجرها حفيدها إلى منجز"[٢٨٢]. وآخر من عرف من بيت سيدة عائلة كانت تقيم في حي الضهر.

عائلة حبيش

عائلة حبيش واحدة من أهم العائلات المارونية المشهورة في جبل لبنان. ولقد صنفها الشيخ طنوس الشدياق، في "أخبار الأعيان"، كواحدة من عائلات المشايخ الست[٢٨٣]. يبدأ الشدياق بكلامه على الحبيشيين، بذكر جدهم "حبيش بن موسى بن عبدالله بن مخائيل ولد ثلاثة أولاد وهم أبو منصور يوسف ومهنا وأبو يونس سليمان"[٢٨٤]. وذلك "سنة ١٥١٥ لما وجدت الراحة في لبنان بعد ما قتل السلطان سليم الملك قانصوه الغوري ملك الشام ومصر قدم الشيخ حبيش بأولاده

---

277 - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ١٩٧: "تحالف الأمراء بنو فوارس في البرية وسموا تنوخيين (من تنوخ بمعنى الاقامة) نحو سنة ٨٣١م وسكنوا معرة (مغارة) النعمان بجوار حلب وقدموا لبنان وكانوا عشر قبائل منهم التنوخيون والأرسلانيون وآل عبدالله وآل هلال...".

278 - المرجع السابق، ص ٣٨٦: "ينتسب بنو هلال إلى الخوري جرجس هلال الذي جاء بذويه من رأس بعلبك إلى زحلة وبعضهم ارتحل إلى بلودان...".

279 - الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورا، مرجع سابق، ص ٣٢٢.

280 - يقرر فوزي اسحق (القبيات، دراسة...، مرجع سابق، ص ٨٢): عائلة هلال "جاءت من العاقورة إلى القبيات..."، وذلك دون أي تحديد لمرجعه في تقرير ذلك. وكذلك يجعلهم السيد يواكيم الحاج من "أسر العناحلة"، دون توضيح أو تبرير لافتراضه، راجع للمؤلف: عكار...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٧.

281 - الرقم غير مقروء بشكل جيد.

282 - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٦٦.

283 - الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، مرجع سابق، ج ١، دار نظير عبود. عدد طنوس الشدياق عائلات المشايخ المارونية، وفق الترتيب التالي: (١) الخوازنة ص ٧١ - ٨٧، (٢) الحبيشية ص ٨٨ - ٩٤، (٣) بني الظاهر ص ٩٥ - ٩٦، (٤) بني الصالح ص ٩٧ - ٩٩، (٥) الدحادحة ص ١٠٠ - ١١٧، (٦) الصعبية ص ١١٨ - ١٢٥.

284 - المرجع السابق، ص ٨٨.

يوسف ومهنا وسليمان من يانوح إلى غزير وتوطنها"[285]. لا يذكر شيئاً عن هذه العائلة قبل هذا التاريخ.

بيد أن لعائلة حبيش تأريخ خاص بها، يعود بالعائلة إلى أصل عربي عريق: "آل حبيش، أسرة من مشايخ لبنان الموارنة. يرقى أصلها إلى قبيلة الهوازن. وهي فخذ من قريش اعتنقت النصرانية على يد الرسولين "برتلماوس" و"توما" وهما في طريقهما إلى الهند، فتوقفا في اليمن مبشرين بالنصرانية. وكانت الهوازن كسائر أهل بلاد اليمن، تدين بالصابئة (وهي عبدة الأجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم) قبل مجيء الرسولين. فلما جاء الاسلام وانتشر في شبه الجزيرة العربية، تقلصت النصرانية بانتشاره، على أن نصارى اليمن نزح بعضهم قبل ظهور الاسلام لدواع اقتصادية، فلم يمسهم ضير عظيم بعد ظهوره وذلك بفضل الخليفة عمر بن الخطاب الذي اكتفى باجلاء من لم يعتنق الاسلام منهم. أما الذين لم يعتنقوا الاسلام فبارحوا اليمن وتفرقوا في الحجاز ثم تجمعوا ونزلوا في العراق، ومنه خرجوا إلى تدمر الشام، فلبنان. وكانت إقامتهم في لبنان في بادئ الأمر في دير الأحمر. ومن هناك إلى محلة تقع بين يانوح والعاقورة سميت تدمر والمعروفة حالياً بالخربة، ودير الأحمر يقع في منطقة البقاع، ثم في بلدة يانوح في جبة المنيطرة، من جرود جبيل"[286].

لا يذكر المؤرخ الحبيشي تاريخاً محدداً لوصول الحبيشيين إلى لبنان، ولكنه يُستدل من كلامه على أنهم كانوا في لبنان في أواخر القرن السابع: "ما أن حطّ الحبيشيون رحالهم في لبنان حتى وضعوا أنفسهم في خدمة الطائفة المارونية، والتفوا حول بطريركها للدفاع عنه، وهو القديس يوحنا مارون أول بطريرك ماروني... (الذي) التف حوله أبناؤه من حبيشيين وغيرهم وصدوا عن لبنان جيش "يوستينيانوس" الثاني... وقد حاول اجتياح لبنان سنة ٦٩٤، بعد الاتفاق الذي تمّ بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان"[287]. لا يوضح المؤرخ الحبيشي كيف تحول الحبيشيون المسيحيون الآتون من اليمن إلى المارونية، ولا زمن هذا التحول. وفي هذا افتراض مجاني لا سند له، ذلك أن مسيحية اليمن وشبه الجزيرة العربية لم تكن على شيء من المارونية البتة.

وحول ارتحال الحبيشيين من يانوح إلى غزير يقول صاحب "مختصر تاريخ جبل لبنان": "أصل مشايخ بيت حبيش. أولهم من قرية يانوح، بقرب

---

285 ـ المرجع السابق، ص ٩١. يذكر البطريرك الدويهي نفس الخبر تقريباً، بقوله (في: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٣٩٢): "والسلطان سليم لكثرة حلمه أمر في عمار البلدان... وعندما عمّر البلاد، قدمت الناس من كل جانب. ... وكذلك النصارى (جاؤوا) من بلاد طرابلس فسكنوا...، والسيخ حبيش بن موسى بن عبدالله بن ميخايل من يانوح في أغزير...".

286 ـ حبيش، خليل رشيد اسكندر: آل حبيش في التاريخ، تقديم فوءاد افرام البستاني، بدون ناشر، ١٩٧٨، ص ١١. ويدعم الكاتب رأيه بكون الحبيشيين من عرب اليمن بذكره "جبل حبيش وفيه قصبة يطلق عليها حالياً اسم "ظاهرة حبيش"، وبلدة أخرى تدعى "صدر حبيش"..." ص ١٢.

287 ـ المرجع السابق، ص ١٢ ـ ١٣.

المغيرة (قرب العاقورا)، في جبة المنيطرة. وحين صارت الدشمة (العداوة) بينهم وبين العاقورة، وخرجت يانوح، توجه جدهم إلى قرية غزير، بأرض كسروان وسكن بها مدة. وصار له أولاد. وعمروا عماير. واقتنوا أرزاق. وصاروا عيلة معروفة عند الجميع"[٢٨٨].

وبعد استقرار الحبيشيين في غزير مع مطلع استيلاء العثمانيين على بلادنا، وضعوا أنفسهم في خدمة أمراء الجبل كمدبرين وأنصار، وبذلك تطورت غزير تطوراً كبيراً، إلى أن استفحلت الصراعات القيسية – اليمنية، لا سيما مع ولاية الأمير حيدر أحمد الشهابي الذي تحالف معه الحبيشيون تحالفاً جاء نكبة عليهم، إثر اندحاره في العام ١٧٠٩، وما أعقبه من خراب غزير[٢٨٩].

ينطلق مؤرخ العائلة الحبيشية من هذه الحادثة ليذكر ارتحال بعض الحبيشيين إلى عكار والقبيات: "وفي سنة ١٧١٠، عُزل الأمير حيدر بدسائس، وأرسل بشير باشا والي صيدا جيشاً لمحاربته... ففر إلى غزير واعتصم هو وعياله بالمشايخ آل حبيش... فمنعوا العسكر من الدخول إلى غزير... بعد أن قتلوا عدداً منهم... ولما دخل الظلام انفض الحبيشيون إلى نواحي جهة طرابلس، ونهض الأمير بأصحابه إلى جهة الهرمل... ولما خرج الأمير حيدر من مخبأه... رجع المشايخ الحبيشيون إلى غزير... وبقي أفراد في عكار وسلالتهم تعرف هناك بالمشايخ بني حبيش، وآخرون استوطنوا اللاذقية ويعرفون باسم آل حبشي. أما حبيشيو عكار فهم سلالة الشيخ يوسف بو نصار حبيش من غزير... وفي القبيات (عكار) تكاثر هذا الفرع... وأما حبيشيو اللاذقية... اعتنقوا المذهب الأرثوذكسي..."[٢٩٠].

---

288 - الخوري، الأب اغناطيوس طنوس الخوري: مختصر تاريخ جبل لبنان، تحقيق الياس القطار، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٦٤.

289 - يذكر الأمير حيدر أحمد الشهابي (في الجزء الرابع من تاريخه، منشورات دار نظير عبود، ١٩٩٣، ص ١٠٤٨ – ١٠٤٩): "وفي سنة ١١٢١ هـ = ١٧٠٩م تعاظم غرض اليمنية في بلاد الشوف، وتظاهر الأمراء بنو علم الدين بذلك، وساعدهم الأمير يونس أرسلان حاكم الشويفات ومال إليهم من القيسية الشيخ محمود أبو هرموش، وبعض أناس من البلاد. فهرب الأمير حيدر وأرسل أهل بيته إلى كسروان عند المشايخ بني الخازن، واختفى الأمير حيدر في مغائر عزرائيل في جبل الهرمل ومعه نفر من خدمه...، وأرسلوا (اليمنية) أربعين خيالاً من رجال الدولة يطالبون المشايخ بني الخازن بأموال السلطنة. فحضر الشيخ أبو نادر الخازن وأخوه إلى دير القمر يتلطفان في رفع الخيالة عنهما، فعرض عليهما الشيخ محمود كتاباً من المشايخ بني حبيش من غزير يذكرون فيه أن بني الخازن يعرفون مقر الأمير حيدر، وأن عياله مختفية عندهم، وهم الذين يقدمون له الذخائر إلى مكانه. فأنكر الشيخ أبو نادر ذلك وقال إنما هو فساد من بني حبيش...، فأمر الشيخ محمود والأمير يوسف علم الدين بانتقال خيالة الدولة من عند بني الخازن إلى غزير فانتقلوا، ولما أرادوا الدخول إلى غزير منعهم بنو حبيش وقتلوا منهم ثلاثة أشخاص وخمسة أفراس... فغضب الأمير يوسف وركب بعسكر الدولة لحرب بلدة غزير فانهزم الحبيشيون من قدامه إلى نواحي طرابلس، فأحرق غزير ونهبها ... وقيل في ذلك شعر:

نكب الحبيشيون أعظم نكبة	لما أغار عليهم الجمع الغفير
هذا جزا من زاد في طغيانه	فلأجل ذا أرختها ندمت غزير".

يذكر الشيخ طنوس الشدياق هذه الحادثة (في أخبار الأعيان، مرجع سابق، ص ٩٣) ولكنه يجعلها في العام ١٧١١، والصحيح أنها في العام ١٧٠٩.

290 - حبيش، خليل رشيد اسكندر: آل حبيش...، مرجع سابق، ص ٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٠.

تفيدنا هذه الرواية، في ما لو صحت، في أن وفود عائلة حبيش إلى القبيات قد كان متزامناً تقريباً مع وفود أهم العائلات إلى البلدة، أي مطلع القرن الثامن عشر، وذلك عشية زوال سلطة الحماديين وبداية سلطة المراعبة في عكار. واشتهرت العائلة، في القبيات، بموقعها الديني وبعلاقتها مع المراجع الروحية، إلى أن برز منها مؤخراً، الموظف الاداري، ومن ثم السياسي الشيخ فوزي حبيش الذي تبوأ كرسي نيابة عكار وكرسي وزارة الثقافة والتعليم العالي.
عائلة خطار: لا نملك من المعلومات عن هذه العائلة غير تلك الرواية التي زودنا بها السيد فريد خطار: "أصل العائلة من قبيلة عربية عريقة في القدم، وقد أطلق النبي محمد على جدنا خطار لقب "سماحة"، لكرمه وطول ذات يده. انتقلت العائلة إلى جبل لبنان قبل أن تستقر في القبيات، في زمن لانعرفه، وذلك هرباً من جريمة كان قد ارتكبها أحد جدودنا"[٢٩١].

عائلة الحاج

يعود السيد يواكيم الحاج بعائلته (الحاج) إلى زمن لم يرد فيه أي ذكرلاسم القبيات في شتى المراجع والوثائق المعروفة. وهو يتوهم وجود بطريرك من القبيات، البطريرك شمعون (١٢٧٩- ١٣٣٩)، ويدعي نسبته إلى عائلة الحاج اعتباطاً. وهو لاينسى، كعادته في ما كتب، الإدعاء بوجود وثائق ثبوتية لكلامه. يقول: "إن كل ما يمكن الاعتماد عليه لاثبات وتحديد البعد التاريخي للقبيات ولأسرة آل الحاج، هو وجود وثيقتين تاريخيتين يمكن الاعتماد عليهما والاعتداد بهما"[٢٩٢]. عن الوثيقة الأولى يقول أنها: "وجدت في بجة – جبيل، بين أوراق البطريرك الياس الحويك، ومدونة بخط الأب جورج سعد، ومؤرخة سنة ١٧٦٦م، وقد ذكر فيها بطاركة أنطاكية، الذين تعاقبوا على كرسيها، بعد موت يوحنا مارون، أول بطريرك على الطائفة المارونية، وقد ورد اسم البطريرك شمعون، (١٢٧٩ – ١٣٣٩)، من القبيات، وهو شقيق الخوري يوسف الحاج الوارد اسمه صراحة في الوثيقة الثانية الموجودة لدينا، وهي كناية عن حجة بيع قطعة أرض في القبيات، ومؤرخة بسنة ١٣٠٤م"[٢٩٣].

نبدأ ب"الوثيقة" الثانية التي سبق للسيد الحاج أن وعد قراءه بأنه سيضعها في نهاية الفصل[٢٩٤]، ولكنه لم يفعل. ولا نرى وجود وثيقة ما بهذا المعنى. وبخصوص ما جاء في "الوثيقة" الثانية عن البطريرك شمعون نؤجل

---

291 - مقابلة مع الاستاذ فريد خطار، ١٩٨٠/٣/٨.

292 - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ...، مرجع سابق، ص ٤٩٥. وفي برنامج "كتاب وكاتب" Télé Lumière، مرجع سابق، يدعي السيد يواكيم: "عائلة الحاج أصلها من القبيات، وهي العائلة العريقة الوحيدة التي أصلها من القبيات".

293 - المرجع السابق، ص ٤٩٥.

294 - المرجع السابق، ص ٦١، حاشية رقم ٢: "حجة أرض موجودة في آخر هذا المقال". نظنه توهم عام١٣٠٤هـ بعام ١٣٠٤ الميلادي.

النقاش في وجود هذا إلى المكان المخصص لمعالجة موضوع "موارنة عكار والقبيات". ولكننا سنناقش هنا ما يسميه السيد يواكيم "وثيقة"، وكيفية نسبة البطريرك شمعون إلى عائلة الحاج.

لم يحدد السيد يواكيم المرجع الذي عثر فيه على هذه الوثيقة المزعومة. ولكنه تبين لنا أنه أخذ ما سماه هنا وثيقة عن حاشية واردة في مقال للخوري ناصر الجميل[٢٩٥]، وقد حور في بعض كلام النص الذي نقله تعظيماً لعائلته. ما هو أصل النص الذي يسميه السيد يواكيم وثيقة؟ الجواب: يعالج الخوري ناصر الجميل في مقاله سلسلة للبطاركة الموارنة وضعها البطريرك بولس مسعد. وفي سياق المعالجة يستعرض على عجل شتى اللوائح المتداولة عن سلسلة البطاركة.

وهنا يشير إلى سلسلة كثر تداولها، وهي تختلف عن أكثر اللوائح اعتماداً، لأنها ترفع عدد البطاركة كثيراً، بزيادة ٣٠ بطريركاً، ويشير إلى تعدد نسخ هذه اللائحة بقوله: "لهذه السلسلة نسخ مختلفة... منها... وأخرى عند الخوري الياس الحايك في قرية بجة ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٧٦٦ بخط الخوري جرجس سعد..."[٢٩٦]. هكذا قام السيد يواكيم بترقية الخوري الياس الحايك إلى البطريرك الياس الحويك. صحيح أنه ورد اسم "البطرك شمعون من القبيات"[٢٩٧]، ولكن أحداً من المؤرخين لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى كنية هذا البطريرك. فكيف جعله السيد يواكيم من عائلة الحاج؟ وكيف قرر أن الخوري يوسف الحاج (المزعوم أيضاً) هو أخوه؟ بوسع الخيال فعل العجائب.

ليس لدينا عن أصل عائلة الحاج معلومات تذكر. غير أن الخورسقف مخايل الزريبي دون بخط يده معلومة (قد تفيد حول هذه العائلة) على الصفحة الأولى من كتاب كان يقتنيه (أخبار الأعيان في جبل لبنان) النص التالي: "بينما كنت أفتش بالكتب الخطية وجدت إنجيلاً عند الخوري قحوش مكتوباً فيه ما حرفيته[٢٩٨]: هذا الكتاب المقدس إلى الخوري سمعان خادم قرية عينتقد (عندقت) من عيلة بيت الحاج يوسف من قرية القبيات المحروسة اشتراه من ماله لحاله الله تعالى يهنيه فيه زماناً طويلاً. هو خط الخوري يواقيم من عيلة بيت دحدح أهدن. كتب في ٢٤ أيلول سنة ١٧٨٤، بسنة أعفد مسيحية. فمن هذا أستدل على أن عائلة بيت الخوري الحاج في القبيات وبيت الخوري في عندقت هي واحدة وإقرار العائلتين بالقرابة لحد الآن دليل أوضح مأخوذ بينهم بالتقليد"[٢٩٩].

---

[295] - الجميل، الخوري ناصر: "سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك بولس مسعد"، مجلة المنارة، السنة ٢٦، العددان الأول والثاني ١٩٨٥، ص ٥٥ – ٧٠.

[296] - المرجع السابق، ص ٥٦، حاشية رقم ١٠.

[297] - مختصر تاريخ جبل لبنان، مرجع سابق، ص ٨٢. ورد اسم هذا البطريرك بوصفه البطريرك السابع والأربعين في ساسلة البطاركة الموارنة. وهي السلسلة المشكوك في صحتها وغير المعتمدة إطلاقاً.

[298] - جاء النص بالأصل باللغة السريانية، وقد تفضل بترجمته لنا الأب سليم الزريبي مشكوراً.

[299] - الزريبي، الخورسقف ميخائيل: نص مخطوط على الصفحة الداخلية الأولى من كتاب "أخبار الأعيان في جبل لبنان"، في مكتبة الخورسقف المذكور الذي اعتاد على تدوين الكثير من الملاحظات على بعض صفحات الكتب التي كان يقتنيها. يذكر السيد يواكيم الحاج (عكار...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٩٨) قسماً

عائلة دميان: تبين لنا عندما أجرينا بحثنا في "علاقات السلطة السياسية في القبيات"، في نهاية السبعينات، أن عائلتي دميان وساسين هما عائلة واحدة تعود بأصلها إلى بلدة مشمش، ومن هناك انتزحت إلى الضنية، ومن ثم إلى القبيات(٣٠٠).

ويذكر الأب اغناطيوس طنوس الخوري هذه العائلة بقوله: "بيت دميان: إن أصلهم من مشمش بلاد جبيل (يُسأل عنهم؟) وجدهم الأول عبود وَلَدَ ابراهيم ساسين. ومنهم اليوم وجيههم المعروف في القبيات وجوارها ابراهيم بن عيسى بن عبود دميان ثم انطونيوس بن ساسين بن جروج ساسين دميان وأخوه جرجس ساسين مقيم في قبة النصر في طرابلس وهو مثري، وأخوه يوسف في المكسيك. وحبيب بن عبود دميان وولداه مخايل ويوسف. وعددهم اليوم ١٣٠ نفساً مقيماً و١٥ مهاجرين"(٣٠١).

عائلة الصياح: أصل هذه العائلة شخصان من بكفيا، يقول فيها الخورسقف الزريبي: "حضر من بكفيا سنة ١٨٤٥طنوس والياس الصياح وتوطنا بالقبيات. فطنوس خلف أسعد وميلاد وعبدالله ويوسف ومريم التي اقترنت بنسيبها جبرايل الصياح من عين الخروبه ولوليا زوجة ابراهيم أنطون حنا.. فأسعد خلف ياسمين. وميلاد خلف أمين وطنوس. فأمين خلف كريمه ورسميه. وعبدالله خلف هدلا زوجة مجيد الصياح. وطنوس خلف خمسة زكور وابنتين في المهجر. ويوسف بغير عقب. الياس خلف جرجس ويوسف وضوميط وحنه. وجرجس خلف قيصر وميشال ويوسف ومطانيوس وابراهيم. ويوسف خلف في المهجر سبعة أولاد نجهل اسماهم. وضوميط خلف سركيس الذي قتل سنة ١٩٣٢ ومطانيوس وياسمين وماتيلدا ونظور وحنا"(٣٠٢).

عائلة القبياتي

هل يكون اسم هذه العائلة عائد إلى ارتحالها من موقع يعرف بنفس اسم بلدتنا القبيات؟ أم إنها كانت في الأصل في القبيات وهجرتها إلى مكان ما حيث عرفت هناك باسم القبياتي، ثم عادت إلى القبيات وهي تحمل اسمها الجديد؟

من هذا النص، لا كله، ويقول أنه "جاء في مذكرات الخوري أسقف مخائيل الزريبي ما حرفيته..." ولكنه لا يشير إلى قرابة عائلة الحاج مع عائلة الخوري في عندقت!

300 - راجع: (ABDALLAH, Joseph: Rapports du pouvoir. . ., op. cit. p. 123.)، مقابلة مع السيدين امطانيوس ابراهيم رعد والياس رعد، بتاريخ ١٩٨٢/١/٢٢.

301 - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٥.

302 - الزريبي، الخورسقف: نبذة مخطوطة في بعض العائلات، مرجع سابق، ص ١٤. يبدو أن الدفتر الذي دون عليه الخورسقف المذكور هذه النبذة فقد الكثير من أوراقه، وكانت الصفحة التي وردت فيها هذه المعلومات عن عائلة الصياح آخر الصفحات. ولذلك لم نتمكن من معرفة مزيد من التفاصيل عنها.

ورد ذكر لهذه العائلة في أخبار البطريرك الدويهي لعام ١٥٥٧، دون تحديد لنسبة القبياتي فيها: "يذكر الخوري شمعون ابن القس موسى القبياتي في الميمر..."[٣٠٣]. كما يرد ذكرها في تعيين اسم ثاني كاهن خدم رعية الأربعين في القبيات: "القبيات - في ١٦ من شهر آب المبارك (١٦٧٩) انتخب الثالوث المقدس الشدياق بطرس القبياتي قس على كنيسة الأربعين في القرية"[٣٠٤]. ولكن القبياتي هنا قد تعني انتساب الشخص المعني إلى بلدتنا القبيات أو إلى موضع آخر باسم القبيات، ولا تعني بالضرورة عائلة القبياتي.

يذكر هذه العائلة الأب اغناطيوس طنوس الخوري قائلاً: "عائلة بيت القبياتي: من أقدم سكان القبيات ومارتوره. ولم ينموا كثيراً. منهم اليوم داوود ابراهيم ملحم وولده ابراهيم، ويوسف أخوه. ويوسف ابراهيم عيسى القبياتي وولده يوسف. وعددهم اليوم ٢٥ مقيمين و١٥ مهاجرين. وينتسب إليهم بيت حنه في مارتموره، ومنهم اليوم يوسف بن ابراهيم يوسف حنه فقط، وهو في المكسيك"[٣٠٥].

عائلة الغزيري

يقول فيها الأب اغناطيوس طنوس الخوري: "بيت الغزيري هم من بيت الباطولي في غزير. جاء منهم خليل وابراهيم أخوه أولاد نصرالله الباطولي من غزير إلى مارتموره سنة ١٨٧٩. أولادهم اليوم جرجس بن ابراهيم نصرالله الباطولي الغزيري، وأولاده ابراهيم ويوسف وتوفيق. ولجرجس أخوه نصر في بنتيبيداوي. وعددهم كما ذكر"[٣٠٦].

عائلة جعلوك

"بيت جعلوك: أصلهم من عين حلاقيم (سورية). كانوا خمسة أخوة: حنا وابراهيم وجروج ومخول والخامس مجهول. هربوا من عين (حلاقيم) لقتلهم رجلاً إلى قرية بيت جعلوك بين منجز والبيره. وكانت بيت جعلوك إذ ذاك ملكاً لأناس روم فاغتصبها منهم محمد بك العبود وطردهم إلى شدرا والعوينات بقربها. وملّك القرية إلى الأخوة اللاجئين إليها من عين حلاقيم، وتسموا باسمها "بيت جعلوك". وبعد موت محمد بك المذكور رحل المذكورون سنة ١٨٦١ من جور الاسلام إلى منجز ومارتموره. ومنهم اليوم في منجز يوسف ابراهيم جعلوك وأخواه حبيب وموسى في مارتموره. أولاد موسى هم ابراهيم وجرجس ونخله.. وأولاد يوسف في منجز هم ابراهيم ونادر..."[٣٠٧].

---

[303] - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

[304] - حرفوش، الأب ابراهيم: "الكنوز..."، مقال سابق، المنارة، ١٩٣٢، ص٥٠١.

[305] - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٧٦.

[306] - المرجع السابق، ص ١٧٦.

[307] - المرجع السابق، ص ١٧٦.

عائلة الصايغ: اسم هذه العائلة شائع كغيره من أسماء العائلات التي تعود لمهنة مؤسسها. جاءت هذه العائلة من حمص، وأقامت لفترة في مزرعة المغراقة بالقرب من القبيات، قبل أن تستقر في البلدة نهائياً. كانت هذه العائلة أرثوذكسية المذهب ثم تحولت إلى المذهب اللاتيني لتتمورن ثقافياً ومن ثم فعلياً في النهاية.
عائلة طعمه: يقول فوزي اسحق فيها: "إن موطن العائلة الأصلي مدينة زحلة، وقد تركها الشقيقان مخول وابراهيم وأسسا معاً العائلة في الحي الغربي من القبيات"[٣٠٨]. أما السيد يواكيم الحاج فيجعلهم فرعاً من عرب حمص المنتسبين إلى بني خالد[٣٠٩]. وإن كنا لانستطيع أن نحسم في أصل هذه العائلة التي لا تحمل ذاكرة واضحة عن ماضيها ما قبل القبياتي، ولا عن بدايات إقامتها في القبيات، فإننا نرجح احتمال أن تكون من عائلة طعمة التي كانت تقطن في بلدة عزير. وفي هذه العائلة (في عزير) يقول الأب اغناطيوس طنوس الخوري: "يقول قدماؤهم عن لسان أقدم جدودهم أن أصلهم روم من حوران، ولهم أقرباء في دير عطيه بسورية... قدموا عزير منذ أكثر من سنة ١٧٢٠..."[٣١٠]. ولعل هذه العائلة ارتحلت من عزير إلى القبيات، كما حصل مع بعض العائلات التي انتقلت من المنطقة المحاذية للنهر الكبيرالجنوبي إلى البلدة، ونأخذ كمثال على ذلك ما ذكره نفس الأب الخوري، في كلامه على ما كانت تتعرض له عزير: "كانت عزير معرضة دائماً لغزوات وهجمات الأغوات الدنادشة جيرانها في تلكلخ. فتكبدت من غاراتهم عليها مشقات وخسائر فادحة... وتحمل أهلها وأعيانها كثيراً من الانزعاجات والضرب أحياناً..."[٣١١].

عائلة جمعة

لهذه العائلة تاريخ عريق في لبنان، وهي تتوزع على كثير من الأديان والمذاهب. ولكنه ليس من السهل ضبط الصلات القرابية بينها. وتجمع الروايات المارونية على أن عائلة جمعة هي من "أسر العناحلة". وسميت بعض الأسر بهذا الاسم لأنها من "عين حليا، وتيمناً بموطنها الأصلي"[٣١٢]. وأبرز أسر العناحلة عائلة الحلو. وفيها يقول دي طرازي: "يتحدر بنو الحلو من الشيخ جمعة

---

[308] - اسحق، فوزي: القبيات، دراسة...، مرجع سابق، ص ٨٢. لا يحدد المؤلف مرجعه.

[309]- الحاج، يواكيم: عكار...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٢.

[310]- "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٥٥.

[311]- المرجع السابق، ص ١٥٧.

[312] - جعجع، غازي: تاريخ بشري الحديث، (١٤١٥ – ١٩٢٠)، بشاريا للنشر، ١٩٩٤، ص ٢٢. وجاء في الحاشية ٣ من نفس الصفحة: وعين حليا "لفظة سريانية معناها "عين الحلو" وهي بلدة سورية مسيحية...، وتقع تحديداً بين بلودان وسرغايا في إقليم الزبداني من سفح الجبل اللبناني... وكانت هذه البلدة مقسومة شطرين، الأول يسكنه فريق من السريان، والثاني يسكنه فريق من الروم الملكيين. وكانوا يتكلمون جميعهم اللغة السريانية، ولكل فريق كنيسة".

جدهم الأعلى... شخص جمعة بأولاده من عين حليا على أثر دمارها وقدم إلى لبنان عام ١٤٧٠ وسكن بشري. وتفرق أولاد جمعة في ثلاثة مراكز رئيسية في لبنان: أولاً بشري، ثانياً حصرايل، ثالثاً أهمج"(٣١٣). ومن أقام منهم في بشري عرفوا باسم كيروز أو كاروز(٣١٤).

بيد أنه من غير الثابت ما إذا كان هناك فرع من هذه العائلة "الحلو" أو "كيروز" قد عُرف باسم أو بكنية "جمعة"، لا سيما وأن هناك من يعود بعائلة جمعة إلى أصل آخر. فالخوري لويس الهاشم يقول: "أسرة جمعة. من التقليدات المتعارفة في هذه العترة أنها تنتسب لأسرة هاشم العجمي... هاجرت في الجيل السابع عشر إلى بلاد عكار وتوطنت بلدة ممجز "منجز"... وكان منها الخوري مخايل ملحم..."(٣١٥).

ومما يلفت النظر ما ذكره الأب اغناطيوس طنوس الخوري عن هذه العائلة في بلدة منجز بالذات: "بيت جمعه: هم فرع من بيت جمعه في حدث الجبه. ومنهم فرع أيضاً في قنات. وهم قدماء في منجز ويظهر أنهم سكان القرية الأولون ومؤسسوها. ويؤكدون أنهم جاؤا من الحدث بناءً على تأكيد البطريرك بولس مسعد لبعض أجدادهم. وأنهم أسسوا كنيستهم على اسم مار دانيال شفيع الحدث وطنهم الأصلي، وشيدوا بيوتهم حولها كالدائرة، مما يدل على أنهم مؤسسو القرية الأولون، بعد خرابها لأنها كانت عامرة من قبل وخربت بدليل آثارها ونسبتها إلى قلعة فاليس.واسم جمعه قد انتسى (انتسخ) اليوم واستغرقته أسماء الفروع المشتقة منه..."(٣١٦). واستناداً لما سبق للتو نرجح أن تكون عائلة جمعة في القبيات قد وفدت من بلدة منجز إليها.

عائلة توما

لاتحمل هذه العائلة خطاباً حول أصلها ومنبتها، ولا نعرف عنه ماضيها خارج القبيات شيئاً. بيد أن الأب اغناطيوس طنوس الخوري يذكر عائلة توما التي انتزحت من قرية دثرت وكانت على مقربة من القبيات. يقول، في كلامه على عائلات قرية أوتان في سورية: "عائلة توما: أصلهم من قرية الفتوح في

---

[313] - دي طرازي، الفيكنت فيليب: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان...، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٤٨، ص ٦٣.

[314] - المرجع السابق، ص ٦٣، حاشية ٣: "كيروز: تحريف "كاروز" من اللغة السريانية ومعناها المبشر والواعظ والمنذر". أما غازي جعجع فيقول (في تاريخ بشري...، مرجع سابق، ص ٢٥)، نقلاً عن الخوري فرنسيس رحمه: "أما بنو نار (العناحلة) فجاؤا جمات راشيا وعرفوا بالعناحلة، وتفرعت منهم فروع كثيرة، وسار فخذ منهم إاى بشري وعُرف ببني جمعة أبي كيروز أو خاروز".

[315] - الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورا...، مرجع سابق، ص ٣١٨. وعنهاشم العجمي يقول الخوري الهاشم في نفس المرجع ص ٧٥: "كانت العاقورا تتفاخر برجلين الشيخ مالك ... رأس اليمنية والشيخ هاشم العجمي رأس القيسية... أما هذه العصبية فوقعت في الجاهلية بين قيس ويمن فانحاز إلى كل منها قبائل وقد امتدت إلى العاقورا"؛ وص ٧٩: "مالك بن أبي الغيث كان رأس اليمنية والشيخ هاشم العجمي رأس القيسية".

[316] - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، الدفتر الثالث، ص ١٦٥.

عكار شمالي عندقت، وهي قرية خربة اليوم... ومنهم فرع في مشرفة حمص وهبوب الريح شمالي حمص على العاصي... وقرية جوسي جنوبي القصر"[٣١٧]. ولعل عائلة توما في البلدة من هذا الأصل الذي انتشر من تلك القرية الخربة في مناطق متعددة.

عائلة قسطون

تروي ذاكرة هذه العائلة أنها نزحت من رأس بعلبك لتستقر في القبيات بعد أن أقامت لفترة وجيزة في بلدة شدرا المجاورة[٣١٨]. ولكن الملفت للنظر أن كلمة قسطون هي اسم لموقع في سورية ذكره ياقوت الحموي قائلاً: "قسطون: حصن كان بالروج من أعمال حلب..."[٣١٩]. فهل تكون هذه العائلة في أساسها من هذا الموقع قسطون؟

عائلة المطران

لا نعرف شيئاً عن هذه العائلة، ولعلها فرع من عائلة المطران التي يذكرها عيسى اسكندر المعلوف بقوله: "أصل أسرة المطران من حوران وكان جدهم كاهناً متزوجاً فلما ماتت امرأته سيم مطراناً ونسب إليه فرعه"[٣٢٠].

عائلة زينون

يعود الخورسقف بطرس حبيقة بأصل عائلة زينون إلى عائلة حبيقة.ويعتبر هذه العائلة: "أسرة كبيرة منتشرة في كثير من المدن والقرى اللبنانية والمتاخمة للبنان، بهذا الاسم وبغيره يتحدر نسبها من المشايخ الاقطاعيين آل شمّر وهم آراميون نصارى عرفوا في العاقورة منذ السنة ١٢١٢ إلى ١٦٢٥ إذ تفرقوا في البلاد..."[٣٢١]. ويرد اسم "حبيقة" إلى موضع في بلاد جبيل هو "بلدة "بيت حباق"... وهو من أصل سرياني ومعناه الملجأ والمجتمع. ومن اسم هذه القرية أخذ بيت حبيقة الذين انتشروا في لبنان ألقابهم: الحباقي والحبقاني وحبيقه"[٣٢٢]. ويعدد الخورسقف حبيقة أماكن انتشار هذه العائلة، فيذكر فيها...

---

317 - المرجع السابق، ص ١٥٣.

318 - مقابلات لنا مع بعض أبناء هذه العائلة. لقد توصل إلى نفس النتيجة فوزي اسحق في "القبيات، دراسة..."، مرجع سابق، ص ٨٢: "قسطون: جاء مؤسس العائلة من رأس بعلبك إلى قرية شدرا أولاً حيث تزوج إحدى البنات وبعد وفاتها غادر البلدة نهائياً إلى القبيات ليتزوج ثانية ويقيم فيها".

319 - الحموي، ياقوت: معجم...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٤٨. وفيها يقول د. عبدالله الحلو (تحقيقات لغوية...، مرجع سابق، ص ٤٤٨): "لم تزل اليوم معروفة، وتقع شمالي الغاب قريباً من جسر الشغور. والاسم عبارة عن صيغة التصغير الآرامية... قِسطون من كلمة... قشطا التي هي بالأساس مكيال للسوائل...".

320 - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

321 - حبيقة، الخورسقف بطرس: تاريخ بسكنتا وأسرها، ١٩٤٦، (أعادت الحركة الثقافية في بسكنتا طباعة هذا الكتاب ونشره)، بدون تاريخ، ص ١٤٥.

322 - المرجع السابق، ص ١٤٥ – ١٤٦.

فيها... القبية[٣٢٣] (عكار)... والشطاحه وتاشع من بلاد عكار..."[٣٢٤].ويوضح الخورسقف المذكور أن فروع عائلة حبيقة عُرفت بكنيات أخرى منها زينون[٣٢٥]. وهو لا يلبث أن يصرح: "بنو زينون (حبيقه) في رومية المتن وغيرها: تفرعت هذه الأسرة من رومية إلى بياقوت وساحل بيروت والقبيات عكار وكان منها حسب إفادة خبرائها (منهم الخوري عبدالله زينون) رجال متقدمون عند السلطان عبد المجيد"[٣٢٦].

يذكر الأب اغناطيوس طنوس الخوري عائلة زينون في عداد العائلات الأساسية التي كانت تقطن قرية عزير، على كتف النهر الكبير. فهو يقول: "كانت عزير قديماً حوالي سنة ١٧٧٥ مقسومة أملاكها ٣ أقسام على عائلاتها الثلاث بيت طعمه وبيت زينون وبيت عبيد... إن بيت زينون مجهول أصلهم"[٣٢٧]. بيد أنه من المعروف بالتقليد أن عائلة زينون القبياتية إنما نزحت من عكار العتيقة إلى القبيات منذ زمن غير بعيد، ولعلها قطنت في نفس الآن البلدتين معاً.

---

[323] - لفظة "القبية" فيها حرف الباء غير واضح بشكل جيد. ولا نعرف في عكار موضعاً بهذا الاسم، ونظن المقصود هو القبيات التي سيذكرها بوضوح لاحقاً.

[324] - المرجع السابق، ص ١٤٧.

[325] - المرجع السابق، ص ١٤٧.

[326] - المرجع السابق، ص ١٨٣.

[327] - "مخطوط تاريخ أبرشية..."، مرجع سابق، ص ١٥٧.

القسم الرابع

الموارنة في عكار والقبيات

الفصل الأول: الموارنة في عكار والقبيات - نظرة عامة

الفصل الثاني: الموارنة في عكار والقبيات – البطاركة

الفصل الثالث: الموارنة في عكار والقبيات – المعطيات الفعلية

الفصل الأول

الموارنة في عكار والقبيات - نظرة عامة

بدء المسيحية في لبنان وعكار

من المقرر أن قسماً كبيراً من جنوبي لبنان قد دخل في دائرة المناطق التي زارها السيد المسيح، مبشراً بكلمة الله وشافياً من المرض[١]. ويرى البعض أن المسيح تجاوز الجنوب إلى بيروت[٢]. ومن المقرر أيضاً أن بعض الرسل بشروا في لبنان، في مناطقه الساحلية، وبدءاً من هامة الرسل بالذات القديس بطرس الذي بعد خروجه من السجن في أورشليم قصد إلى "... صيدا ثم إلى بيروت وأقام فيها أسقفاً أحد رفقائه، ثم سار إلى جبيل... إن بطرس الرسول اجتاز في طرابلس عند مضيه إلى أنطاكية فأقام فيها أسقفاً واثني عشر كاهناً..."[٣].

لم يمض القرن الأول والثاني للميلاد حتى كان لبنان قد قدم بعض طلائع شهداء المسيحية، وكانت قد بدأت تتكون في بعض مدنه الساحلية الأسقفيات، كصور وصيدا وجبيل، فضلاً عن اسقفية اللاذقية وأخرى في حمص. وامتازت طرابلس باسقفية على رأسها اسقف يدعى مارون، كان قد سقفه بطرس الرسول بالذات[٤]. وما أن أطل القرن الرابع الميلادي حتى اندرج لبنان في طليعة بلاد

---

1 - "ثم خرج يسوع من هناك وذهب إلى نواحي صور وصيدا. وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك البلاد تصيح: رحماك سيدي! يا ابن داود! إن ابنتي يتخبطها الشيطان تخبطاً شديداً... فأجابها يسوع: ما أعظم ايمانك أيتها المرأة، فليكن لك ما تريدين. فشفيت ابنتها من ساعتها. ثم مضى يسوع من هناك إلى شاطىء بحر الجليل..."، متى، ١٥/ ٢١ و٢٢ و٢٨ و٢٩؛ مرقس، ٧/ من ٢٤ حتى ٣٧.

2 - لامنس، الأب اليسوعي هنري: تسريح...، مرجع سابق، ص ١١٣ – ١١٤: يذكر الأب لامنس وجهة النظر هذه ويراها بعيدة عن الحقيقة بقوله: "وللكتبة المحدثين قول آخر ... يزعمون بموجبه أن السيد المسيح لم يدخل فقط صيداء بل بلغ أيضاً ثغر بيروت. والتقليد المذكور أثبته في القرن الخامس عشر أحد الزوار الألمانيين يدعى برَيتنباخ (راجع المشرق ١: ١٩١). ثم أورده كوارزميوس في كتاب وصف الأراضي المقدسة (راجع كتابه "Elucidatio Terrae Sanctae"). وذكره أحد أدباء الألمان في مقالة طبعها سنة ١٦٩٢ عن بيروت وآثارها. ولعل هذين الأخيرين نقلا ما قاله برَيتنباخ. وهذا التقليد غلى ما نظن ليس بثبت ولا نرى وجهاً لتوفيقه مع ما رواه الانجيليون".

3 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٢٩ – ٤٣٠. راجع أيضاً الأب لامنس، تسريح...، مرجع سابق، ص ١١٦ – ١١٧.

4 - لامنس، المرجع السابق، ص ١١٨: "إن القديس بطرس أحتل طرابلس وأقام عليها اسقفاً يدعى مارون. وهذا الأمر ذو شأن ولا نرى في صحته التاريخية مشكلاً وإن كان مدون هذا الخبر زاد فيه من الأوصاف

سورية غنى بشهداء المسيحية، وفي طليعتهم يذكر المطران الدبس: "في صيدا زنوبيوس الكاهن في أيام الملك مكسيميان... وفي طرابلس نال أكليل الشهادة أولاً لاونتيوس في أيام أدريان. وروى بروكوب أن الملك يوستنيانس أنشأ فيها على اسمه كنيسة بديعة. وصحبه في استشهاده ايباتوس وتريبيونس وتوادولس. واستشهد فيها في أيام ديوكلتيان لوشيان ومتروبيوس وبولس وزينوبيوس وتبياتينس ودورسس"[٥].

ليس لدينا من الوثائق أوالمراجع ما يشير إلى انتشار المسيحية في عكار، قبل أوائل القرن الميلادي الثالث. إن أقدم ذكر للمسيحية في مدينة عرقة، يعود إلى زمن الامبراطور اسكندر سفيروس (٢٢٢ – ٢٣٥) الذي تذكر بعض المراجع تسامحه الديني، وقد وصفه بابادوبولس قائلاً: "هو ملك متعقل حكيم... لم يضطهد المسيحية. وكان عنده في هيكله الخاص تمثال يسوع المسيح مع غيره"[٦].

ويبدو أن ترسخ المسيحية في عكار يعود إلى أواسط القرن الميلادي الرابع، حيث يعود ظهور عرقة كأسقفية لأول مرة، في (Dictionnaire d`Histoire et de Géographie Ecclésiastique) معجم تاريخ وجغرافيا الكنيسة، إلى عام ٣٦٣م، عندما وقع لوسيانوس (Lucianus) على رسالة سينودس أنطاكية إلى الامبراطور جوفيان[٧]. وهذا ما ذكره المطران الدبس: "ومن أساقفة عرقا لوشيانوس نرى توقيعه في آخر أسماء الاساقفة الذين وقعوا على رسالة رفعوها من مجمع أنطاكية إلى يوفيان الملك في شأن إصلاح شؤون الايمان الكاثوليكي في المشرق"[٨]. ولعل منطقتنا كانت من ضمن المواقع التي قاومت المسيحية بشراسة. وإذا كانت المسيحية انتشرت باكراً في السواحل اللبنانية فإن الجبال اللبنانية أبدت مقاومة شرسة بوجهها. يقول الأب اليسوعي لامنس: "لكن عبادة الأصنام أبت أن تنكص على الأعقاب دون المدافعة والنزاع. فإن الشرك بقي زمناً طويلاً حتى بعد تنصر قسطنطين وربما سعى في ردَ غارات دين المسيح.

الوهمية ما لا يقبله العلم الصادق. ويسرنا أن نرى في ذلك العهد اسقفاً جليلاً يتيمن قراؤنا الموارنة باسمه وقد اشتهر في مدينة تطل عليها تلك الجبال التي صارت بعدئذ مهد طائفتهم العزيزة".

5 - الدبس، المطران يوسف، مرجع سابق، ج ٤، ص ٨٠.

6 - بابادوبولس، خريسوستمس: تاريخ كنيسة انطاكية، تعريب الأسقف استفانس حداد، منشورات النور، ١٩٨٤، ص ٦٩.

7 - Dictionnaire d`Histoire et de Géographie Ecclésiastique, T. 3, Librairie Letouzey et Ané, Paris, 1924, p. 1482.

8 - الدبس، تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٨٢؛ ويضيف الدبس: "ثم توقيع اسكندر اسقف عرقا في جملة تواقيع أساقفة فينيقيا على رسوم المجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١م. وأنبأنا سقراط (ك ٧ من تاريخه فصل ٣٦) إن افرنسيوس كان أولاً اسقفاً على عرقا فنقل إلى اسقفية صور" (ص ١٨٢ – ١٨٣). يعتبر الأب نايف اسطفان أن افرنسيوس كان أول أسقف على عرقة (تاريخ أبرشية عكار...، ص ٢٥)، وهذا يبدو غير صحيح استناداً إلى مرجع الأب اسطفان بالذات: الدبس.

وكان كثير من عبدة الأوثان لم يزالوا يترددون إلى هياكل الآلهة الباطلة"[٩]. ولقد استدعت هذه الحالة تدخل الأباطرة الرومان المسيحيين لأكثر من مرة حتى تم فرض الديانة الجديدة بعد تدمير الهياكل الوثنية.

ومن الواضح أن عكار التي اشتهرت مواقعها التاريخية بعبادة الثالوث البعلبكي، لا سيما عبادة الزهرة، استفادت في مقاومتها للمسيحية من دعم بعض الأباطرة الرومان الذين يؤكد الأب لامنس على دورهم في إعاقة توسع الدين الجديد وفي إنعاش الوثنية[١٠]. وعلاوة على ما كان لعرقة من اهمية، كموقع ديني وثني هام، كان هناك في عكار مواقع أخرى، لعبت دوراً في استمرار التمسك بالوثنية. منها موقع مقام الرب المتاخم للقبيات، في موقع نبع الجعلوك اليوم، حيث استمرت عبادة الأوثان، إلى ما بعد النصف الثاني من القرن الميلادي الثاني، كما يبن ذلك هنري سيريغ[١١]. بيد أنه مع نهاية القرن الرابع تم القضاء نهائياً تقريباً على مراكز العبادة الوثنية، بقوة السلطات وبنشاط رجال الدين وجماهير المؤمنين. وهكذا عمت المسيحية كامل سورية ومنها لبنان وعكار بطبيعة الحال.

من هم هؤلاء المسيحيون الذين انتشروا في عكار في بداية ترسيخ المسيحية؟ هم ذلك الشعب المتكون من تراكب شتى الشعوب والأقوام التي استوطنت واستعمرت مع الزمن هذه المناطق العكارية، والذين يغلب عليهم الطابع السرياني، ثقافة ولغة، مع بروز واضح للعنصر العربي إتنياً. ومن حيث التنظيم الكنسي، فإن أقدم تنظيم معروف يعود للنصف الثاني من القرن السادس، وذلك بعد استعادة البيزنطيين لأنطاكية[١٢]. ما هو موقع عكار في هذا التنظيم؟ يبدو أن هذه المنطقة كانت أساساً في أسقفية عرقة التابعة لمتروبولية صور[١٣]. وقد تكون بعض أقسام عكار تابعة لمتروبولية حمص أيضاً. ويذكر المطران

---

9 - لامنس، تسريح...، مرجع سابق، ص ١٢٢. يروي الأب لامنس جملة أمثلة عن المواقع الوثنية التي استمرت ناشطة في القرن الرابع للميلاد، منها هيكل الزهرة في أفقا الذي دمره الامبراطور قسطنطين الكبير عام ٣٢٥م، وأعيد ترميمه في عهد الامبراطور يوليانوس الجاحد (٣٦١ – ٣٦٣)، المرجع المذكور، ص ٦٥ – ٦٦.

10 - المرجع السابق، ص ١١٧ – ١١٨: "اشتد أزر الدين الوثني في لبنان بملك الامبراطور الروماني أدريان الذي زار لبنان في بدء القرن الثاني وسكن مدة جبيل. وكان هذا القيصر من عبدة الزهرة... وجرى خلفاء أدريان على سننه فعززوا في لبنان الشرك والتوثن كيف لا وبعضهم كانوا ولدوا في لبنان أو المدن الملاصقة له نخص منهم بالذكر اسكندر ساويروس الذي كان مولده في هيكل الزهرة في عرقة. ولذلك ترى كثيراً من الآثار الدينية الفخيمة التي تزين لبنان حتى يومنا هذا قد شيدت في ذلك العهد.منها هيكلا بعلبك وحصن سليمان في جبل النصيرية... وفي لبنان مباني أخرى... الأرجح أنها بنيت في الوقت عينه... كحصن صافيري في الضنية...".

11 - Henri SEYRIG: Némésis et le Temple de Maqam Er-Rabb, M.U.S.J., t.XXXVII, 1961, Fasc. 15, op. cit. pp. 261-270.

12 - بابادوبولس، تاريخ كنيسة أنطاكية، مرجع سابق، ص ٦٤٤.

13 - المرجع السابق، ص ٦٤٥: "متروبولية صور ويتبعها ١٣ أسقفية هي: أسقفية بورفيريون، اسقفية عرقة، عكا، صيدا، جبيل، البترون، مصياف، أورواد، طرطوس، بانياس، زحلة، طرابلس، صارفتا (صافيتا)".

الدبس أسقفية أرتوسيا في القرن الخامس[١٤]. وإذا ما تساءلنا ما هي هذه المسيحية؟ لوجدنا، بالطبع، أن الجواب ليس على قدر من السهولة، ولكننا نستطيع من خلال البحث في البدع والمبتدعين تكوين صورة تقريبية عن واقع حال هذه المسيحية في تلك الأثناء.

نبدأ بذكر بدعة بولس السميساطي لا سيما وأنه استولى على بطريركية أنطاكية(٢٦١ – ٢٦٣) بفضل دعم زنوبيا ملكة تدمر له. ومن المرجح أن تكون هذه البدعة قد أثرت في عكار لقربها من حمص، ولامتداد سيطرة حكام حمص عليها. ولقد ذكر المطران الدبس هذه البدعة التي: "زعم فيها(السميساطي) أن ابن الله لم يكن من الأزل، ولم يكن قبل مريم بل حلّ فيه كلمة الله وحكمته عندما ولد من العذراء... وتابع بذلك سابيليوس المبتدع... على انكار الثالوث الأقدس"[١٥]. ولما انتشرت بدعة آريوس، ولاقت التأييد عند بعض أساقفة لبنان من القرن الرابع: أورانيوس أسقف صور وكان من رؤساء الأريوسيين، وبعده بفترة ويتاليس، وفي بيروت أسقفها أوسابيوس قطب الأريوسيين الشهير، "وخلفه غريغوريوس وكان على شاكلته في تشيعه لآريوس، ومن بعده مكدونيوس، بالاضافة إلى تيموتاوس الذي "قال لكويان... لعل تيموتاوس هذا هو... تلميذ أبولينار الأراتيكي". وفي طرابلس ايريناوس، وكان أريوسياً[١٦]. ويبدو أن البدعة الأريوسية لم تكن لها تأثير كبير في عكار في القرن الرابع الميلادي.

وفي القرن الخامس، يقول المطران الدبس: "من أساقفة عرقا في هذا القرن (الخامس) نعرف مرشيلنس، وإنه حضر المجمع الأفسسي (٤٣١) قبل أن يصل إليه يوحنا البطريرك الأنطاكي وغيره من الأساقفة الشرقيين... وقد وقع على أعمال المجمع ورسائله...[١٧]. ومن أساقفة عرقا أيضاً أبيفان شهد المجمع الأنطاكي... وكان في جملة قضاته في دعوى أثناسيوس أسقف البارة[١٨]. ومنهم أيضاً أركليتس"[١٩]. ومن أساقفة أرطوسيا يذكر المطران الدبس فوسفورس، وقد حضر المجمع الخلكيدوني، ونونس ونيلس[٢٠]. وهكذا يتبين أنه لم يكن للبدع، في القرن الخامس، مكان كبير داخل مسيحيي عكار، استناداً إلى مشاركة أساقفتها

---

14 - الدبس، تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٠١.

15 - المرجع السابق، ج ٤، ص ٥٦.

16 - المرجع السابق، ص ٢٣٦ – ٢٤٣. ومن هؤلاء الأريوسيين يذكر بابادوبولس (مرجع سابق، ص ١١٦) بافلينس أسقف صور وثيوذوتس أسقف اللاذقية وغريغوريوس أسقف بيروت.

17 - يرد ذكر هذا الأسقف في (Dictionnaire d`Histoire. . ., op. cit., p. 1482.): "كان مارشيلينوس من الأساقفة الشرقيين الذين انفصلوا عن آباء أفسس".

18 - المرجع السابق، ص ١٤٨٢: "ابيفان شارك في سينودس انطاكية حول قضية أتناز".

19 - الدبس، تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٠١. حول الأسقف الأخير جاء في المرجع السابق (Dictionnaire d`Histoire. . ., op. cit., p. 1482.): "أيركليتوس Heraclitus حضر مجمع خلقيدونية ووقع على مقرراته، كما وقع على رسالة أساقفة مقاطعته إلى الامبراطور ليون حول مقتل بروتيريوس الاسكندرية".

20 - الدبس، المرجع السابق المذكور في الحاشية ٢٠، ص ٣٠١.

في المجامع الكنسية. ينفرد الفيكونت فيليب دي طرازي بذكر بيعة في عكار بالقرب من القبيات، هي بيعة سيدة القلعة في منجز، ربما تكون قد شيدت برأيه في القرن الخامس[٢١].

وفي القرن السادس "من أساقفة ارتوسيا... عرفنا اسطفانس وكان أراتيكياً[٢٢]... كان في عرقا في هذا القرن اسقف شديد الاستمساك بعرى الايمان الكاثوليكي، وأن ساويرس بطريرك أنطاكية أفرغ جهده ليقتاده إلى بدعته فلم يقض وطراً منه، ولكنه استمال إليه بعض كهنته بعد أن ناصبوه مدة طويلة[٢٣]. ويبدو أن النزعة المعادية "للكثلكة" عرفت تطوراً في عكار ولبنان في هذه المرحلة، إذ نجد علاوة على من ذكرناهم، "من أساقفة البترون في هذا القرن الياس، وكان مغوياً ببدعة أوطيخا مشايعاً لساويرس الأنطاكي"[٢٤]. " ومن أساقفة اللاذقية عرفنا قسطنطين وكان أوطاخياً... وعده ديونيسوس بطريرك اليعاقبة في الكرونيكون وابن العبري في تاريخه من جملة زعماء بدعتهم"[٢٥]. ولم نتوصل إلى معرفة أسماء أساقفة من منطقة عكار في القرنين السابع والثامن. ولعل البلبلة التي أحدثها الفتح الاسلامي للمنطقة والصراعات المسيحية – المسيحية من العوامل الأساسية التي أدت إلى فقدان الوثائق المنبئة عن تاريخ الأسقفيات في تلك المرحلة.

الموارنة في عكار

ثمة شبه اجماع في شتى كتب التاريخ والمراجع المارونية على أن عكار شكلت على الدوام مجالاً من مجالات الانتشار الماروني. ولعل الأسقف جبرائيل ابن القلاعي هو أول من عمل رسماً لملامح حدود جغرافية الانتشار الماروني في لبنان، بقوله: "وكملت الفرحة والمحفل وقصاد بكتب منها أرسل

إلى كل أسقف انه ينزل لطوع البطرك والايمان

اجتمعون أربعين أسقف من الدريب لبلاد الشوف"[٢٦].

---

21 - دي طرازي، الفيكونت فيليب: أصدق ما كان...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٤: "بيعة سيدة القلعة شيدت هذه البيعة فوق هضبة واقعة في منتصف الطريق التي تصل طرابلس بحمص. وكانت تابعة في سياستها البيعية لكرسي أبرشية عرقا. ولا يبعد أن تكون بيعة سيدة القلعة قد شيدت قبل عهد الانفصال الذي مني به الكرسي الأنطاكي في القرن الخامس".

22 - المرجع السابق، ص ٤١٢

23 - المرجع السابق، ص ٤١٣. يرد نفس الخبر في (Dictionnaire d`Histoire. . ., op. cit., p. 1483.): "قاوم أحد أساقفة عرقا الاجراءات التي فرضها ساويرس الأنطاكي لجره إلى المونوليتية، هذا على الأقل ما يخبرنا عنه ابيفانوس الصوري في رسالته إلى توافيل اسقف هرقلية التي قرأت في الجلسة الخامسة من السيودس الذي عقده ميناس (Mennas) عام ٥٣٦".

24 - الدبس، المرجع السابق، ج ٤، ص ٤١٣.

25 - المرجع السابق، ص ٤١٢

26 - ابن القلاعي، زجليات، مرجع سابق، ص ٩٣.

هذا ما تؤكد عليه وجهة نظر الأب بطرس ضو في مؤلفه "تاريخ الموارنة"، حيث يقول نقلاً عن ابن القلاعي أيضاً، أن بلاد الموارنة كانت تمتد "من حدود بلاد الشوف إلى بلاد الدريب"[٢٧]. ويوضح الأب ضو أن هذه الحدود قامت منذ القرن السابع[٢٨]. وإذا كان من المعقول والمقبول أن يكون للموارنة وجود في عكار، في سياق انتقال الطائفة المارونية إلى لبنان، بعد تكونها في سورية، فإنه من غير المعقول المغالاة في هذا الوجود الماروني في لبنان، بحيث يتم استبعاد وجود أي طائفة أخرى إلى جانب الموارنة، كما يحلو للأب ضو أن يصور هذا الوجود الماروني في لبنان، كوجود "نقي"، على بقعة جغرافية خالية "نظيفة" من أي وجود لطائفة أخرى، مسيحية كانت أو اسلامية. فهو يقول: "لكن الحدود التي أشرنا إليها كانت تكتنف وطن الموارنة القومي. داخل هذا الوطن لم يكن الموارنة يسمحون بأن يقيم مسلمون أو يهود أو هراطقة..."[٢٩]. وفي موضع آخر يضيف: "وبسط الموارنة سيطرتهم على هذه الرقعة من الجبل اللبناني الممتدة من نهر الكلب ونهر الجعماني حتى حدود عكار واستأثروا بملكيتها وحكمها ومنعوا غير المسيحيين (يقصد المسلمين واليهود) والهراطقة من المسيحيين (يقصد من ليسوا موارنة) من الاقامة في الرقعة المذكورة أو التملك فيها"[٣٠].

تشكل وجهة النظر هذه، بما تحمله من مضامين استبعادية "للآخر" أو لاغية له أو مصادرة لوجوده، الأداة النظرية، الضمنية، والصريحة أحيناً، التي بها نظر مؤرخو القبيات الموارنة إلى تاريخ بلدتهم وطائفتهم. ونظرة "العظمة" هذه هي التي تدفعهم إلى الحسرة على ماضٍ موهوم "مخترع" كانت فيه البلدة (والطائفة) سيدة على مجال يرتع فيه العز الماروني منفرداً. ومن هنا تراهم كلما صادفوا علامة مسيحية أو إشارة ما إلى المسيحية أسرعوا إلى اعتبارها مارونية الأصل والمنشأ.

الضنية وجبال "الظنيين" والعلويون

يتناسى أصحاب نظرية امتداد بلد الموارنة "من الشوف لبلاد الدريب" وجود تلك الجبال التي تفصل بين منطقة بشري والزاوية عن عكار، نقصد منطقة الضنية. وإذا كان البعض يعتبر أن جبال الضنية استمدت إسمها من داناوس Danaos اليونانية، أو من غاباتها الكثيفة المشهورة بإلهة الصيد Diana

---

27 - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ج ١، ص ٣٠٨. "أما الحدود الشمالية فكانت كما أعتقد بلاد الدريب أي طرف عكار الشمالي عند النهر الكبير"، (المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٩٩).

28 - المرجع السابق، ج ٣، ص ٣٩٠.

29 - المرجع السابق، ص ٢٩٩.

30 - المرجع السابق، ص ٥١٠.

Iddio [٣١]، فثمة احتمال لأن تكون الضنية جزءاً من الجبال التي اشتهرت بكونها جبال الظنيين، وكانت موطناً قديماً للشيعة والعلويين، والدروز إلى الجنوب. إن ادعاء بعض مؤرخي الموارنة باحتكار السكن والاقامة في جبل لبنان (من الشوف لبلاد الدريب) يتعارض مع أوضح الوقائع التاريخية، لا سيما غداة طرد الصليبيين من لبنان، في مطلع القرن الرابع عشر.

يروي أبو الفدا، في أحداث العام ١٣٠٥، من الأخبار ما يفيد أن الكتلة الأساسية من سكان الجبل اللبناني التي أقلقت المماليك كانت من الشيعة والنصيرية. فهو يقول: "وفيها (سنة ٧٠٥هـ/١٣٠٥م) سار جمال الدين أقوش الأفرم بعسكر دمشق وغيره من عساكر الشام إلى جبال الظنيين وكانوا عصاة مارقين من الدين فأحاطت العساكر الاسلامية بتلك الجبال المنيعة وترجلوا عن خيولهم... وقتلوا وأسروا جميع من بها من النصيرية والظنيين وغيرهم..."[٣٢].

وكان هؤلاء "الظنيون" الشيعة في غالبهم من النصيريين على ما يبدو من كلام عيسى اسكندر المعلوف الذي يعتبر مكان إقامتهم الأساسية في بلاد الضنية وعكار قبل تمددهم صوب الجبل. وفي ذلك يقول: "كان لبنان الشمالي، (حوالي مطلع القرن الرابع عشر)، ولا سيما المنيطرة والعاقورة ونواحي البترون يسكنه النصيريون وامتدوا إلى كسروان بعد أن كانوا في جبل عكار والضنية فقط"[٣٣]. ويعود المعلوف بأصل النصيرية إلى العجم الذين يعود زمن قدومهم إلى عكار إلى أيام معاوية بن أبي سفيان (ت٦٨٠م) الذي "استقدمهم... عند فتحه الشام فسكن بعضهم المدن الساحلية كطرابلس وجبيل وبيروت وصيداء والآخرون الداخلية كبعلبك وعرقة في بلاد عكار، ومنهم تفرع المتاولة سكان البقاع وبعلبك، والنصيرية الذين كانوا في عكار وجبل لبنان..."[٣٤].

وعليه ليس من المنطقي ادعاء احتكار الاقامة والسلطة للموارنة، في الجبل اللبناني، ذلك أن إقامة المسلمين هي عريقة فيه، وتعود إلى القرن السابع، شأنهم في ذلك شأن تاريخ ارتحال الموارنة إلى هذه البلاد. واستمر النصيريون في مناطق هذا الجبل في زمن الصليبيين، وبعدهم. ويسجل بعض المؤرخين تنصر قسم من النصيرية في أيام الصليبيين. وفي هذا يذكر جرجي أفندي يني:

---

31 - RENAN: Mission de ..., op. cit., p. 123.

32 - أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية، ص ٥٢. ولقد ذكر البطريك الدويهي نفس الخبر على شيء من التشويش، في "تاريخ الأزمنة"، مرجع سابق، ص ٢٨٦ – ٢٨٨. وابن كثير، في البداية والنهاية، مجلد ٧، ج ١٤، ص ٣٥.

33 - المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف...، مرجع سابق، ص ١٥٨.

34 - المرجع السابق، ص ١٥٤.

"في سنة ١١٧٢... تنصر من النصيرية القاطنين في الجبال المجاورة لطرابلس نحو ستين ألفاً"[٣٥].

الأب موراني: مصادرة مونوفيزيت عكار بجعلهم موارنة!

يقرر الأب موراني أن "القبيات صارت مركزاً مسيحياً مزدهراً" في ظل حكم الأمبراطور قسطنطين[٣٦]، لا سيما في آخر سنوات حكمه. بالطبع لا يعتمد الأب المحترم أي مرجع في تقرير ما قرر، وهو لا يكتفي بالقول أن القبيات تحولت بالضرورة إلى المسيحية، بل يجعلها مركزاً مزدهراً. وأما دليله على هذا الازدهار، فيزعم أنه يستمده أولاً من كلام نشره إرنست رينان لأحد خوارنة طرابلس من بيت السمعاني: "كانت عكار مقاطعة تابعة لحكام الجبل. وكانت في زمن الاباطرة البيزنطيين مزدهرة بالمسيحية بدليل ما فيها من بقايا الكنائس"[٣٧]. أن تكون عكار مزدهرة بالمسيحية لا يعني بالضرورة أن القبيات واحداً من مراكز هذا الازدهار، لا سيما وأن أحداً لا يأتي على ذكرها في ذلك الزمن لا من قريب ولا من بعيد. كما أن الأب موراني يستدعي نصوصاً للكونت فيليب دي طرازي ليدعم رأيه بالقبيات "كمركز مسيحي مزدهر".

ماذا في نصوص دي طرازي التي ذكرها الأب موراني؟ النص الأول: "بيعة سيدة القلعة. شيدت هذه البيعة فوق هضبة واقعة في منتصف الطريق التي تصل طرابلس بحمص. وكانت تابعة في سياستها البيعية لكرسي أبرشية عرقا[٣٨]. ولا يبعد أن تكون بيعة سيدة القلعة قد شيدت قبل عهد الانفصال الذي مني به الكرسي الأنطاكي في القرن الخامس. ومن المقرر أن الدين المسيحي قبل أن يغزو العرب بلاد عكار كان منتشراً بين أهاليها حتى أن جميعهم كانوا مسيحيين".

النص الثاني لدي طرازي: "بيعة الشهيدة شموني في شدرا. شدرا بلدة قديمة في لبنان كانت خاضعة في سياستها البيعية لكرسي عرقا واسمها سرياني بحت (المرسل). وكان فيها للسريان بيع عرفنا منها بيعتهم المشيدة على اسم الشهيدة "مُرت شموني" وأولادها السبعة"[٣٩].

---

٣٥ - يني، جرجي أفندي: تاريخ سوريا، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٦، ص ٣١٢.

36 - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 20.

37 - يحيلنا الأب موراني في المرجع السابق، ص ٢١، حاشية رقم ١، إلى (RENAN: Mission. . ., op. cit.)، ويعين ص ٨٦، كموقع للنص الذي أورده رينان، بينما الصحيح هو ص ١٢٣.

38 - تجاوز الأب موراني في النص الذي ذكره هذه الجملة: "وكانت تابعة في سياستها البيعية لكرسي أبرشية عرقا". لأن ذلك يضعف من قيمة المركز المسيحي المزدهر بجوار هذه البيعة، فلماذا تتبع أبرشية عرقا إذا كان المركز في القبيات المجاورة لها؟

39 - المرجع السابق، ص ٢٦٦.

ويلجأ الأب موراني إلى نص ثالث لدي طرازي: "يعد كرسي أسقفية عرقا من أقدم كراسي الأسقفيات السريانية وأوسعها. وكانت ولاية راعيها تشمل قرى عامرة مأهولة بالسريان وما برحت اسماؤها حافظة صبغتها السريانية الأصلية حتى الآن. نذكر منها شدرا وعينتقد (عندقت)... وكفرنون"[٤٠].

استخدم الأب موراني هذه النصوص ليدعم رأيه بأن سكان المنطقة ومنها القبيات هم من السريان بمعنى الأصل الأتني للكلمة. وأضاف إلى هذه النصوص استشهادات له بما اكتشفه الأب لامنس والأب تالون والأبوان بول ورينيه موتيرد من نقوش سريانية في بعض المواقع الأثرية في جبل أكروم والوعر ووادي خالد، ليصل إلى نتيجة يلخصها بقوله: "بقيت المسيحية مزدهرة في البلاد، كما في كل مكان آخر، لا سيما في جبل لبنان، بعد اندماج المردة بسكان الجبل الموارنة، حوالي منتصف القرن السابع"[٤١]. ويضيف في استنتاجه: " إثر الانشقاق المونوفيزي (٤٥١) عقب مجمع خلقيدونية... اغتنم السريان الموارنة الفرصة ليعيدوا تكوينهم كمجتمع وأمة مستقلين، بانظمتهم الخاصة وبهوية جديدة. وكان اسم مارون، القديس الناسك على العاصي، لم يشمل الرهبان وأديرتهم فحسب، بل أيضاً المؤمنين الذين تبعوهم: وبذلك بدأت المارونية"[٤٢].

أي "شطارة" علمية، وأي أمانة نقلية، أن نجعل كلام المدافع عن طائفة السريان، كلام الفيكونت فيليب دي طرازي، الذي أقام دنيا الأدب الماروني ولم يقعدها اعتراضاً عليه، مستنداً له في تأكيد مارونية المسيحية الأولى في القبيات وعكار! يتلاعب الأب موراني بالنصوص، فيجعل كلام دي طرازي كلاماً في الأصل الأتني، بينما هو يقصد بوضوح – وهذا ما لا يجهله الأب المحترم بكل تأكيد – مذهب هؤلاء السكان لا أصلهم العرقي. يتحدث دي طرازي عن البيع،

---

[40] - المرجع السابق، ص ٤٤. حافظنا على النص كما أورده الأب موراني، خاصة في تعداد أسماء القرى التي نذكرها هنا كاملة: شدرا وعينتقد والرحبة وخربة الرمان وشربيلا وحوشب وقرقف وقعبرين وكفرنون وكينيسا وكفرملكا وكويخات ومجدلا ومشحا". يبقى السؤال: أين هي القبيات من كل تلك البيع والقرى؟ لو كانت على شيء من الأهمية لما تردد الباحث في التاريخ الكنسي عن ذكرها. يرد هذا النص، بشكل معدل يحافظ على مضمونه، في مكان آخر عند دي طرازي، في ص ٢٦٧ من نفس المرجع: "سائر بيع السريان في قضاء عكار. ما عدا السبع الكنائس المذكورة آنفاً (يقصد بيعة ما نوهرا في عرقا، ص ٢٦٣؛ بيعة الكنيسي، ص٢٦٣ – ٢٦٤؛ بيعة سيدة القلعة، ص ٢٦٤؛ بيعة مار تدى في مجدلا، ص ٢٦٤ – ٢٦٥؛ بيعة مار كوركيس في خربة الرمان، ص ٢٦٥؛ بيعة مار شليطا في عنتقد، ص ٢٦٥ – ٢٦٦؛ بيعة الشهيدة شموني في شدرا، ص ٢٦٦). فقد كان للسريان في قضاء عكار بشمال لبنان كنائس عديدة تابعة لكرسي مطرانية عرقا وكرسي أسقفية كنيسي. ومن تلك الكنائس نذكر عشراً ابتناها السريان في القرى العشر التالية: الرحبة وبزبينا وحوشب وشربيلا وقرقف وقعبرين وكفرنون وكفرملكا ومشيحا وكويخات الخ الخ. وهناك قرى أخرى عديدة اندثر خبرها وغاب عنا اسمها".

[41] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p.23.

[42] - المرجع السابق، ص ٢٣.

عن الكنائس، وعن الناس، هؤلاء سريان كغيرهم من سريان المنطقة ولكنهم أيضاً على المذهب السرياني، المونوفيزي، لا الماروني.

كان أولى بالأب موراني حتى يبقى منسجماً مع مقدماته، أميناً وصادقاً مع استشهاداته، أن ينتهي بخلاصة مفادها: يبدو أن المسيحية التي ترسخت في عكار بدءاً من منتصف القرن الخامس، ومع الانشقاق المونوفيزي، هي مسيحية السريان المونوفيزيين، لا مسيحية الموارنة. لا سيما وان البيع التي ذكرها دي طرازي واستشهد بها الأب موراني يعود بعضها إلى التواريخ التالية: بيعة سيدة القلعة (منجز) بدءاً من منتصف القرن الخامس؛ شدرا وبيعة الشهيدة شموني، وما ذكره دي طرازي من بقاء السريان حتى القرن الثامن عشر: "وظلت في شدرا بقية من السريان حتى الأزمنة الأخيرة. يؤيد ذلك سجل دير مار موسى الحبشي بالنبك فقد احتوى بياناً وافياً لعقارات وقفها عليه أهالي شدرا السريانيون في القرن الثامن عشر"[٤٣]؛ "بيعة مار شليطا في عنتقد. عنتقد ويقال عندقت قرية في بلاد عكار تابعة لأبرشية عرقا السريانية. وكان فيها شعب وافر له كنيسته وكهنته وأوقافه. وكنيسة عنتقد ورد ذكرها في مخطوطة دير الشرفة المشتملة على عدة ليترجيات سريانية ألفها أيمة المونوفيزيتيين كتوما الحرقلي ويوحنا برشوشن وابن الصليبي الخ. وفي تلك المخطوطة ورد ما نصه بحروف عربية: "نظر هذا الكتاب المبارك الحقير باسم شماس من قرية حصرون. وهوبرسم الخوري الياس بن سمعان من قرية عنتقد. وكان الخوري الياس متولياً خدمة بيعة مار شليطا في عنتقد مسقط رأسه. وكان من عادة السريان في بلاد ما بين النهرين عند حجهم أورشليم يمرون بلبنان ذهاباً واياباً. نذكر منهم المقدسي مبارك الذي قدم من عين ورد بطور عبدين إلى عين تقد واشترى من كاهنها الخوري شمعون السرياني انجيلاً سطرنجيلياً بديعاً"[٤٤].

ومما ذكره دي طرازي وغض النظر عنه الأب موراني (مع أنه ملازم ملاصق للنصوص التي استشهد بها) ما يفيدنا في تفسير بعض أسباب تراجع المذهب المونوفيزيتي، ونمو الأرثوذكسية في عكار. من ذلك الكلام على بيعة مار تدى في مجدلا: "مجدلا قرية قديمة العهد في عكار واسمها سرياني معناه "البرج". أما بيعتها فقد شيدها السريان باسم الرسول تدي أول مؤسسي كرسي بيروت. ولما تولى أبرشية عرقا اسحق اسقفها السرياني في أوائل القرن الحادي عشر انفصل عام ١٠٢٦ للميلاد عن السريان المونوفيزيتيين وانضم في قسطنطينية إلى الملكيين. وانضم معه زميلاه اغناطيوس أسقف ملطية وموسى أسقف خربوط وكتب ثلاثتهم صورة ايمانهم ورفعوها إلى رومانس ملك الروم. ومن ذلك الحين وضع الروم الملكيون يدهم على بيعة مار تدي الرسول في

---

43 - دي طرازي، أصدق ...، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٦.

44 - المرجع السابق، ص ١٦٥ – ٢٦٦.

مجدلا وعلى غيرها من الكنائس السريانية التابعة لكرسي أبرشية عرقا. ولم يتمكن السريان بعد ذلك من استرجاعها لأنهم اضطروا أن يتبعوا طقس الروم الملكيين وعقيدتهم"(٤٥).

ثمة كلام آخر قاله دي طرازي وتجاهله الأب موراني، وهو يتناول موقعاً قريباً من القبيات، ويدور حول بيعة مار كوركيس في خربة الرمان: "خربة الرمان قرية في قضاء عكار كانت آهلة بالسريان لهم فيها كنيسة شيدوها على اسم مار كوركيس الشهيد. وأفادنا صاحب الغبطة مار اغناطيوس افرام الأول برصوم أن اسم هذه البيعة ورد في مخطوط سرياني يخص الخزانة المرقسية في القدس الشريف. وهو يتضمن طقوس السيامات الكهنوتية جاء فيه: ان البطريرك اغناطيوس عبد الغني رسم القس يعقوب لبيعة مار كوركيس في خربة الرمان سنة ١٩١٤ للاسكندر الموافقة للسنة ١٦٠٣ ميلادية"(٤٦).

متى وكيف نشأ الموارنة؟

ثمة جدل كبير دار حول أصل الموارنة ونسبتهم وكيفية نشوء المارونية، وذلك منذ بداية التأريخ للموارنة، مع ظهور تلامذة المدرسة المارونية في روما، لا سيما في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهو جدل لم يقفل بسهولة. ولعل أفضل تعبير عن هذا الجدل مؤلف "أصل الموارنة" الذي كتبه البطريرك اسطفان الدويهي، في محاولة منه لحسم هذا الأمر.

بدأ البطريرك الدويهي، بعد عرضه للكثير من وجهات النظر، بتعيين معنى لفظة مارون: "لفظة مارون سريانية هي، وتشتق من ... الذي يعني به السيد والرب... وفي النقل إلى اللغة العربية... وفي اللغة الرومية... وتأويلهم أجمعين واحداً يعني به السيد الصغير. وبهذا الاسم لموضع سهولته في اللفظ، وشرفه في المعنى، كثيرون من القدما، وخاصة في بلاد الشام، سموا أولادهم والمدن والقرى التي اختاروها لذاتهم"(٤٧). ويستعرض البطريرك الدويهي جملة من الشخصيات التي اشتهرت بهذا الاسم. "تلقب باسم مارون في دولة الكفار *مونيفس* ملك مصر. وكذلك *ويرجيليوس* الشهير..."(٤٨)؛ "وبعدما انتشرت الديانة المسيحية لم تجد طايفة إلا ولها قديسين انسبغوا بهذا الاسم. فإن الكنيسة

---

45 - المرجع السابق، ص ٢٦٤ – ٢٦٥.

46 - المرجع السابق، ص ٢٦٥.

47 - الدويهي، البطريرك أسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ٦١ – ٦٢. وفي "تاريخ الطائفة المارونية" للبطريك الدويهي، الذي نشره الشرتوني، جاء في ص ١٣: "في معنى لفظة مارون وفي الأماكن والناس الأفاضل الذين اشتهروا بها. إعلم أن لفظة مارون منقولة من اللغة السريانية وأصلها في السرياني...، ...، ثم انه لشرف هذا الاسم في المعنى وخفته في اللفظ سُمي به كثير من القدماء وخاصة في بلاد الشام. فانه قد تسمى بهذا الاسم مدن وقرى كثيرة...". وفي ص ١٤: "وأيضاً بعد انتشار الايمان المسيحي فإنه قلّ أن توجد طائفة لم تسمِ بهذا الاسم الشريف".

48 - الدويهي: أصل الموارنة، المرجع السابق، ص ٦٣.

الرومانية، في ١٥ من شهر نيسان، يعيدون للقديس *مارون الشماس*..."[٤٩]. "وكذلك الروم، في ١٦ آب، يعيدون *لموررون القس*..."[٥٠]. "وفي الثامن من الشهر المذكور، يذكرون القديس موررون *أسقف قريطش*... يعيدون له أيضاً الأرمن..."[٥١]. "وفي الكتب السريانية تتفضل سيرة *ابراهيم وأخيه مارون*، اللذان نشيا من قرية تدعا قلش... بديار بكر..."[٥٢]. "*ومارونا الأياني*... كان من قرية معراب..."[٥٣]. بعد هذا التعداد يختم البطريرك الدويهي كلامه: "إذاً يجب أننا نقول أن الموارنة اشتقوا من مارون آخر غير الذين تقدم ذكرهم"[٥٤].

"مارون الآخر" هذا هو القديس مارون ناسك القورشية الذي استمدت كل الأبحاث حوله معطياتها الأساسية من النبذة الموجزة التي وضعها عنه أسقف قورش تيودوريه (توادوريطس) (Théodoret de Cyr) في الجزء الثاني من مؤلفه "تاريخ رهبان سورية"[٥٥]. وإلى هذا الناسك القديس مارون تعود كنوة الموارنة، لا إلى أي مارون آخر غيره. ولكن القديس مارون هذا لا يختص بالموارنة دون سواهم: "إن سيرة هذا البطل الجهيد تجدها محررة في ساير الكنايس. فإن الروم يقرونها في اليوم الرابع عشر من شهر سباط الذي به يعيدون لهذا الأب البار"[٥٦]. وعليه نستنتج أن هذا القديس مارون يشكل إرثاً مشتركاً لكل النزعات المسيحية التي استمرت ملتزمة بالكنيسة الجامعة، أثناء حياة هذا القديس وبعد مماته، وبعد تأسيس أشهر دير على اسمه ما بين حمص وحماة[٥٧]. فكيف تكون كنوة "موارنة" عائدة لهذا القديس المشترك، ونحصرها في نفس الوقت بقسم واحد من المسيحيين الذين يكرمونه ويعتبرونه جزءاً من تراثهم الروحي والتاريخي؟ فلو أن الموارنة هم أتباع القديس مارون للزم الأمر اعتبار كل من يعيد له ويعترف به، بما في ذلك الروم أيضاً، موارنة. وهذا غير حاصل.

إن مثل هذه الأسئلة التي تدور حول منبع اسم "موارنة"، وأصله، وكيفية حصوله، لا تجد إجابتها الصحيحة في غير البحث في الانشقاقات التي تعرضت

---

[49] - المرجع السابق، ص ٦٣.

[50] - المرجع السابق، ص ٦٣.

[51] - المرجع السابق، ص ٦٤.

[52] - المرجع السابق، ص ٦٤.

[53] - المرجع السابق، ص ٦٥.

[54] - المرجع السابق، ص ٦٦.

[55] - Théodoret de Cyr: Hitoire des Moines de Syrie, "Histoire Philothée", Tome 2, Introduction, Texte Critique, Traduction, Notes par Pierre CANIVET et Alice LEROY-MOLINGHEN, Editions du CERF, Paris, 1979.

[56] - المرجع السابق، ص ٦٩.

[57] - أن أشهر الأديار التي شيدت على اسم هذا القديس (بين حمص وحماة) لا يختص بالموارنة وحدهم، لأنه على حد قول البطريرك الدويهي (المرجع السابق، ص ٨١): "وذلك العيد الصارخ الذي كان يصير في دير حماه وجيرتها، هو ذلك المحرر عند الروم في ١٤ شباط".

لها المسيحية، في سورية. فكيف أدت الانشقاقات إلى ظهور الفرق المسيحية في بلاد سورية؟ ومتى ظهر الموارنة كجماعة دينية خاصة ومتميزة عن غيرها؟

جاء في "كتاب الهدى" الذي حققه الأباتي بطرس فهد باسم "دستور الطائفة المارونية في الأجيال الوسطى": "أول فرقة ظهرت من الفرق المشهورة، الفرقة المنسوبة إلى أريوس وهي التي تدعى الأريوسية، ثم النسطورية وهي المنسوبة إلى نسطور، ثم اليعقوبية وهي المنسوبة إلى يعقوب الذي من مدينة بردعا ولذلك يقال له البرادعي، ثم الملكية وهي المنسوبة إلى الملك قسطنطين بن قسطنطين هرقل الملك. ثم المارونية وهي المنسوبة إلى مار يوحنا مارون بطريرك أنطاكية العظمى..."[٥٨]. وعليه لم يظهر الموارنة كجماعة مستقلة، إلاّ بعد الانشقاق مع الملكية. قبل ذلك كان الموارنة داخل جسم الكنيسة دون أي حضور مختص بهم يميزهم عن غيرهم.

وإذا كانت الأريوسية، ومن بعدها النسطورية، ضعيفة في تأثيرها السلبي على جسم الكنيسة الأنطاكية ووحدتها[٥٩]، فإن نزعة الطبيعة الواحدة، مع اليعاقبة، أدخلت هذه الكنيسة "في أزمة جديدة أصعب...، وهي أزمة مذهب الطبيعة الواحدة التي سببت انقساماً داخلياً لم يكن له علاج"[٦٠]. وإذا كان المجمع الخلقيدوني، لعام ٤٥١، قد قضى بإدانة نزعة الطبيعة الواحدة، فإن هذه الادانة لم تنه الصراع داخل الكنيسة الواحدة، بل زادته حدة. ويصف صاحب كتاب "تاريخ كنيسة أنطاكية" نتيجة الصراع بين المونوفيزيت والكنيسة الجامعة، بقوله: "حمل هذا الصراع في البدء طابعاً نظرياً موضوعياً، ولكنه اتخذ بعد ذلك، طابعاً عنصرياً أو قومياً بتشكيل كنيسة سريانية خاصة بمذهب الطبيعة الواحدة. وظهر في سورية أشد الحماة للمذهب وأداروا، بنشاط متشف لا يهدأ، الصراع ضد الأرثوذكسية... والكنيسة المتشكلة في قلب كنيسة أنطاكية الأرثوذكسية، عرفت بالكنيسة "السورية" أو السريانية[٦١] استعملت في الليتورجيا والطقوس اللغة السريانية وإن استمرت تأخذ من أدب اللغة الكنسية اليونانية"[٦٢].

لقد نشأت الكنيسة السريانية في سياق تطور تدريجي أحسن وصفه بايجاز الخوري ناصر الجميل: "ترتبط (الكنيسة السريانية) بكنيسة إنطاكية الرسولية الواسعة الأطراف. ففي القرن الثالث، ازدهرت المسيحية في مملكة الرها وكان أن ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة السريانية. وفي القرن الرابع،

---

58 - كتاب الهدى، مرجع سابق، ص ٩٤.

59 - مع "أن الفرقة النسطورية ... هي أكثر نصارى المشرق"، المرجع السابق، ص ٩٦.

60 - بابادوبولس: تاريخ كنيسة أنطاكية، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

61 - يرى الأب موراني (MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 39) أن الكنيسة السورية هذه مارونية: "اعتباراً من القرن الخامس صار العنصر الآرامي المتنصر راجحاً، وتحولت كنيسة سورية، بعد أن كانت هلينية، إلى جماعة سريانية قوية في ظل سيطرة رهبان مارون العقائدية والادارية"

62 - بابادوبولس، المرجع السابق، ص ٣١٣.

أسس مار افرام، اللاهوتي والشاعر، مدرسة الرها اللاهوتية. ومنذ هذا القرن دخل قسم من مقاطعاتها تحت سلطة كنيسة القسطنطينية؛ أما القسم الباقي فقد أعلن استقلاليته في القرن الخامس. هكذا فعلت الكنيسة في بلاد فارس سنة ٤١٠، وكنيسة قبرس سنة ٤٣١... لكن المجمع الخلقيدوني كان في أساس انشقاق أكثر جذرية، سنة ٤٥١، إذ أن لاهوت الطبيعتين لم يلق القبول المطلوب. وأعلن البطريرك ساويرس الإنطاكي تمسكه بلاهوت الطبيعة الواحدة في المسيح. فكانت القطيعة مع القسطنطينية ومع روما على السواء. تألفت منذ ذلك الحين هرمية سريانية غير خلقيدونية، خصوصاً بفضل جهود الأسقف يعقوب البرادعي، حيث تسمية اليعاقبة، في القرن السادس، بمواجهة الإكليروس الخلقيدوني الذي يدعمه الملك، الذي منه نحتت كلمة الملكيين..."[٦٣]. وحول نشوء كنيسة الملكيين (الكنيسة الأرثوذكسية) يقول الخوري الجميل: "... يشاركون كنيسة الشرق الكبرى تاريخها وإرثها اللاهوتي والثقافي، السرياني والبزنطي، الذي لإنطاكية، شأنهم شأن الموارنة والسريان والملكيين الكاثوليك... ولقد ظلوا أمينين لمقررات المجمع الخلقيدوني (٤٥١)، بمواجهة السريان المونوفيزيت... لم يجارِ بطريرك إنطاكية كنيسة القسطنطينية في الانشقاق الكبير بينها وبين كنيسة روما، سنة ١٠٥٤؛ لا بل لعب دوراً توفيقياً معتدلاً. لكن العلاقات مع كرسي القسطنطينية هي التي دفعت لا حقاً لتبني مواقفها..."[٦٤].

لا يوضح الخوري ناصر الجميل مسألة الانفصال الذي حدث داخل معسكر الخلقيدونيين (الذين سماهم ملكيين)، بعد انشقاق السريان المونوفيزيت، وتشكيل كنيستهم المستقلة. ذلك أن هذا الانشقاق في المعسكر الخلقيدوني (الذي واجه سابقاً المونوفيزيت) هو الذي منه خرجت كنيسة الموارنة. إن حقيقة أن الموارنة والملكية كانوا يشكلون جسماً واحداً داخل الكنيسة الخلقيدونية، مسألة تؤكد عليها كل أدبيات التاريخ الماروني، لا سيما أب التاريخ الماروني البطريرك الدويهي الذي غالباً ما يستند إلى الأسقف جبرائيل ابن القلاعي. يختم البطريرك الدويهي كل محاوراته، حول اسم ومنشأ الطائفة المارونية، بكلام يؤكد فيه على أن الموارنة تكوّنوا ككنيسة مستقلة في أواخر القرن السابع، كما يؤكد أن اسم "موارنة" الذي يعني الجماعة أو الطائفة أو الكنيسة، إنما تم الأخذ به انطلاقاً من البطريرك يوحنا مارون، الذي تكنى هو أيضاً بكنية "مارون" استناداً إلى دير مار مارون على العاصي.

---

63 - الجميل، الخوري ناصر: نبذات تاريخية في كنائس لبنان، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٩ – ٣٠. يمتاز هذا الكتيب بذهنية جديدة في قراءة تاريخ الكنائس الشرقية، تنسجم مع روحية التجدد والانفتاح التي أرسى أسسها المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني منذ الستينات من القرن الماضي، والتي شهدنا صداها في أدب السينودس من أجل لبنان.

64 - المرجع السابق، ص ٢٢ – ٢٣.

يقول البطريرك الدويهي: "وأما قول جبرائيل ابن القلاعي، أن *الموارنة يشتقون من مارون البطرك* الذي دخل لرومية، وثم جاء إلى أنطاكية، ومن أنطاكية إلى جبل لبنان، وهو *رأي الطايفة وهو الصحيح*. إلاّ أن مارون ما هو اسم البطرك بل كنوته. واسمه الخاص هو يوحنا ابن أغاتون الذي تكنا مارون، على اسم الدير. ومنه أيضاً تسموا الموارنة"(٦٥).

يكرر البطريرك الدويهي هذا الكلام في مكان آخر: "ما قاله جبرايل ابن القلاعي وهو أن *الموارنة تلقبوا بهذا اللقب من البار مارون بطريرك أنطاكية* العظمى كما هو ظاهر من مضمون سيرته حين دخل البطريرك بنفسه مدينة رومية الكبرى وتثبت من حبر الكرسي الروماني. ولما رجع إلى أنطاكية كرسيه استعاد كثيرين من تلاميذ مكاريوس الأراطيقي ومن الملة اليعقوبية إلى الايمان المستقيم رأيه. وأنذر وبشر بحقيقة الطبيعتين والمشيئتين. ثم دخل جبل لبنان، ورفع صليبه في ارتفاع شأن البابا، وقبله آل تلك البلاد بفرح وسرور. وهذه القصة نقلها فرنسيسكوس كورسيميوس من اللغة العربية إلى اللاتينية، وطبعها في كتابه المشهورسنة ١٦٣٤، في أخبار الأرض المقدسة. *وهذا هو الرأي المعول عليه، والموافق لتسليم الكنيسة المارونية، والمقبول من البيعة الرومانية*..."(٦٦).

في ختام مؤلفه "أصل الموارنة" يوضح الدويهي، مرة أخرى، تحت عنوان "في انتقال البطرك يوحنا إلى جبل لبنان"، منبت اسم "موارنة" وزمن وكيفية تكون كل من الكنيسة الملكية، والكنيسة المارونية ككنيسة مستقلة عن سواها من كنائس الشرق، وانتقال بطريركيتهم إلى لبنان. وهو يربط هذه المسألة باستلام يوستنيان الأخرم لزمام الامبراطورية البيزنطية، وانقلابه على معتقد الطبيعتين والمشيئتين، ومحاربته للمدافعين عن هذا المعتقد.

يقول البطريرك الدويهي: "كثيرون يلتمسون عن إقامة بطركية الموارنة في جبل لبنان، وعن الزمان الذي صارت به، وعن الشخص الذي كان سببها. فما اهتدوا إليها لكونهم ما استدلوا على أصلها. فالخبر الشافي هو هذا إن يوسطنيانوس الأخرم قصد بنقص رايه يجلب الخراب لست فقط على مملكة الشرق، بل وعلى كافة النصرانية لو يطلع بيده. فإن هذا تبع راي رؤسا الكهنة الذين في القسطنطينية. كانوا يعتقدون بربنا مشيئة واحدة لا غير. فقوى أمرهم، وأوعدهم ببطلان ما صار عليه القرار في المجمع السادس"(٦٧). ويتابع الدويهي أن الامبراطور يوستنيان عمل على عقد مجمع لاقرار معتقدات وقوانين دينية مخالفة لما كان معمولاً به في الكنيسة الواحدة الجامعة. فاعترضت روما على

---

[65] - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١٣٥.

[66] - المرجع السابق، ص ١٨٥.

[67] - المرجع السابق، ص ١٨١.

ذلك وناصرها يوحنا مارون في اعتراضها. وبعد محاولات فاشلة قامت بها القسطنطينية لاقناع هذا الأخير، قرر يوستنيان الأخرم الاقتصاص منه[٦٨].

يصف البطريرك الدويهي ما تعرض له يوحنا مارون ومناصروه، قائلاً: "وفي سنة ٦٩٤، في أواخر الربيع، دخلت الأروام بلاد سورية، فقتلوا من رهبان دير مار مارون خمسماية راهب، ودكوه إلى الأرض. ضربوا أهالي قنسرين والعواصم بالسيف. استباحوا أموال الناس، هدموا دورهم، وسلبوا درايرهم. ولم يعفي العسكر عن أحد دون الذين يخضعون لهم، ويقولون أنهم طايعين لله، ويعتقدون برأي الملك. ولم يزال السيف غايظاً بدم الأرثوذكسيين حتى دخل موريق وموريقيان بالجيش مدينة طرابلس. ثم خرجوا إلى الكوره فخضع لهم كل أهلها. ثم قصدوا الصعود لجبل لبنان، ونزلوا في الأوثاق فوق أميون عند قرية الناووس تحت ذيل الجبل..."[٦٩]. ولكن الآمور تبدلت في القسطنطينية، إذ تم اسقاط يوستنيان الأخرم، وتغيرت الأحكام، مما أعطى دفعاً لجماعة يوحنا مارون، وتمكنوا من التغلب على جيش الروم...

ويختم البطريك الدويهي سرد هذه الأحداث: "ومن *هذه الغارة* التي صارت بين الكوره وجبل لبنان، في سنة *٦٩٤، كان نشو الفرقه بين الموارنه والملكيه*. فالذين *تبعوا ديانة الملك يوسطنيانوس تسموا ملكيه*... وأما *الموارنه تسموا كذلك لكونهم تبعوا البطرك* يوحنا الذي كان يتكنّا بمارون على اسم الدير... فإن *قبل هذه الركبه ما أحد كان يتكنى بإسم ماروني إلاّ رهبان الدير*... وأما بعد *الركبه انسبغوا بهذا* الاسم سكانة جبل لبنان، وخاصة أهالي جبة بشراي..."[٧٠].

إن رواية الدويهي هذه في أصل اسم "موارنة" وفي كيفية وأسباب نشوء الكنيسة المارونية، اعتمدها التأريخ الماروني بمجمله. وعن الدويهي أقرها السمعاني، وعنه نقل الكثيرون كالمطران يوسف الدبس مثلاً[٧١]. وخلاصة القول أن اسم "موارنة" كان يقتصر بداية على دير مار مارون على العاصي، وعلى رهبانه فقط. ومن هؤلاء الرهبان (ومنهم كان البطريرك يوحنا) انتقل الاسم إلى من شايعهم وتبعهم في نهاية القرن السابع، بعد محاولة يوستنيان الأخرم المذكورة، وموقف روما منها، وانحياز البطريرك يوحنا مارون إلى روما.

---

68 - المرجع السابق، ص ١٨١ و١٨٢ و١٨٣.

69 - المرجع السابق، ص ١٨٣ – ١٨٤.

70 - المرجع السابق، ص ١٨٥. حافظنا على النص كما أورده كاتبه بدون أي تصحيح.

71 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٥، ص: ١١٣حتى ١٢٢. مع وجود محاولات لجعل اسم "موارنة" يشمل الرهبان وجماهير المؤمنين، قبل محاولات يوستنيان الأخرم، والعودة بها إلى العام ٥١٧.

إن رهبان مارون لم يشكلوا كنيسة قبل أواخر القرن السابع، بل كانوا جزءاً عضوياً من كنيسة أنطاكية الجامعة. وعليه لا يعدو كل كلام يدعي قيام رهبان مارون ب"مورنة" جبل لبنان وسكانه أو غيره من المناطق، قبل هذه المرحلة هو ضرب من الأوهام لا أساس له من الصحة. ولنا في ما قرره المجمع اللبناني، لعام ١٧٣٦، أفضل وأصدق مرجع أجمعت عليه الكنيسة المارونية، في تحديد إرثها وحاضرها ومستقبلها.

لقد تقرر في هذا المجمع أن الكرسي الأنطاكي، بعد انشقاق "جثالقة سلوقية والفرس وأرمينية وألبانيا"، تعرض لانشقاق آخر: "إن هذا الكرسي (الأنطاكي) قد انقسم على نفسه إلى عدة أقسام أيضاً فإنه لما انحط ساويروس عن بطريركية أنطاكية في أواخر سنة ٥١٨ لجحده الطبيعتين في المسيح ولنبذه مجمع خلكيدونية المقدس فخلفه بولس البطريرك الكاثوليكي أخذ السريان اليعقوبية منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا يقيمون بطاركة لهم من بين النهرين وسورية منفصلين عن الذين اتخذوا بولس السابق الذكر بطريركاً لهم"[٧٢].

وفي نشوء الموارنة، ككنيسة مستقلة، جاء في مقررات المجمع أن الموارنة ظهروا ببطريركية لهم خاصة بهم، بعد ظهور اليعاقبة بحوالي قرن من الزمن: "ومن بعد ذلك بنحو قرن طرأ على البطريركية الأنطاكية انقسام آخر بين السريان الموارنة والملكيين واستمر إلى هذا العهد. لأن الذين يقطنون سورية وفينيقية تحت ولاية بطريرك واحد انشطروا إلى حزبين مدنيين في أوائل دولة الجراكسة فبعضهم كانوا يدينون لملك القسطنطينية فلقبوا ملكيين وهي لفظة سريانية مهناها أتباع الملك أو المنسوبون إليه وبعضهم خلعوا ربقة الطاعة للملك واتخذوا لهم من دونه أميراً واستولوا على فينيقية سهلاً وجبلاً فسموا مردة ثم أطلق عليهم اسم موارنة ذلك لأنهم بعد وفاة توافانوس بطريرك كلتا الأمتين انتخبوا لهم بطريركاً هو يوحنا أحد رهبان دير القديس مارون الشهير عند ضفة العاصي... وكان ذلك سنة ٦٨٥ للمسيح. أما منشأ الانقسام المذكور فكان نحو سنة ٦٢٢ للمسيح"[٧٣].

مبالغات ل"تعظيم" سيرة القديس مارون

يبقى تيودوريطس أسقف قورش المصدر الأساسي الأقدم لرواية سيرة القديس مارون. تعرضت هذه الرواية التي قدمها أسقف القورشية عن حياة القديس مارون إلى جملة مبالغات. كان من شأنها تغييب غيره من القديسين، أو تحجيم دورهم، وإلغائه أحياناً، مقابل تضخيم مفرط في كل نشاط ذكره توادوريطس للقديس مارون، وتأويل كلام الأسقف، وتحريفه في بعض الأحيان،

---

72 - المجنع اللبناني، ١٧٣٦، ذكرى مرور ٢٥٠سنة، ١٩٨٦، ص ٣٥٤.

73 - المرجع السابق، ص ٣٥٤ ــ ٣٥٥.

بحيث غدت سيرة القديس مارون كما رواها البعض من أئمة التأريخ الماروني، مغايرة للصيغة التي قدمها بها أسقف قورش.

أين عاش القديس مارون الناسك؟ سبق للأب بطرس ضو أن طرح نفس السؤال، في الجزء الأول من مؤلفه "تاريخ الموارنة"، حيث عرض ثلاث إجابات، منها واحدة تقول بها العامة، وقد رفضها الأب ضو[٧٤]. تجعل هذه الاجابة من "مغارة الراهب" على العاصي موطن حياة القديس مارون. وبالطبع هذه الاجابة مغلوطة تماماً ولا تستند إلى أي مبرر.

الاجابة الثانية قال بها الخورسقف بطرس ديب، وتجعل القديس مارون من أفاميا: "ثمة ناسك متوحد يدعى مارون عاش بين القرن الرابع والخامس، على جبل يقع، على ما يبدو، في منطقة أفاميا في سورية الثانية"[٧٥]. ولا ينسى الخورسقف المذكور أن يعين مرجعه في كلامه هذا بقوله: "إن تيودوريطس أسقف قورش (+ حوالي ٤٥٨) هو الذي زودنا بكل هذه التفاصيل"[٧٦]. بالطبع أيضاً ليس في النص الذي وضعه أسقف قورش ما يشير، من قريب أو بعيد، إلى أن القديس مارون عاش في أفاميا، وهي في سورية الثانية بينما عاش القديس مارون في القورشية وهي أسقية في سورية الأولى[٧٧].

كان ليكليرك (H. LECLERCQ) قد قال: "ثمة ناسك متوحد كان يعيش في مطلع القرن الخامس في مقاطعة سورية الثانية، على المنحدر الغربي للأمانوس، في منطقة أفاميا، على مقربة من مدينة قورش"[٧٨]. علّق كانيفيه (CANIVET) على هذا الكلام بقوله: "من غير المقبول قول هذا الكلام... إن هذه المواقع لاتبدو قريبة من بعضها إلاّ لمن ينظر إلى اليها من علو شاهق"[٧٩].

الاجابة الثالثة هي التي تؤكد، استناداً إلى تيودوريطس أن القديس مارون عاش في القرشية، ومات فيها. وهذه الاجابة يقر بها غالبية الباحثين في حياة القديس مارون، بدءاً من البطريرك اسطفان الدويهي، في مؤلفه "أصل الموارنة"[٨٠]، مروراً بالمطران الدبس في "الجامع المفصل...".

---

74 - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ج ١، مرجع سابق، ص ٥٢ وما يليها.

75 - DIB, Pierre (Choréveque): l`Eglise Maronite, t. 1, Librairie letouzey et Ane, Paris, 1930, p. 39.

76 - المرجع السابق، ص ٣٩ – ٤٠.

77 - CANIVET, Pierre: le Monachisme Syrien selon Théodoret de Cyr, Editions BEAUCHESNE, Paris, 1977, p. 150.

78 - H. LECLERCQ, art. "Maron", dans DACL, 10 (1932), c. 2188; cite par Pierre CANIVET, le Monachisme. . ., op. cit., note 172, p. 198.

79 - المرجع السابق، ص ١٩٨.

80 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ٦٧ – ٦٩.

ولكن الأب ضو يرفض هذه الاجابة، بقوله: "والقديس مارون الذي جاء وصفه في الفصل السادس عشر (يقصد الفصل ١٦ من مؤلف تيودوريطس) لم يعش ضمن القورشية. والبرهان على ذلك من كلام توادوريطس الذي به يختتم سيرة مار مارون"[٨١]. ويضيف في مكان آخر: "... كان منسك مار مارون واقعاً ضمن اقليم انطاكية..."[٨٢]. وفي الحقيقة ليس في كلام تيودوريطس حول مار مارون (لا في بدايته ولا في نهايته)، ما يشير إلى ما تقدم به الأب ضو. وإذا كان تيودوريطس يختم نبذته بالقول: "وبالنسبة لنا، فإننا سنتمتع ببركته، على الرغم من بعدنا عنه، ويعوضنا عن ضريحه، ذكره المتواصل، وفي هذا ما يكفينا"[٨٣]، فإن الأب ضو يتخذ من هذا الكلام "دليلاً" على أن قبر القديس مارون لم يكن بالقورشية، وإلاّ لكان تيودوريطس زار هذا القبر. فكأن وجود القبر في انطاكية يعني استحالة زيارته للتبرك منه!

قبر أم كنيسة ؟

من المبالغات تشديد جميع المؤرخين الموارنة بدون استثناء على أن الذين أختطفوا جثة القديس مارون إثر وفاته أقاموا كنيسة عليها. هذا مع تأكيد الجميع استنادهم في ما يقولون إلى نص أسقف القورشية. يقول البطريرك الدويهي، في سياق عرضه لرواية تيودوريطس ووفاة القديس مارون: "وخرج من هذه الحياة. وعن جسده صار حربا شديد بين أهل الغيره. فلكن قدم من تلك التخوم أهالي قرية ما جامعة جداً، فكسروا الآخرين بازدحام الشعب الكثير، وهزموهم، وخطفوا الجسد الذي هو أفضل من كل كنزا نفيس، فبنوا له *هيكل* كبير... وأما نحن الغائبين نستفيد البركه، وعوض *الضريح* نكتفي بذكره الصالح"[٨٤]. والأب بطرس ضو يكرر نفس الأمر: "مات (مارون)... والرغبة في حيازة جثمانه أدت إلى نزاع كبير... لكن سكان بلدة متاخمة كثيرة العدد جداً أتى جمهور غفير منهم وطردوا الآخرين وأخذوا هذا الكنز الثمين ثم بنوا له *كنيسة كبيرة*... وأما أنا فبالرغم من غيابي آمل أن أتمتع بثمار بركته لأن ذكره المتواصل عندي يقوم مقام ضريحه"[٨٥]. وكثيرون هم الذين ذهبوا نفس المذهب في القول ببناء كنيسة على جثمان القديس مارون، وكلهم ينسبون هذا القول لتيودوريطس أسقف قورش!

ماذا قال تيودوريطس بالضبط؟ هل قال أن أهل البلدة التي خطفت جثمان القديس مارون بنوا كنيسة كبيرة (أو هيكلاً) أم بنوا قبراً كبيراً، وهو نفس القبر

---

81 - الأب بطرس ضو، تاريخ الموارنة، ج ١، مرجع سابق، ص ٥٨.

82 - المرجع السابق، ص ٦٨.

83 - Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., t. 2, op. cit., p. 33.

84 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ٦٨.

85 - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٨.

الذي لم يزره ؟ نثبت نص تيودوريطس، بالفرنسية، كما ترجمه بيير كانيفيه عن اليونانية: " Les habitants d`un bourg limitrophe fort peuplé survinrent en masse,. . . s`emparèrent de ce trésor fort convoité, édifièrent un **vaste tombeau**. . . Quant à nous, nous recueillerons sa bénédiction malgé notre éloignement, car à défaut de son **tombeau** nous gardons son souvenir et cela nous suffit."[٨٦]. وردت في النص عبارة القبر (**tombeau**) مرتين، وتمت ترجمتها في المرة الأولى بالكنيسة وفي الثانية بالقبر!

لماذا التركيز على بناء الكنيسة؟ لأن هناك محاولة للربط، كيفما اتفق، بين القديس مارون ودير مار مارون على العاصي. وهذه المحاولة مارسها البطريرك الدويهي صراحة عندما قال: "من السيرة التي نقلناها من تاودوريطس في الفصل الثالث، بيان واضحا، ان لما استراح مارون من اتعاب هذه الحياة، صار قتالاً شديدا بسبب جسده الطاهر في بلاد قورس، وان قدم اهل قرية جامعة من تلك التخوم... وخطفوا ذلك الكنز... وحملوه إلى بلادهم، واقاموا له هيكل جليل... لم يذكر الكاتب من هم الذين خطفوه، ولا أين اقاموا له الهيكل،... لأن هذه الأمور كانت في زمانه مكشوفه... ولكن على التحقيق ان قوله ينتسب إلى الهيكل الذي ابتنوه اهل حماه على نهر العاصي، وهو بين حماه وحمص، وصار ديراً عظيماً..."[٨٧].

أوضح تيودوريطس أن أهل بلدة من الجوار اختطفوا جثمان القديس مارون. ولكنه من غير المعقول أن يكون هذا الجوار على كل ذلك البعد عن القورشية بحيث تصبح مدينة حماه بجوار القورشية (راجع الخرائط)! ولو أن أهل حماه هم الذين بنوا الكنيسة (المزعومة) لصرح تيودوريطس بذلك. ليس أمامنا أن نعلق على هذا الادعاء بغير الاستعارة من تعليق بيير كانيفيه[٨٨]، فنقول: انظروا إلى المواقع كما هي على الأرض، ولا تنظروا إليها على الخرائط، أو من الجو فتبدو لكم قريبة جداً من بعضها.

نساك وأديار القورشية والقديس مارون

لعل المبالغة الأكبر في سرد حياة القديس مارون، عند المؤرخين الموارنة، تكمن في جعل هذا القديس يحتكر تأسيس وتنظيم وتطوير كل نشاط نسكي ، لا سيما في القورشية. تنطلق هذه المبالغة من تأويل غير دقيق لما قاله تيودوريطس في نصه الفرنسي التالي: " En pratiquant cet art de la culture, il fit pousser de nombreusea plantes de philosophie et c`est lui qui a planté pour Dieu le

---

86 - CANIVET et LEROY-MOLINGHEN: Histoire des Moines. . ., tome 2, op. cit., p. 33.

87 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ٨١. غالباً ما حافظنا على نصوص الدويهي بعباراتها الحرفية (دون تصحيح).

88 - راجع الحاشية رقم ٧١ و٧٢.

jardin qui fleurit aujourd`hui dans la region de Cyrrus. Le grand Jacques est un produit de sa plantation..., de même tous les autres dont je ferai, Dieu aidant, une mention particulière."[٨٩]. يرى البطريرك الدويهي أن هذا النص يعني: "ان من ممارسته فلاحة الفلسفة اقام غرسات كثيرة، والبستان النامي الآن في ايالة قوروس هو نصبه لله. ومن جملة اثمار هذه النصبات يعقوب الجليل... وكذلك جميع الآخرين الذين سوف نأتي بذكرهم ان اراد الله"[٩٠]. والمطران الدبس يقول في ذلك: "وقد انكب على الحراثة الروحية فغرست يداه أغراساً كثيرة مونعة فيها ثمار الحكمة، وهذه الجنة المخضلة المزهرة الآن في قورش إنما هي لله من صنع يديه. ومن ثمار هذه الحراثة يعقوب الكبير... وغيره ممن سنأتي على ذكر كل منهم ان شاء الله"[٩١]. ويضيف في مكان لاحق، تحت عنوان "تلامذة القديس مارون": "أشار توادوريطس في كلامه في القديس مارون إلى أنه الغارس والحارث لجنة الله في قورش... وإنه قد أينع من هذه الجنة ثمار شهية ذكر منها يعقوب معيناً، وقال إنه سيأتي على ذكر الباقين مفصلاً. وعليه فيظهر أن أكثر النساك الذين ذكرهم بعد مارون إنما هم بأجمعهم تلاميذه أو متابعوه في طريقته"[٩٢].

أما الأب بطرس ضو فيقول في تأويل هذا النص: "بهذه الحراثة أنبت كثيراً من أغراس الحكمة. وهذه الجنة المزدهرة الآن في منطقة قورش هو ذاته أنشأها لله. ومن نتائج هذه الحراثة يعقوب الكبير... والآخرون كلهم الذين سأذكرهم كلاً بمفرده"[٩٣]. وخلاصة القول يبدو في التأريخ الماروني كما لو أن كل من ذكره تيودوريطس بعد القديس مارون هو من تلامذته، وحتى كل من كان منشأه من القورشية، كقول الأب ضو في ابراهيم القورشي: "لا يقول توادوريطس صريحاً أن ابراهيم هذا تعرف إلى القديس مارون أو عاش في العراء مثله ولكنه يقول أن ابراهيم من الأغراس التي نبتت ونمت في بستان قورش الرهباني. ويعزو انشاء هذا البستان إلى القديس مارون"[٩٤].

إن كلام تيودوريطس في القديس مارون أنه هو غارس حقول القورشية بالايمان هو كلام لتكريم القديس لا لأخذه بمهناه الحرفي والحصري، وقد قال شبهه في كثير من النساك الذين أتى على ذكرهم، في الجزء الأول الذي نشره بالفرنسية كانيفيه ولوروا– مولنجين، من أمثال مارسيانوس وحوشب وبالاديوس

---

89 - CANIVET et LEROY-MOLINGHEN: Histoire des Moines. . ., tome 2, op. cit., p. 31.

90 - الدويهي: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ٧٣.

91 - الدبس، الجامع المفصل...، مرجع سابق، ص ١٨.

92 - المرجع السابق، ص ٢٢.

93 - الأب بطرس ضو: تاريخ الموارنة، ج ١، مرجع سابق، ص ٦٠.

94 - المرجع السابق، ص ٨٤.

وأبراهام وماسيدونيوس. هذا فضلاً عن أنه خص زابينا وبوليكرونيوس بأنهما مؤسسا طريقة ولهما أتباعهما، في القورشية بالذات.

إن النص الذي ينطلق منه المؤرخون الموارنة لا يعطي للقديس مارون حصرية تربية النساك في القورشية، وإن كان واضحاً في إعطاء هذا القديس منزلة خاصة. وعندما يقول تيودوريطس: "إن يعقوب الكبير هو ثمرة من غرسه..."، فإنه يضيف: " وكذلك جميع الذين سأخصهم بالذكر، إن شاء الله"، أي جميع الذين سيخصهم بذكرهم أنهم من تلامذة القديس مارون (mention particulière)، وقد ذكرهم وحدد أنهم من تلاميذه. وبالتالي لا يعني كلام تيودوريطس أن كل من سيذكرهم على التوالي، بعد القديس مارون هم من تلامذته. وكان سبق أن ناقش هذه القضية بكثير من الدقة سركيس أبو زيد في مؤلفه: الموارنة، سؤال في الهوية[٩٥].

ومن جهة أخرى لم يقل تيودوريطس أن القديس مارون أسس الأديار في القورشية. لقد ذكره بوصفه الناسك المنفرد، الذي ينشد الوحدة (anachorete)، ولا يهوى الحياة في الأديرة، بل الانعزال والوحدة في العراء (hypèthre). ومع ذلك يصر بعض المؤرخين الموارنة، (مع زعمهم الاستناد إلى تيودوريطس)، في حديثهم عن القديس مارون، على الكلام عن "مدرسته الرهبانية" وعن "بستان قورش الرهباني. ويعزو إنشاء هذا البستان إلى القديس مارون"[٩٦].

أديار أفاميا (دير مار مارون) والقديس مارون

هل ثمة تواصل ما بين أديار أفاميا، ومنها دير مار مارون، والقديس الناسك مارون؟ هل ثمة تواصل بغير الآسم فقط؟ هل هناك تواصل تنظيمي وتبشيري وتأسيسي بين مارون الناسك القديس، أو أتباعه، وأديار أفاميا؟ يجيب معظم التأريخ الماروني الشرعي بالايجاب، ويتخذ من دير مار مارون، ورئاسته لأديار سورية، الحجة الأولى. واستطراداً هناك من يربط بين نشوء الموارنة (ككنيسة أو جماعة أوطائفة) والقديس مارون ناسك القورشية. فما حقيقة الأمر؟

سبق للبطريرك الدويهي أن حذر، كما أشرنا سابقاً، من مغبة الخلط بين كل ما ينسب إلى لفظة مارون، لشيوعها كعلم جغرافي وعلم للأشخاص. ومع أن البطريرك وقع في شرك ماحذر منه، فإننا نعيد هنا بمزيد من التفصيل ما أدلى

---

95 - أبو زيد، سركيس: الموارنة، سؤال في الهوية، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠، الفصل الأول.

96 - راجع مثلاً الأب بطرس ضو، تاريخ الموارنة، ج ١، ص ٨٤: "يعتبر تلامذة القديس مارون امتداداً للقديس. ونقصد بتلامذة القديس مارون النساك الذين اتبعوا طريقة القديس مارون في النسك أي الحياة في العراء. ربما البعض منهم لم يتعرفوا شخصياً إلى القديس مارون ولكن يعتبرون مع ذلك من مدرسته الرهبانية". "لا يقول تواودوريطس صريحاً أن ابراهيم هذا تعرف إلى القديس مارون أو عاش في العراء مثله ولكنه يقول أن ابراهيم من الأغراس التي نبتت ونمت في بستان قورش الرهباني. ويعزو إنشاء هذا البستان إلى القديس مارون".

به البطريرك المذكور في هذه القضية. يقول الدويهي: "لفظة مارون يقال انها تشتق من (لفظة سريانية) التي تأويلها في اللغة السريانية دهن المر الذي به تتحفظ وتحفظ اجساد الموتى... أو من (لفظ سرياني) الذي تأويلها الحسن الرايحه لأنه يتركب من العقاقير الطيب الرايحه. وبه تسمي البيعه الميرون الطاهر الذي به تدهن المعاميد ليلبسوا الرب يسوع... ولكن الأصح أن لفظة مارون تشتق من (كلمة سريانية) التي تفسر السياده والربوبيه... وبهذه اللفظه لموضع سهولتها وشرف معناها كثيرون كنوا بنيهم والمواضع التي اختاروها لسكنتهم. وكان يدعوهم مارون ومارونس ومارونا ومارونيه"(٩٧).

ومن حيث المواضع الجغرافية يقول الدويهي: "فمن خصوص المواضع الذين اختصوا بهذا الاسم أولاً مارونيا المدينة في بلاد طراكيا، التي شاع ذكر اهلها باسم موارنة... وعلى شبهها كذلك مارونيه المدينة في ايالة انطاكيه... وايضاً مارون القرية كانت بارض حراجل في بلاد كسروان، ومزرعة مارون في فتوح جبيل على نهر ابراهيم، وفي بلاد بشاره قريتان احدتهما تدعا مارون الراس، وهي على راس الجبل الذي يقال له جبل عامله. والاخره تدعا مارون الركين، وهي بالقرب من النهر الليطاني... وغيرهم نجوز عن ذكرهم. وسكانة هذه المدن والقرى كانوا يدعون موارنة"(٩٨).

وفي ما يتعلق بالأشخاص يقول البطريرك الدويهي: "وبهذا الاسم كثيرون أحصوا اولادهم ايضاً منذ الزمان القديم. فمذكور عند الحنفا ان ابو ورجيليوس... كان اسمه مارون. وفي مجمع خلقيدونيه تحررت رسالة روسا كهنة الجزيرة التي بين النهرين ويذكر فيهم مارونس الأسقف. وكذلك فلابيانوس البار اسقف انطاكيه كان له شماس يدعا مارونا... وقيل انه كان من معراب... وبهذا الاسم كثيرون تشرفوا بالقداسه والسيره الفاضله عند ساير ملل النصارى. اولا في سنكسار الكنيسه مذكور ان في سنة ماية وتنتا عشر انشهر بالشهاده مارون الشماس... وفي السنكسار الذي عند الروم، في الثامن من شهر آب، يعيدون لمورون اسقف قريطش... وفي السادس عشر من الشهر المذكور يعيدون للقديس مورون... وكذلك الارمن في شهر شباط يعيدون لمار مارون الذي تشرف في رياسة الكهنوت والشهاده. وكذلك الكنيسة السريانية في ١٢ من شهر شباط تعيد للقديس مارونا... وفي الكتب السريانية تتفضل سيرة ابراهيم واخيه مارون..."(٩٩). وهناك أيضاً "رجل راهب ردي الديانة يقال له مارون الذي انبت القرار بمشيه واحده..."(١٠٠). ويضيف الدويهي: "واما اخرون... ترجموا دير

---

97 - الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١٥٩.

98 - المرجع السابق، ص ١٥٩ – ١٦٠.

99 - المرجع السابق، ص ١٦٠ – ١٦١.

100 - المرجع السابق، ص ١٦٢.

مارون دير ربنا كما هو باين في كتب ابن القلاعي وابن الصليب والمرشد وغيرهم بسبب ان لفظة مارون كما ذكرنا تشتق من مرونا التي تفسر ربوبيه"(١٠١).

وجاء أيضاً، بين أسماء موقعي عريضة اعتراف بالايمان، موجهة ليعقوب البرادعي (أواخر القرن السادس أو أوائل السابع)، من قبل رؤساء أديرة مقاطعة العربية، مارون اليعقوبي أسقف ورئيس دير بيت حنا في درعيا(١٠٢).

ويذكر الخوري ميخائيل الشبابي "مارون الرهاوي النسطوري المبتدع"، في معرض كلامه على موارنة سورية الذين كان منهم من "يعتقدون بالمشيئة الواحدة"(١٠٣).

وعليه، لما كان اسم مارون على هذه الدرجة من الشيوع كاسم للمواضع الجغرافية وللقديسين ورجال الدين المشهورين في شتى الملل المسيحية، لا يصح مطلقاً نسبة أي موقع أو دير أو ملة إلى شخص معين من هؤلاء دون البرهنة على ذلك بأدلة جدية. أما في ما خص نسبة دير مارون في أفاميا فمبتدأ البحث فيه يجب أن يكون في سياق البحث في نشوء الأديرة في هذه المنطقة. ومن هنا نستطيع النظر في ما إذا كان للقديس مارون الناسك، أو لتلاميذه، من دور في تأسيس أديرة أفاميا.

يزودنا بيير كانيفيه بكثير من المعطيات عن الرهبنات السورية في خلاصة اشتغاله على ما خلفه تيودوريطس من كتابات في سِير القديسين والأديار في سورية(١٠٤). وتناولت أبحاث كانيفيه كتابات أسقف قورش، تيودوريطس، المعاصر تقريباً لمرحلة ترسيخ المسيحية وتأسيس التيارات النسكية والمدارس الرهبانية في سورية. كما كان هو شخصياً جزءاً من الحركة الدينية الناشطة في حينه، في سورية، وأمضى بعض شبابه وقسماً من شيخوخته في أحد أديرة

---

101 - المرجع السابق، ص ١٦٣.

102 - Actes du XIème Congrès des Orientalistes. . ., op. cit., p 131.

103 - غبرئيل الشبابي، الخوري ميخائيل عبدالله: تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، المجلد الثاني، القسم الثاني، المطبعة اللبنانية في بعبدا، لبنان، ١٩٠٦. راجع من ص ٤٠٢ حتى ص ٤٣٦.

104 - CANIVET, Pierre; Le Monachisme Syrien selon Théodoret de Cyr, éditions BEAUCHESNE, Paris, 1977.

أبرز كتابات تيودوريطس التي اشتغل عليها كانيفيه هي: Histoire Philothée (Histoire des Moines de Syrie); Histoire Ecclésiastique; Correspondances ...

أفاميا[١٠٥]. ولقد ركز تيودوريطس انتباهه على منطقة أنطاكية وخلقيس (على العاصي - Chalcidène) والقورشية وأفاميا[١٠٦].

يعتبر تيودوريطس أن الناسك القديس مارسيانوس (Marcianos) هو الأب الروحي لنشوء الحياة الرهبانية في أفاميا. وفي "التاريخ الكنسي" (Histoire Ecclésiastique) يظهر مارسيانوس إلى جانب أفيت (Avit) وابراهيم (Abrahamès) وهم يعيشون في خلقيس في ظل سلطة فالانس (٣٦٤ – ٣٧٨)[١٠٧]. ويشير كانيفيه إلى أن مارسيانوس "لم يؤسس، هو شخصياً الأديرة، ولكن تلامذته هم الذين قاموا بذلك، في خلقيس وأفاميا، في زمن حكم فالانس"[١٠٨]، أي ما بين سنة ٣٦٤ وسنة ٣٧٨. وإذا كنا لن نتوقف أمام وضع الأديرة في خلقيس، وهي على أية حال قليلة جداً[١٠٩]، مركزين على أديرة أفاميا، فإن بيير كانيفيه يؤكد، استناداً إلى معطيات تيودوريطس: أن "أسس تلامذة مارسيانوس، أغابيه (Agapet) وشمعون (Syméon) وباسيل (Basile)، في نيكيرتيه (Nikertai) وسيلوكوبيلوس (Seleucobelus) أدياراً تفرعت في كل أفاميا"[١١٠]. ففي نيكيرتيه أنشأ أغابيه ديرين واحد على أسمه وآخر على اسم مارسيانوس، كان بإدارة شمعون. وكان هذان الديران يضمان في العام ٤٤٤ أكثر من ٤٠٠ راهب، وكانت لهما فروع في أفاميا[١١١].

ولقد استمرت هذه الأديرة على النهج الخلقيدوني، وترد اسماؤها في مراسلات الذين كانوا يشتكون من مضايقة المونوفيزيت، في العام ٥١٨، في وقت شكلت فيه أديرة أفاميا آخر قلاع الأرثوذكسية الخلقيدونية في الشرق[١١٢].

وعلى الرغم من أن المصدر الأساسي لهذه المعلومات هو تيودوريطس، الذي ينسب صراحة تأسيس هذه الأديار إلى تلامذة مارسيانوس، إذ يقول: "والحال إن واضعي تنظيم الحياة فيها (في هذه الأديرة) هما أغابيه وشمعون اللذان استمدا قوانينها من مارسيانوس العظيم"[١١٣]. ومارسيانوس هذا لم يكن تلميذاً للقديس مارون. وإذا كان أصله من مدينة قورش، فإن ذلك لا يعني بالضرورة أنه كان على صلة ما بالقديس مارون. وسيرة حياة هذا الناسك التي

---

105 - راجع (Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., tome 1, op. cit., p. 252.): "في أحد هذه الأديرة المجاورة لأفاميا ترهب تيودوريطس قبل أن يصبح أسقف قورش في العام ٤٢٣، وإلى أحدها عاد ليعيش في العام ٤٤٩".

106 - CANIVET, Pierre; Le Monachisme Syrien. . ., op. cit.,p. 150.

107 - المرجع السابق، ص ١٨٥.

108 - المرجع السابق، ص ١٨٦.

109 - المرجع السابق، ص ١٨٧.

110 - المرجع السابق، ص ١٨٧.

111 - المرجع السابق، ص ١٨٨.

112 - المرجع السابق، ص ١٩١.

113 - Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., tome 1, op. cit., p. 253.

وضعها تيودوريطس لم تذكر أي علاقة له مع القديس مارون. هذا فضلاً عن أنه كان، على الأرجح، أكبر من الناسك مارون. لقد كان شيخاً مسناً وبحاجة لمن يرعاه: "اجتمع على زيارته أساقفة انطاكية وهيرابوليس (منبج) وحلب وخلقيس وقورش، وحصلت هذه الزيارة بعد... عام ٣٨١... وحينها كان مارسيانوس متقدماً في العمر كثيراً"[١١٤]. وكان تلميذه حوشب يقيم على مقربة من محبسة معلمه مارسيانوس في خلقيس ليتمكن من الاعتناء به[١١٥]. أضف إلى ذلك أن تيودوريطس يشير صراحة إلى أن مارسيانوس الارستقراطي المنشأ تخلى عن حياة العز في مدينة قورش وفي البلاط: "وبعد أن تخلى عن كل شيء، وتوغل بعيداً في الصحراء حيث ابتنى لنفسه كوخاً لا يكاد يتسع له..."[١١٦]. مما يعني أنه لم يتسنّ له اللقاء بالقديس الناسك مارون الذي انتحى في قمة جبل، كما يعني أن مارسيانوس لم يكن من أنصار الحياة في العراء.

على الرغم من كل ذلك يصر بعض المؤرخين الموارنة على اعتبار تأسيس الأديار في أفاميا إنما يعود الفضل فيه إلى القديس مارون الذي أخذ عنه مارسيانوس طريقته في الحياة، ونقلها إلى تلامذته. وهذا ما دفع ببير كانيفيه إلى التعليق، على أحد ممثلي هذا التأريخ الماروني، الأباتي بولس نعمان، قائلاً: "إنه لمن المبالغة المتعسفة (abusif) القول، كما يفعل الأب ب. نعمان (Théodoret de Cyr et le monastère de S. Maron, Beyrouth 1971, p. 69)، أن أغابيه وشمعون هما "ناسكان من القورشية"، ولربما كانا، هما أيضاً، من تلامذة الناسك مارون، بواسطة مارسيانوس"[١١٧].

لماذا كل هذا "الدوران" وكل هذا "العسف" بالنصوص والمراجع، وكل هذا الاستهتار بأصول الكتابة التاريخية، التي أقلها الدقة في "النقل"؟ ليس لشيء سوى لنجعل تلامذة القديس مارون هم مؤسسو أديار أفاميا، وبالتالي لتأمين التواصل التاريخي بين القديس الناسك مارون وموارنة اليوم. ولو استلزم الأمر "إلغاء" الآخرين و"استبعادهم". وفي مسار هذا التواصل ينتصب دير مار مارون على العاصي. فكيف يكون الدير في أفاميا ولا يكون تلامذة القديس مارون هم بناته، وهو على اسم "مارون". يجب أن يكون "مارون" الدير هذا هو هو "مارون" موارنة اليوم، مهما كلف الأمر من ضرب لأصول التأريخ بعرض الحائط!

نختم الكلام هنا بمقطع لسركيس أبو زيد في دير مار مارون: "لقد تباينت الآراء حول تحديد مكان الدير، قال بعضها انه وجد في سوريا الأولى، والبعض

---

114 - CANIVET, Pierre; Le Monachisme Syrien. . ., op. cit.,p. 186.

115 - المرجع السابق، ص ١٨٦.

116 - Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., tome 1, op. cit., p. 249.

117 - CANIVET, Pierre; Le Monachisme Syrien. . ., op. cit.,p. 188.

في سوريا الثانية، والبعض الآخر في فينيقية اللبنانية *. يقول فؤاد افرام البستاني: "فكان الدير يتنقل، من ثم، في آراء المؤرخين، من ضواحي حمص حتى جوار أنطاكيا، وبينهما مسيرة ثمانية أيام" **(١١٨). يبدو أن أبو زيد اشتط كثيراً في قوله: "والحق أنه لا يمكن تاريخياً الجزم بتحديد هوية من بناه، ولا السنة التي شيد فيها، ولا هوية من دمره، ولا من أعاد ترميمه، ويعود هذا الالتباس إلى فقدان المعلومات القديمة الموثوق بها وإلى وجود أكثر من دير يحمل اسم مارون"(١١٩). ولعل الأرجح في بناء دير مار مارون في أفاميا ما قاله الأب لامنس: "ولعل سائلاً يطلب أوليس دير القديس مارون أحد الأديار التي ابتناها القديس أغابيتوس (هو Agapet) في جوار أفاميا؟ أجبنا أن هذا لرأي سبقنا إليه حضرة الأب جوليان اليسوعي في كتابه عن جبل سينا وسورية (P. M. Julien, s. j. : Sinaï et Syrie, p. 178). ولا نرى داعياً لانكاره"(١٢٠).

الأب موراني: رهبان الموارنة أسسوا "كنيسة سورية"!

بهذه الذهنية السوريالية surréaliste يقوم "مؤرخو" القبيات بكتابة تاريخ بلدتهم. وإذا كان الأب موراني صادر مونوفيزيت عكار (السريان) وجعلهم موارنة، فإنه في كلامه على نشأة المارونية يصادر كل نشاط تبشيري وتأسيسي ل"كنيسة سورية" ويجعله من عمل "رهبان بيت مارون" فقط، ولا يأتي على ذكر المسيحيين الآخرين إلاّ مع انشقاق العام ٤٥١، في مجمع خلقيدونية. يقول: "بدأ تاريخ الشعب الماروني في النصف الثاني من القرن الرابع، مع القديس الناسك مارون... وسرعان ما جذبت إليه شهرته الأتباع الذين مارسوا الصلاة والتبشير، بانتشارهم في سورية ولبنان لمواجهة الوثنية... وكانت الغالبية المسيحية حتى مطلع القرن الخامس يونانية (هلينية) اللغة والثقافة وتعيش في الساحل السوري. ولهذا انتشرت المسيحية التي بشر بها تلاميذ القديس مارون، على نطاق واسع في وسط الشعب الآرامي بثقافته ولغته السريانيتين. وكان الآراميون يعيشون خاصة في الريف والمناطق الجبلية مشكلين الغالبية العظمى من السكان. واعتباراً من القرن الخامس صار العنصر الآرامي المتنصر راجحاً،

---

118 - أبو زيد، سركيس: الموارنة...، مرجع سابق، ص ٣٧ – ٣٨. *يحيلنا الكاتب إلى حاشية رقم ١: "المزيد من التفاصيل حول هذا الدير راجع: - تاريخ الموارنة، الأب بطرس ضو، ج ١، ص ١٤٥ – ١٦٣. – التنبيه والاشراف، المسعودي، ص ١٥٣ – ١٥٤. – لباب البراهين الجلية، المطران يوسف دريان، ج ١، ص ٢٦. – تاريخ الكنيسة المارونية، المطران بطرس ديب، ج ١، ص ٥. **يحيلنا الكاتب هنا إلى حاشية رقم ٢: "مار مارون، فؤاد افرام البستاني، ص ٤٨. يبدو أن البستاني يكرر ما قاله الأب هنري لامنس (تسريح...، مرجع سابق، ص ٢٥٤): "عددنا ما كتبه المحدثون بهذا الصدد (دير مار مارون) فوجدنا آراءهم متباينة متناقضة. *فمنهم من يجعل دير القديس عند أنطاكية. ومنهم من يرجح كونه في ضواحي حمص* (أي في وسط الطريق بين أفاميا وحمص) *وبين البلدين كما لا يخفى مسافة ثمانية أيام* ونيف. وربما رأيت الكاتب الواحد مضطرباً متحيراً يجعل الدير تارة في محل وتارة في موقع آخر حتى اننا عددنا لبعض كتبة زماننا خمسة آراء في هذا الشأن".

119 - أبو زيد، المرجع السابق، ص ٣٨. ثمة الكثير من المعلومات الموثوقة التي يركن لها.

120 - لامنس، الأب اليسوعي هنري: تسريح...، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

وتحولت كنيسة سورية، بعد أن كانت هلينية، إلى جماعة سريانية قوية في ظل سيطرة رهبان مارون العقائدية والادارية"[١٢١]. ويتابع الأب موراني أن الامبراطور البيزنطي مارسيان بنى ديراً على اسم القديس مارون في منطقة حمص، في العام ٤٥٢، ليكسب عطف جماعة السريان ولتنصير القبائل العربية... ويضيف أن رهبان هذا الدير ورهبان الكثير من الأديرة الأخرى في سورية والمسيحيين الذين كانوا يعيشون بجوارهذه الأديرة شكلوا النواة الأولى ل"أبناء بيت مارون" تلك النواة التي صارت في ما بعد كنيسة أنطاكية المارونية... وفي ما بعد، في مجمع خلقيدونية عام ٤٥١، انقسم السريان إلى قسمين، قسم أيد مقررات المجمع، وآخر رفضها. "إن "أبناء بيت مارون" الذين سميوا لاحقاً موارنة، ليسوا على العموم، غير القسم المسيحي من السريان الذين حملوا لواء المعتقد الخلقيدوني في سورية"[١٢٢].

الأب موراني: القبيات مهد الموارنة

لن نتوقف أمام كلام الأب موراني الذي ذكرناه فقط لنشير إلى أنه يلتزم النهج الماروني العام في التأريخ السوريالي للطائفة. ولكننا نلفت النظر إلى مبالغاته في رواية الواقع التاريخي لتحول القبيات إلى المذهب الماروني. يقول الأب موراني: "إذا كان وجود الموارنة في لبنان اتخذ طابعاً رسمياً اعتباراً من النصف الثاني من القرن السابع، فثمة جماعات متفرقة منهم كانت تقيم فيه منذ *زمن أقدم بكثير*. بداية، يجب أن لا نستبعد أن يكون *رهبان القديس مارون* قد زاروا في جولاتهم التبشيرية منطقة حدودية مع مقرهم، وأنهم أسسوا هناك مجموعات متمسكة بمعتقدهم الخلقيدوني. ولا بد أن *القبيات*، من جهة أخرى، شكلت، بالطبع، مرحلة هامة في انتقالهم إلى لبنان، بحكم موقع *المدينة* (لاحظوا: المدينة؟)..."[١٢٣].

لم يقل لنا الأب المحترم مَن مِن "رهبان القديس مارون" يقصد، رهبان أفاميا، أم رهبان العاصي؟ ولم يعين لنا هذا *الزمن الأقدم* بكثير. ولكننا نضرب صفحاً عن هذا الكلام لأن الأب المحترم يجده منتقصاً من "أصالة" القبيات المارونية، التي يجب أن تكون عريقة في المارونية مثل كل المراكز المارونية الأساسية. ونحن هنا لا نبالغ، فلنقرأ ما كتبه: "...، ونعتقد، بالعكس، أن الموارنة أصلهم من هذه المنطقة (أصيلون فيها)، وأن هذه المنطقة كانت مهداً للموارنة، شأنها شأن أفاميا وقنسرين والعواصم"[١٢٤]. وتعليل الأب المحترم لادعائه هذا يستند إلى ارتحال الموارنة من أفاميا عبر وادي العاصي. وبرأيه وادي العاصي

---

[121] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 38 - 39.

[122] - المرجع السابق، ص ٣٩ – ٤٠.

[123] - المرجع السابق، ص ٤٧.

[124] - المرجع السابق، ص ٤٧. بقي عليه أن يقول ربما كان مار مارون قبياتياً! من يعلم؟

ينطلق من جوار بعلبك حتى أنطاكية، ويحتوي على جغرافية ما هو غرب حمص بما في ذلك قسم كبير من عكار (وبالتالي القبيات) والبقيعة وجبال العلويين[١٢٥]، وهناك وادي النصارى، وحيث هناك نصارى فهم موارنة. الكون لولا قليل كله تنصر على أيدي رهبان مارون.

ويعطي كبرهان على الوجود الماروني في القبيات، منذ الزمن القديم، "مغارة الراهب" قرب الهرمل. وهو يقول، مستشهداً بالأب لامنس: "ثمة مغارة باسم فاطمة، ويسميها البعض مغارة الراهب، تشهد حتى اليوم على مرورهم (يقصد مرور الموارنة) التاريخي"[126]. هل في كلام الأب لامنس ما نستدل به على صحة ما يزعمه الأب موراني؟ ذكر الأب لامنس "مغارة الراهب" مرتين، في مؤلفه "تسريح الأبصار...". المرة الأولى، وهو يبحث "*في مبادئ العيشة الرهبانية في لبنان*". وفي مبحثه هذا اعتبر أن هناك ذكر ل"بعض الأديرة القديمة الراقية إلى أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس"[١٢٧]. واعتبر أن المغاور القديمة والكهوف التي كانت مدافن للموتى قد تحولت إلى مسكن للرهبان، بقوله: "لدينا من الأدلة ما يحملنا على القول ان الرهبان اتخذوها لهم مساكن أووا إليها. من ذلك ما ترى فيها من شارات النصرانية... وفيها صهاريج و... ومن اعتبر هذه المساكن الغريبة لا يشك في أن الرهبان وحدهم أمكنتهم الاقامة فيها"[١٢٨].

ويعطي الأب لامنس أمثلة على هذه المغاور – الأديرة – أمكنة إقامة الرهبان: عدلون (بين صيدا وصور)[١٢٩]، ويضيف كمثل آخر: "وليس بمستبعد أيضاً أن الأغوار المنقورة في الصخر في واد مطل على بلاد البقاع بقرب قرية فرزل شمالي زحلة كانت مأوى للسياح..."[١٣٠].

والمثل الأخير الذي يعطيه الأب لامنس، قبل ذكره لمغاور "وادي قزحيا والقاديشا"، هو موقع "مغارة الراهب" في الهرمل. فيقول فيه: "ومن جملة الأماكن التي يشار إليها بالشواهد المنقولة أنها كانت في سالف الزمان كمعاهد للرهبان مغارة عند قرية هرمل على مقربة من أكبر رؤوس نهر العاصي. ولهذا التقليد أثر في كتبة القرون المتوسطة كأبي الفداء والقلقشندي وغيرهما. وهم يدعون هذا المكان باسم مغارة الراهب، والموارنة يدعونها "دير مار مارون". ولا يزال الجبل المطل عليها مع الأملاك المجاورة له خاصة رهبان لبنان الانطونيانيين ويسكن البعض منهم هذا المكان في عهدنا الحاضر مع أن سكان

---

125 - المرجع السابق، ص ٤٦ – ٤٩.

126 - المرجع السابق، ص ٤٠ – ٤١.

127 - لامنس: تسريح...، مرجع سابق، ص ١٢٤.

128 - المرجع السابق، ص ١٢٤ – ١٢٥.

129 - المرجع السابق، ص ١٢٤ – ١٢٥.

130 - المرجع السابق، ص ١٢٥.

هذه الايالة كلهم من المتاولة. وهؤلاء يعرفون هذه المغاور باسم القصور وما لا ريب فيه أن الناس تحصنوا فيها سابقاً. يستدل على ذلك بما أقاموه من الأبنية في مدخلها للمدافعة عنها فزادوها منعة على حصانتها الطبيعية. ومغارة الراهب تفوق مغاور عدلون وفرزل بمحاسنها. وكانت في الأصل طبيعية سكنتها كما يظهر قبائل عادية في الأعصار السابقة للتاريخ. ولعل هذه القبائل فضلتها على سواها لحسن موقعها قرب نهر كبير. إلاّ أن الخلف حسنوا عمل الطبيعة وأضافوا إليها منتديات نقروها في الصخر على أحسن هندام مع قبة ذات حنية مقوسة ودرج داخلي يصعد منه إلى الطبقات العليا وبئر عميق الغور يبلغ إلى مياه النهر، وكل ذلك منحوت في الصخر الأصم"[١٣١]. هذا هو كل النص الذي وضعه الأب لامنس حول "مغارة الراهب" في المرة الأولى في "تسريح...". ماذا في كل هذا النص مما يشير إلى أن الموارنة، في زمن ارتحالهم في منتصف القرن السادس، أو قبله، قد أقاموا هنا في الهرمل؟ يذكر لامنس هذا الموقع مع ذكره لمواقع عدلون والفرزل وقزحيا وقاديشا، ليشير إلى قدم المسيحية لا الموارنة. وإذا ورد في النص أن الموارنة يسمون هذه المغارة "دير مار مارون"، فهذا لايعين شيئاً حول زمن وجود هذا الدير، وما إذا كان من المحطات التاريخية القديمة لانتشار الموارنة. وموقف الأب لامنس واضح في أن الموارنة إنما وفدوا إلى لبنان في النصف الثاني من القرن السابع لا قبله: "كان دخول الموارنة إلى لبنان في النصف الثاني من القرن السابع"[١٣٢]. و"أول مركز احتله الموارنة عند ولوجهم لبنان معاملة الجبة وقسم من بلاد البترون فهناك كان مهد الأمة المارونية كما أشرنا إليه غير مرة"[١٣٣].

والمرة الثانية التي ذكر فيها الأب لامنس "مغارة الراهب"، في "تسريح..."، عندما كان يبحث حول البلبلة في تعيين موقع دير مار مارون، وكيف أن البعض اعتبر هذا الدير في جوار حمص، وهنا يقول الأب لامنس حرفياً، في المرجع الذي يذكره الأب موراني: "ولعل سبباً آخر دفع هؤلاء الكتبة إلى أن يجعلوا دير القديس مارون في ضواحي حمص وهوموقع مغارة الراهب. فإن هذه المغارة أو بالحري هذه سلسلة المغاور التي وصفناها في الجزء السابق (في المشرق ٤: ٢٦٤) موقعها جنوبي حمص عند رأس العاصي. ولما كان بعض العامة يعرفونها باسم دير القديس مارون ظن قوم أن المراد بهذا المكان ذلك الدير الأول الذي بني على اسمه قريباً من أفاميا"[١٣٤]. لا أظن أبداً أن كلام الأب لامنس يشكل دليلاً على قدم أو زمن وجود الموارنة في موقع "مغارة الراهب". فجوهر كلامه يعني: من أراد أن يحدد موقع دير القديس مارون عليه

---

131 ـ المرجع السابق، ص ١٢٥.

132 ـ المرجع السابق، ص ٢٢٣.

133 ـ المرجع السابق، ص ٢٢٥.

134 ـ لامنس، الأب اليسوعي هنري: تسريح...، مرجع سابق، ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨.

الذهاب إلى غير هذا الموقع. فكيف يتخذ الأب موراني من هذا الكلام دليلاً على قدم الوجود الماروني؟

تناول الأب لامنس "مغارة الراهب" ذاتها للمرة الثالثة في تقرير له عن جولة ميدانية أثرية قام بها في العام ١٨٩٩، انطلاقاً من زحلة حتى حمص مروراً بالهرمل وبعض مواقع عكار، ونشرها بعنوان: "ملاحظات نقوشية وطبوغرافية حول منطقة حمص"[١٣٥]. قبل وصول الأب لامنس من زحلة إلى الهرمل توقف (من ضمن المواقع التي توقف فيها) في بلدة راس بعلبك، حيث رجح أن الدير الموجود هناك ربما كان في القديم لليعاقبة[١٣٦]. وعندما وصل إل "مغارة الراهب" قال فيها: "بالقرب من منابع العاصي، هناك "دير مار مارون" الذي غالباً ما تم وصفه (راجع: Jullien 178). إنه عبارة عن مغاور طبيعية استعملها ووسعها *نساك مسيحيون* (تبعاً للتقليد) في القرنين الخامس والسادس. ولا أعرف إن بقيت مأهولة في العصر الاسلامي. يسمي أبو الفدا هذا الموقع باسم "مغارة الراهب"، ولا يذكر ديراً ما. ليس من المعرف لا متى ولا كيف ألصقت به ذكرى القديس مارون. أما المتاولة، سكان تلك المنطقة الوحيدون منذ قرون، يطلقون على هذه المغاور اسم "القصور". ويبدو على الأرجح أن مدخلها المحصن وكوى الرمي فيها، والخ، من صنع الأمراء المتاولة المشاغبين من عائلة حرفوش"[١٣٧]. مرة أخرى يوضح الأب لامنس موقفه من "مارونية" هذه المغارة. هي في القديم استضافت "نساكاً مسيحيين"، دون تعيين لمذهب ما، وهو من ثم يشير إلى كونها "مغارة الراهب" ولا دير فيها في التأريخ العربي، وهو أخيراً يسجل أنه من غير المعروف كيف التصقت بها الصفة المارونية. ومع كل ذلك يصر الأب موراني على أن يجعل الأب لامنس شاهده على مارونية هذا الموقع منذ الزمن القديم. فتأمل!

من الشواهد التاريخية على قدم الوجود الماروني في القبيات يذكر الأب موراني "وادي عودين" بقوله: "ثمة فريق (ماروني) آخر انزوى في شعاب وادي النصارى ومنطقة القبيات. وما يزال دير مار الياس في وادي عودين يحتفظ ختى أيامنا بتفاصيل وجودهم المتواضع"[١٣٨]. إذا كان ثمة من قيمة أو دلالة تاريخية في استحضار الزمن القديم لوادي عودين، فإن هذه القيمة تشير

---

[135] - H. LAMMENS: "Notes Epigraphiques et Topographiques sur l`Emésène", Extrait du Musée Belge, Louvain, 1902. - اعتمد الأب موراني هذا المرجع، ولكنه شوه الكثير من مضامينه، ونسب منه إلى القبيات ما هو لغيرها من المواقع العكارية، وجعل كل إشارة فيه إلى المسيحية دليلاً على الوجود الماروني، حتى الإشارات الواضحة إلى المواقع غير المارونية صارت مع الأب موراني مارونية.

[136] - المرجع السابق، ص ٦: "Le couvent aurait jadis appartenu aux Jacobites.".

[137] - المرجع السابق، ص ٦.

[138] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 41.

إلى عكس ما ذهب إليه الأب موراني. إن الذكر الوحيد في المراجع للفظة "عودين" تجعلها اسماً لدير يعقوبي ورد اسمه مرتين في عريضة اعتراف بالايمان موجهة من أساقفة أديار مقاطعة العربية إلى يعقوب البرادعي[١٣٩]. ولقد ذكر الأب لامنس نسبة الاسم إلى هذا الدير اليعقوبي، في واحد من المراجع[١٤٠] التي اشتغل عليها الأب موراني، ولا بد أنه لاحظ ذلك، وغيبه من كلامه، فهو قد يشوش "أصالة" المارونية في القبيات.

الأب موراني: "لقية" عند الخورسقف الزريبي!

يعتمد الأب موراني، في ما يعتمد عليه، لتدعيم وجهة نظره بكون القبيات "أصيلة" في مارونيتها أصالة أفاميا والعواصم...، على ما يعتبره بمثابة "لقية" نادرة في وثائق الخورسقف الزريبي. يقول: "ثمة وثيقة تعود إلى نهاية القرن التاسع عشر (١٨٩٥) اكتشفناها للتو في محفوظات خورسقف حي مرتموره (الزريبي) تلقي الأضواء على وضع الموارنة في منطقة القبيات حوالي نهاية القرن السابع"[١٤١]. ثم ينشر نص "الوثيقة"، فإذا هي عبارة عن تعليق مخطوط بقلم الخورسقف الزريبي على هامش صفحة أحد كتبه: "إن جيوش يوستنيانوس الأخرم بعد أن اكتسحت أديرة وكنائس الموارنة وأحرقتها وفتكت بالرهبان الأفاضل في جهات حمص وحماه وقرى الوعر والشعره ودكوا معاقل الحبسا في عكار وهدموا الحصون والأبراج وتملكوا على قرية شويتا التي جعلوها مأمناً لهم عند الحاجة وأزاحوا الموارنة من مواقعهم وألجؤهم إلى الاعتصام بجبال لبنان المنيعة حيث لحقوا بهم حتى وطا أميون"[١٤٢].

قبل البحث في قيمة هذه "الوثيقة" نتقدم ببعض الملاحظات الشكلية، لأنها تلقي الضوء على مدى جدية الأب موراني في التدقيق في "وثائقه". يرى الأب موراني أن هذه "الوثيقة" تعود للعام ١٨٩٥، وأنه عثر عليها في كتاب من كتب الخورسقف الزريبي، وحدده بأنه مؤلف "تاريخ كنيسة أنطاكية المارونية" للبطريرك الدويهي. ولقد تبين لدى مراجعتنا لكتب مكتبة الخورسقف الزريبي،

---

139 - Actes du XI^{ème} Congrès des Orientalistes. . ., op. cit., p 131: "N^{o} 85, Solonos. . . prêtre et abbé du couvent de 'Oudin..."; "N^{o} 88, Jean... prêtre et abbé du couvent de Tella des Kurdes, j`ai signé par la main du... Solonos de 'Oudin".

140 - H. LAMMENS: "Notes Epigraphiques et Topo. ...", op. cit, p.49: "Le Wadi 'Oudin emprunte son nom à 'Oudin, couvent maronite, entouré de quelques fermes. C'est évidemment le mot syriaque 'Oudin, nom d'un célèbre couvent jacobite de la province d'Arabie. (XI^{E} congrès des Orientalistes, 4^{e} section, p. 131, n^{os} 85 et 88).

141 - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 50.

142 - الزريبي، الخورسقف مخائيل: نص مخطوط على هامش ص ١٦٩، من "كتاب تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية" للخوري ميخائيل عبدالله غبريل الشبابي، المجلد الأول، بعبدا، لبنان، سنة ١٩٠٠، وهو في مكتبة الخورسقف الزريبي المذكور، وبحوزة انسبائه.

أن الكتاب الذي يرد فيه المقطع المخطوط بقلم الخورسقف الزريبي، هو المجلد الأول من "كتاب تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية" للخوري ميخائيل عبدالله غبريل الشبابي، والمطبوع في العام ١٩٠٠. ولم يكن من الصعب اكتشاف مؤلف الكتاب لأن الخورسقف الزريبي كتب بقلمه في رأس الصفحة ٣، الجملة التالية: "هذا الكتاب أهدي لنا من حضرة المؤلف عن يد موسى أفندي صفير فنشكر (؟) فضل المهدي ونثني على همته ومزيد نشاطه". وعليه ليس من المعقول أن يكون المؤلف هو البطريرك الدويهي (المتوفي في مطلع القرن الثامن عشر) ويكون هو الذي أهدى الكتاب للخورسقف الزريبي في نهاية القرن التاسع عشر. وفي نفس الصفحة، وبمجرد شروعنا بقراءة مقدمة الكتاب وجدنا المؤلف يقدم نفسه بقوله: "أما بعد فيقول الحقير بين عباد الله العاجز الواني، الخوري ميخائيل بن يوحنا بن عبدالله بن الهاشم غبريل الشبابي الماروني اللبناني...". وبما أن هذا المجلد الأول قد تم نشره في العام ١٩٠٠، فإننا لا نجد بداً من أن تاريخ ما خطه الخورسقف الزريبي من ملاحظات على هامش صفحاته، يعود للعام ١٩٠٠ وما فوق. فكيف تمكن الأب موراني من تعيين العام ١٨٩٥ تاريخاً لهذه "الوثيقة"؟

ما هي قيمة هذه الوثيقة؟ إن كل ما جاء في كلام الخورسقف الزريبي هنا وارد، من حيث جوهره، في جميع الحوليات المارونية، كما هو الأمر في نفس الصفحة التي خط فيها الخورسقف هذه الملاحظة. ولنا في بحثنا الراهن إشارات متعددة وذكر متكرر لهذه الغزوة على الموارنة التي قام بها يوستنيان الثاني الأخرم في العام ٦٩٤، والتي تجمع الحوليات المارونية على ذكرها.

بيد أن الأمر الوحيد الذي لم يذكره أحد على الاطلاق، هو بعض التفاصيل التي يذكرها الخورسقف الزريبي، وهي بالتحديد كلامه عن مرور جيوش يوستنيان في "قرى الوعر والشعره وعكار" وتدمير ما فيها من محابس وكنائس وأديرة. وبما أن الخورسقف الزريبي غير معاصر إطلاقاً للأحداث التي يروي عنها (توفي في النصف الأول من القرن العشرين، وهذه الأحداث تعود لنهاية القرن السابع)، فإن كلامه غير المسند إلى أي مرجع على الاطلاق لا يمكن الركون إليه، وهو مجرد اجتهاد مبني على تقدير لخط سير حملة جيوش يوستنان (بقيادة موريق ومرقيان)، ليس إلاّ. ومن الملاحظ أن الخورسقف الزريبي خط بيده إضافات على هامش ص ١٦١ و١٦٢ و١٦٩ و ٤٩٩ و٥٤٧ و٦١٢ و٦٨٣ (من المؤلف المذكور)، حيث كلما ورد ذكر لمواقع الموارنة أدخل فيها عكار أو بعضها. وغالباً ما كان يبرر كلامه بعبارة "كما يستدل على ذلك من الآثار"، أو "... كما يستدل من الآثار القديمة والأديرة والكنائس الموجودة إلى الآن سيما في قرى عكار حيث ترى أن الكنيسة لا تبعد عن الأخرى اكثر من عشرة دقائق". ولكن الخورسقف لم يكشف لنا عن طبيعة هذه الآثار المنبئة

بانتماء هذه المواقع المسيحية إلى الموارنة. وليس من المقبول أن نقرر مارونيتها بسبب كثرتها، أو بمجرد قولنا أنها آثار مارونية.

المسألة الثانية المهمة هي أن الأب موراني يجعل من كلام الخورسقف الزريبي، بمناسبة حملة يوستنيان الأخرم على الموارنة، دليلاً على أهمية القبيات المارونية، في حين أن الخورسقف المذكور لم يأتِ على ذكر البلدة (القبيات) إطلاقاً. وعندما تحدث عن أحد مواقعها اليوم (شويتا) لم يقرر أمر مارونيتها، وإن كان يميل إلى كونها على مذهب "الروم"، لا سيما وأنه وضع ملاحظتين في موقعين آخرين يتردد فيهما في حسم مسألة بناء هرم للقائد مورقيان الذي جاء محارباً للموارنة، عندما خط بقلمه: "فموريق قتل ودفن في قرية أميون بكورة طرابلس. ومرقيان جرح جرحاً مميتاً فانهزم وساقه القضا إلى قرية شويتا بالقبيات القريبة من مدينة عكار حيث قضى نحبه ودفن، وقبره معروف لم يزل إلى الآن وقد بنى الروم فوق قبره هرماً عظيماً يبلغ ارتفاعه ٥٠ ذراعاً..."[١٤٣]. وإذا كان الروم قد بنوا الهرم فوق ضريح مورقيان فهذا يعني أن الروم هم سكان شويتا لا الموارنة. وفي مكان آخر يقول في نفس المسألة: "... قرية شويتا التي كانت آهلة بالسكان في عهد يوستنيانوس الثاني الأخرم سنة ٦٩٤... كما يستدل على ذلك من الهرم المبني فوق ضريح وزيره مرقيان الذي جرح في قرية أميون مع رفيقه مريق وهرب في عساكر المردة إلى شويتا وتوفي فيها. أما من بنى الهرم فوق ضريحه بعلو ما ينيف عن أربعين ذراعاً هل الملك أم الأهالي فلا يعلم"[١٤٤].

الأب موراني: مسيحيو القبيات اسقبلوا الصليبيين !

من يقرأ ما كتبه الأب موراني عن الحروب الصليبية في القسم التاريخي من أطروحته (MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit)، يظن نفسه يقرأ نصاً لواحد من فرسان الاسبيتالية، من القرن الثاني عشر، ولا يخال الأب المحترم راهباً كرملياً يعيش في مرحلة ما بعد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني، أو ما بعد "اعتذارت" رأس الكنيسة الكاثوليكية في العام ألفين، لكثرة ما في نص الأب موراني من حنين بالغ وتمجيد لتلك المرحلة. وكأنه لم يستفد من نظرة الفكر الغربي النقدية، ومنه الفرنسي بالذات[١٤٥]، إلى تلك الحروب، وإلى كيفية التأريخ لها.

---

143 - الزريبي، الخورسقف ميخائيل: ملاحظة مخطوطة على هامش ص ٢٠٦، من "كتاب أخبار الأعيان في جبل لبنان" لمؤلفه طنوس الشدياق، طبع في بيروت سنة ١٨٥٩، خاصة الخوري ميخائيل الزريبي القبيات.

144 - الزريبي، الخورسقف ميخائيل: سجل الوفيات في كنيسة مرتموره، لعام ١٩١٢، ص ٢٨٣.

145 - CAHEN, Claude: La Syrie du Nord à l`Epoque des Croisades, Lib. Orient. P. GEUTHNER, Paris, 1940. – ظهر الكتاب من ضمن سلسلة منشورات (Institut Français de Damas) التي دعمت المؤلف معنوياً ومادياً في أسفاره وعمله وأعمال الطباعة. ومع ذلك لم يتردد

كما أن الأب موراني لم يستفد من الموقف العقلاني الرائع الذي وقفه المطران الماروني، يوسف الدبس، في كلامه على البيزنطيين والصليبيين وغيرهم من القوى "الخارجية"، الأجنبية، محذراً الموارنة وغيرهم من مغبة الوقوع ضحية التعامل والممالأة لهم، بقوله: "ذكرنا في تاريخ الموارنة... ونذكر... طورهم الدنيوي في هذا القرن (السابع)؛ وذلك درس نلقيه إلى أبناء ملتنا وجميع مواطنينا نحذرهم به من التهور في مهواة المناوأة للسلطة السائدة فيهم بوسوسة أصحاب الأغراض البعيدين عنهم. فمن المعلوم أن الخلفاء الراشدين صرفوا اهتمامهم عند أخذهم سورية وطردهم ملوك الروم منها إلى فتح مدنها، ولم يكترثوا لسكان جبالها لقلة أهميتها وعدم المنفعة منها، ولتعسر مسالكها وان ملوك الروم ما انقطعت مطامعهم في استردادها، وظلوا يوسوسون لسكانها ليلبكوا أمرها ولا تستقيم حالها، ليتيسر لهم العود إليها كما حاولوا مرات فلم يفلحوا. فمن ذلك أنهم وسوسوا للموارنة وكانت مساكنهم حينئذ في الجبال من جبال الجليل إلى جبال انطاكية، فلبكوا حكومتهم وتوافرت غزواتهم في السهول حتى اضطر بعض الخلفاء أن يعقد صلحاً مع ملك الروم على شرائط... منها أن يبكتوا الموارنة... ويصدوهم عن غزواتهم. وكانت النتيجة حينئذ أن هؤلاء الملوك البيزنطيين أنفسهم الذين وسوسوا للموارنة وهيجوهم على مخالفة رضى حكومتهم انقلبوا على المردة وأذاقوهم الأمرين ومكروا بهم... فهذه الأمثولة التي نريد أن يتمثل بها أبناء ملتنا ومواطنونا ليخلصوا في الطاعة للحكومة السائدة عليهم"[١٤٦].

كما أن الأب موراني ضرب عرض الحائط بموقف المؤرخ المسيحي، اليوناني الأصل، الطرابلسي المولد والنشأة، جرجي أفندي يني، الذي أحسن في نزع الحجاب عن جوهر الحروب الصليبية منذ قرن وربع من الزمن تقريباً، بقوله: "لا ريب في أن كل من أمعن النظر في أحوال تلك الأيام لا يلبث أن يشجب السياسة التي كانت مصدراً لهذه الحرب المشؤومة لأن الرؤساء الذين أضرموا نارها بتحريضاتهم لم يحسنوا معرفة أحوالهم ولم يدركوا الفرق بينها وبين حال العرب أولئك الذين كانت بلادهم قد أمست في غاية من الغنى والثروة بينما كانت أوروبا تقاسي خطوب الجهل والفقر... إلاّ أنه كان للرؤساء يومئذ

عن القول في مقدمة كتابه: "لم يكن المفكرون الذين درسوا الحروب الصليبية متحررين كفاية من آرائهم السياسية والدينية، وعليه لا يسعنا تحاشي استخدام عبارات معاصرة مثل *الاستعمار*...". ومن الجدير بالذكر أن المؤلف نشر كتاباً بنفس الروحية، حول العلاقات (الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية)، في العام ١٩٨٣ (Orient et Occident au temps des Croisades, Aubier-Montaigne)، تجدر الاستفادة منه. قام بترجمته إلى العربية أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

146 - الدبس، المطران يوسف: الجامع المفصل...، مرجع سابق، ص ٤٢ – ٤٣. ووجه الدبس تحذيراً بنفس المضمون بمناسبة حركة يوسف بك كرم (نفس المرجع ص ٤٤٨). وكذلك تحذير آخر بمناسبة الكلام على مرحلة الحروب الصليبية (تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٠ – ٢١).

غايات فدعوا الناس إلى الغزو فبادروا إليه جاهلين ما وراء ذلك واجتمعوا ليسيروا نعاجاً إلى الذبح في بلاد غريبة... وكان ما فعلوه في بلغاريا شاهداً على إن مقصدهم بمحاربة الاسلام ليس إلاّ النهب والسلب وإن كان ظاهره لغايات دينية يأبى التقى أن يعترفها... إن أولئك الذين ادعوا أن مقصدهم نجاة الناس من المظالم قد فعلوا من البربرة والتوحش ما يخجل القلم من خطه على القرطاس..."(١٤٧).

ولعله كان أولى بالأب موراني الذي كاد أن يحصر مراجعه بالكتابات الغربية، أن لا يفكر بفكر فرنجة القرون الوسطى (الصليبيين)، بل أن يستفيد من مواقف المفكرين الغربيين (فرنجة العصور الحديثة) في نظرتهم إلى الحروب الصليبية. هذا أضعف الايمان ولو أنه ما كان ليشعر بلحظة انتماء إلى هذا المشرق الذي كان منبت المسيحية، ولها فيه حتى اليوم مجال رحب. وبدل الكلام على "الملاحم الأسطورية" الصليبية و"الانتصارات الرائعة"، ومدح العجائب ومنها "السهم المقدس"(١٤٨)، كان عليه التعلم ولو قليلاً من منهج وذهنية مراجعه، ومنهم على سبيل المثال، أيضاً رينيه غروسيه (René GROUSSET)، في فضحه لما يسميه الديماغوجية الصليبية، مع أمثال بطرس الناسك وغوتييه المعدم(١٤٩).

ولعل غير قليل من ذلك الحنين يتجلى في تجميل و"تعظيم" العلاقات المارونية – الصليبية، وتحميلها أكثر مما تحمل بكثير. حيث تحتل القبيات بالطبع المركز الأساسي في ذلك التجميل و"التعظيم". كيف ذلك؟

يختم الأب موراني الفصل الأول من اطروحته قائلاً: "من هو هذا الشعب الذي استقبل الصليبيين "بالأحضان" (à bras ouverts) والذي أشاد بمدحه عظيم المدح واضعو الحوليات عن الحروب الصليبية؟ سنكرس الفصل الثاني لتاريخه، لأننا نظن أن مسيحيي القبيات هم بالذات الذين سماهم الفرنجة باسم "السريان"(١٥٠). لم يقل لنا الأب موراني أين ذكر كتاب الحوليات في الحروب الصليبية القبيات أو سكانها، ولو لمرة واحدة، ولو عند كاتب واحد، سواء كان من الغربيين أو من الشرقيين. ثم إن الفصل الثاني الذي كرسه الأب موراني لهذا الشعب الذي استقبل الصليبيين "بالاحضان" تناول تاريخ الموارنة. لا ندري

---

[147] - يني، جرجي أفندي: تاريخ سوريا، مرجع سابق، ص ٢١١ – ٢١٢.

[148] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 56. – تناول الفصل الثاني الموارنة.

[149] - GROUSSET, René: Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, T. 1, Librairie Plon, Paris, 1934, p. 5: "Démagogie de Croisade: Pierre l`Ermite et ses émules; Gautier-sans-avoir". – وبدل التركيز على إنقاذ المسيحية، كان من واجبه تسليط الضوء، على الأقل كما هي الحال في مراجعه الاجنبية التي لا انتماء لها مع المنطقة، على النهب الذي طال المنازل والكنائس في بلدان المسيحية (نفس المرجع الصفحات ٧ و٨ و٩ و١٠)؛ وكان عليه أن يقتنع بالحقيقة القائلة أنه "لم تكن الصليبية الشعبية (populaire) غير اضطرابات (agitation) خطيرة وفوضوية" (ص ١١).

[150] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 37.

كيف اختصر الأب المحترم كل من استقبل الصليبيين بالموارنة، وقد خص بهم الصليبيون، برأيه، اسم "السريان". ومن ثم اختصر كل هذا الشعب بمسيحيي القبيات، وهم بالذات، على حد زعمه من وصفوا باسم "السريان"!

لا بد بداية من التأكيد على أن لفظة "السريان" لم تكن تقتصر على الموارنة، والفرنجة الصليبيون أطلقوها على جميع مسيحيي سورية، دون أي حصر لها بالموارنة. ولنا في ما قاله الأب هنري لامنس، من بين الكثيرين، الكلام التالي: "المسيحيون البلديون (المحليون). لم تكن التسمية العامة"السريان" تشمل فقط الكاثوليك المرتبطين بروما كما طرح ريستلوبر، بل هي تدل على الوحدة الأتنوغرافية لكل السوريين"[١٥١]. ولم يكن الموارنة لوحدهم هم من قدم المساعدة للصليبيين. لقد تلقى الصليبيون مساعدة المسيحيين قبل أن تصل حملاتهم إلى لبنان بكثير. يقول رينيه غروسيه: "استقبل أرمن كيليكيا وأوديسا بودوين الأول كمحرر لهم"[١٥٢]. ويسجل هذا المؤرخ مساعدة المسيحيين للصليبيين في الكثير من المواقع، وقاموا أحياناً لوحدهم بضرب بعض القوات المسلمة: "المسيحيون في أرتاح هم الذين قضوا على الحامية التركية"[١٥٣]. وسجل نفس المؤرخ التعاون المسيحي مع الصليبيين عند محاولة ريمون بيلي التقدم نحو معرة النعمان وتل مناس (عن طريق المعرة، مصرين، أدلب)، والمسيحيون هنا كما يصفهم غروسيه هم سريان(Syriens)[١٥٤].

لم يجد الأب موراني ما يشير به إلى صلة مسيحيي القبيات بالحملة الصليبية، غير لعبة بسيطة جعل فيها قسماً من القوات الصليبية تمر في القبيات، كممر أسهل من غيره على حد زعمه[١٥٥]. بالطبع كان مرور الصليبيين من البقيعة اللبنانية، اليوم، أو السورية، ممكناً، سواء على يمين النهر الكبير أو على يساره، مع فارق لا يذكر. ولو افترضنا أنهم مروا داخل الأرض اللبنانية (اليوم) لما كانت بهم أية حاجة لعبور القبيات على الاطلاق، لصعوبتها أولاً، ولقربها من موقع حصن عكار ثانياً. وفي هذه الحالة كان أمامهم الطريق الأسهل والأفضل: من شدره إلى العوينات فمنجز فالكواشرة وصولاً إلى جوار عرقة.

هل استقبل مسيحيو القبيات الصليبيين في أثناء حصارهم لعرقة؟ هذا ما ما يوحي به الأب موراني، من مجمل كلامه. فهو يعتبر أن الموارنة استقبلوا

---

151 - LAMMENS, Heni: La Syrie ..., op. cit., p. 168.

152 - GROUSSET, René: Histoire ..., op. cit., Intr., p. LX.

153 - المرجع السابق، ص ٧٠. وفي نفس الصفحة ينسب غروسيه كلامه إلى غليوم الصوري وألبير ديكس وابن العديم، وكلهم يجمعون على أن المسيحيين استقبلوا الصليبيين كمنقذين. وفي مكان آخر (ص ٩١) يسجل مساعدة المسيحيين المحليين للصليبيين المحاصرين في أنطاكية.

154 - المرجع السابق، ص ١١٧.

155 - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 58-59.

الصليبيين في هذه المناسبة، ويستشهد بمقطع لغليوم الصوري، ومن نقل عنه كالبطريرك الدويهي والخورسقف بطرس ديب(١٥٦).

لو كان صحيحاً أن "مسيحيي" القبيات، أو موارنة عكار استقبلوا الصليبيين أمام عرقة، لكان علينا أن نتساءل لماذا لم يستقبلوهم عندما مروا في القبيات، كما زعم الأب موراني؟هذا من جهة أولى. ومن جهة أخرى، مكث الصليبيون ١٥ يوماً في البقيعة(١٥٧). وعن بقاء الصليبيين هذه المدة يقول الكاتب اللاتيني المجهول، صاحب يوميات"أعمال الفرنجة": "... غادرنا هذه البلدة (رفنية) بعد ثلاثة أيام من دخولنا إليها وعبرنا جبلاً هائلاً شامخاً، فلما جاوزناه دخلنا وادي البقيعة حيث كانت توجد ذخائر كثيرة، وقد بقينا هناك خمسة عشر يوماً (من ٢٩ ك٢ حتى ١٤ شباط ١٠٩٩)"(١٥٨). لماذا والحال هذه، والصليبيون في وادي البقيعة لمدة خمسة عشر يوماً، لم يستقبلهم مسيحيو القبيات ب"الأحضان"، كما يزعم الأب موراني؟ لماذا لم يأت كل الذين وضعوا الحوليات عن مسار الحملات الصليبية على ذكر "أحضان" مسيحيي القبيات؟ بالطبع لسبب واحد أوحد بسيط، هو أن هذا الأمر لم يحصل أصلاً.

هل استقبل موارنة عكار (أو غيرهم) الصليبيين عندما قاموا بحصار مدينة عرقة؟ برأي الأب موراني، الجواب هو نعم. اختلاق آخر بالطبع. وادعاء بأن البعض أتوا على ذكره، ومنهم المؤرخ غليوم الصوري. هل قال غليوم الصوري باستقبال الموارنة، أو غيرهم من المسيحيين للصليبيين عند حصارهم لعرقة؟ لنرَ. يقول غروسيه: "بعد مغادرة حصن الأكراد نزل الصليبيون في وادي النهر الكبير وبلغوا سهل عكار الساحلي، وفي جنوبيه وصلوا إلى المدينة

---

156 - المرجع السابق، ص ٥٩ – ٦٠.

157 - (GROUSSET, René: Histoire ..., op. cit., p. 129-130.) حيث يقول المؤلف: استراح الفرنجة في رفنية ثلاثة أيام، وبعد أن اجتازوا جبلاً كبيراً ومرتفعاً نزلوا بين مرمين وقلعة الحصن، في "وادي سام"، أي في سهل البقيعة، وهو سهل يرويه نهر العريضة، الرافد الأعلى للنهر الكبير، وهي يانعة الخضرة في هذا الفصل إنه واد محفور في الجبل... بين جبل النصيرية إلى الشمال وجبل عكار إلى الجنوب... وكما قال ألبير ديكس دخلنا في وادي سام حيث الموارد غزيرة وبقينا فيها خمسة عشرة يوماً". ننقل من نص ألبير ديكس، ما لا يتفق كثيراً مع هذا الكلام: "بعد الاستيلاء على مدينة معره (Marrah) وتدميرها هبطت قوات الأمراء المسيحيين إلى واد أطلقت عليه اسم "وادي الفرح" (la Vallée de la joie)، حيث وجد الحجاج فيه بكثرة كل أسباب الحياة؛ ومكثوا هناك ثمانية أيام... ثم استولوا على موقعين محصنين في الجبال كان يقيم فيهما الأتراك والمسلمون: ومن هناك ذهبوا للاستيلاء بسهولة على مدينة طرطوس... وتابع الحجاج سيرهم ووصلوا إلى وادى باسم وادي الجمال (la vallée dite *des Chameaux*) وفيها استولوا على كثير من الغنائم وأسباب الحياة، وانطلقوا ليتوقفوا أمام حصن يسمى عرقة (Archis) قادر على الصمود بوجه كل الأسلحة والقوات البشرية..." (Albert d`AIX: Conquete de la Terre Sainte, op. cit., p. 296.)

158 - زكار، د. سهيل: الحروب الصليبية، الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان، كتبت أصلاً بالاغريقية والسريانية والعربية واللاتينية، اختارها وترجمها د. سهيل زكار، ج ١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤، ص ٢٧٣.

الصغيرة المحصنة عَرقة أو عِرقة، (Archas) كما يسميها كتاب الحوليات الفرنجة..."[١٥٩]. ويضيف غروسيه أنه بعد عدة اتصالات مع ابن عمار صاحب طرابلس، تم فك الحصار عن عرقة وطرابلس، وقدم ابن عمار أدلاء يرشدون الصليبيين في سيرهم على الطريق الساحلي إلى القدس[١٦٠]. لم يبدأ ذكر الموارنة، وتحت اسم "السريان"، إلاّ مع بلوغ الصليبيين طرابلس أو بعد تجاوزها. وغروسيه يستشهد بنص غليوم الصوري، وهو يتحدث عن بلوغ الصليبيين منطقة رأس الشقعة، بقوله: "في هذا الممر بين الجبل والبحر حيث من السهولة مفاجأة الجيش أثناء مسيره، لم يكن على الصليبيين خشية أي أمر، بفضل دعم سلطات طرابلس، وكذلك أيضاً بفضل دعم اللبنانيين المسيحيين الذين قدموا من جانبهم أدلاء خدومين. ويصف لنا "تاريخ ايراقل" (L`Estoire d`Eracles) بعبارات ملفتة هذا اللقاء الأول بين الفرنجة واللبنانيين..."[١٦١]. لم يلتق الصليبيون بالموارنة إلاّ قرب طرابلس. والكلام الذي يستشهد به الأب موراني، وينسبه إلى البطريرك الدويهي في "تاريخ الأزمنة"[١٦٢]، هو للبطريك الدويهي، ولكن من مؤلفه "تاريخ الطائفة المارونية"، ونصه: "في سنة ١٠٩٩(٤٩٣هـ) بعد أن رتبت الافرنج أمور انطاكية هموا بالمسير إلى القدس الشريف فذهب فريق في البر... وسار آخرون بحراً واجتمع الفريقان في أرض عرقة وهناك عيدوا العيد الكبير سابع نيسان. ثم وافاهم قوم من المردة من جبل سير والضنية وبلاد جبيل وتلك التخوم ورحبوا بهم. وسار معهم جماعة منهم يهدونهم الطرقات والمسالك حتى أوصلوهم إلى القدس وكانوا ينجدونهم في مواقعهم مع المسلمين ويمدونهم بالميرة والذخائر وما لديهم من صنوف السلاح"[١٦٣].

أما نص "تاريخ الأزمنة"، فقد جاء فيه: "وسنة ١٠٩٩ مسيحية همّ قواد العساكر بالمسيرة إلى جهة بيت المقدس. فالبعض قصدوا طريق البحر... وآخرون ساروا في البر. واجتمع الفريقان في أرض عرقه، وقيل أن عرقه وإرواد تسموا كذلك على أسامي ولاد كنعان ولد سام. وعيدوا الفرنج عيد الكبير في سبعة خلت من نيسان بارض عرقه، وثبت الحصار على المدينة انوف (اكثر) من شهرين. ثم ان صاحب طرابلس أرسل لهم خمسة عشر ألف دينار غير الخيل والبغال والاقمشة والهدايا بدل عن طرابلس وعرقه وجبيل، وارسل

---

[159] - (GROUSSET, René: Histoire ..., op. cit., p. 131.) – في ص ١٣٦، من نفس المؤلف جاء: "استمر حصار عرقة من ١٤ شباط حتى ١٣ أيار ١٠٩٩".

[160] - المرجع السابق، ص ١٤١. يذكر ألبير ديكس نفس هذه المعطيات تقريباً (Albert d`AIX: Conquete de la Terre Sainte, op. cit., p. 306-307.)

[161] - GROUSSET, René: Histoire ..., op. cit., p. 142.

[162] - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 60, note 4.: "البطريرك اسطفان الدويهي، تاريخ الأزمنة، منشورات لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢، ص ١٠٢"، والصحيح ص ٨٧.

[163] - الدويهي، البطريرك اسطفان، تاريخ الطائفة المارونية، عني بطبعه وعلق حواشيه رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠، ص ١٠١ – ١٠٢.

معهم ناس تكفيهم من الميرة وترشدهم في الطريق من غير تنكيد على أحد. ونزل عندهم ناس كثيرين بهدايا من نصارى لبنان وجبل سير يتأهلوا بقدومهم وكانوا من أهل الذكاء والفراس كما يذكر غليلموس أسقف صور"(١٦٤).

يتضح من المقارنة بين النص الثاني (تاريخ الأزمنة) والنص الأول (تاريخ الطائفة المارونية)، أن الثاني أكثر أمانة للمرجع (غليوم الصوري) الذي ذكر "السريان"، لا الموارنة ولا المردة، كما جاء في النص الأول. وأمانة النص الثاني تظهر من ان الدويهي ترجم "السريان" بعبارة "نصارى لبنان". ومن هذا النص الثاني لا يظهر الموارنة ("نصارى لبنان"، أو "السريان") على المسرح إلاّ بعد الاتفاق بين الصليبيين وابن عمار وانطلاق الحملة إلى القدس، بمساعدة ابن عمار (أدلاء ومؤن...، بموجب الاتفاق المعقود) مما يعني حصول اللقاء الماروني – الصليبي بالقرب من طرابلس، لا في جوار عرقا.

والظاهر أن النص الأول (تاريخ الطائفة المارونية) ليس من وضع البطريرك الدويهي، بل هو اجتهاد من محقق نص الدويهي، رشيد الخوري الشرتوني، وهو كثير التلاعب بالنصوص، وأدخل الكثير من الاضافات، باعترافه شخصياً(١٦٥). ويبدو لنا أن الشرتوني استعار هذا النص من صاحب "أخبار الأعيان" الشيخ طنوس الشدياق، ووضعه مكان النص الأصلي والصحيح للبطريرك الدويهي. أما نص الشدياق فقد جاء كما يلي: "سنة ١٠٩٩ قدمت الافرنج من انطاكية إلى القدس فلما وصلوا إلى عرقا وفد إليهم اناس من المردة من جبل سير وصقع الضنية وجبيل وتلك التخوم وترحبوا بهم وسار معهم بعض وهدوهم الطرقات والمسالك حتى بلغوا القدس وكانوا ينجدونهم في الوقائع ويمدونهم بالميرة"(١٦٦).

يأتي الأباتي بطرس فهد على ذكر هذه المسألة مرتين في مؤلفه "بطاركة الموارنة...". وفي المرتين ليس في مايقوله الأباتي ما يوحي بأن الموارنة استقبلوا الصليبيين في حصار عرقة. يقول: "ما بلغ الصليبيون نواحي

---

[164] - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٨٧. ينتهي النص المذكور أعلاه بحاشية رقم ١،(ص ٨٧)، جاء فيها: "وهنا نقرأ على الهامش الكتاب السابع من المجلد الأول والفصل الحادي والعشرين من تاريخ هذا الأسقف اللاتيني على صور، باللغة اللاتينية طبعاً"

[165] - الدويهي، البطريرك اسطفان، تاريخ الطائفة المارونية، عني بطبعه وعلق حواشيه رشيد الخوري الشرتوني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٠، ص ٥ – ٦، حيث يقول الشرتوني في المقدمة: "ضممت إلى الجزء المذكور قسماً زائداً أخذت جله من كتاب آخر للمؤلف سماه "تاريخ المسلمين" أو "تاريخ الأزمنة"... وقد انتقيت منه أهم الحوادث التي تتعلق بالموارنة... وربما سقت منها خبراً طويلاً... وقد أضفت أيضاً إلى هذا الملحق عدة زيادات تهم معرفتها أخذتها من تواريخ ابن سباط وابن الحريري وصاحب الغرر الحسان ومختصر تاريخ لبنان للشماس انطونيوس العينطوريني... إلى غير ذلك..."، باختصار شوه الشرتوني مؤلف البطريرك الدويهي. وهذه حقيقة يدركها الأب موراني. وبدل عودته إلى النص الأصلي استهواه النص المشوه لغاية "التعظيم" التي تحكم منطقه التأريخي.

[166] - الشدياق، الشيخ طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٢.

طرابلس في القرن الحادي عشر (أي ١٠٩٩) ختى نزل الموارنة من جبالهم وفوداً وفوداً لاستقبالهم، وكانوا عوناً لهم، فدلوهم إلى المسالك السهلة للسفر إلى اورشليم، وكانوا أشداء في الحرب ومعاونين لهم في كل شيء كما يقول الأسقف غلبلموس الصوري... ويقول الب لامنس اليسوعي أن الموارنة ساعدوهم كثيراً في احتلال مدينة طرابلس وبيروت قبل انتقالهم إلى أورشليم..."[١٦٧].

وإذا كان هذا النص يترك بعض ظلال الشك، من خلال عبارة نواحي طرابلس التي قد يفسرها البعض محتوية لعرقة، فإن النص التالي يحدد أن انصال الموارنة بالصليبيين لم يحصل إلاّ فوق طرابلس: "إن العلامة الدويهي يذكر في تاريخه، نقلاً عن المؤرخ الصوري اللاتيني غاليلموس الحفاوة المارونية البالغة بالصليبيين فيقول: نزل عند الصليبيين (لما خيموا فوق طرابلس) أناس كثيرون بهدايا من نصارى لبنان وجبل سير يتأهلون بقدومهم وكانوا من أهل الذكاء والفراس. ويقصد غبطته بدون شك، بهؤلاء النصارى اللبنانيين أبناء ملته الموارنة. ومع أن المؤرخ اللاتيني لم يذكر في روايته لفظة "الموارنة" بل قال: لما خيم الافرنج فوق مدينة طرابلس هبط عليهم جماعة من المؤمنين السريان الذين يسكنون جبل لبنان فوق جبل البترون وطرابلس لاجل تهنئتهم وعرض خدماتهم عليهم. وكانوا يجيدون ضرب السهام. فرحبوا بهم واتخذوا منهم هداة..."[١٦٨].

ولكنه لا يبدو، في كل الأحوال، أي ذكر، لا لموارنة القبيات فحسب، بل ولا لموارنة عكار كلها. فالنصوص المبالغة تتحدث عن جبل سير وصقع الضنية (التي يحددها الأب بطرس ضو ب"إهدن وجوارها"[١٦٩]) وبلاد جبيل. يقول جاك دي فيتري: "هنالك أناس فوق هضاب لبنان في إقليم فينيقيا على مقربة من مدينة جبيل، غير قليلي العدد، مدربون وبارعون في استعمال القوس والسهم في الحروب واسمهم الموارنة"[١٧٠]. أما غليوم الصوري فيقول: "بأرض فينيقيا بين قمم لبنان ومدينة جبيل أناس سريان... على قدر كبير من الشجاعة والبراعة في الحروب والفروسية وقد كانوا عوناً كبيراً جداً لجيوشنا في معاركهم ضد الأعداء"[١٧١].

على الرغم من كل ذلك يصر الأب موراني على توهم وجود ماروني كثيف في القبيات وعكار، ويجعل اسقفهم مقيماً في عرقة، عشية الحروب

---

[167] - فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من ٦٨٥ إلى القرن ١٢، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٨٥.

[168] - فهد، الأباتي يطرس: بطاركة...، مرجع سابق، من القرن ١٣ إلى القرن ١٥، ص١٣.

[169] - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ج ٣، مرجع سابق، ص ٤٤٠، حاشية ١.

[170] - ذكره: ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ج ٣، مرجع سابق، ص ٤٣٩.

[171] - عن: المرجع السابق، ص ٤٣٩.

الصليبية: "بقي الموارنة في البلاد (عكار) حتى نهاية القرن العاشر، بل كان لهم اسقف مقيم في عرقة"[١٧٢]، ومن المعروف أنه لطالما كانت عرقة كرسي شرف لمطرانها. ويضيف الأب موراني قائلاً: "تذكر حوليات الدويهي لعام ١٢٩١ سيامة الأسقف الماروني يعقوب من قنيا، قرية ماتزال آثارها ظاهرة للعيان على مسافة ١٥ كلم شرقي مدينة القبيات"[١٧٣]. يتلاعب الأب موراني بتاريخ وجود أحد المطارنة، فيجعله من القرن الثالث عشر بينما هو من القرن الخامس عشر. لماذا؟ ليحصل النمو الماروني في عكار في ظل الصليبيين! وفي الحقيقة لا يذكر الدويهي سيامة هذا الاسقف ولا يحدد ما إذا كانت قنيا هذه هي القرية القائمة في جبل أكروم. ولا يأتي على ذكره في أخبار العام ١٢٩١، بل في أخبار العام ١٤٠٠وما بعد، وهو يسميه أيضاً يعقوب اللحفدي. لنستعرض ما قاله الدويهي، في ص ٣٣٧ التي عينها الأب موراني في حاشيته: "(ونقرأ على الهامش ملاحظة طويلة هي التالية): ويقول المطران يعقوب من قنيا في كتاب الناموس الذي كتبه في دير السيدة بأرض لحفد باسم المطران داوود ابن جوسلين الحدشيتي في سنة الف وسبعماية وثلاثة عشر يونانية (أي سنة ١٤٠٢مسيحية)، أن بتلك السنة جاء فناء حتى وقف ناس كثيرة بلا دفن، وجاء غلاء حتى مات ناس كثيرة من الجوع...، والجراد..."[١٧٤]. ليس في هذا النص للدويهي أي أمر مما ذكره الأب موراني عن سيامة الأسقف، وما سوى ذلك باستثناء لفظة قنيا. ولكن اسم هذا المطران ورد ثانية: "(وعلى الهامش نقرأ ما يلي): يذكر المطران يعقوب القاطن في لحفت في دير السيدة المسمى دير المرج أن ظهور الجرد (هكذا في النص، ولعلها الجراد) كان في ٢٩ من أذار فأكل جميع الزريعة... ثم طلع الزحاف من سواحل البحر وعرى الكروم... وغلت الأسعار... وجاء على الناس ضيق... وكان ذلك في سنة... ١٤٠٢"[١٧٥].

ولقد ذكر الأباتي بطرس فهد نصاً نسبه للبطريرك الدويهي "تاريخ الأزمنة" (طبعة الأب توتل اليسوعي، ص ١٩٤): "جاء في تاريخ الأزمنة للدويهي قوله: وفي سنة ١٤٠٠ لميلاد السيد المخلص كان على الكرسي الأنطاكي البطرك داود المكنى يوحنا، ومطارنته: بطرس رئيس دير قنوبين، ويعقوب من قنيا في لحفد، وبطرس بن القس سمعان في أهدن، وقورسللوس

---

172 - MOURANI: l`Architecture. . ., op. cit., p. 52.

173 - المرجع السابق، ص ٩٢.

174 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

175 - المرجع السابق، ص ٣٤١.وجاء في حاشية رقم ١، ملازمة لهذا النص، وفي نفس الصفحة. "... وتجدر الملاحظة إلى أن المؤلف العلامة الدويهي... وذكر على الهوامش تعليقات المؤرخ الماروني المطران يعقوب اللحفدي الذي كان قاطناً في دير السيدة يانوح...". ولقد ورد ذكر هذا المطران، مرتين في (المطران الدبس: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٦، ص٤١١ و٤١٣)، دون وجود إشارة ما توضح أصله.

الجاجي، وداود بن جوسلين الحدشيتي؛ وكان المقدم على الجبة الشدياق يعقوب البشراني"[١٧٦].

وأغلب الظن أن المطران يعقوب اللحفدي من موضع في بلاد لحفد يعرف باسم قنيا، ولعله كان عامراً في مطلع القرن الخامس عشر. ولو أن قنيا المقصودة كانت من عكار لسمي المطران على الشكل التالي: المطران يعقوب العكاري من قنيا، كما هي العادة، ومن أبرز الأمثلة عليها تسمية البطريرك موسى سعادة العكاري من قرية الباردة. وعلى أية حال لا نرى صلة بين ما قاله الأب موراني، منسوباً إلى البطريرك الدويهي، مما يقصد به النمو الماروني في القبيات أو عكار في ظل الوجود الصليبي.

يواكيم الحاج: المارونية كل لبنان !

ليس أدل على الايديولوجيا المارونية "الشعبية"، السائدة في الأوساط الأمية فعلاً، أو الأمية بثقافتها وشهاداتها ومواقعها الفكرية، من مؤلف السيد يواكيم الحاج (عكار في التاريخ – تاريخ القبيات)، لا سيما ما فيه من "هلوسات" الطهارة والعظمة والمجد والاستئثار ...، التي تلقفتها بعض المراجع الروحية المارونية، وما الكتاب المذكور غير ثمرة لزرعها. مرض عضال، سرطان الطائفة: لبنان لنا، نحن عظمته، نحن أصله وفصله، ماضيه وحاضره ومستقبله، و...، وما عدانا لا يذكر إلاّ في السلبيات، نحن الموارنة!

السيد يواكيم الحاج ماروني وتلميذ أمين لمدرسة في تاريخ تعظيم الذات المارونية التي ترى نفسها الوريث الشرعي الوحيد لكل عظمة المشرق. هكذا صورها الأب بطرس ضو، صاحب المجلدات في تاريخ الموارنة، تحت عنوان "من الفينيقيين إلى الموارنة: "شعوب العصور الحجرية والأموريون والآراميون والكنعانيون انصهروا جميعاً فوق أرض لبنان في شعب واحد أطلق عليه اسم الفينيقيين. والفينيقيون انصهروا بالمسيحية فكونوا المارونية. فالمارونية إذاً تجسد وتمثل أمجاد الأموريين (مردة ما قبل المسيح) وممثلهم الأعظم حمورابي، والآراميين وممثلهم الأعظم نبوكدنصر، والكنعانيين وممثلهم الأعظم ملكيصادق، والفينيقيين وممثلهم الأعظم هنيبعل..."[١٧٧].

---

[176] - فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم، من القرن ١٣ إلى القرن ١٥، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥، ص ٥٨. وذكر الأباتي فهد، في ص ٥٥ من هذا المرجع، ما جاء على لسان الدويهي "... المطران يعقوب القاطن في لحفد..." (تاريخ الأزمنة، طبعة فهد، مرجع سابق، ص ٣٤١)، وكذلك في ص ٥٤ من نفس المرجع.

[177] - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، ج ٣، مرجع سابق، ص ١٧١.

هل يحتاج هذا النص للتعليق؟ نحن الموارنة ورثة كل ما في مشرقنا، إلاّ ما فيه من "عروبة". ورثنا كل شيء، وهو فينا ما خلا العروبة في المشرق. ورثنا كل العظمة، ومسخناها في حدود لبنان، وفرضنا حصريتها في الطائفة المارونية، ليس إلاّ. لا علاقة لنا ببلاد ما بين النهرين (حمورابي ونبوكدنصر، وبابل وأشور)، ولا بالمغرب العربي (هنيبعل وقرطاجة)، ولا بعمريت ودمشق وحمص. وليس لأحد، من هناك، ومن خارج الموارنة، حق ما بكل هذا التراث. إن هذا التراث محصور في الموارنة، في كيان يمتد "من الشوف لبلاد الدريب"، "والمارونية ثورة ضد كل ما يمس هذا التراث المقدس وهذا الكيان"[١٧٨].

وعلى هذه الخطى سار السيد يواكيم الحاج قائلاً: "فلئن كانت الطائفة المارونية، على ممر التاريخ المسيحي جزءاً من تاريخ لبنان على الصعيد الاتني. ولئن كانت، في عين الحقيقة، هي كل لبنان على الصعيد الحضاري والعلمي، فإن المارونية كانت النهضة المسيحية الخلقيدونية الفاعلة في هذا المحيط، الذي كان الأكثر تعرضاً للمضايقات والمعوقات"[١٧٩]. الموارنة جزء من أوروبا وما حولهم الصحراء هكذا يرى السيد يواكيم ذاته الماروني ، وهكذا يرى الآخرين: "إن الشعب الماروني يؤلف في الشرق أمة قائمة بذاتها حتى يخيل إلى الانسان، أنها مستعمرة أوروبية طرحتها يد القدر بين قبائل الصحراء..."[١٨٠].

وفي مكان آخر يقول السيد يواكيم: "المارونية هي فصل من لبنان على الصعيدين: الاتني والديني. أما على الصعيدين الحضاري والثقافي فهي كل لبنان. ذلك أن تاريخ الأمة المارونية، هو التاريخ العلمي الثقافي الذي قامت عليه حضارة المجتمع اللبناني"[١٨١].

يواكيم الحاج، على درب موراني: القبيات مهد المارونية !

وإذا كانت المارونية عظيمة فلا بد أن تكون القبيات فيها هي الأعظم، لأنها منها هي الأصل، وللأصل الفضل دوماً على الفرع. هنا أيضاً السيد يواكيم مقلد، وهو يقلد معلمه المباشر الأب موراني. ولكنه يضيف عليه مزيداً من التشويه لحقائق الماضي. جاء الجزء الثالث من مؤلفه بعنوان: "القبيات مهد المارونية"[١٨٢]. وفي الصفحة ٣٧٤، من نفس المؤلف يختم الفصل الثالث، من

---

178 - المرجع السابق، ص ١٧١.

179 - الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٦٦ – ٣٦٧.

180 - لمرجع السابق، ص ٣٨٢. إن السيد يواكيم هو صاحب النقاط الثلاث بعد كلنة الصحراء، لعل في صدره ما لم يبح به!

181 - المرجع السابق، ص ٤٧١.

182 - المرجع السابق، ص ٣٢٩. قسم السيد الحاج الجزء الثاني من كتابه إلى أربعة أجزاء مجموعة في مجلد واحد سماه الجزء الثاني.

هذا الجزء الثالث، بالقول: "فإن كل هذه الشواهد المادية التي تؤكدها الوثائق والأطلال الأثرية الباقية، بالاضافة إلى قدوم ابراهيم الناسك إلى المنطقة سنة ٤٢٢، وبشرها وأقام فيها ثلاثة أعوام، تثبت أن القبيات كانت السباقة لتقبل الدعوة المسيحية، وانها احتضنت المارونية الأولى وكانت هي البلد اللبناني الوحيد الذي يصح فيه القول إنه: **مهد المارونية**"(١٨٣).

بحثنا عن "الشواهد المادية" التي يجب أن تكون قد شكلت المقدمات المنطقية لبلوغ هذا الاستنتاج الذي ينتهي به السيد يواكيم، فلم نجد غير الجمل الانشائية الفارغة، وادعاءات لا معنى لها، وقفز بهلواني فوق المراحل التاريخية.ولكنه ساق الفصل التالي (الرابع) لاثبات الأقدمية المارونية للقبيات.

الناسك ابراهيم القورشي في القبيات ؟!

يقول السيد يواكيم، تحت عنوان "أهم المستندات التاريخية المثبتة للوجود الماروني في القبيات وعكار قديماً: "أولاً: قدوم الناسك ابراهيم القورشي إلى المنطقة وبشارته أهاليها بكلمة الانجيل قبل أن يعرف لبنان مبشراً غيره بالدين المسيحي بعد بطرس الرسول... وكان ذلك سنة ٤٢٢ للمسيح"(١٨٤). هل يعقل أن لبنان لم يعرف من بشر بالمسيحية فيه بعد بطرس الرسول، حتى العام ٤٢٢، ليأتي إليه ابراهيم القورشي؟ وهل كان مرورالرسول بطرس في لبنان بدون أثر؟ ألم يترك خلفه من تابع الرسالة؟ ألم تقل أنت يا سيد يواكيم "المؤرخ" المدوخ في وسائل الاعلام الماروني: "لقد عمت بشارة الانجيل المقدس مدينة طرابلس وأعمالها منذ الجيل الأول للمسيح. وذلك باقامة بطرس هامة الرسل فيها حيث بشرها وأقام لها أسقفاً... و١٢ كاهناً"(١٨٥)؟ أم أن تلامذة مار بطرس "ع راسي" ولكن مثل تلامذة مار مارون!

لقد عرف في لبنان، في القرن الثالث، من الأساقفة والأسقفيات ما يلي: أسقفية صور: مارينس وتيرانيوس ومتوديوس؛ أسقفية صيدا: زينوبيوس؛ اسقفية جبيل: اوتاليوس. وعرف منها في القرن الرابع: أسقفية صور: بولينس وبولس ويتاليس واورانيوس وزانس أو زينون الثاني وديودورس؛ أسقفية صيدا: توادوروس وهذا جاء توقيعه في أعمال المجمع النيقوي، وأمفيون، وبولس؛ أسقفية بيروت: اوسابيوس وغريغوريوس ومكدونيوس وتيموتاوس؛ أسقفية جبيل: باسيليوس؛ أسقفية طرابلس: هلينكس وتوادوسيوس وايريناوس؛ ومن أساقفة عرقة: لوشيانوس واسكندر وافرنسيوس(١٨٦). ألا يساوي كل هؤلاء دور

---

[183] ـ المرجع السابق، ص ٣٧٤.

[184] ـ المرجع السابق، ص ٤٠١.

[185] ـ المرجع السابق، ص ٣٦٩.

[186] ـ الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٤، عد ٥٥١ وعد ٥٨١.

مبشر بالمسيحية قبل مجيء ابراهيم القورشي؟ ألم يكن لكل هؤلاء الأساقفة رعايا ومؤمنون يسهرون على تنشئتهم المسيحية؟

إبراهيم القورشي والقبيات

ينطلق السيد يواكيم الحاج من سيرة الناسك ابراهيم القورشي، كما أوردها تيودوريطس أسقف قورش. ويستنتج من هذه السيرة أن القبيات كانت مهد المارونية. وفي استنتاجه هذا يتقدم بأمرين لا يوجد دليل جدي عليهما. الأول أن ابراهيم القورشي يعتبره كل التأريخ الماروني من تلامذة مار مارون، استناداً إلى جملة واحدة قالها تيودوريطس: "كان هذا الرجل واحدة من ثمار منطقة قورش. وفي الواقع، هنا ولد، وكبر، ونشأ مشبعاً بفضيلة التقشف"[١٨٧]. وما خلا هذه الاشارة، لا يوجد أي عنصر في رواية تيودوريطس يسمح بجعل ابراهيم القورشي تلميذاً للقديس مارون، كما قد يكون بنفس قدر الاحتمال تلميذاً لزابينا.

ولكن ما العلاقة بين هذا الناسك والموارنة كطائفة؟ مهما حاولنا تقليب الأمور لا يجوز أن ننسب إلى كل من تتلمذ على يدي القديس مارون (وكل نشاط تبشيري له، أينما كان، ومتى حصل) إلى الموارنة. فعلى الرغم من كل شيء يبقى أن المارونية لم تتكون قبل الانشقاق بين الملكية والموارنة، ولا يمكن الكلام على موارنة في مطلع القرن الخامس، وإن كان جائزاً الحديث في خلقيدونية الرهبان الذين عرفوا باسم رهبان بيت مارون، نسبة إلى الدير الذي حمل اسم مارون.

ومع ذلك يبقى السوءال مطروحاً حول الصلة بين ابراهيم القورشي والقبيات. إن كل ما في تيودوريطس هو إشارة إلى أن ابراهيم هذا جاء إلى لبنان، في بلدة مجهولة الاسم، ومشهورة بالكفر. النص الحرفي هو التالي: "جاء لبنان، وقصد بلدة كبيرة جداً، كان يعرفها مشهورة بالكفر، وأخفى حقيقته كراهب مدعياً أنه تاجر، وكان يحمل مع مرافقيه الأكياس، متذرعاً بأنه يسعى لشراء الجوز. ثم استأجر منزلاً..."[١٨٨]. وفي حاشية في نفس الصفحة بعض التعيين العام جداً لموقع هذه البلدة: "غير معروف اسم هذه البلدة الواقعة اليوم في نطاق حمص الاداري"[١٨٩].

---

[187] - Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., tome 2, op. cit., p. 35. – وضع السيد يواكيم صورة عن سيرة هذا الناسك، كما هي واردة بالنص اليوناني والفرنسي، في هذا المرجع.

[188] - المرجع السابق، ص ٣٧: (Il gagne le Liban et se rend dans un très grand bourg qu`il savait rempli des ténèbres de l`impiété. Il dissimula son personage de moine sous le masque d`un marchand et, avec ses compagnons, il portait des sacs comme pour aller acheter des noix...).

[189] - المرجع السابق، ص ٣٧، حاشية رقم ١: "Le nom de ce bourg situé dans le resort d`Émèse (auj. Homs), est inconnu".

كيف اكتشف يواكيم الحج اسم هذه البلدة ؟

باسلوب سوريالي بالمطلق، تمكن السيد يواكيم من تعيين هذه البلدة وتحديد اسمها. كيف ذلك؟ البلدة أولاً فيها جوز. والقبيات تستقي من نبع الجوز! دليل ساطع! يقول السيد يواكيم: "ما هي البلدة التي بشرها ابرهيم الناسك؟ وهل هي منطقة عكار؟... (ويجيب) فالبلدة مذكورة اسمياً، ومحددة جغرافياً، وبشرت تاريخياً سنة ٤٢٢م، ولا لزوم للاجتهاد والتفسير في النصوص، وموقعها مشهور بمحاصيل الجوز، حتى أن القبيات تستقي حتى هذا التاريخ من (نبع الجوز) الدافق من تلك المنطقة الجبلية العالية، ولا يوجد سواها من القرى والمناطق تتوفر فيها المواصفات المذكورة والمطلوبة اسمياً وجغرافياً فتكون البلدة التي بشرها ابرهيم الناسك حوالي سنة ٤٢٢م تقع في منطقة عكار القريبة من الحدود السورية"[١٩٠]. ببساطة، البلدة التي بشرها ابراهيم القورشي فيها جوز، والقبيات فيها "نبع الجوز"، هذه قرينة ثابتة! و"البلدة مذكورة أسمياً"، وإن يكن تيودوريطس لم يذكر اسمها، وإن تكن الحاشية أفادت أن اسم البلدة غير معروف، ولو أن الحاج ذكر كل هذا الكلام بنصه الفرنسي[١٩١]، كل ذلك غير مهم! يجب أن يكون للبلدة اسم، هكذا قرر المؤرخ يواكيم: "ولما كانت توجد في تلك المحلة قرية مسيحية تدعى بهذا الاسم "قريات" وهي الوحيدة، البلدة المارونية، الباقية حتى اليوم في تلك المحلة. ولما كانت البلدة الغنية بمحاصيل الجوز، التي تحدث عنها المؤلف أنها كانت كذلك غنية بمحاصيل الجوز (صدقوني، هكذا في النص)، فدخلها ابرهيم الناسك لأجل هذه الغاية مدعياً أنه تاجر جوز. ولما كانت عكار العتيقة المنطقة الأغنى بمحاصيل الجوز في لبنان وإليها جاء أولاً ابرهيم الناسك،... ولما كان ابرهيم الناسك خرج من البلدة لينتقي مكاناً وموقعاً يناسب لبناء كنيسة، فالموقع الذي وجده في تلك المنطقة وانتقاه، هو قرية القريات التي ما زالت تحمل هذا الاسم منذ ذلك التاريخ، وإليها انتسب المهتدون على يد ابراهيم. فالمنجد العربي يفيد أن: قرية ج قرى والنسبة = (قرويّ... وقَرَيي) أي بذات اللفظة التي وردت في الحاشية بالفرنسية واليونانية[١٩٢]. ومن كل هذه الثبوتيات التاريخية والجغرافية تكون منطقة عكار العتيقة وجوارها هي مهد المارونية الأول"[١٩٣].

مسكين السيد يواكيم الحاج، ضحية هو لمن وضع له مقدمتي كتابه. من أين أتته الفكرة أن البلدة التي قصدها ابراهيم القورشي هي القريات؟ وكيف خطر له أن القريات أسقفية، وجعلها في جرود عكار؟ يقول السيد يواكيم الحاج ما يفيدنا

---

190 - الحاج، يواكيم: عكار...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٦٤ – ٤٦٥.
191 - المرجع السابق، ص ٤٥٨، وص ٤٦٦.
192 - على فكرة، واكيم الحاج شاطر باليونانية، أكثر منه بالفرنسية، ولكنه أكثر براعة في المسمارية.
193 - المرجع السابق، ص ٤٦٥.

في الجواب على مثل هذه الأسئلة: "إذا أخذنا الصفحة ٤١ من التاريخ الرهباني وترجمته المقابلة باللغة الفرنسية[١٩٤]. وقد جاء قول تيودوريتوس فيها أنه قضى ابراهيم الناسك ثلاث سنوات كاهناً بين أبناء البلدة التي بشرها:

"Il passa trois ans avec eux et, pour ne pas allonger mon récit en racontant tout ce qu`il a fait, Abrahamès y trouva la célébrité et reçut le siege Episcopal de Carrhes. C`était une ville saoulée d`impiété, qui s`était livrée à la fureur bachique des demons"

إذاً قد قضى ابراهيم الناسك فعلاً ثلاث سنوات في القريات وعكار... وهكذا تكون القريات أول أسقفية في التاريخ الماروني في عكار بحسب شهادة المؤرخ تيودوريتوس كما هو مدون في الفقرة الخامسة من التاريخ الرهباني تحت عنوان: أسقف القريات. وهذا خير إثبات تاريخي على أن منطقة القبيات – عكار كانت على مارونيتها ومسيحيتها منذ القرن الخامس، بفضل رهبان بيت مارون، وابراهيم الناسك، ومن معهم من المبشرين"[١٩٥].

بيت القصيد في كل ما أتى به السيد يواكيم الحاج: رهبان بيت مارون، هم الذين بشروا عكار، والأصل في مسيحية عكار الموارنة، ويجب أن يكون للقبيات دعوة في هذا الأصل، فحشرها، عبر نبع الجوز، بالقرب من عكار العتيقة، ثم القريات بالقرب من عكار العتيقة وفنيدق، ويأتي الحاصل: منطقة القبيات – عكار مهد المارونية. ولكن كل التراث الماروني (والمسيحي) لم يذكر أسقفية في عكار غير اسقفية عرقة. والتأريخ الماروني لطالما اشتغل على نصوص تيودوريطس وانتقل منها لاثبات عراقة المارونية، فكيف لم يهتدِ أحد إلى هذه الأسقفية: القريات؟ ببساطة لأن نص تيودوريطس لا يعني بأي شكل من الأشكال أن ابراهيم القورشي سيم اسقفاً في لبنان على أي أبرشية.

أن يتجرأ السيد يواكيم الحاج على تزوير نص تيودوريطس، فهذا شأنه. أن يخلط بين القريات (في عكار – لبنان) وحران (بلاد ما بين النهرين، تركيا)، فهو رجل غير مسؤول، ومسألته فيها نظر! أما أن يقدم له ما كتب وزور، ويوافقه بالتالي عليه الأباتي نعمان، ويسكت عنه، مادحاً، (Télé Lumière)، فهذا في العلم "جريمة لا تغتفر"!

عمل واكيم الحاج على إجراء تعديل في النص الفرنسي، وحوره ناقلاً مقطعاً من جملة، كانت في موقع محدد من الفقرة الرابعة، وضمها إلى مطلع الفقرة الخامسة، فصارت كأنها في سياق سرد منطقي بحيث، يبدو أن ابراهيم الناسك قضى ثلاث سنوات، في لبنان، في (Carrhes) حران، (التي اعتبرها

---

194 - يقصد: (Théodoret de Cyr: Histoire des Moines. . ., tome 2, op. cit., p. 41)

195 - كل هذا النص الطويل، بما فيه المقطع الفرنسي، هو للسيد يواكيم الحاج: عكار...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٦٧-٤٦٨.

واكيم القريات) وفيها ترقى إلى درجة الأسقفية، بعد أن نال الشهرة هناك. إليكم أصل النص الفرنسي، حيث سنميز فيه الكلام المحذوف:

"p. 39. **4 – Ordonné prêtre de village**… p. 41. …, il (Abrahamès) leur (les gens du village) conseilla de prendre un prêtre. Mais les gens disaient qu`ils n`en choisiraient pas d`autre et demandaient de le prendre comme père et Pasteur. C`est alors qu`il reçoit la grace du sacerdoce. ***Il passa trois ans avec eux et,*** après les avoir bien guidés vers les choses de Dieu, il fit désigner à sa place un autre de ses compagnons et retourna à sa demeure monastique.

من هذا المقطع نقل قسماً من جملة: (*Il passa trois ans avec eux et,*) وضمه إلى مطلع المقطع التالي، بعد حذف عنوانه.

Ēvêque de Carrhes. – 5. ***Pour ne pas allonger mon récit en racontant tout ce qu`il a fait, Abrahamès y trouva la célébrité et reçut le siège épiscopal de Carrhes. C`était une ville saoulée d`impiété, qui s`était livrée à la fureur bachique des demons."***

يتضح من هذا النص أن ابراهيم القورشي، قضى ثلاث سنوات في تلك القرية (في لبنان)، وهو كاهنها، وبعد أن رسخ فيها الايمان، عين مكانه أحد مرافقيه، وعاد إلى صومعته في ديره. هنا انتهى فصل من سيرة هذا القديس، وبدأ تيودوريطس بفصل جديد مفاده: وكي لا نطيل الكلام في سرد كل ما فعله، فإن ابراهيم شاعت شهرته في ذلك الدير، ورقي إلى كرسي اسقفية حران...

والمضحك والمبكي معاً ما كتبه السيد يواكيم الحاج في ص ٤٦٦ من كتابه (ج ٢): "فإذا أخذت الصفحة ٣٧ من التاريخ الرهباني تجد هذا النص:

"Il gagne le Liban et se rend dans un très grand bourg, qu`il savait rempli des ténèbres de l`impiété".

وفي الحاشية رقم واحد العائدة لها تقرأ هذا التحديد الجغرافي للقرية:

Le nom de ce bourg situé dans le resort d`Ēmès (auj. Homs) est inconnu.

فمن هذا النص نتبين أن البلدة الكبيرة التي جاء إليها ابراهيم الناسك في لبنان تقع ضمن ولاية حمص".

صحيح أن القرية تقع ضمن ولاية حمص. ولكن الهرمل أيضاً ضمن هذه الولاية. وعلى أية حال الصحيح أيضاً أن النص يقول : أن اسم البلدة مجهول، غير معروف "Le nom de ce bourg ... est inconnu". فكيف خطرت على بال السيد يواكيم فكرة "القريات"، لتشابه اللفظ مع (Carrhes) وهي حران.

لماذا القبيات لا القريات ؟

تبقى ملاحظة أخيرة، في هذا الموضوع. قد تبدو شكلية، ولكنها تحجب في شكلها هذا عقدة التعظيم السخيفة للقبيات. في الصفحة ٣٢٤، نقرأ عنواناً كرست الصفحة هذه بكاملها له، وهو: "الجزء الثالث. القبيات مهد المارونية". وفي الصفحة ٣٦٦، نقرأ العنوان التالي: "الفصل الثالث. القبيات والمارونية". وفي الصفحة ٣٦٨، نقرأ عنواناً فرعياً: "القبيات والانتشار المسيحي". وفي الصفحة ٣٧٤، نقرأ المقطع التالي الذي انتهى بكلمتين بخط أسود عريض: "فإن كل هذه الشواهد المادية التي تؤكدها الوثائق والأطلال الأثرية الباقية... تثبت أن *القبيات* كانت *السباقة* لتقبل الدعوة المسيحية، وأنها احتضنت *المارونية الأولى* وكانت هي *البلد اللبناني الوحيد* الذي يصح فيه القول إنه: **مهد المارونية**".

ولكن بعد قليل تراجعت القبيات عن احتكارها الأولوية المارونية وحصريتها، إذ يفاجئنا، في الصفحة ٤٤٣، العنوان التالي: "منطقة القبيات عكار هي مهد المارونية"[١٩٦]. وأخيراً يكشف لنا السيد يواكيم أن القريات هي مهد المارونية. فنكتشف أنه ليس للقبيات علاقة ما بكل ما كان يهرف به صاحبنا.

تمخض الجبل فولد فأراً. بشرنا السيد الحاج بأقدمية أوأسبقية قبياتية، في المارونية، وكانت النتيجة أن هذا المجد جاء لغيرها: القريات. ولو استبدل الكاتب اسم القبيات باسم أي بلدة عكارية أخرى لما اختلف الأمر مطلقاً. ولو أن القريات مجاورة للقبيات لقلنا: "حق الجيرة" أو "حق الشفعة" يعطي القبيات حصة كبيرة في هذا المجد. ولكن ليست القريات، مطلقاً، من القرى أو البلدات المجاورة للقبيات. وهي أقرب إلى معظم البلدات الأساسية في عكار من قربها إلى القبيات. فلماذا ترث القبيات مجد الآخرين؟ هذا إن كان هذا المجد موجوداً. إنها إيديولوجيا العظمة التي تعمي البصر والبصيرة، فتسيء إلى الذات وتسيء للآخر.

القبيات ومجزرة ال ٣٥٠ راهباً !

من الأدلة على أن منطقة القبيات من أقدم المواقع في المارونية في لبنان يسوق السيد يواكيم الحاج خبر المجزرة التي ذهب ضحيتها ٣٥٠ راهباً، في العام ٥١٧، وكانت ذروة الصدامات بين أنصار المجمع الخلقيدوني، من جهة وخصومه، من جهة أخرى. ولقد تناول، بكثرة، التأريخ الماروني وغيره هذه المجزرة وناقش أسبابها وكيفية حصولها ومواقعها وعرض الوثائق التي تعود لتلك المرحلة الزمنية والتي تلقي الكثير من الضوء على المواقع التي حصلت فيها هذه المجزرة.

---

196 - راجع حول كل هذه الشواهد التي عينا صفحاتها: يواكيم الحاج، عكار في...، مرجع سابق، ج ٢.

لقد أجمعت الأبحاث المتنوعة، الدينية والتاريخية والأثرية، على أن هذه المجزرة حصلت في موقع ما، في المنطقة الممتدة بين أفاميا وقنسرين (خلقيس) وحلب. بيد أن السيد يواكيم الحاج يصر على جعل موقع المجزرة في "منطقة القبيات". يقول: المجزرة الفظيعة التي قتل فيها ٣٥٠ راهباً، من رهبان دير القديس مارون...، وقعت فصولها في منطقة القبيات – أكروم"[١٩٧]. وكأن السيد الحاج تساءل لماذا لم يتم اكتشاف الموقع الذي حصلت فيه هذه المجزرة، ووجد السبب بقوله: "إن عريضة الشكوى التي رفعها لفيف إكليروس سورية من الرهبان، حملت اسم المكان بدون أن يتحققوا من موقعه. وذلك لأن الحاضرين والموقعين على متن العريضة كانوا بأجمعهم من الغرباء عن المنطقة"[١٩٨]. يقصد السيد الحاج أن موقعي العريضة من الرهبان، في العام ٥١٨م كانوا غرباء ولا يعرفون الأسماء فعينوا اسماً دون التحقق من موقعه. لا ندري ما معنى قوله غرباء. هذا مع العلم أن العريضة موقعة من قبل رهبان ينتمون إلى جملة من الأديرة المنتشرة في أماكن متفرقة ولا بد أن فيهم الكثير مِن مَن يعرف المواقع بدقة، ولا يحتاج انتظار السيد يواكيم ليصحح له موضع الموقع بعد ألفية ونصف يقريباً من الزمن.

ومع ذلك ينطلق السيد يواكيم من نص العريضة، كما ورد في "تاريخ الموارنة"، في الجزء الأول، للأب بطرس ضو. وانطلاقاً من هذا النص يقول، وهو يحاول تعيين موقع المجزرة: "عندما كنا في طريقنا بجوار الكروم (اللفظة باللاتينية)، وإذا أردنا بالاضافة إلى ما سبق بيانه من الحوادث، ذكر ما كان يجري في دير (أور أكروم) (Our Akroum)، فأية صحف تكفي لتعداد تلك الجرائم الكثيرة"[١٩٩]. وينهي هذا النص بإحالة إلى حاشية يحدد فيها مصدره: "الأب بطرس ضو: ج ١ من تاريخ الموارنة، ص ١٧٤ – ١٧٥". ويتابع تحليله بما يفيد أن "أور أكروم" (Our Akroum)، هي مدينة أكروم، باعتبار أن "أور" تعني مدينة و"أكروم" غنية عن التعريف، وموجودة في "منطقة القبيات".

ويجتهد السيد يواكيم الحاج، ويعطي تحديداً أدق للموقع بقوله: "وقد تكون الجريمة وقعت بالتحديد في الجهة الغربية من جبل أكروم، في الوادي المسماة "طاروع الرهبان" في عودين في خراج بلدة عندقت حالياً"[٢٠٠]. ومن ذلك يستنتج السيد يواكيم أن القبيات أعتنقت المسيحية مارونية، أصلية، على يد رهبان مارون الذين استقروا في ربوعها... وكل ما في مناطقنا من آثار مسيحية

---

197 - المرجع السابق، ص ٤٧٧.

198 - المرجع السابق، ص ٤٧٧.

199 - المرجع السابق، ص ٤٧٧.

200 - المرجع السابق، ص ٤٧٨.

تكون بالضرورة ثوابت على المارونية، وهي بالتالي أيضاً مارونية، وكفى الموارنة شر البدع[٢٠١].

كيف تلاعب السيد يواكيم بنص العريضة الذي أخذه عن الأب بطرس ضو، وجعله يحسم حصول المجزرة في أكروم؟ علماً بأن في النص الذي شوهه السيد يواكيم الكثير من العناصر الجغرافية الواضحة. انتزع أولاً من مؤلف الأب ضو (من ص ١٧٤، من تاريخ الموارنة، ج ١) قسماً من جملة: "عندما كنا في طريقنا بجوار الكروم (اللفظة باللاتينية)". هذا كل الكلام الذي انتزعه من هذه الصفحة ١٧٤، وهو يقع في منتصف الصفحة. وحتى هذا القسم القصير شوهه واكيم، بحذف كلمة "قرية" منه، وباستبدال اسم القرية الوارد باللاتينية بعبارة من عنده: (اللفظة باللاتينية). جاء الكلام في نص الأب ضو كما يلي: "عندما كنا في طريقنا بجوار قرية الكروم (Kaprokerameân chôrion)"[٢٠٢]. ويوضح الأب ضو حاشية له في نفس الصفحة أن هذه القرية "هي اليوم كفر كرمين أي قرية الكروم في السفح الشرقي لجبل سرير بجوار جبل شيخ بركات وعلى الطريق المؤدية إلى كنيسة مار سمعان، على مقربة من هذه القرية شطر سليم من الطريق الرومانية التي كانت تصل انطاكية بحلب وقنسرين"[٢٠٣].

إن هذا القسم من جملة طويلة، "عندما كنا في طريقنا بجوار قرية الكروم (Kaprokerameân chôrion)"، الذي انتزعه السيد الحاج، من سياقه السليم والأصلي، لا يتم معناه إلاّ برده إلى سياقه بالذات، وهو التالي بحرفه، وهو أصلاً غير مفصول عن ما بعده بعلامة ما من علامات الوقف: "عندما كنا في طريقنا بجوار قرية الكروم (Kaprokerameân chôrion) غير البعيدة عن هيكل الطوباوي سمعان لأجل السلام...، ...، فإذا بيهود أو علمانيين وحتى رهبان انقضوا علينا..."[٢٠٤]. القرية هي "كفر كرمين"، وباللاتينية (Kaprokerameân chôrion). وهي غير بعيدة عن مار سمعان

يتابع نص العريضة (في ص ١٧٤ للأب ضو) وصف ما حلّ بالرهبان من عظيم المصاب، وبالانتقال إلى الصفحة الثانية (ص ١٧٥) تبدأ العريضة بذكر اعتداء آخر: "وإذ اعتبروا هذه الاعتداءات الفظيعة ضئيلة... قاموا بهجوم آخر على الدير المذكور (يوضح الأب ضو أنه دير مار سمعان) وهدموا شطراً من السور..."[٢٠٥]. ويتابع نص العريضة وصف مسلسل الاعتداءات، التي بلغت مدينة أفاميا: "وكما لو لم يكن كافياً أن يدنس ساويروس وحده ثوب المسكونة

---

201 ـ المرجع السابق، ص ٤٧٨ و٤٧٩ و٤٨٠.

202 ـ ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٤.

203 ـ المرجع السابق، حاشية رقم ٢، ص ١٧٤.

204 ـ المرجع السابق، ص ١٧٤.

205 ـ المرجع السابق، ص ١٧٥.

بأسرها فدفع ببطرس ضد مدينة أفاميا... ومن هناك أخذ هذا يجعل من دير القديس دوروثاوس مسرحاً لقحة الشباب الطائشة ... وكان بعد أن يضرب هناك الرهبان الوقورين يقودهم إلى المدينة حيث يودعهم السجن..."[٢٠٦]. هنا مزيد من أسماء المواقع، مما يسهل عملية تحديد موقع المجزرة.

ويتابع نص العريضة، في وصف موقع آخر تناولته الاعتداءات: "وإذا أردنا بالاضافة إلى ما سبق بيانه من الحوادث ذكر ما كان يجري في دير "اوراغوروم" (Oragorum) فأية صحف تكفي لتعداد تلك الجرائم الكثيرة"[٢٠٧]. هذا النص الأخير، قام السيد يواكيم الحاج بتعديل اسم الدير الوارد فيه. فبدل عبارة "اوراغوروم" (Oragorum)، وضع عبارة "أور أكروم" (Our Akroum). لقد عدّل بكتابة وبلفظة اسم الدير. ثم قام باضافة قسم الجملة الذي أشرنا إليه سابقاً، إلى مطلع هذا النص، أي إنه ألحق قسماً من جملة وردت في منتصف الصفحة ١٧٤، بمطلع جملة وردت بعد منتصف الصفحة ١٧٥، على بعد ٢٣ سطراً، وعبر مقاطع تروي أخباراً متنوعة عن المجزرة ومواقعها.

هكذا حصل السيد يواكيم الحاج على النص التالي الذي سبق ذكره، وهو: "عندما كنا في طريقنا بجوار الكروم (اللفظة باللاتينية)، وإذا أردنا بالاضافة إلى ما سبق بيانه من الحوادث، ذكر ما كان يجري في دير (أور أكروم) (Our Akroum)، فأية صحف تكفي لتعداد تلك الجرائم الكثيرة". هكذا صار بوسع "المؤرخ" الحاج، الأمين لما ينقله، جعل "الكروم (اللفظة باللاتينية)" هي "أور أكروم". بينما، في الحقيقة، يتضح من السياق العام أن قرية الكروم (اللفظة باللاتينية) (Kaprokerameân chôrion)، هي موقع بجوار الطريق حيث تعرض الرهبان لعملية الانقضاض عليهم، وهي في غير الموقع الذي سمته العريضة دير "اوراغوروم" (Oragorum)، والذي تلاعب، عمداً، بصيغة اسمه الحاج ليصبح (أور أكروم) (Our Akroum).

من الممل متابعة ما يهرف به السيد يواكيم كدلائل على أقدمية المارونية في القبيات، كقوله أن البطريرك يوحنا مارون جاء إلى القبيات وأقام فيها[٢٠٨]، وبطولات شباب القبيات، في مقاتلة جيوش يوستنيان الأخرم[٢٠٩]، وما سوى ذلك من "هلوسات" العظمة، لجعل القبيات "أم الموارنة"! في لبنان؟ على الأقل!

---

[206] ـ المرجع السابق، ص ١٧٥.

[207] ـ المرجع السابق، ص ١٧٥. وتتابع العريضة ذكر ما حصل في لاريسا (شيزر)، ونيقراتا...

[208] ـ الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٢١ حتى ٤٣٠.

[209] ـ المرجع السابق، ص ٤٣١ حتى ٤٤٠.

د. سلوم وحصر المسيحية بالموارنة: نظرية "المذبحين"

يشارك د. سلوم الأب موراني والسيد يواكيم الحاج في منهج حصر كل التراث المسيحي في المنطقة (آثار...) بالموارنة. ولكنه يسوق دليلاً مختلفاً لم يفطن له جيداً، بعكسه، موراني والحاج، وهو يعبر عن هذا الدليل باستعماله، مرة عبارة "المذبح المزدوج" و"السوق المزدوجة" في قوله: إن السكن الماروني في الدريب، وفي القبيات خصوصاً، وفي عكار عموماً قديم قدم المارونية... فها هنا كانت درب الموارنة ومحط رحالهم، إن في هجرتهم من أماكن اضطهادهم في سوريا إلى شمال الجبل اللبناني وإن في نشاط رهبانهم التبشيري... وها بقايا كنائسهم *المزدوجة المذبح والسوق* العائدة إلى ما قبل القرن الحادي عشر تشهد على عراقة القبيات المارونية"[٢١٠].

وفي مرة أخرى يستعمل عبارة "المذبحين" فقط، متخلياً على ما يبدو عن عبارة "السوق المزدوجة"، كما في قوله: "تكثر في المنطقة (القبيات وجوارها) الكنائس القديمة الخربة والمنتشرة في الحقول وعلى التلال المهجورة... وتشير هندسة هذه الكنائس باعتبار وجود *المذبحين* إلى عادة مارونية قديمة في بناء كنائسهم لأسباب ليتورجية، تعود إلى ما قبل القرن الحادي عشر ومن أهمها: كنائس سيدة كماع وسيدة غزراتا وسيدة دير عنان ودير مار جرجس ودانيال ومار سركيس وباخوس..."[٢١١]. ويسند رأيه في نظرية "المذبحين" المميز لهندسة الكنائس المارونية إلى البطريرك اسطفان الدويهي، في مؤلفه "أصل الموارنة، في الصفحة ١٣٤"[٢١٢].

فما هي قصة "السوق المزدوجة"، و"المذبحين"؟ وهل هذان العنصران مميزان للهندسة المارونية في بناء الكنائس، واستناداً للبطريرك الدويهي كما يدعي د. سلوم؟ ماذا قال الدويهي، بالتحديد، حيث استشهد به د. سلوم؟ يقول البطريرك الدويهي، في معرض مناقشة من رمى الموارنة بتهمة المونوفيزية، وباستعراضه لواحد من الاتهامات: "... وان الروم تسموا ملكية لأن مملكة الروم كان لها ملكين وتعاهدوا لهما ان يقيمون على اسمهما في الكنايس مذبحين اذا انتصروا لراي المشيتين، وكلام غير ذلك ما له أصل. لأن الكرسي لم يساع بطركين ولا مملكة الروم كان بها ملكين. واقامة مدبحين في الكنيسة هو قديم في البيعة لاجل نقلة القربان من المدبح الى المايدة كما شرحنا في كتاب المناير"[٢١٣].

---

210 ـ سلوم، د. فؤاد: القبيات مارونية...، مقال سابق، ص ٣٥. وهو هنا يستشهد بالبطريرك الدويهي، أصل الموارنة، ص ١٣٤.

211 ـ سلوم، د. فؤاد: دريب – عكار...، مرجع سابق، ص ٩٦.

212 ـ المرجع السابق، ص ٩٦، حاشية رقم ٥.

213 ـ الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١٣٤.

لم يأتِ الدويهي هنا على ذكر "السوق" مطلقاً، لا المفردة ولا المزدوجة ولا المثلثة. أما "إقامة المدبحين" فهو قديم في البيعة، لا عند الموارنة فقط، بل في كل البيعة، وهو أسبق من الانشقاق بين الملكية والموارنة، ولا يعود إلى ما قبل القرن الحادي عشر فحسب، بل إلى ما قبل القرن السابع، أي إلى ما قبل نشوء الموارنة ككنيسة مستقلة. إن نص البطريرك الدويهي واضح هنا، وهو يناقش اتهام الموارنة بالمشيئة الواحدة، ويرد على من يدعي باعتبار نشوء الرأي بالمشيئتين مرتبط بإقامة مذبحن: "... وتعاهدوا لهما ان يقيمون على اسمهما في الكنايس مذبحين اذا انتصروا لراي المشيتين". ورده حاسم: " وكلام غير ذلك ما له أصل... واقامة مدبحين في الكنيسة هو قديم في البيعة".

تعرض البطريرك الدويهي لهندسة الكنائس، في مؤلفه "المنارات العشر"، والمعروف "منارة الأقداس"، لا سيما في المنارة الثانية وهي بعنوان"في مواضع إقامة القداس الطاهر" ("نحن نقسم هذه المنارة إلى ثلاثة شروح. ففي الشرح الأول نتكلم عن الكنيسة. وفي الثاني عن المذبح. وفي الثالث عن الآنية المقدسة")[٢١٤]؛ والمنارة السابعة وهي بعنوان "في الاستعداد لتقديس الأسرار"، وفيها أهمية المذبح الليتورجية[٢١٥]. ماذا في"منارة الأقداس" عن موضوع السوق والمذبح؟

بداية لا بد من إيضاح أن الكلام في هندسة الكنائس لا ينطبق إلاّ على الكنائس الكبيرة التي فيها وحدها أمكن رعاية الشروط الكاملة لاقامة الكنائس. وهذا ما أشار إليه الدويهي في المنارة الثانية، الفصل الثالث، تحت عنوان "في كيفية بنيان الكنائس"، حيث يقول: "... قسم الآباء القديسون **الهياكل الكبيرة** إلى ثلاثة أي قدس الأقداس وبيت القدس والدار..."[٢١٦]. وأشار إلى نفس الأمر الأب بطرس ضو عندما بحث في هندسة الكنائس المارونية وميزها عن غيرها بوجود البيما، إذ قال: "فحيث يوجد البيما فالكنيسة مارونية... (ولكنه أوضح) أن البيما لم يكن موجوداً في الأديار بوجه عام وفي كل كنائس الموارنة ولكن في **الكنائس الرئيسية** فقط..."[٢١٧]. يعني ذلك يفترض بالكنائس التي كانت في القبيات أن تكون على حال من البنيان، وعلى رعية قادرة ومتمكنة اقتصادياً، بحيث تدخل هذه الكنائس في صنف "الهياكل الكبيرة"، على حد عبارة الدويهي، أو صنف "الكنائس الرئيسية" على حد عبارة الأب ضو. وهذا ما لا إثبات عليه حتى الآن.

ليس في كل ما قاله الدويهي في مؤلفه "منارة الأقداس" ما يشير إلى أن وجود المذبحين هو من علامات تمييز الكنائس المارونية. إن ما يرد في "منارة

---

214 - الدويهي، البطريرك اسطفان: منارة الأقداس، الجزء الأول، ص ٩١ – ٩٢.

215 - المرجع السابق، الجزء الثاني، ص ٢.

216 - المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٣.

217 - ضو، الأب بطرس، تاريخ الموارنة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٠.

الأقداس" يؤكد ما قاله الدويهي في أصل الموارنة": وجود المذبحين قديم في البيعة. يقول الدويهي وهو يشرح تطور إقامة المذابح في الكنائس: ... وكذلك قبل أن تقرأ الكتب المقدسة لم يكونوا يصمدون الأسرار على المذبح الكبير بل على المذبح الصغير المستتر لئلا يتوهم المتتلمذون ان النصارى متمسكون بتقليدات اليهود او انهم يضحون الضحايا كالكفار. لكنه لما اشتهرت الديانة المسيحية أمر الآباء بالغاء المذبح الصغير المستتر وأوجبوا أن تصمد السرار على مذبح واحد... ومن ثم بطلت العادة المومأ إليها في جميع الكنائس شرقاً وغرباً ولم يتمسك بها الا الروم الذين إلى الآن ينقلون الأسرار من المذبح الصغير إلى المائدة..."(٢١٨). وفي مكان آخر يكرر نفس هذا الموقف بقوله: "واما كنائس الشمال كما هم الروم والأرمن فلم يغيروا العادة القديمة فيصمدون القرابين في بدء القداس على المذبح الصغير من جهة الشمال وبعد قراءة الانجيل الطاهر ينقلونها إلى الكبير الذي يدعونه مائدة"(٢١٩). نستنتج من ذلك أن مقولة المذبحين التي يتقدم بها د. سلوم كعلامة على تمييز كنائس الموارنة، ليس لها أي أساس من الصحة. والبطريرك الدويهي الذي يستشهد د. سلوم بأقواله لم يقل ما ينسبه له سلوم أبداً.

كيف نميز كنائس الموارنة عن غيرها؟ سوءال طرحه الأب بطرس ضو، وأجاب عليه بأن المميز للكنائس المارونية هو وجود البيما أساساً: "هل من دليل يمكن بواسطته تمييز كنائس الموارنة عن كنائس اليعاقبة والروم في هذه المجموعة الحضارية؟ نعم ان هنالك دليلاً طقسياً هندسياً ليتورجياً يمكننا بواسطته افراز وتمييز الكنائس المارونية عن غيرها في تلك المدن والقرى المسيحية الباقية من الأجيال السبعة الأولى. وهذا الدليل هو "البيما" الذي كان في سورية مختصاً بكنائس وليتورجية الموارنة دون غيرها"(٢٢٠). ويوضح الأب ضو أن الصحن في الكنيسة "يمكن أن يكون مؤلفاً من سوق واحدة أو منقسماً إلى ثلاثة أسواق أو أكثر..."(٢٢١). وهذا ما أشار إليه الأب لامنس في بحثه في الكنائس القديمة في شمال جبل لبنان(٢٢٢). يعني ذلك أيضاً أن ادعاء د. سلوم بتميز الكنائس المارونية بالسوق المزدوجة، لا أساس له من الصحة، شأنه في ذلك شأن وجود المذبحين.

ولقد أشار مجمع العام ١٧٣٦، إلى مسألة المذبح وكيفية بنائه وموضعه وغير ذلك مما يتوافق وطقوس الكنيسة المارونية، ومما جاء فيه: "يجب أن

---

218 - الدويهي، البطريرك اسطفان: منارة...، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٠.

219 - المرجع السابق، ج ٢، ص ١٧.

220 - ضو، الأب بطرس: تاريخ الموارنة، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٠. يشير الأب ضو، ص ٧٢، غلى حجم البيما، ويلفت النظر إلى اشتراك ما مع النساطرة فيه، ص ٨٥ و٨٦ و٨٧، وكذلك مع الكلدان.

221 - المرجع السابق، ص ١٥.

222 - لامنس، الأب اليسوعي هنري: تسريح...، مرجع سابق، ص ١٠٠ – ١٠١.

ترعى هيئة بناء الكنائس بحسب طقسنا **لو أمكن** على الطرز الآتي: بأن يكون المذبح الكبير إلى الشرق وباب الكنيسة إلى الغرب ويمين المذبح إلى الشمال ويساره إلى الجنوب... ينبغي أن يكون منفصلاً عن الحنية... ثم ينبغي أن يُعمل **مذبحان صغيران** ينظران إلى الشرق على جانبي الحنية أحدهما عن يمين المذبح والآخر عن يساره... أما إذا تعذر استيفاء كل ذلك بمقتضى الطقس فلا أقل من أن يكون في الكنيسة مذبح واحد منفصل عن الحنية... وبمقتضى الرتبة القديمة يجب أن يكون في وسط المذبح مائدة من حجر أو خشب مكرسة... ذات عرض كاف يتسع للصينية والكاس بلا عناء"[٢٢٣]. واضح من هذا النص الشرعي أن الأصول المطلوبة في بناء الكنائس تتعلق بالكبير منها أولاً، والضرورة تفرض وجود مذبح واحد على الأقل، هو المذبح الكبير، ومذبحين صغيرين، ثانياً. والرتبة القديمة تقول بمذبح واحد في وسطه المائدة، ثالثاً. وعليه ليس وجود المذبحين هو الخاصة المميزة لكنائس الموارنة. وعلى العموم لا نظن كنائس الموارنة القديمة هي من الكنائس الكبيرة المشهورة، لتمتاز بكامل المزايا، ذلك أن المجتمعات المارونية القديمة في منطقتنا كانت متواضعة في حجمها، وبالتالي ضعيفة في قدراتها لبناء الكنائس الفخمة.

أن غالبية المواقع التي ينسبها د. سلوم إلى الموارنة، هي على العموم مجرد خرب بائدة للغاية، وتم تجديد البعض منها منذ فترة قريبة، ولا سيما في أعقاب الحرب الأهلية الأخيرة، أو على أبوابها، يوم بدأت المشاعر الطائفية تتأجج في نفوس شتى الطوائف اللبنانية. ومن الجدير ذكره أن هذا التجديد كان عشوائياً للغاية بحيث لم تراعَ فيه أية أصول لترميم المواقع الأثرية. ولم يشترك في عملية الهدم والترميم أحد من أهل الاختصاص في هذا الميدان. وكثيراً ما كان يعاد البناء بمواد مجمعة من هنا وهناك. والافتراضات التي تقدم لاثبات مارونية هذه المواقع (السوق المزدوجة، المذبحان ...) هي مجرد افتراضات وتخيلات، بمعنى أنه لم تحصل أي دراسة أثرية فعلية لهذه المواقع. والدراسة التي أتى بها الأب موراني، كانت مجرد قراءة تاريخية ولا علاقة فعلية لها بالبحث في الآثار. وسبق لنا، في موقع آخر من هذا البحث، أن أشرنا إلى أن الأب موراني كتب آثار المنطقة استناداً إلى ناريخ مختلق، وأعاد صياغة هذا التاريخ استناداً إلى ما اختلقه من نتائج بحث أثري، هو نفسه وهمي..

د. سلوم: تعيين مجاني للمواقع المارونية

كما أن الأب موراني والسيد يواكيم الحاج ينسبان كل أثر مسيحي، مهما كان نوعه، إلى الموارنة، كذلك يفعل ثالث الثلاثة د. سلوم فيجعل كل ما هو مسيحي (وأحياناً غير مسيحي) مارونياً، دونما وجود أي برهان، أو دون التقدم

---

223 - المجمع اللبناني، ١٧٣٦، مرجع سابق، ص ٤٤٧ – ٤٤٨.

بأي دليل. من ذلك ما طرحه في العام ١٩٨٣ [٢٢٤]، وأعاد تأكيده أيضاً، في العام ١٩٩٢، حيث يقول: "ومن قراهم (يقصد الموارنة) القديمة البائدة: المزيحمة وقتة والريحانية والكويخات وتلحميرة ودارين والحوشب والخرنوبي وبرشا والغزيلة[٢٢٥]. ينهي سلوم هنا كلامه بتعيين حاشية يذكر فيها مصدره الذي سمح له بإثبات "المارونية القديمة" لهذه القرى[٢٢٦]، وإذا بهذا المرجع الذي يعتمده د. سلوم هو د. سلوم ذاته، في بحث أسبق. ولكن لنحاول كشف دقة د. سلوم في ما طرحه إثباتاً لمارونية هذه القرى.

في بحثه حول قرى المنطقة المحيطة بالتليل، يعترف د. سلوم بافتقار البحث إلى المراجع التي تعالج ما يتعلق بتاريخ الموارنة السابق على منتصف القرن التاسع عشر. يقول: "وأقدم الاشارات إلى سكان التليل الموارنة فكانت بتاريخ سنة ١٨٥٥..."[٢٢٧]. ويقول في مكان آخر، عن عائلات التليل: "أقدم المصادر التي توفرت بين أيدينا لا تشير إلى أبعد من سنة ١٨٥٤ كأدلة على السكن الماروني في التليل..."[٢٢٨]. ومع ذلك يقرر جازماً: "يمكن الجزم، ودائماً من خلال المصادر المتوفرة والتقاليد، بأن الموارنة هم أول من نزل في هذه القرية"[٢٢٩]. فهل يعني ذلك أن التليل لم تكن مأهولة قبل منتصف القرن التاسع عشر، لأن د. سلوم "يجزم" أن الموارنة أول من نزلوها، ويعترف بأن أقدم ذكر توفره المصادر لوجودهم في التليل هو منتصف القرن التاسع عشر؟ ولكن التليل أقدم بكثير من هذا الزمن، على الأقل وفق ما قاله د. سلوم نفسه: "أقدم ذكر للتليل في المصادر المتوفرة ورد سنة ٨٤٢هـ (١٠٨٦م)..."[٢٣٠].

لا تأخذ كلمة المصادر والمراجع في منطق د. سلوم مفهومها الفعلي، إنها مجرد "تعلة" يتخذها ليصبغ كلامه ب"صبغة" العلم فقط. هذا فضلاً عن أنه لا يتعامل مع المصادر والمراجع بشكل علمي (التحقق منها) وبأمانة أيضاً، بمعنى أنه كثيراً ما يحور النصوص ويتلاعب بها، كما هي حاله عندما ينسب المطران يوحنا بن حاتم الحوشبي إلى قرية الحوشب في عكار، فيجعلها مارونية منذ مطلع القرن السابع عشر، بقوله: "الحوشب. اسمها يعني مكان الأب حسب فريحة. كانت قديماً قرية مسيحية وكان منها أسقف على قنوبين هو يوحنا بن حاتم الحوشبي، ذكره الدويهي في أخبار سنة ١٦٠٣"[٢٣١].

---

[224] - سلوم، د. فؤاد: تاريخ التليل...، مرجع سابق.
[225] - سلوم، د. فؤاد: دريب – عكار...، مرجع سابق، ص ١٠٠ – ١٠١.
[226] - إذا كانت قرى المزيحمة وقتة والخرنوبي وبرشا بائدة، فالقرى الأخرى ما تزال عامرة.
[227] - سلوم، د. فؤاد: تاريخ التليل...، مرجع سابق، ص ٥٧.
[228] - المرجع السابق، ص ١٩.
[229] - المرجع السابق، ص ٢١.
[230] - المرجع السابق، ص ٢.
[231] - المرجع السابق، ص ١٦.

في هذا المثال كان على د. سلوم التحقق من أمرين ومرجعين. الأول اسم "حوشب"، ومرجعه فريحة (معجم...)، والثاني الأسقف المذكور، ومرجعه البطريرك اسطفان الدويهي (تاريخ الأزمنة). فلو كان أميناً في تعامله مع مراجعه لما اكتفى، في تو ضيح اسم حوشب، بقسم من كلام فريحة وطمس القسم الثاني. ماذا قال فريحة: "إذا كان الاسم مركباً فأرجح أنه من... (لفظتين سريانيتين) أي منزل الأب وبيته (حوش + أب). أما إذا كان مفرداً سريانياً فيكون من... (لفظة سريانية): الحساب والنظر والقصد. أما إذا كان الاسم عربياً مفرداً فإنه يعني الأرنب والعجل والثعلب الذكر و... و... مما لايعتمد عليه"[٢٣٢].

لقد ترك فريحة، في تفسيره لاسم حوشب، احتمالاً أن يكون الاسم عربياً. وهذا ما لم يقبل به د. سلوم، ولم يشر إليه. وهو لو فعل لربما نسب "حوشب" إلى أصل عربي. يقول ياقوت الحموي: "حوشب من مخاليف اليمن"[٢٣٣]. وقريب من حوشب ما جاء في منجد اللغة والاعلام: "الحواشب: قبيلة في جنوب جزيرة العرب... والحواشب: قرية في جنوبي شبه الجزيرة العربية. كانت جزءاً من محمية عدن الغربية. وهي اليوم في جمهورية اليمن..."[٢٣٤]. هكذا تكون "حوشب" أيضاً علم مكان وانسان. ومن أسماء العلم العرب ما جاء في أخبار الوقائع في صفين بين علي ومعاوية: "وقتل حوشب ذو ظليم وهو كبش من كباش اليمن من أهل الشام"[٢٣٥]. وعليه ليس من المستبعد أن يكون أصل اسم حوشب عربياً، على اسم مؤسس هذه القرية الذي قد يكون من القبائل العربية المسيحية أو التي تنصرت بعد مجيئها إلى المنطقة أو قبله.

وعليه ليس كل من تسمى، أو من تكنى بكنية حوشب يكون من حوشب عكار. فحوشب هو اسم البطريرك التاسع في ساسلة بطاركة الطائفة المارونية: "البطرك التاسع أوسابيوس المدعو حوشب"[٢٣٦]. وحوشب هو اسم لعائلة حلبية لأحد المطارين الموارنة، إذ يذكر الأب ابراهيم حرفوش: "في أول ك[١] سنة ١٧٣٢ ارتسم القس جبرايل حوشب الحلبي مطراناً على حلب... واسمه في المجمع اللبناني..."[٢٣٧]. وهناك "دير مار حوشب" في "أرض لحفد"[٢٣٨].

---

[232] - فريحة، أنيس: معجم...، مرجع سابق، ص ٦١.

[233] - الحموي، ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، مرجع سابق، ص ٣١٩.

[234] - النجد في اللغة والاعلام، مرجع سابق، (الاعلام)، ص ٢٦١.

[235] - المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠، ١٣٦. وفي حوشب هذا يقول الأشتر راجزاً: "نحن قتلنا حوشبا لما غدا قد أعلما"، ص ١٣٧. وجاء، في عداد الصحابة، في تاريخ حمص، ج ٢، مرجع سابق، ص ٦٠: "حوشب ذو ظليم: روى سيف في الفتوح أنه أسلم... نزل حوشب الشام وشهد صفين مع معاوية وقتل فيها وكان يقطن حمص...". الكبش هو سيد قومه، أو بطل منهم.

[236] - الجميل، الخوري ناصر: "سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، للبطريرك بولس مسعد"، المنارة السنة ٢٦، العام ١٩٨٥، ص ٦٤. وكذلك في غير سلسلة.

[237] - حرفوش، الأب ابراهيم: "الرسامات"، المنارة، سنة ١٩٣٨، ص ٤٧٤.

أما المطران يوحنا بن حاتم الحوشبي الذي جعله د. سلوم من حوشب عكار، مدعياً ذكر ذلك في أخبار البطريرك الدويهي لعام ١٦٠٣، فإن البطريرك المذكور يقول: "وفيها (سنة ١٦٠٣) رسم السيد البطريرك ليوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي اسقفاً في قنوبين، وكان من تلاميذ رومية..."[٢٣٩]. يوحنا الحوشبي هذا هو يوحنا الحصروني، يعني أنه من حصرون. كما يتضح من كلام البطريرك الدويهي نفسه في أخباره لسنة ١٦٣٢: "وفيها كانت وفاة الاسقف يوحنا الحوشبي من قرية حصرون..."[٢٤٠]. ويرد اسم نفس المطران على لسان الأب فيليب السمراني، يوحنا حوشب: "إن المطران يوحنا حوشب الحصروني الذي سقف سنة ١٦٠٣ أراد أن يدخل في حلب استعمال التقويم الغريغوري..."[٢٤١]. ومع كل ذلك يجعل د. سلوم هذا الأسقف من عكار من الحوشب.

---

[238] - فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من ٦٨٥ إلى القرن ١٢، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥، ص ١٨٥. وذكر الدبس (الجامع المفصل، ص ١٦٧) دير القديس حوشب، في لحفد. ويذكر الدويهي، في تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٣٧٢، تجديد "كنيسة ماري حوشب في بقاعكفرا".

[239] - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

[240] - المرجع السابق، ص ٥٠٠.

[241] - السمراني، الأب فيليب المرسل اللبناني: "قسط الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية"، المنارة، السنة السادسة، ١٩٣٥، ص ٦٤٥. ولقد ذكره يوسف خطار غانم، في "برنامج أخوية القديس مارون"، في عرضه لمطارنة طرابلس، ص ٣٢١: "الثالث المطران يوحنا الحصروني ابن الشدياق حاتم الحوشبي سقفه البطريرك يوسف الرزي سنة ١٦٠٣". كما ورد اسمه خامساً في جدول بأسماء تلاميذ المدرسة المارونية في روما، في "المدرسة المارونية الحبرية الرومانية"، للخوري ناصر الجميل، ص ١٦٢: "يوحنا ريس يعقوب فهد المعروف بالحوشبي، من حصرون،...، صار مطراناً سنة ١٦٠٣.

الفصل الثاني

الموارنة في عكار والقبيات – البطاركة

يواكيم الحاج: شمعون بطريرك من القبيات ؟ من عائلة الحاج ؟

يدعي السيد يواكيم الحاج وجود وثيقتين تثبتان قيام بطريرك من القبيات، من عائلة الحاج تحديداً. وهويعرض هذا الادعاء بقوله: "الوثيقة الأولى: وجدت في بجة في بلاد جبيل، بين أوراق البطريرك الياس الحويك، مدونة بخط الأب جورج سعد، ومؤرخة بسنة ١٧٦٦ وفيها أسماء بطاركة الطائفة المارونية الأنطاكية، الذين تعاقبوا على كرسي أنطاكية بعد موت البطريرك يوحنا مارون الأول. وقد ورد اسم البطريرك سمعان (شمعون) ١٢٧٩ – ١٣٣٩ من القبيات. وهو شقيق الخوري يوسف الحاج الذي ورد اسمه في **الوثيقة الثانية** والتي هي عبارة عن حجة أرض في البلدة مؤرخة في عام ١٣٠٤"[٢٤٢].

تساءلنا لدى قراءتنا هذا النص – الادعاء: ماذا تفعل أوراق البطريرك الياس الحويك "في بجة في بلاد جبيل"؟ وأين في بجة؟ لا سيما وأن "بجة ومعاد تلتين البلاد"، كما يقول أهلها. وفي محفوظات من؟ خاصة وأن البطريرك الحويك ليس من بجة أصلاً. فهو من مواليد حلتا من بلاد البترون، وهو ابن تادروس عبود الحويك الذي صار الخوري بطرس عبود[٢٤٣]. فما الذي جعل أوراق ابن حلتا في بجة؟ ثم هل أوراق البطريرك، أي بطريرك، هي ملكه الشخصي ليتصرف بها على هواه، وتعبث بها عوادي الزمان من بعده؟ وخاصة

242 - الحاج، يواكيم: عكار في ...، مرجع سابق، ج ٢، ص ٦١. في هذه الصفحة حاشيتان، جاء في الأولى: "راجع الوثيقة، في الملحق، المكتوبة بالخط السرياني". لم نجد في الملحق وثيقة بالخط السرياني تتحدث عن سلسلة البطاركة، بل هناك فقط صورة عن "عظة القس شمعون في القرن الثالث عشر" (ص ٧٤)، كما جاء تحتها. هذا في حين أن المطلوب، كما أعلن السيد الحاج، هو وجود وثيقة "بخط الأب جورج سعد". وهذا ما لا أثر له. أما الحاشية الثانية فتقول بوجود "حجة أرض في آخر هذا المقال"، وهي غير موجودة أيضاً. يرد نفس مضمون هذا الكلام في نص آخر للسيد يواكيم الحاج، في نفس المؤلف المذكور، في ص ٤٩٥.

243 - أبي حبيب، الأب آميل الأنطوني: البطريرك الياس الحويك (١٨٩٩ – ١٩١٨)، مسودة دراسة (مطبوعة) لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع السياسي، معهد العلوم الاجتماعية – الجامعة اللبنانية – الفرع الثاني، ١٩٩٩، ص ٣٢: "أبصر النور الياس تادروس عبود الحويك، في قرية حلتا من بلاد البترون في أواخر كانون الأول من سنة ١٨٤٣. وتعمد في الخامس من كانون الثاني سنة ١٨٤٤. وتثبت في ٨ كانون الأول من سنة ١٨٥٦ عن يد المطران يوسف المريض". "وتادروس، أي الخوري بطرس عبود – حلتا". وذلك "حسب سجل العماد المحفوظ في رعية حلتا الذي تأكد منه ابراهيم حرفوش".

متى كان البطريرك المعني شأن البطريرك الياس الحويك، من حيث الأهمية والدور والفعالية في تنظيم الطائفة وتدبير البلاد برمتها؟ أليست أوراق البطريرك الحويك في "خزانة" خاصة بها في محفوظات بكركي؟ أم هي مشاع متروك في "بجة في بلاد جبيل"؟

حاولنا معرفة من أين استقى السيد يواكيم الحاج "وثيقتيه" المزعومتين. فتبين لنا أنه عمد إلى تحوير، أو بالأصح، تزوير، ما جاء بقلم الخوري ناصر الجميل، في مقال له في مجلة "المنارة". في هذا المقال يعالج الأب الجميل مسألة تسلسل البطاركة الموارنة، والسلاسل التي وضعت في هذا المجال، وذلك في سياق تقديمه لسلسلة وضعها البطريرك بولس مسعد. وبينما يعرض الأب المذكور لسلسلة مغايرة لما هو في إجماع السلاسل الأساسية يقول بأن هناك سلسلة "أخرى عند الخوري الياس[٢٤٤] الحايك[٢٤٥] في قرية بجة ويعود تاريخ نسخها إلى سنة ١٧٦٦ بخط يد الخوري جرجس سعد على كتاب انجيل قديم، وقد أدرجها العينطوريني في كتابه"[٢٤٦].

ومع أن الأب الجميل أشار بوضوح إلى أن سلسلة البطاركة الموارنة هذه كتبت باللغتين اللاتينية والعربية[٢٤٧]، فقد أراد السيد يواكيم أن يعطيها "أصالة" توثيقية فجعلها (في الحاشية المشار إليها سابقاً) وثيقة مكتوبة بالخط السرياني. ووعدنا بوضعها في الملحق. ولكنه لم يفعل! كما أن السيد يواكيم يدرج في كتابه[٢٤٨] هذه اللائحة نقلاً عن كتاب "مختصر تاريخ جبل لبنان" للعينطوريني، وكذلك لا يكلف نفسه عناء تحديد مرجعه[٢٤٩].

ولو ان البطريرك الدويهي أشار بأي شكل من الأشكال إلى كنية البطريرك شمعون هذا (١٢٩٧ – ١٣٣٩)، وذكر كنيته (الحاج) وموطنه (القبيات)، لما تخلف عن ذكر ذلك كل من اشتغل على سلسلة البطاركة الموارنة، وهم كثر وكلهم على العموم انطلقوا من البطريرك الدويهي. فالأب بطرس فهد يسمي هذا البطريرك باسم: "البطريرك سمعان أو شمعون، وهو الخامس بهذا

---

244 - صار "الخوري الياس"، عند السيد يواكيم، "البطريرك الياس"، لقد رقاه، كبّره!

245 - أما الكنية"الحايك" فقد صغرها، فهي "الحويك". وهكذا حوّل "الخوري الياس الحايك" إلى "البطريرك الياس الحويك"، قلة فرق! المهم يظبط وضع بيت الحاج والقبيات!

246 - الجميل، الخوري ناصر: "سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك بولس مسعد"، المنارة، السنة ٢٦، العددان الأول والثاني، ١٩٨٥، ص ٥٦، حاشية رقم ١٠. ولقد تبين لنا أن السيد يواكيم الحاج نسخ حرفياً تقريباً كل ما جاء في كتابه (ج ٢) من ص ٤٢٤ حتى نهاية ص ٤٢٨، دون أن يوضح حدود نقله، والنص في هذه الصفحات مأخوذ بكامله وبحرفيته من المقال المذكور من ص ٦٢ حتى ص ٦٥.

247 - المرجع السابق، ص ٦: "... تحرير أسماء البطاركة الموارنة... باللاتيني والعربي...".

248 - الحاج، يواكيم: عكار في...، مرجع سابق، ج ٢، من ص ٢٧٩ حتى ص ٢٨٤.

249 - العينطوريني، الشيخ أنطونيوس أبي خطار: مختصر تاريخ جبل لبنان، طبعه الأب اغناطيوس طنوس الخوري، نظر فيها وحققها الياس القطار، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٣، من ص ٨٠ حتى ص ٨٦.

الاسم وانتخب في أواخر سنة ١٢٩٧، كما قال العلامة اسطفان الدويهي... وقد استند إلى هذا التاريخ علماء الموارنة والمؤرخون في تأليف مصنفاتهم كالسمعاني في مقالته المعروفة، والأباتي العنيسي في سلسلته، والخوري أسقف يوسف داغر في تاريخه وكثيرون غيرهم"[٢٥٠].

بطرك أوحد من عكار، أم بطاركة؟

خلاصة الأمر أن السيد يواكيم الحاج يقرر وجود بطريرك من القبيات باسم سمعان، "شمعون"، الحاج، كما أنه يسلم بوجود مجموعة من البطاركة العكاريين أدرج العينطوريني أسماءهم في لائحته عن البطاركة الموارنة.

يؤكد، من جهة أخرى، د. سلوم على وجود هؤلاء البطاركة، بالاستناد إلى نفس المرجع: العينطوريني وسلسلته: "يوسف من شدرا، شمعون من القبيات، داود من عكار، غريغوريوس من عرقا"[٢٥١].

أما الأب نايف اسطفان (الأرثوذكسي، العكاري) فهو يزايد على مؤرخي موارنة القبيات – عكار في "نفخه" لدورهم العكاري في قيادة الموارنة دينياً، ويرفع عدد البطاركة العكاريين إلى سبعة. يقول: "وفي **مراجعة** لسلسلة البطاركة الموارنة تبين أن هناك عدة بطاركة عكاريين تسلموا زمامه وهم: يوحنا من عندقت... يوسف من شدرا... شمعون من القبيات... داود من عكار... غريغوريوس من عرقة... موسى من الباردة... جرجس من حالات..."[٢٥٢].

شددنا على كلمة مراجعة" في كلام الصديق الأب نايف اسطفان لأننا وجدناه يستعملها بعكس مضمونها تماماً. فهو ينطلق في تعداده لبطاركة عكار من صورة "وثيقة"، هي مخطوطة بالعربية، بعنوان: سلسلة البطاركة الموارنة[٢٥٣]. واعتبرنا أن "المراجعة" تقتضي منه التحقق من هذه الوثيقة المخطوطة، ومعرفة مصدرها... ومدى مطابقتها أو تعارضها مع ما هو منشور في نفس الموضوع، وهو كثير، وبعضه موجود في نفس المراجع التي يذكرها الأب نايف في كتابه بالذات، كتاريخ سورية... للمطران يوسف الدبس، وهو من الذين انتقدوا هذه السلسلة ورفضوها كما سنبين بعد قليل. وكان، من المفروض، على الأقل، معرفة (وهذا ما لا يمكن التغاضي عنه) ما إذا كانت الكنيسة المارونية تعترف،

---

250 - فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من القرن ١٣ إلى ١٥، ص ٣٧. راجع حول هذا البطريرك: الخورسقف يوسف داغر، ببطاركة الموارنة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧، ص ٣٦ – ٣٧؛ والمطران الدبس، الجامع المفصل...، ص ٢٠٢...

251 - سلوم، د. فؤاد: القبيات مارونية...، مقال سابق، ص ٣٥. فات د. سلوم، وغيره، ذكر بطريرك آخر ذكره العينطوريني، وهو الياس من تل سبعل؟

252 - اسطفان، الأب نايف: تاريخ أبرشية عكار...، مرجع سابق، ص ٤٩٩ – ٥٠٠. فات الأب نايف أيضاً ذكر الياس من تل سبعل؟ وطالما أن الأمر "تعظيم" لعكار، قرر الأب نايف جعل حالات (السورية) مكان حالات جبيل لزيادة بطاركة عكار!

253 - المرجع السابق، ص ٥٠١ – ٥٠٢.

أصلاً، بها، وأين يبدو اعترافها أو اعتراضها. ولكن الأب اسطفان لم يقم بأي أمر من ذلك، وجعل "المراجعة" تسليماً لمضمون "مخطوط"، إنها "براءة" الوثيقة الخطية، شهادة على "العلمية"!

وفي الحقيقة، هذه "الوثيقة" هي مجرد صورة عن واحدة من النسخ التي اعتمدها العينطوريني، ونشرها الأب اغناطيوس طنوس الخوري في "مختصر تاريخ جبل لبنان"[٢٥٤]. وبالتالي هي نفس المرجع الذي ينطلق منه أيضاً د. سلوم والسيد يواكيم الحاج. فما هي قيمة هذه السلسلة البطريركية؟ وما هو موقف "علماء" الطائفة المارونية منها؟

لعل الخوري ناصر الجميل من أفضل من أحسن إيجاز تاريخ وضع سلسلة البطاركة الموارنة بقوله: "أجمع المؤرخون الموارنة[٢٥٥] على أن البطريرك اسطفان الدويهي (١٦٧٠ – ١٧٠٤) هو أول من وضع سلسلة بطاركة الموارنة الأنطاكيين[٢٥٦]. وكل اللوائح التي وضعت بعده، من الواضح أنها قد استندت إلى كتاباته التي وصلت إلى روما وباريس... ومن الذين وضعوا لوائح بطريركية، وأدخلوا على سلسلة الدويهي بعض التعديلات، لا بد من ذكر لائحة يوسف شمعون السمعاني (+ ١٧٦٨)... ولائحة القس طوبيا العنيسي بالعربية[٢٥٧]"[٢٥٨].

وكان قد سبق للمطران يوسف الدبس أن عبر عن نفس الموقف تقريباً، قبل أقل من قرن من الزمن بقليل، عندما جعل البطريرك اسطفان الدويهي أول منظم لسلسلة البطاركة الموارنة، وليسير على أساسها عمل العلامة يوسف سمعان السمعاني واضع نصوص المجمع اللبناني[٢٥٩]. بيد أن رواية المطران

---

254 - تتفق هذه اللائحة المخطوطة بكل التفاصيل مع اللائحة المطبوعة في "مختصر تاريخ جبل لبنان". وفيها جميع العبارات والتواريخ متطابقة. ولا تختلف عنها بغير: ١ – عدم ذكرها لاسم "توفيلوس" (السادس في السلسلة المطبوعة)؛ ٢ – في يوحنا من عقتنيت (المطبوعة) مقابل يوحنا من عندقت (المخطوطة). وما خلا ذلك لا يوجد أي فرق بينهما.

255 - راجع: الأب بولس صفير: "البطاركة في التاريخ الماروني"، مجلة الفصول، صيف ١٩٨٠، ص ١٠٢ – ١٠٧.

256 - نشرها رشيد الشرتوني تباعاً في المشرق، عدد ١، ١٨٩٨، ص ٢٤٧ – ٢٥٢؛ ٣٠٨ – ٣١٣؛ ٣٤٧ – ٣٥٣؛ ٣٩٠ – ٣٩٦. ثم طبعها في كتاب، سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، بيروت، ١٩٠٢، ص ١١ – ٤٠...

257 - "سلسلة تاريخية للبطاركة الأنطاكيين الموارنة"، روما، ١٩٢٧؛ ثم نشرها الأب فيليب السمراني في "المنارة"، ١٩٣٢، ص ٨٨ – ٩٢.

258 - الجميل، الخوري ناصر: "سلسلة..."، مقال سابق، المنارة، ص ٥٥. إن الحواشي السابقة الثلاث هي للخوري ناصر الجميل، نفس المرجع ونفس الصفحة.

259 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٩، (الجامع...): "نظم سلسلة البطاركة الموارنة العلامة البطريرك اسطفان الدويهي في مقالة أفردها لذلك..." ص ١٤١؛ "نظم العلامة السمعاني أيضاً سلسلة بطاركة انطاكية الموارنة،... ثم ذكر السمعاني سلسلة هؤلاء البطاركة في كتاب المجمع اللبناني (الذي هو مؤلفه)... وقلّ ما كان الخلاف بين روايتي الدويهي والسمعاني... وقد ذكر

الدبس تمتاز بإشارتها إلى منهج ومراجع البطريرك الدويهي في وضعه لسلسلة البطاركة الموارنة، بقوله: "وقد روى البطريرك سمعان عواد الذي دون ترجمة الدويهي أن هذا البطريرك طاف بنفسه أكثر القرى الكبرى التي يسكنها الموارنة وقلب ما كان في كنائسها أو منازل الوجهاء منها من الكتب القديمة وكانت عادة النساخ القدماء أن يذيلوا ما ينسخونه من الكتب باسم بطريرك الطائفة ومطران الأبرشية فاستعان الدويهي بهذه التعليقات على ما دونه في مقالته المذكورة"[٢٦٠].

ومع أن هناك حوالي بضع عشرة لائحة لسلسلة البطاركة الموارنة[٢٦١]، فإنها تنطلق جميعها من لائحة الدويهي – السمعاني – المجمع اللبناني، وتقل فيها مواضع الاختلاف عن ما هي عليه الحال في ما يسميه الخوري ناصر الجميل: "اللوائح الثلاث التي تعتبر اللوائح البطريركية الأم"[٢٦٢]. وكثيراً ما يحدد واضعوا هذه اللوائح مراجعهم كقول أحدهم: "إلى هنا ما أخذ عن المقالة السمعانية بحروفها وأما ما يأتي فهو مأخوذ عن المجمع اللبناني المقدّس"[٢٦٣].

إلاّ أن هناك لائحة شذت في مضمونها، وعدد البطاركة فيها، عن كل ما هو معهود ومعتمد في اللوائح الأساسية التي أجمع أهل التأريخ الماروني "الشرعي" حولها. وإليها أشار المطران يوسف الدبس عندما قال: "تتداول أيدي الموارنة كتاباً يشتمل على عدة تواريخ منها تاريخ بعض الأسرات وتاريخ بعض أحداث في جبة بشري وتاريخ الرهبنة اللبنانية وفي جملتها سلسلة لبطاركة الموارنة من القديس يوحنا مارون إلى البطريرك يوسف حبيش وبعد أن ذكر أكثر البطاركة الذين ذكرناهم هنا أورد اسماء نحو من أربعين بطريركاً إلى البطريرك يوسف الجرجسي ولم يسند كلامه إلى شاهد ولا نعلم من أين جمع كل هذه الأسماء التي غفل عنها العلامتان البطريرك اسطفانوس الدويهي ويوسف السمعاني، ولذلك لا نرى ما رواه صحيحاً. ويعزى هذا الكتاب إلى الشيخ أنطونيوس أبي خطار من عينطورين..."[٢٦٤].

وجه الكثير من المؤرخين انتقادات شتى للعينطوريني وكتاباته التاريخية، ولناشره الخوري اغناطيوس طنوس الخوري. وخصص بعضهم نقده لهذه السلسلة البطريركية المارونية، ورفضها. ولكننا نود الاشارة إلى أن سلسلة العينطوريني تقترب من باقي اللوائح، في بداياتها حتى البطريرك أوسابيوس،

العلامة لكويان LE QUIEN... سلسلة بطاركة الموارنة معتمداً فيها على مقالة البطريرك اسطفانس الدويهي..." ص ١٤٢.

260 - المرجع السابق، ص ١٤١.

261 - الجميل، الخوري ناصر: سلسلة...، مقال سابق، المنارة، ص ٥٦ – ٥٧.

262 - المرجع السابق، ص ٥٦. يقصد باللوائح الثلاث، لائحة: الدويهي، السمعاني، العنيسي.

263 - الحتوني، الخوري منصور طنوس الخوري الماروني: نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، طبعة جديدة طبق الأصل، دار كنعان، ١٩٨٣، ص ٤١٤.

264 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٩ (الجامع...)، ص ١٥٣.

رقم ٩ (العينطوريني). وكذلك الأمر في نهاياتها، اعتباراً من البطريرك يوحنا العاقوري، رقم ٧٠، وذلك مع وجود بعض الفروقات القابلة للتصحيح. ولكنها تتناقض كلياً في ما بين هذين الحدين، لأنها تنفرد بذكر عدد كبير جداً من البطاركة.

ولا يقتصر الأمر على مجرد هذا الانفراد، ولكن يجدر بنا ملاحظة أن بين البطريرك بطرس من سمار جبيل، الرقم ١٧ (العينطوريني)، بتاريخ سنة ١١٢١، والبطريرك يوحنا اللحفدي المحدد بالرقم ٦٢ (العينطوريني) وبتاريخ سنة ١١٧٣، هناك كما يذكر العينطوريني ٤٦ بطريركاً تناوبوا على السدة البطريركيةلمدة (١١٧٣ – ١١٢١) ٥٢ سنة متتالية، (راجع جدول المقارنة المرفق)، أي بمعدل سيادة كل بطريرك منهم حوالي السنة الواحدة والشهر الواحد فقط. وهذا أمر محال. فلا يعقل أن يتناوب على السدة البطريركية ٤٦ بطريركاً فقط، في مرحلة سيطرة الصليبيين بالذات، وفي مدة حوالي نصف قرن (٥٢ سنة). وما الذي يجعل هؤلاء البطاركة عاجزين عن الاستمرار، وخاضعين للاستبدال، كل سنة تقريباً؟ هذا مع العلم أن الظروف التاريخية يجب أن تكون ملائمة لجهة خلق نوع من الاستقرار يسمح للبطاركة في البقاء في سيادتهم لفترة أطول بكثير من السنة الواحدة.

لكل ذلك نعتبر، على غرار كل علماء الطائفة المارونية، أن هذه السلسلة باطلة، ولا يمكن الركون إليها. وعليه لم تعرف عكار غير موسى سعاده العكاري بطريركاً للموارنة. ولا وجود بالتالي لا للبطريرك شمعون من القبيات، ولا غيره من عندقت أو شدرا أو...

أما لماذا أغفل د. سلوم والسيد يواكيم الحاج والأب نايف اسطفان هذه الحقائق، ولم ينظروا في أمر مقارنة هذه السلسلة الباطلة التي اعتمدوا عليها بغيرها مما هو موضع ثقة، لا سيما تلك التي يجب أن تكون قد وقعت تحت أنظارهم بالضرورة، لاعتمادهم على المراجع الواردة فيها...، فذلك لأن مرض "العظمة" يغشى البصر، ويذهب بالبصيرة عن جادة الصواب، ويضحي بالحقيقة على مذبح "تعظيم الأنا المارونية" في عكار.

جدول مقارنة سلسلة البطاركة الموارنة

(العينطوريني)	(المجمع اللبناني ١٧٣٦)	(بطرس فهد)
بولس تواغان (٦٨) ٤ سنين، توفي ٦٦٥	-	-
١- يوحنا مارون (٧٨٧ – ٨٠٧)	١ - يوحنا مارون (٦٨٥)	١ – يوحنا مارون (٦٨٥)
٢- كوريوس (ابن أخت يوحنا مارون)	٢ – كيروس	٢ - قورش
٣- جبرايل (قطن كفرحي)	٣ – جبرايل	٣ - جبرايل
... ...	٤ - يوحنا الثاني (مارون)	٤ - يوحنا
٤- يوحنا (من دملصا) (قطن سيدة يانوح)	٥ - يوحنا الدملصي	٥ – يوحنا الثالث
٥- توفيلوس	-	-
٦- غريغوريوس (من حالات)	٦ – غريغوريوس	٦ - غريغوريوس
٧- اسطفان	٧ – اسطفانوس	٧ - اسطفانوس
٨- (مرقوس من انطاكية)	٨ – مرقس	٨ - مرقس
٩- اوسابيوس	٩ – اوسلبيوس	٩ - اوسابيوس
١٠- يوحنا (من حمص)	١٠- يوحنا	١٠- يوحنا الرابع
-	١١- يشوع	١١- يشوع الأول
-	١٢- داود	-
١١- غريغوريوس	١٣- غريغوريوس الثاني	١٢- غريغوريوس الثاني
١٢- تاوفيلكتوس	١٤- تاوافيلكتوس	١٣- توافيليكتوس
١٣- يشوع (من الشام)	١٥- يشوع الثاني	١٤- يشوع الثاني
١٤- ديميطيوس (من بيروت)	١٦- دوميط	١٥- دوميطيوس
-	١٧- اسحق	١٦-اسحق
-	١٨- يوحنا	١٧- يوحنا الخامس
-	١٩- سمعان	١٨- سمعان
-	-	١٩- أرميا
-	-	٢٠- يوحنا
-	-	٢١- شمعون
-	-	٢٢- شمعون الثالث
١٥- يوسف (من جبيل) سكن سيدة يانوح	-	-
١٦- جرجس (من اليترون) سكن ميفوق	-	-
١٧- بطرس (من سمار جبيل) (سكن ميفوق) قام سنة ١١٢١	-	-
١٨- اثناسيوس (من عكا)	-	-
١٩- غريغوريوس (من اهدن)	-	-
٢٠- مرقوس (من صور)	-	-
٢١- اكليمنضوس (من انطاكية)	-	-
٢٢- مخايل (من تولة البترون)	-	-
٢٣- بولس (من كفر صارون الجبة)	-	-
٢٤- سمعان (من الشام)	-	-
٢٥- زكريا (من بان)	-	-
٢٦- صامويل (من بقوفا من بيت الرز)	-	-
٢٧- يوحنا (من عقتنيت)	-	-

٢٨- دانيال (من طرابلس)	-	-
٢٩- بطرس (من سمار جبيل)	-	-
٣٠- موسى (من كفرزينا)	-	-
٣١- بولس (من حيفا)	-	-
٣٢- يوسف (من شدرا)	-	-
٣٣- مارون (من بكفيا)	-	-
٣٤- ابرهيم (من الناصرة)	-	-
٣٥- حزقيال (من درب السيم صيدا)	-	-
٣٦- انطون (من لحفد)	-	-
٣٧- الياس (من حاقل)	-	-
٣٨- اندراوس (من بيروت)	-	-
٣٩- كيريللس (من قبرس)	-	-
٤٠- اثناسيوس (من صور)	-	-
٤١- يوياقيم (من القدس)	-	-
٤٢- الياس (من البترون)	-	-
٤٣- لوقا (من راسكيفا)	-	-
٤٤- مخايل (من بيروت) هنا حتى هذا اضطهاد البطاركة	-	-
٤٥- يوحنا (من حمص)	-	-
٤٦- شمعون (من القبيات)	-	-
٤٧- ارميا (من يافا)	-	-
٤٨- زكريا (من القدس)	-	-
٤٩- يوحنا (من حاقل)	-	-
٥٠- شمعون (من انطاكية)	-	-
٥١- آشعيا (من بجة)	-	-
٥٢- داود (من عكار)	-	-
٥٣- غريغوريوس (من عرقا)	-	-
٥٤- الياس (من تل سبعل)	-	-
٥٥- سمعان (من عرجس)	-	-
٥٦- فيلبوس (من حصرون)	-	-
٥٧- يوسف الجرجسي	٢٠- يوسف الجرجسي (١١٢٠)	٢٣- يوسف الجرجسي (١١٠٠-١١٢٠)
٥٨- بطرس (من جبيل)	٢١- بطرس	٢٤- بطرس (١١٢١-١١٢٩)
٥٩- جرجس (من حالات)	٢٢- غريغوريوس الحالاتي	٢٥- غريغوريوس (١١٣٠- ١١٤١)
٦٠- انطون (من غزير)	-	-
٦١- يعقوب (من رامات – البترون)	٢٣- يعقوب الراماتي	٢٦- يعقوب (١١٤١-١١٥١)
٦٢- يوحنا (من لحفد) مات ١١٧٣	٢٤- يوحنا اللحفدي	٢٧- يوحنا اللحفدي (١١٥١-١١٥٤)
-	-	٢٨- بطرس الثاني (١١٥٤-١١٧٣)
-	-	٢٩- بطرس الثالث (١١٧٣-١١٩٩)
٦٣- أرميا العمشيتي (لاتران) مات ١٢٣٠	٢٥- أرميا (١٢٠٩)	٣٠- أرميا العمشيتي (١١٩٩-١٢٣٠)
٦٤- ... (فراغ أصلاً)	-	-
٦٥- دانيال (من شامات) (توفي ١٢٣٨)	٢٦- دانيال الشاماتي	٣١- دانيال الشاماتي (١٢٣٠-١٢٣٩)
٦٦- لوقا (من بنهران)	-	-

٦٧- يوحنا (من اللاذقية)	٢٧- يوحنا	٣٢- يوحنا بطرس الجاجي (١٢٣٩-١٢٤٥)
٦٨- شمعون (من بلوزا)	٢٨- شمعون	٣٣- شمعون أو سمعان الرابع (...-١٢٤٥)
-	٢٩- يعقوب	٣٤- يعقوب الثاني(.- ١٢٧٧)
٦٩- دانيال (من حدشيت)	٣٠- دانيال الحدشيتي	٣٥- دانيال الحدشيتي الثاني
-	٣١- لوقا البنهراني	-
-	-	٣٦- أرميا من دملصا (١٢٨٢-١٢٩٧)
-	٣٢- شمعون	٣٧- سمعان أو شمعون(٥) (١٢٩٧-١٣٣٩)
٧٠- يوحنا (من العاقورة)	٣٣- يوحنا	٣٨- يوحنا العاقوري (١٣٣٩-١٣٥٧)
٧١- جبرايل (من حجولا) حكم ١٠ سنين توفي سنة١٣٦٧	٣٤- جبرائيل (من حجولا) مات ١٣٦٧	٣٩- جبرائيل من حجولا (١٣٥٧-١٣٦٧)
٧٢- داود (من اهدن) حكم ٧	٣٥- داود (الملقب يوحنا) (١٣٦٧-١٤٠٤)	٤٠- داود الجاجي(.-١٤٤٠)
٧٣- يوحنا (من جاج)	٣٦- يوحنا الجاجي	٤١- يوحنا الجاجي (١٤٠٤-١٤٤٥)
٧٤- يعقوب (من الحدث) ١٢ سنة	٣٧- يعقوب (من الحدث)	٤٢- يعقوب الحدثي (١٤٤٥-١٤٥٨)
٧٥- شمعون الحدثي عاش ١٢٠ . حكم ٢٢ سنة	٣٨- بطرس (من الحدث)	٤٣- بطرس الحدثي (١٤٥٨-١٤٩٢)
٧٦- بطرس الحدثي ابن حسان . حكم ٤٤	٣٩- شمعون (ابن اخيه)	٤٤- سمعان حسان الحدثي (١٤٩٢-١٥٢٤)
٧٧- موسى (سعادة) من الباردة (عكار) ٤٣ سنة توفي ١٥٢٤	٤٠- موسى العكاري	٤٥- موسى العكاري (١٥٢٤-١٥٦٧)
٧٨- مخايل (من بيت الرز) (من بقوفا) ٢٤ سنة	٤١- ميخائيل الرزي (من بقوفا)	٤٦- ميخائيل الرزي (١٥٦٧-١٥٨١)
٧٩- سركيس (أخيه) ١٦ سنة	٤٢- سركيس (الرزي) اخوه	٤٧- سركيس الرزي (١٥٨١-١٥٩٧)
٨٠- يوسف الرزي (ابن اخيهما)	٤٣- يوسف سركيس (ابن اخيه)	٤٨- يوسف الرزي (١٥٩٧-١٦٠٨)
٨١- يوحنا مخلوف هدناني ٢٤ سنة	٤٤- يوحنا مخلوف (اهدن)	٤٩- يوحنا مخلوف (١٦٠٩-١٦٣٣)
٨٢- جرجس ابن عميرة (هدناني) ١١ سنة	٤٥- جرجس هميره (اهدن)	٥٠- جرجس عميرة (١٦٣٣-١٦٤٤)
٨٣- يوسف العاقوري (من بيت صليب)	٤٦- يوسف العاقوري	٥١- يوسف بطرس العاقوري (١٦٤٤-١٦٤٨)
٨٤- يوحنا الصفراوي (من بيت البواب من الفتوح)	٤٧- يوحنا (من الصفرا)	٥٢- يوحنا الصفراوي (١٦٤٨-١٦٥٦)
٨٥- جرجس (من بسبعل) ١٣ سنة	٤٨- جرجس (من بسبعل)	٥٣- جرجس البسبعلي (١٦٥٧-١٦٧٠)
٨٦- اسطفان الدويهي ٢٤ سنة توفي ١٧٠٤	٤٩- اسطفانوس الدويهي (اهدن)	٥٤- اسطفان الدويهي (١٦٧٠-١٧٠٤)
٨٧- جبرايل البلوزاني سنة و٥ اشهر	٥٠- جبرائيل (من بلوزا)	٥٥- جبرائيل البلوزاوي (١٧٠٤-١٧٠٥)
٨٨- يعقوب الحصروني (من بيت عواد) توفي ١٧٣٢	٥١- يعقوب عواد (من حصرون)	٥٦- يعقوب عواد الحصروني (١٧٠٥-١٧٣٣)

٨٩- يوسف (ضرغام) الخازن ٥٢- يوسف الخازن (من غوسطا) ٥٧- يوسف الخازن
١٠ سنين . (المجمع اللبناني) (١٧٣٣-١٧٤٣)
٩٠- سمعان عواد الحصروني ٥٨- سمعان عواد الحصروني (١٧٤٣-١٧٥٦)
قام ١٧٤٣ توفي ١٧٥٦ *انتهت سلسلة المجمع*
٩١- طوبيا الخازن (ر. ل.) قام ١٧٥٦ مات ١٧٦٦ ٥٩- طوبيا الخازن (١٧٥٦-١٧٦٦)
٩٢- يوسف اسطفان (من غوسطا) قام ١٧٦٦ مات ١٧٩٣ ٦٠- يوسف اسطفان (١٧٦٦-١٧٩٣)
٩٣- مخايل فاضل (من بيروت) ١٠ سنين و ٣ أشهر ٦١- مخايل فاضل (١٧٩٣-١٧٩٥)
٩٤- فيلبوس (من شويّا جميّل) ١٠ أشهر ٦٢- فيلبوس الجميل (١٧٩٥-١٧٩٦)
٩٥- يوسف التيان (من بيروت) ١٣ سنة ٦٣- يوسف التيان (١٧٩٦-١٨٠٩)
٩٦- يوحنا الحلو (من غوسطا) **(مات المؤلف)** ٦٤- يوحنا الحلو (١٨٠٩-١٨٢٣)
الجالس سنة ١٨١٦

الفصل الثالث

الموارنة في عكار والقبيات: المعطيات الفعلية

باستثناء ما سبق وذكرناه، استناداً لمخطوطات الخورسقف الزريبي، لا سيما ما جاء في نبذته التاريخية، وباستثناء ما تشير إليه الحوليات المارونية، من إشارة عامة، إلى أن بلاد الموارنة تضم الدريب وعكار، لا نعثر على ذكر فعلي عيني لموارنة عكار، قبل القرن السادس عشر. غير أن هذا الوجود الماروني في عكار كان على الدوام ضعيفاً وهامشياً، كما سنرى.

لم يسجل أي ذكر لأمير من أمراء المردة في عكار (في زمن المردة وانتقال سدة البطريركية إلى لبنان)، ولم تشر أخبار المقدمين الموارنة إلى أي مقدم عكاري، ولا إلى أي نشاط للمقدمين في هذه المنطقة. وعليه لا يكشف التاريخ الماروني أي حضور عيني له في عكار قبل القرن السادس عشر. لا نقصد بذلك الجزم بنفي أي وجود ماروني في عكار قبل هذا التاريخ. ولكننا نعتبر أن الأمر يستحق أخذه بعين الاعتبار الفعلي، ويشكل في مطلق الأحوال دليلاً على ضعف وهامشية هذا الحضور.

الكنيسة المارونية: من "أسقفية البترون" إلى "بطريركية أنطاكية"

منذ المجمع الخلكيدوني حكم آباء الكنيسة "بأن يكون للكنيسة الأنطاكية فينيقية بقسميها وبلاد العرب"[٢٦٥]. ولكن السدة البطريركية الأنطاكية "التي كانت بوحدتها ذات سيادة على كل المشرق قد انقسمت في القرن السابع إلى خمسة أقسام فإن كل طائفة من الطوائف المسيحية أي الملكيين والموارنة واليعقوبية والنسطورية والأرمن قد اتخذت لها بطريركاً خاصاً... فهذا ما طرأ من التقلبات على البطريركية الأنطاكية وجثالقتها وقد طرأ مثل ذلك على ما كان لها من الكراسي المطريبوليتية والأسقفية فإن عدد هذه قد تناقص..."[٢٦٦].

وعندما تم الأنفصال بقيت عرقة تابعة لمطريبوليتية صور، كما جاء في "ترتيب الكراسي المقدسة... (حيث) صور مطريبوليتية فينيقية ولها الولاية على ثلاث عشرة مدينة أسقفية"[٢٦٧]. وبحكم الانقسامات المتكررة ومع الفتح

---

265 - المجمع اللبناني، ١٧٣٦، ذكرى مرور ٢٥٠ سنة، ١٩٨٦، ص ٣٥٨.

266 - المرجع السابق، ص ٣٥٦ – ٣٥٧.

267 - المرجع السابق، ص ٣٥٩.

الاسلامي، زالت أهمية المراكز المتروبولية، وكذلك سلطة أساقفتها المتروبوليين، وصارت السلطات مناطة بالبطريرك[٢٦٨].

ما هو المجال الجغرافي الاجتماعي الذي شملته البطريركية المارونية؟ وفي أي زمن اكتمل وتحدد هذا المجال، وكيف بدأت هذه البطريركية بممارسة سلطانها، وضمن أي حدود؟ بالطبع لم تنشأ البطريركية المارونية الأنطاكية في ظروف أمنية وأجتماعية ودينية سليمة. بل هي نشأت في خضم الصراعات اللاهوتية والانشقاقات الكنسية والصراع بين روما والقسطنطينية. وكان لا بد بالتالي من أن تنعكس كل هذه العوامل في تكوين البطريركية المارونية، وفي تحديد مدى سلطانها الجغرافي.

ويبدو من سياق التأريخ الماروني الشرعي أن الوجود الماروني ككنيسة مستقلة، منفصلة عن الملكية والقسطنطينية، قد بدأت في التكون، أولاً، كأسقية في البترون، تم تعيين اسقفها من خارج هرمية الكنيسة الأنطاكية، صاحبة الصلاحية في تعيين الأساقفة. يقول البطريرك اسطفان الدويهي: "قدم إلى انطاكية كردينال من طرف بابا روميه بسبب اصلاح الايمان، وعقد مجمع لتستقر جميع الكنايس أن بربنا طبيعتان ومشيتان. وكان مقاريوس بطرك انطاكيه مقيما في القسطنطينية ولم يدخل انطاكيه اصل. فاجتمع اوجان البرنس مع كافة الفرنج المقيمين في انطاكيه، وضربوا ديوان على اقامة مطران يكون من حزب كنيسة روميه لينشر سر المشيتين ضد تعليم الروم الذين فيما بعد تسموا ملكية. واتفق الراي على سيامة يوحنا مارون، فحملوا به إلى عند الكردينال، وقسموه اسقفاً على البترون وسكانة جبل لبنان، ليحفظهم في الاتحاد مع الكنيسة الرومانية...، وكان ذلك في سنة ستماية وستة وسبعين للتجسد الرباني"[٢٦٩].

ويبدو أن القاصد الرسولي تمكن في نهاية المجمع السادس الذي عقده من فرض تاوفانوس بطريركاً على أنطاكية. "غير أن أيام رياسته لم تطل حتى رقد بسلام الرب في أواخر سنة ٦٨٥ فاجتمع اكليروس الكنيسة الأنطاكية الكاثوليكي يوميذٍ المعروفين باسم موارنة وغيرهم من الاكليروس الكاثوليكي الثابت على الصخرة البطرسية ولم تزعزعه الهرطقات الذي اضطر إلى الالتجا يوميذ إلى البلاد الخاضعة لأمير لبنان بداعي الحروب والاضطهاد... وانتخبوا يوحنا مارون بطريركاً (لأن الآخرين كانوا خاضعين لسلطة ملك الروم فيقيم لهم

---

268 - المرجع السابق، ص ٣٦١ – ٣٦٢ و٣٦٥ – ٣٦٦.

269 - الدويهي، البطريرك اسطفان أصل الموارنة، مرجع سابق، ص ١١٦. في الصفحة١٦٦ من نفس المرجع يحدد الدويهي تاريخ هذه السيامة على اسقفية البترون بسنة ٦٨٦ (؟). يرد نفس الخبر في كثير من المراجع المارونية، منها ما ذكره الخوري ميخائيل غبريل الشبابي، في "كتاب تاريخ الكنيسة الانطاكية السريانية المارونية، المجلد الأول، ص ٥٥٢ – ٥٥٣: "... فهذا النائب الرسولي (مطران فيلادلفيا) بعد وقوفه على ما آل إليه أمر الرعية في الكنيسة الأنطاكية استقدم يوحنا مارون... ورسمه مطراناً على البترون وسلمه رعاية القطيع...".

البطريرك الذي يشاء) وقد أثبت انتخابه والبسه درع كمال الرياسة البابا سرجيوس الأول..."[٢٧٠].

هل خضع جميع الموارنة في كل أمكنة انتشارهم لسلطة البطريرك الأنطاكي الماروني، بعد الإنفصال عن الملكية، وسيامة يوحنا مارون أسقفاً على البترون ومن ثم بطريركاً أنطاكياً؟ قلما طُرح هذا السؤال الذي لا بد من طرحه لمعرفة السيرورة التي سلكتها البطريركية المارونية، لا سيما في المراحل الأولى لتكونها. يبدو أن الخوري ميخائيل عبدالله غبريل الشبابي من البحاثة النادرين الذين طرحوا هذه المسألة، بما تحمله من إيضاحات لكثير من الأسئلة العالقة حول المعتقد الماروني وشموليته لجميع الموارنة.

يقول الخوري الشبابي في الموارنة: "كانوا في أول أمرهم أمة واحدة انقسمت فيما بعد إلى قسمين: قسم أقام في لبنان واتخذ لنفسه استقلالاً دينياً ومدنياً. وقسم ثبت في مواطنه الأصلية من سورية خاضعاً للحكومة المحلية وللبطريركية الأنطاكية بعد عودها إلى انطاكية في عهد تملك السراكسة"[٢٧١]. ما كانت عليه علاقة هؤلاء الموارنة الذين ثبتوا في سورية (أو كانوا خارج جبل لبنان) بالبطريركية المارونية المقيمة "منذ ٦٨٥ للمسيح حتى... سنة ١٧٣٦ (في) إحدى هذه الأبرشيات الثلاث أي البترون وجبيل وطرابلس"[٢٧٢]؟

يجيب الخوري الشبابي: "... ان المارونية ثبتت في سورية فرقة كبيرة منتشرة هنا وهنالك حتى القرن الثالث عشر، وكان لها مطارين وأساقفة تدير شؤونها الروحية غير انها لم تكن في سورية أمة قائمة بذاتها كما قامت في لبنان بل كانت كباقي الرعية الأنطاكية على ما يظهر لي يخضع منها من في كل مدينة لأسقف تلك المدينة. أما بعد القرن الثالث عشر فلم نعد نجد أثراً لذلك أي بعدما انفصلت الكنيسة الأنطاكية تمام الانفصال عن الكنيسة الجامعة. كان الذين تبعوها تركوا اسم موارنة والذين ثبتوا على قويم المعتقد انضموا إلى البطريركية الأنطاكية المارونية التي أخذت منذ ذلك الوقت تقيم الأساقفة على المدن السورية التي ثبتت فيها الموارنة على قويم المعتقد"[٢٧٣]. ويضيف الخوري الشبابي: "لا شيء لدينا من نصوص وأثار يثبت أن موارنة سورية كانوا يتبعون البطريركية الأنطاكية المارونية، بعد الجيل السابع، إنما كانوا تابعين بطريركية الروم الأنطاكية التي ظلت كاثوليكية إلى ما بعد الجيل الحادي عشر على ما توضح صفحات الكتبة الثقاة من شرقيين وغربيين..."[٢٧٤].

---

270 - الشبابي، الخوري ميخائيل عبدالله: تاريخ الكنيسة...، مرجع سابق، م ١، ص ٤٤٣...
271 - المرجع السابق، المجلد الثاني، القسم الثاني، ١٩٠٦، ص ٤٠٢.
272 - المجمع اللبناني، ١٧٣٦، مرجع سابق، ص ٤٣٠.
273 - الشبابي: تاريخ الكنيسة...، مرجع سابق، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص ٤١١ – ٤١٢.
274 - المرجع السابق، ص ٤١٢.

ما هو مجال السطة التي مارستها البطريركية المارونية على الموارنة في سنواتها الأولى، قبل القرن الثالث عشر؟ يوضح الخوري الشبابي أن هذه السلطة لم تتجاوز حدود الجبل اللبناني وطرابلس، وحتى بيروت كانت على ما يبدو خارج سلطانها. ويعطي على ذلك عدة أمثلة منها: "توما اسقف بيروت قد نقله البطريرك الأنطاكي الرومي لا الماروني إلى أسقفية صور وكان نائباً عنه في المجمع الثامن الذي عقده سنة ٨٧٦"[٢٧٥]. وهو يرى: "لو كان الموارنة السوريون تابعين البطريرك الأنطاكي الماروني لكان لهم مطارين وأساقفة يسامون من البطريرك الأنطاكي الماروني ويخضعون له وهذا لا شيء منه ولا أثر له في آثار الموارنة اللبنانيين لذلك العهد، بخلاف ما كان بعد الجيل الثاني عشر"[٢٧٦].

عرقة أسقفية مارونية في القرن الثالث عشر

لدينا عن الوضع المسيحي في عرقة، في النصف الأول من القرن الثامن، بعض المعلومات التي تركها لنا واحد من أقدم الرحالة، هو الأنكلو – ساكسوني ويليبولد (Willibald)، الذي قام برحلته إلى سورية حوالي العام ٧٢٠ أو ٧٢١. ولقد نزل من البحر إلى طرطوس، ومن هناك سار مع صحبه "مسافة من ٩ إلى ١٢ ميلاً حتى بلغ حصن عرقة، حيث كان يقيم أسقف بيزنطي (grec) واستمعوا صلاة القداس على الطقس البيزنطي، ومنها تابعوا المسير لمسافة ١٢ ميلاً حتى مدينة حمص (Ēmèse)، حيث توجد كنيسة كبيرة بنتها القديسة هيلانة تخليداً للقديس يوحنا المعمدان، وحيث تم الاحتفاظ برأسه لفترة طويلة... وفيها كانوا يحضرون القداس ايام الاحاد..."[٢٧٧]. لا لذكر للموارنة بين عرقة وحمص، ولا لأسقف ماروني في عرقة، بل يذكر هذا الرحالة اسقفاً بيزنطي الطقس.

متى أصبحت عرقة أسقفية مارونية تابعة لبطريرك الموارنة؟ وهل كان وضع الموارنة فيها كوضع موارنة الجبل اللبناني أم كوضع موارنة سورية والساحل اللبناني من بيروت إلى الجنوب؟ يبدو أن ما يصح على موارنة سورية يصح على موارنة عكار وعرقة، بمعنى أنهم لم يصبحوا تابعين للبطريركية المارونية إلاّ في مرحلة متأخرة نسبياً: القرن الثالث عشر. نستدل على ذلك من غياب ذكرها في النصوص المارونية كاسقفية تابعة للبطريركية المارونية قبل ذلك التاريخ. كما نستدل عليه من النص التالي للخوري الشبابي: "بعد الجيل الثاني عشر... أخذ البطريرك الأنطاكي الماروني يقيم أساقفة على مدن سورية

---

[275] - المرجع السابق، ص ٤١٤.

[276] - المرجع السابق، ص ٤١٤.

[277] - Croisades et Pèlerinages: Récits, Chroniques et Voyages en Terre Sainte, XII^{e}-XVI^{e} siècles, Ed. Robert Laffont, Paris, 1997, p. 904-905.

حيث الموارنة يقيمون كحلب التي ترى في آثارها المارونية الطقسية ما يدل على إقامة وكلاء بطاركة للبطريرك الأنطاكي الماروني يدبر شؤون الموارنة الروحية فيها منذ أواخر الجيل الثالث عشر إلى أواخر الخامس عشر وخلفهم فيها الأساقفة. فكان أول مطران في مستهل القرن السادس عشر... وهكذا يقال عن بيروت أيضاً ودمشق وحماه وعرقة وصور وصيدا وعكا وغيرها"[٢٧٨].

صحيح أنه لطالما كانت عرقة، منذ العهود المسيحية الأولى، اسقفية لها أسقفها الخاص بها. ولكنها لم تظهر كأسقفية مارونية تابعة للبطريركية المارونية إلاّ في مرحلة متأخرة. ويبدو أن اول ذكر لعرقة كأسقفية مارونية، يعود للعام ١٢١٥، وذلك في رسالة للبابا "اينوشنسيوس الثالث، بتاريخ ٤ ك٢ سنة ١٢١٥": "يسمي فيها الكنيسة البطريركية كنيسة سيدة يانوح ويذكر أن مطرانية قزحيا وبشري وأسقفية المنيطرة ورشعين وكفرفو وعرقة خاضعة لها"[٢٧٩]. ولا توضح نصوص المجمع اللباني لعام ١٧٣٦ زمن وجود أسقفية عرقا بقولها: "ان كرسي انطاكية وعامة الطائفة المارونية هو في جبل لبنان في الدير المعروف بقنوبين. وكان تحت ولايته من المطرانيات والأسقفيات" ١٦ مطرانية وأسقية، بينها عرقة[٢٨٠]. غير أن آباء المجمع (١٧٣٦) قرروا جعل العدد إلى النصف، فزالت أسقفية عرقة من الوجود، ودخلت في أبرشية طرابلس التي "تمتد ولاية مطرانها من طرابلس والزاوية إلى عرقة وبلنياس وأرواد وأنتيرواد وجبلة واللاذقية حتى حدود حلب"[٢٨١].

هكذا يبدو لنا من خلال المتوفر من المعطيات الجدية أن عرقة صارت اسقفية مارونية في مطلع القرن الثالث عشر، واستمرت فقط حتى مجمع اللويزة (١٧٣٦) حيث أصبحت جزءاً من اسقفية طرابلس. هل كانت عرقة مركزاً يقيم فيه الأسقف، أم كانت أسقفية ملحقة بمناطق أخرى، وبالتالي لم تكن مقراً أسقفياً؟ إننا نميل إلى اعتبار أن عرقة لم تكن مركزاً أسقيا مارونياً، لاندثارها التدريجي خاصة بعد زوال الصليبيين واستقرار المماليك، ولضعف انتشار الموارنة في محيطها، ولقلة مواردهم، بحيث لا يتمكنون من تأمين حاجات الموقع الأسقفي. ومن المعروف أن أماكن الوجود الكثيف للموارنة كانت مساحات الأبرشية فيها أضيق مما هي عليه مناطق ضعف هذا الوجود. نستدل على ذلك من التقسيمات الأسقفية في المجمع اللبناني لعام ١٧٣٦، جاء في ذيل هذا المجمع، "في تعيين كراسي مطارنة الموارنة وأساقفتها وتخومها"، عندما حكم آباء المجمع المنعقد في ٣٠ أيلول ١٧٣٦: "بانحصار أبرشيات الموارنة بثمان ابرشيات فقط...:

278 - المرجع السابق، ص ٤١٤.

279 - المجمع اللبناني، ١٧٣٦، مرجع سابق، ص ٤٣١.

280 - المرجع السابق، ذيل المجمع اللبناني، ص ١٢٦.

281 - المرجع السابق، ص ١٢٦.

حلب وتوابعها؛ طرابلس وتمتد ولاية مطرانها من طرابلس والزاوية إلى عرقة وبلنياس وأرواد وانترواد واللاذقية حتى حدود حلب"[٢٨٢].

ويلقي يوسف خطار غانم الضوء على قلة أهمية عرقة، في وصفه لأبرشية طرابلس المارونية التي نشأت بموجب مقررات المجمع اللبناني لعام ١٧٣٦، بقوله: "تمتد ولاية أسقفها من اطرابلس والزاوية إلى عرقة وبلنياس (اللتين هما خراب) ورواد وجبلة وطرطوس (التي لا يوجد فيها موارنة) ولاذقية (التي يوجد فيها قليل من الموارنة وكنيسة لها خوري) إلى حدود أبرشية حلب (حيث لا يوجد في هذه الحدود موارنة) وكان أساقفتها يسكنون كسروان خارجاً عن حدودها ومنها يذهبون إلى زيارتها..."[٢٨٣].يتضح من نص غانم أن إقامة الأساقفة كانت في مناطق الجبل اللبناني، كما يتضح أن عرقة كانت قد أصبحت "خراب"، هذا فضلاً عن الاشارات الواضحة إلى قلة الوجود الماروني في هذه المساحات الشاسعة لأبرشية طرابلس.

إن المساحة الجغرافية المترامية لأبرشية طرابلس تعكس ضعف الانتشار الماروني في معظم أرجائها، باستثناء منطقة الزاوية، التي شكلت بالضرورة الجسم الأساسي المركز لموارنة هذه الأبرشية. ولو قارنا مساحة هذه الأبرشية مع غيرها لتبينت لنا حقيقة أن الأبرشيات المارونية كانت تعتمد أساساً على الحضور الماروني في الجبل اللبناني، ما بين الزاوية وكسروان. فالأبرشية الثالثة التي يذكرها المجمع: "جبيل والبترون وتمتد ولاية مطرانها على أبرشية جبيل والبترون فالعاقورة فدير الأحمر وجبة بشراي"[٢٨٤]. اكتفت هذه الأبرشية بمناطق الجبل فقط. بينما نرى الأبرشيات الباقية تمتد على أقسام من باقي لبنان أو من سورية، ويضاف لها بعض من مناطق الجبل اللبناني: "بعلبك وتمتد ولايتها إلى أبرشية بعلبك والفتوح على حدود بلاد جبيل ونصف مقاطعة غزير وقصبتها غوسطا وغزير. دمشق وتمتد ولايتها إلى أبرشية دمشق وإلى القسم الثاني من مقاطعة غزير وقصبتها عجلتون وتشمل أيضاً بسكنتا وزوق الخراب وزبوغا. وقبرس وتشمل كل قرى الجزيرة ولها أيضاً في المتن بكفيا وبيت شباب ومزارعها ثم باقي قرى المتن إلى جسر بيروت..."[٢٨٥].يتضح لنا أن الأبرشيات التي تمتد إلى خارج جبل لبنان كانت تضم إليها قسماً من مناطق الجبل، بحيث تكون هذه المناطق هي القاعدة الأساسية لهذه الأبرشيات. ولم تكن أبرشية عرقة، ما قبل العام ١٧٣٦، لتشذ عن هذه القاعدة إذ نرى توقيع اسقفها على وثائق

---

282 - المرجع السابق، ص ١٢٦، وص ١٨٠.

283 - غانم، يوسف خطار: برنامج أخوية القديس مارون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٣، ص ٢٤٣ – ٢٤٤.

284 - المرجع السابق، ص ١٢٦، وص ١٨٠.

285 - المرجع السابق، ص ١٢٦ – ١٢٧، وص ١٨٠ – ١٨١. راجع أيضاً: الأب ابراهيم حرفوش، "الأديار القديمة في كسروان"، المشرق، العدد ٣، ١٩٠٣، ص ١١٨.

الاعداد لمجمع اللويزة ومقرراته باسم "الياس رئيس أساقفة عرقة وكسروان"، موقعاً على العريضة الموجهة إلى البابا وفي التماسه ايفاد يوسف سمعان السمعاني للمساعدة في إصلاح وضبط الكنيسة المارونية[٢٨٦].

إن أقدم ثاني ذكر لأسماء أساقفة على عرقة وعكار جاء في مطلع العقد الأول من القرن الرابع عشر، إذ ورد في: "كتاب الشرطونية الذي بخط يد البطريرك أرميا العمشيتي كان محفوظاً في دير مار سركيس راس النهر الذي في قرية أهدن والبطريرك اسطفانوس الدويهي جعل اعتماده عليه واجتهد في مقابلته على الشرطونية التي نسخها الخوري مرقس لمتاوش أسقف عرقا وعكار ١٦٢٢ يونانية الموافقة ١٣١١ مسيحية..."[٢٨٧].

يجب انتظار منتصف القرن السادس عشر، حتى نصادف، للمرة الثالثة، في الوثائق والمراجع المتوفرة لنا، مطراناً على المنطقة باسم أنطون، في مخطوطة لكتاب الهدى: "سنة ١٨٦١ يونانية (١٥٥٠م) تممت هذا الاعتقاد في قرية شويتا بناحية عكار، من نسخة كتاب المطران أنطون أسقف الرعية..."[٢٨٨]. ولعل المطران أنطون هذا هو "الأسقف أنطونيوس الحصروني ابن الحاج فرحات صير أسقفاً على أهدن... سنة ١٥٥٠"[٢٨٩]. نستدل على ذلك مما ذكره الدبس بقوله: "وكان أن أسقف الملكية بعكار استحوذ على دخل الموارنة بناحية عرقا وعكار سبع سنين، فشكاه المطران أنطونيوس إلى محكمة طرابلس فأمر القاضي أن يضع يده على مداخيل مطران الملكية سبع سنين ليستوفي حقه، واكرم البطريرك موسى ألمطران أنطونيوس أن يتصرف بعشور بلاد عكار ما دام حياً"[٢٩٠]. يعني ذلك أن اسقفية عكار كانت تدار من قبل مطران أهدن في حينه.

لا يعني ذلك عدم وجود أساقفة على عرقة قبل ذلك التاريخ، غير الذين أتينا على ذكرهم. ولكن غياب التقسيمات الجدية لحدود الأبرشيات، وغياب القيود المتكاملة، وغيره من الأمور، مما يعكس ضعفاً في تكوين وتنظيم الكنيسة المارونية، (فضلاً عن قصورنا عن بلوغ مراكز الوثائق الغنية بمعلوماتها، وعجزنا عن التعامل مع غير النصوص العربية والفرنسية لجهلنا الشخصي بالسريانية واللاتينية...)، لمما يجعل من الصعوبة بمكان تقرير تسلسل تاريخي متماسك لأبرشية عرقة ومناطق عكار وأساقفتها.

---

[286] ـ المجمع اللبناني، ١٧٣٦، مرجع سابق، ص ٣.

[287] ـ حرفوش، الأب ابراهيم: "الرسامات..."، المنارة، السنة التاسعة، ١٩٣٨، ص ٢٢٩.

[288] ـ فهد، الأباتي بطرس: كتاب الهدى...، مرجع سابق، ص ٦٣.

[289] ـ الدبس، المطران يوسف: الجامع المفصل...، مرجع سابق، ص ٢٦٦.

[290] ـ المرجع السابق، ص ٢٦٦.

وفي غياب التقسيم الجدي للأبرشيات يقول الخورسقف يوسف داغر، في عرضه لسيرة البطريرك يوحنا اللحفدي (١١٥١ - ؟): "سام أربعة أساقفة لمساعدته في إدارة شؤون الطائفة ولم يكن في تلك الأيام (منتصف القرن الثاني عشر) من تقسيم قانوني للأبرشيات فكان البطريرك يدير الطائفة ويشرف على إدارة كل مطران بملء سلطانه"(٢٩١). ولقد أشار إلى نفس هذه المسألة د. ساسين عساف، في معرض رسمه صورة ل"وضع الطائفة المارونية في النصف الثاني من القرن السادس عشر"، حيث يقول: "للموارنة رئيس روحي يسوسهم يلقبونه باسم بطريرك له تحت أمره ستة مطارنة وستة أساقفة ليس لهم كرسي خاص يغلب عليهم الفقر وعلمهم زهيد..."(٢٩٢).

وهذا ما لاحظه تقريباً الأب دنديني بقوله: "البطريرك... له وحده الحق بإدارة شؤون الطائفة الروحية في لبنان إلاّ في الأماكن البعيدة فيعين لها من ينوب عنه. ولما كان يتعذر على البطريرك زيارة الأبرشيات البعيدة الشقة المترامية الأطراف فيتخذ له ثلاثة اساقفة مسعفين يقيمون لديه: أحدهم يتولى إدارة الكرسي البطريركية... أما الأسقفان الآخران فيتوليان زيارة الأبرشيات. ويوجد غير هؤلاء ثلاثة اساقفة في الخارج مفوضون تفويضاً مطلقاً بما يخص تدبير أبرشياتهم. الأول يقيم في دمشق، الثاني يقيم في حلب، والثالث يقيم في جزيرة قبرس"(٢٩٣).

وفي ما خص ضعف التنظيم وغياب القيود، وما يشكله ذلك من صعوبة بالغة في وضع تاريخ الكنيسة المارونية أو تاريخ بعض مواقعها، يقول د. ساسين عساف، شارحاً ما اعترضه من عقبات في بحثه حول أول مجمعين مارونيين(في القرن السادس عشر): "العقبة الأولى التي واجهتنا، في بحثنا، هي عدم وجود وثائق – أصول تتعلق بالبحث. ولقد استفسرنا من بعض المؤرخين الثقاة المطلعين على وثائق البطريركية المارونية، وعلى الوثائق المتعلقة بالطائفة المارونية في مكتبة الفاتيكان وفي غيرها من المكتبات الهامة، فكان الجواب أنه لا وجود، حتى الآن، لمقررات هذين المجمعين..."(٢٩٤).

وهذا ما لاحظه الأب ايرونيموس دنديني، ودونه، في أكثر من موضع في تقريره عن رحلته إلى لبنان في العام ١٥٩٦، حيث يقول: "يمنح الأسقف

---

291 - داغر، الخورسقف يوسف: بطاركة الموارنة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧، ص ٢٨.

292 - عساف، د. ساسين: "البطريركان موسى العكاري وميخائيل الرزي والمجمعان المارونيان الأولان"، المنارة، السنة ٢٤، العدد الأول، ١٩٨٣، ص ١٤.

293 - دنديني، الأب إيرونيموس: رحلة الأب إيرونيموس دنديني إلى لبنان سنة ١٥٩٦، عربها الخوري يوسف يزبك العمشيتي، مطبعة جريدة العلم، بيت شباب (لبنان) ١٩٣٣، ص ٥٤.

294 - المرجع السابق، ص ١٢.

الدرجات، أي درجات الكهنوت في أيام الأعياد دون قيد..."[٢٩٥]؛ و"لا يوجد في كنائسهم الخمسة الكتب التي يسجل الأشابين أسماء من يعمدونهم فيها"[٢٩٦]؛ و"لا يشاهد في كنائسهم سجلات تكتب فيه اسماء المتزوجين والشهود والمحل واليوم والسنة"[٢٩٧].

لا يرد في المجمع الذي عقده البطريرك موسى العكاري ذكر لأسقف عرقة. والنص الذي يخبر به البطريرك الدويهي عن هذا المجمع سمى بعض الأساقفة وأغفل ذكر أسماء الآخرين: "في سنة اننز (أي عام ١٥٥٧م الموافقة لعام ٩٦٥ هـ) أقام البطرك موسى مجمع في نهار خميس الأسرار، وقدّس الميرون، وكان حاضر المطران قورياقوس والمطران داوود والمطران ملكا الحبيس الذي حمل الميرون وخمس مطارنة غيرهم..."[٢٩٨].

وفي المجمع الذي عقده البطريرك ميخائيل الرزي في العام ١٥٦٩، يرد اسم أسقف عرقة بين الموقعين على التقرير الصادر عنه: "وكتب المجتمعون تقريراً وممن وقعوا عليه... وسركيس الرزي أسقف عرقا وغيرهم"[٢٩٩]. وفي هذا الأسقف يقول البطريرك اسطفان الدويهي: "في سنة انسط مسيحية (١٥٦٩ الموافقة لعام ٩٧٧هج) البطرك قسم (أي رسم أو سام) أخاه الحبيس سركيس أسقفاً على عرقا وأقام مجمعاً... حضر فيه... وسركيس أسقف عرقا..."[٣٠٠].

وفي الرسالة الموجهة إلى الكرسي الرسولي والصادرة عن اللقاء – المجمع الذي عقده البطريرك ميخائيل الرزي، عام ١٥٧٩، بحضور الموفد البابوي، لا نرى توقيع أسقف بوصفه أسقف عرقة[٣٠١]. وكذلك هي الحال في المجمع الذي عقد في قنوبين في العام ١٥٨٠[٣٠٢]. ولا يختلف الأمر أيضاً في المجمع الذي عقده البطريرك سركيس الرزي سنة ١٥٩٦[٣٠٣]. ويبدو أن أساقفة أهدن كانوا يديرون شؤون أسقفية عرقة طيلة هذه الفترة، ولعل الأمور استمرت على هذه الحال لفترة طويلة، إذ لم نتمكن من العثور على أسماء أساقفة معنيين بعرقة حتى نهاية القرن السابع عشر. ولكننا نظن أن مطران جرجس عميرة

---

295 - دنديني، الأب إيرونيموس: رحلة...، مرجع سابق، ص ٦٤.
296 - المرجع السابق، ص ٦٧.
297 - المرجع السابق، ص ٧٠.
298 - الدويهي، البطريرك أسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٢٣.
299 - الدبس، المطران يوسف: الجامع المفصل...، مرجع سابق، ص ٢٤٥.
300 - الدويهي، البطريرك أسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٣٥.
301 - فهد، الأباتي بطرس: بطاركةالموارنة وأساقفتهم في القرن ١٦، ١٩٨٢، ص ٨٧.
302 - الطبر، الأب سركيس الأنطوني: "البطريرك ميخائيل الرزي ومجمع دير سيدة قنوبين"، المنارة، السنة ٢٤، العدد الأول، ١٩٨٣، ص ٤٥ – ٤٦.
303 - دنديني، الأب ايرونيموس، رحلة...، مرجع سابق، ص ١٠٦؛ والمطران يوسف الدبس، الجامع المفصل، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

مطران اهدن كان في مطلع القرن السابع عشر يدير شؤون عرقة وعكار، لأنه هو الذي رقى اسحق الشدراوي، عام ١٦١٩ وعام ١٦٢٠ إلى الكهنوت[٣٠٤].

ففي ٧ أيلول من العام ١٦٩٨، يترقى الخوري حنا محاسب إلى أسقفية عرقا: "في ٧ أيلول سنة ١٦٩٨ ارتسم الخوري يوحنا محاسب مطراناً على عرقا ودير مار شليطا مقبس بحضور المطارين جرجس حبقوق وبطرس مخلوف ويوسف الشامي. وكانت وفاته سنة ١٧١٢"[٣٠٥]. وفي العام ١٧١٧ صار الياس محاسب مطراناً على عرقة: "في ١٤ أيلول ١٧١٧ ارتسم الخوري الياس محاسب الغسطاوي مطراناً على مدينة عرقا ودير مار شليطا مقبس وكان مقلداً زيارة رعية المتن والجرد وبلاد جبيل وبلاد البترون والفتوح وهو من آباء المجمع اللبناني وكانت وفاته في ٢٧ آب ١٧٤٨ في دير مار شليطا مقبس"[٣٠٦]. وفي العام ١٧٤٨، بعد وفاة المطران الياس محاسب تسلم أبرشية عرقة المطران أنطون محاسب: "في سنة ١٧٤٨ارتسم الخوري أنطون محاسب الغوسطاوي مطراناً على عرقا ودير مار شليطا مقبس وتسلم رعية جبيل والبترون والفتوح وكانت وفاته في ١٣ أيلول سنة ١٧٨٠ في الدير المذكور"[٣٠٧]. نكتفي بذكر هؤلاء المطارين الذين عهد إليهم أمر تدبير أبرشية عرقا، ونسجل الملاحظة التي سبق وأبديناها بخصوص ضعف الانتشار الماروني في عكار، لا سيما وأنه كان لهؤلاء الأساقفة بالاضافة إلى عكار أهتمامات أخرى في دير مار شليطا مقبس، فضلاً عن رعية واسعة الأرجاء وكثيفة الحضور الماروني فيها كالبترون وجبيل.

إن الدور الوحيد الذي لعبه أحد أبناء عكار في القيادة المارونية، لا سيما الروحية منها، هو ذلك الدور اليتيم الذي جسده البطريرك موسى العكاري، وهو البطريرك الوحيد الذي قدمته عكار، من قرية الباردة المجاورة للقبيات. لقد رقي إلى الكرسي البطريركي بعد وفاة البطريرك سمعان الحدثي، في أواخر ت٢ من العام ١٥٢٤، وفي ١١ ك١ تم انتخابه بطريركاً على الطائفة. استمر في السدة البطريركية، حوالي ٤٢ عاماً، حتى سنة ١٥٦٧. ويبدو أن هذا البطريرك ساهم في نمو الموارنة في عكار، بالرعاية الروحية والزمنية. وفي أيامه نلحظ للمرة الوحيدة قيام قيادة الموارنة الروحية في العمل على بناء كنيسة للموارنة في

---

304 - الدبس، تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٧، ص ٢٨٦.

305 - حرفوش، الأب ابراهيم: "الكنوز المخفية... الرسامات"، المنارة، السنة التاسعة، العام١٩٣٨، ص ٤٦٩؛ ورد نفس الخبر في المنارة، السنة الثالثة، ١٩٣٢، ص ٥٩٢: "سنة ١٦٩٨... في ٧ من أيلول انتخب... الخوري حنا ابن محاسب مطران على عرقا. ودير مار شليطا يكون مقيد فيه بحضور اخواننا المطران جرجس ابن حبقوق والمطران بطرس ابن مخلوف والمطران يوسف الشامي".

306 - المرجع السابق، المنارة، ١٩٣٨، ص ٤٧٢.

307 - المرجع السابق، ص ٤٧٧.

عكار: "ويذكر الخوري شمعون ابن القس موسى في الميمر الذي ولفه أن البطرك موسى في هذه السنة (١٥٥٧) عمر دير مار جرجس في أرض شدرا بأمر القاضي والأمارة"(٣٠٨).

ولا نعثر في كل التاريخ الماروني العكاري على غير أسقفين اثنين من عكار هما يوحنا الشدراوي واسحق الشدراوي. وفي الأول يقول المطران الدبس: "اما الأساقفة الذين رقاهم البطريرك يوحنا مخلوف فنعرف منهم يوحنا الشدراوي وقد ذكره الدويهي في تاريخ سنة ١٦٠٩م(٣٠٩) قائلاً ان هذا البطريرك رقى فيها إلى الأسقفية الخوري يوحنا الشدراوي. وقد ذكره المطران اسحق الشدراوي في مقدمة غرامطيقه، وقال إنه عم أبيه وأنه كتب إليه رسائل عديدة في هذا التأليف فأفادته..."(٣١٠).

أما المطران اسحق الشدراوي فيقول الدبس فيه: "الأسقف اسحق الشدراوي، ذكر السمعاني ترجمته في المجلد الأول من المكتبة الشرقية صفحة ٥٥٢ فقال ما ملخصه؛ دخل مدرسة الموارنة في روما سنة ١٦٠٣ فأقام فيها إلى سنة ١٦١٨م وبرع من خلال هذه المدة في اقتباس اللغات اللاتينية والسريانية والعربية والعلوم السامية، فرقاه جرجس عميرة مطران أهدن وقتئذ إلى الدرجات الصغار سنة ١٦١٩م، وفي السنة التالية رقاه إلى درجة الكهنوت وجعله رئيس كهنة بيروت... وفي ٢٥ أذار سنة ١٦٢٩ رقاه البطريرك يوحنا مخلوف إلى الأسقفية على طرابلس"(٣١١). وعلى كل حال ليس من الواضح متى نزحت عائلة الشدراوي عن شدرا، وكيف كانت صلات هذين الأسقفين بعكار. فالمطران الدبس يشير إلى ما يفهم منه ارتحالهما نهائياً عن تلك البلدة منبتهما: "وتوفي المطران اسحق سنة ١٦٦٣م في مدينة جبيل ودفن في كنيسة مار يعقوب التي في سهل جبيل. ومن التقليد أن المطران المذكور هو جد آل طربيه من طرابلس وجبة بشري. وكان أحدهم ترجماناً لقنصل فرنسة منذ أيام البطريرك الدويهي"(٣١٢).

---

308 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

309 - في طبعة الأباتي بطرس فهد ذكره في تاريخ سنة ١٦٠٧: "وفي هذه السنة (سنة اسز أي ١٦٠٧ مسيحية الموافقة لعام ١٠١٦ هج) انتدب إلى رياسة الكهنوت يوحنا الشدراوي"، الدويهي: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٦٠.

310 - الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية...، مرجع سابق، ج ٧، ص ٢٨٥.

311 - المرجع السابق، ص ٢٨٦.

312 - المرجع السابق، ص ٢٨٧.

الضعف العكاري في الكنيسة المارونية

لم يظهر لعكار أثر كبير في مرحلة تطوير وتجديد النخبة الكنسية المارونية. نستدل على ذلك من موقعها في المدرسة المارونية في روما، ومن حجم الطلاب العكاريين الذين التحقوا بهذه المدرسة. لقد وضع الخوري ناصر الجميل لائحة بأسماء طلاب هذه المدرسة، موزعة على الأقضية ومناطق الانتشار الماروني. فكان من نصيب عكار، من أصل ما مجموعه٣٠٩ تلميذ، ستة فقط، مقابل ٤٥، في قضاء زغرتا، و٤٣ بشري، و٣٣ كسروان، و١٨ جبيل، و٩ بيروت، و٩ طرابلس، و٩ البترون، و٩ صيدا، و٦ المتن..."[٣١٣]. من هذه المقارنة نلحظ ضعف الحضور الماروني في عكار وهو أكبر من أي منطقة أخرى من المناطق المذكورة. ولا بأس أن نستعرض أسماء طلاب عكار في هذه المدرسة وأصولهم الاجتماعية ومناطق وجودهم، حسب التسلسل في ورود الأسماء: ١- الرقم ٣١، اسحق الشدراوي، سنة ١٦٠٣؛ ٢- الرقم ٣٢، سركيس الشدراوي (شقيق اسحق)، سنة ١٦٠٣؛ ٣- الرقم ٤٩، يوسف الشدراوي، سنة ١٦٢٠؛ ٤- الرقم ٦٩، يعقوب الشدراوي (وهو ابن المطران اسحق)، سنة ١٦٣٤؛ ٥- الرقم ٧٠، يوحنا الشدراوي (الأبن الثاني للمطران اسحق)، سنة ١٦٣٤؛ ٦- الرقم ٢٠٦، يوسف الشدراوي، سنة ١٧٢٥[٣١٤]. يتضح من مجرد قراءة الأسماء أن التلاميذ يقتصرون على عائلة عكارية (؟) واحدة وموضع واحد فقط، شدرة!

ويبدو أن الانتشار الماروني الراهن يعكس نفس مواقع الانتشار الماروني السابق تقريباً. في القبيات وجوارها، في الدريب، في بقرزلا، في القريات... ولنا في الوثيقة العائدة لعام ١٥٧٩، التي نشرها الأب طوبيا العنيسي في ما جمعه من وثائق نشرها باللاتينية باسم "البينات المارونية"[٣١٥]، ما يفيدنا في معرفة بعض المواقع المارونية الهامة، وبعض كهنة الموارنة في الربع الأخير من القرن السادس عشر. ولقد ترجم الأباتي بطرس فهد قسماً كبيراً من نص هذه الوثيقة[٣١٦]. يهمنا في هذا النص أسماء الأماكن والأشخاص الموقعين على مضمونه وصفاتهم الكهنوتية، بعد توقيع الأساقفة. وليس في الوثيقة ما يشير إلى انتسابهم لعكار، يرد في نص الأباتي فهد: "نحن البرديوط سمعان والبرديوط سركيس من قرية قبيات"، وذلك كترجمة ل: Archiepresbiter Simeon et Archipresbiter Sergius de villa Cariat et Cabiat.

---

313 - الجميل، الخوري ناصر: المدرسة المارونية الحبرية الرومانية، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٦٠- ١٦١.

314 - المرجع السابق، راجع: ص ١٦٧ – ٢٠٤.

315 - ANAISSI, P. Abbas Tobias Maronita: Collectio Documentorum Maronitarum ..., Liburni, 1921, pp. 87-89.

316 - فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة ... في القرن ١٦، مرجع سابق، ص ٨٦ – ٨٧.

وعليه اعتبر الأباتي فهد أن "villa Cariat et Cabiat " تعني قرية القبيات، هذا بينما نرى فيها موضعين: قريات، أو قرَية، وقبيات. ولدى مراجعتنا لنسخة النص اللاتيني في مكتبة الكسليك وجدناها وقد تعرضت لاجتهاد في "التصحيح" باليد وتناول "التصحيح" تعديلاً لحرف العطف (et) وتحويله إلى أدات تعريف (el)، بحيث أصبحت: "villa Cariat el Cabiat ". وهذا ما لم نجده في نسخة المكتبة الشرقية في بيروت، التابعة للآباء اليسوعيين.

وجاء عند الأباتي فهد: "...الخوارنة ميخائيل وموسى ومن معنا من الكهنة في قرية كسارى..."، كترجمة ل:

Archiepresbiter Michael et Archipresbiter Moyses et reliqui sacerdotes nostri de villa Xaraa . نظن هنا أيضاً أن البرديوطين أو الخورسقفين ميخائيل وموسى، من "الشعره" مكان "كسارى" التي يقترحها الأباتي فهد.

ويكتب الأباتي فهد: "نحن الكهنة الياس وموسى وكهنة قرية أنطاشيد.."، كترجمة ل: Nos humiles sacerdotes de villa Anteched, Archipresbiter Helias et Archipresbiter Moyses . ونعتقد الصواب: نحن كهنة قرية عندقت البرديوط الياس والبرديوط موسى وكهنتنا.

الأباتي فهد: "نحن كهنة قرية غوسطا والخوري لعازر والخوري بطرس ويوحنا..." ترجمة ل: Nos humiles presbiteri de villa Exuyta, Archipresbiter Lazarus et Archipresbiter Petrus et presbiter Ioanna . ولعل الأصح قولنا: البرديوط عازار وبطرس والخوري يوحنا من قرية شويتا (أشويتا).

تجاوز الأباتي فهد المقطع التالي: .Archipresbiter Xahata de villa Manges ونراه يعني البرديوط شحاده من قرية منجز. لا نرى بديلاً عن قول الأباتي فهد: "الخوري موسى ويعقوب من قرية سيريس" كترجمة ل: Archipresbiter Moyoses et Archipresb. Jacobus de villa Seryse. وكذلك قوله: "الخوري رزق الله من قرية درغمين"، كترجمة ل: Archipresbiter Reschalla de villa Dergamin . ويقول الأباتي فهد: "كهنة قرية حرب ممرا وقرية حاين وبرده"، كترجمة ل: Presbyteri villae Harb Mambra et villae Hayn et Borde . ونظن الأصح قرية حب نمرا وقرية العين والبارده.

ويتابع الأباتي: "الخوري يوحنا من قرية برحاليم" كترجمة ل: Presbyter Ioannes de villa Carat Berhelium . ولعلها: الخوري يوحنا من قرية قارة برحليوم. وهنا تعرض نص نسخة مكتبة الكسليك "للتصحيح" (Carat) فأصبحت (Cariat).

إننا نميل إلى اعتبار المواضع المذكورة في هذه الوثيقة عكارية بمجملها، ذلك أن حضور الأساقفة يغني عن حضور عامة الأكليروس، إلاّ إذا لم يكن هناك أساقفة ممثلون لتلك المناطق، وهذه هي حالة عكار كما نظن. وإذا صح هذا الاعتبار يكون من المبالغة الكلام عن برديوط أو خورسقف (Archipresbiter) في كل من القريات والقبيات وعندقت (إثنان) والشعره (إثنان) وشويتا (إثنان) ومنجز وسيريس ودرغمين. وحتى لو اقتصر الأمر على القبيات ومنجز وعندقت لما كان الوضع يحتاج فيها إلى هذا العدد من وكلاء الأساقفة. ولو أن الأمر على هذه الشاكلة لما كان هناك ما يحول دون سيامة أسقف من بين كل هؤلاء. ولعل الأمر مبالغة في اعتماد أوصاف كهنوتية لم تكن مطابقة لواقع الحال. وهذه حال كانت واردة في القرن السادس عشر كما يدل التعليق الوارد في "كتاب الهدى" على توصيف القس سمعان لنفسه بأنه "أرخيدياقن"[٣١٧]. كما أشار المجمع اللبناني (اللويزة) ١٧٣٦، إلى هذا الخلط بين الدرجات وحذر من الاستمرار فيه وحث على ضبطه[٣١٨].

إن هذه الوثيقة أكثر دلالة على المواقع الجغرافية للوجود الماروني مما هي دالة على الحجم الماروني، لأن القبيات، على سبيل المثال، لم تكن بحاجة إلى خورسقف أو برديوط وهي قليلة السكان كما سبق ولاحظنا في مكان سابق، استناداً إلى معطيات الأرشيف العثماني. ولا تساعد المعطيات والأسماء الواردة في هذه الوثيقة في معرفة منبت رجال الدين المذكورين، وما إذا كانوا من القرى المذكورة أو يقومون فقط بخدمتها، بينما هم من مناطق أخرى. وهذا أمر لا تحسمه غير سجلات الرسامات وهي مفقودة، ولم تكن معتمدة بشكل منتظم كما تبين لنا سابقاً.

ونعلم من أقدم كهنة الموارنة في عكار، استناداً لما هو وارد في شتى الحوليات المارونية، "الخوري شمعون ابن القس موسى القبياتي" وقد ذكره الدويهي في أخبار العام ١٥٥٧[٣١٩]. ولا نستطيع الحسم في ما إذا كانت كنية القبياتي تعني أن حاملها من القبيات (عكار)، ففي سجل عماد قديم في دير جنين يرد في تدوين حالة عماد تعود للعام ١٨٦١: "مخول القبياتي من عين

317 - فهد، الأباتي بطرس: كتاب الهدى...، مرجع سابق، ص ٦٥.
318 - المجمع اللبناني، ١٧٣٦، مرجع سابق، ص ٢٨٧ - ٢٨٨
319 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

التنور"[٣٢٠]. ويفيدنا البطريرك الدويهي عن مقتل القس دانيال العكاري، في أخبار العام ١٦٢١[٣٢١].

وقد تبين لنا من مراجعاتنا للشرطونيات والرسامات التي توفرت لنا قراءتها أن قسماً كبيراً من كهنة عكار في نهاية القرن السابع عشر كانت من خارج عكار. في شرطونية بخط يد البطريرك اسطفان الدويهي وردت رسامة بعض الكهنة في عكار. نسجل أسماءهم على التوالي. في العام ١٦٧٠ يرد اسم كاهن من حصارات مرتسماً على كنيسة في بقرزلا: "وفيها (١٦٧٠) في ٢٧ من ك١ انتخب... موسى الحصاراتي قسيساً على مرت مورا البقرزلا (بلاد عكار)"[٣٢٢]. وفي العام ١٦٧٣ يرتسم أحد الكهنة من قرية "دنيت" أو "أدنيت" (قرية مندثرة اليوم كانت تقع بالقرب من أيطو وفوق سرعل) على كنيسة الأربعين في القبيات: "١٦٧٣،... القبيات – أدنيت: وجرجس من أدنيت قس على كنيسة الأربعين في القبيات"[٣٢٣]. ولقد تمت ترقية هذا القس الأدنيتي إلى درجة برديوط، في العام ١٦٧٨: :في ٤ أيلول (١٦٧٨) رفع الثالوث المقدس جرجس الأدنيتي خادم القبيات من درجة القسوسية إلى البردوطية"[٣٢٤]. وفي العام ١٦٧٩، يظهر مجدداً اسم كاهن بكنية "القبياتي": "القبيات - في ١٦ من شهر آب المبارك (١٦٧٩) انتخب الثالوث المقدس الشدياق بطرس القبياتي قس على كنيسة الأربعين في القرية"[٣٢٥]. ولقد كان الخوري يوسف الدويهي خادماً لرعية عندقت لدى وفاته ودفنه فيها في العام ١٧٠٥[٣٢٦]. وفي العام ١٦٨٠، يرتسم أحد الكهنة وهو من زوق الخراب على قرية البهلولية: "(١٦٨٠) في ٢ من أسباط انتخب... الشماس بطرس من زوق الخراب قس على البهلولية. وهي في جوار مدينة اللاذقية وموارنة اللاذقية في يومنا أصلهم من البهلولية انتقلوا

---

320 - سجل عماد تابع لدير جنين، ص ٢٥. والسجل عبارة عن دفتر قياس ١٦ × ١٠ سنتم، أوراقه غير مسطرة، فيه بعض الصفحات بالسريانية، عددصفحاته المرقمة ٢٠٧. يبدأ السجل بتاريخ ١٨٥٨، فيه بعض حالات الزواج والوفاة. وقد مكننا من قراءته د. فؤاد سلوم مشكوراً.

321 - الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، مرجع سابق، ص ٤٨٣: "وفيها (أي سنة ١٦٢١)... قتل القس دانيال العكاري وكان مترهب في (دير مار توما بأرض حصرون)".

322 - الأب ابراهيم حرفوش، "الكنوز المخفية...، آثار الدويهي، الرسامات، نقلاً عن شرطونية بخط يده"، المنارة، السنة الثالثة، ١٩٣٢، ص ٤٩٤.

323 - المرجع السابق، ص ٤٩٦. وورد نفس الخبر بقلم الأب اغناطيوس طنوس الخوري، تاريخ أبرشية...، مرجع سابق، الدفتر الثاني، ص ٦٨: وفيه يعين تاريخ هذه الرسامة في ٩ أيلول ١٦٧٣، عن رسامات البطريرك الدويهي، في ص٣ من الملف رقم ١٩٠ في مخطوطات بكركي.

324 - المرجع السابق، ص ٤٩٩ – ٥٠٠.

325 - المرجع السابق، ص ٥٠١.

326 - المرجع السابق، ص ٥٠١، الحاشية: "فلما كان تاريخ سنة ١٧٠٥ في ثاني يوم من كانون الأول انتقل الخوري يوسف الدويهي إلى رحمة الله وكان انتقاله في عنتقد (عندقت) ودفن في كنيسة القرية المذكورة وهي كنيسة القديس مار شليطا... خدم الخوري يوسف بيت شباب وعندقت...".

منها إلى اللاذقية"[٣٢٧]. وفي العام ١٦٨٨ تمت سيامة أخرى على نفس الرعية: "في سنة ١٦٨٨... البهلولية – في ١٤ ت٢ انتخب... الشماس جبرايل ابن الهدار على رعية البهلولية قساً"[٣٢٨]. وتسجل الشرطونية نفسها تعيين أحد الكهنة على بلدة بقرزلا، ولكنها لا تحدد منبته: "سنة ١٦٩١... بقرزلا – في ١٤ من شهر أذار انتخب... الشماس شمعون قسيساً على كنيسة مرت مورا بقرزلا"[٣٢٩]. ويرد في الشرطونية انتخاب "الشماس سركيس الشدراوي (شدرا) قسيساً على الدير المذكور (قنوبين)"، في الثامن من سنة ١٦٩٩[٣٣٠]. وفي العام ١٧٠٠ "بان – وادي صفره والمرقب – في ١٨ من آب انتخب... الشماس أنطونيوس ابن القس بطرس الباني قسيساً على وادي صفره والمرقب"[٣٣١]. وفي العام ١٧٠١، يظهر للمرة الأولى أحد أبناء القبيات قساً على قرية خارج عكار: "سنة ١٧٠١... القبيات – قنات : في ١٣ أذار انتخب... الشماس عبدالله القبياتي قس على مار شينا قنات والعرقوب"[٣٣٢]. وهاكم أحد أبناء أيطو قساً على البهلولية: "سنة ١٧٠١... أنطوش البهلولية – في ١٩ آب انتحب الثالوث... الشماس حنا التلاج الأيطوني قس على مار جرجس البهلولية"[٣٣٣]. وفي نفس العام : "دير جنين عكار – في ١٥ ت١ انتخب... الشماس فرح عويضه قس على مار جرجس دير جنين"[٣٣٤].

يتضح من المعطيات السابقة أن عكار بقيت ختى مطلع القرن الثامن عشر "تستورد" كهنتها من خارج القضاء، مما يعكس الضعف في تطور الرعية المارونية في المنطقة. وكنا بحاجة لسجل الرساملت المتعلقة بعكار، للفترة الممتدة من أوائل القرن الثامن عشر حتى مطلع العقد الثالث منه، لنتمكن من رصد كيفية تمكن القبيات وبعض المناطق العكارية من كفاية نفسها لحاجتها إلى الكهنة.

بيد أن سجل الرسامات، الواردة في شرطونية المطران ميخائيل البلوزاوي (١٧٣٤ – ١٧٥٣)، يزودنا بمعطيات مفيدة للفترة اللاحقة حتى منتصف القرن الثامن عشر. "في سنة ١٧٣٧ انساموا من يدي شمامسة في قرية البهلولية يوسف ابن بو يوسف سليمان وأنطون ابن القس عيسى ومنصور براهيم

---

[327] - المرجع السابق، ص ٥٠٣. ونظن البهلولية مقابل بلدة منجز على الضفة المقابلة للنهر الكبير، وما تزال قرية عامرة.

[328] - المرجع السابق، ص ٥٨٥.

[329] - المرجع السابق، ص ٥٨٥.

[330] - المرجع السابق، ص ٥٩٣.

[331] - المرجع السابق، ص ٥٩٤.

[332] - المرجع السابق، ص ٥٩٥.

[333] - المرجع السابق، ص ٥٩٥.

[334] - المرجع السابق، ص ٥٩٥.

وابن رومانوس"[٣٣٥]. "وفي سنة ١٧٣٨ ارتسم من يدي أنا الحقير في الروسا قس عبدالله ابن بو براهيم في البهلولية على مذبح السيدة"[٣٣٦]. وفي في نفس السنة "انتخب الثالوث الأقدس قس سليمان ابن قس يوسف الدبوريه على مذبح السيدة في قرية عبه تابع بلاد المرقاب"[٣٣٧]. وتتابع الشرطونية ذكر الرسامات: "انتخب الثالوث الأقدس قس بولس ابن الخوري أنطون الباني على مذبح مار جرجس في قرية وادي صفره تابع بلاد المرقب في ١٥ من شهر أذار سنة ١٧٣٨... القس انطونيوس ابن البحري على مذبح السيدة في وادي صفره في ١٧ أذار من سنة ١٧٣٨... انتخب الثالوث الأقدس القس مخايل ابن سعد على قرية بقرزلا من بلاد عكار وذلك في سنة ١٧٤٤م في أول شباط... القس جرجس من القبيات[٣٣٨] على مذبح السيدة في قرية بقطوا تابع بلاد الزريب وذلك سنة ١٧٤٤ في أول شباط... سنة ١٧٥١ انتخب الثالوث الأقدس القس يوسف والد سليمان من بيت عطيرا قساً على مذبح السيدة في قرية البهلولية... وفي سنة ١٧٥٣ ارتقى القس يوسف إلى درجة الخورنية على مذبح السيدة البهلولية في ١١ كانون الثاني... ارتقوا الشمامسة التروعة (؟) سنة ١٧٥٣م، الشماس يعقوب ابن بو رعده، الشماس انطانيوس ابن براهيم منصور، الشماس أنطون ابن الخوري يوسف عطيرا، الشماس محفوظ رزوق، والشمامسة يوسف وسمعان وطنوس ابن شديد في البهلولية... ارتقى إلى درجة الشدياقية الشمعدانية الشدياق انطون ابن القس عيسى من قرية البهلولية"[٣٣٩].

تعكس معطيات هذه الشرطونية توسعاً في الأهتمام بمنطقة عكار، لا سيما قسمها السوري، كما أنها تعبر عن تطور النمو الماروني في المنطقة باندراج أبنائها، أكثر فأكثر، في سلك الكهنوت. ولربما كان هذا التطور نتيجة لقدوم عائلات جديدة أو لتسارع مورنة العائلات التي كانت مقيمة سابقاً فيها. كما يلاحظ أيضاً تعيين أحد أبناء القبيات كاهناً على إحدى قرى الموارنة في سورية. ومن الجدير ذكره هو أن هذه الشرطونية تذكر أول تكريس لكنيسة في القبيات، كنيسة الأربعين، التي كانت الكنيسة الوحيدة في البلدة: "وأيضاً في سنة ١٧٣٤م في أول كانون الثاني كرّست كنيسة القبيات تابع بلاد عكار على اسم الأربعين شاهد"[٣٤٠]. نقتصر كلامنا على التطور العكاري في سلك الكهنوت الماروني

---

335 - سعاده، الأب اغناطيوس (م ل): " الرسامات في شرطونية المطران ميخائيل البلوزاوي، من ١٧٣٤ إلى ١٧٥٣"، المنارة، السنة ٢٦، العددان الأول والثاني، ١٩٨٥ ص ٤٤٩.

336 - المرجع السابق، ص ٤٤٩.

337 - المرجع السابق، ص ٤٤٩.

338 - جعل السيد يواكيم الحاج في، عكار...، ج ٢، ص ٦٣، هذا القس من بيت الحاج ، وادخل عبارة "الحاج" داخل نص الشرطونية تعسفاً، لأنها غير واردة فيه أصلاً.

339 - المرجع السابق، ص ٤٥٠.

340 - المرجع السابق، ص ٤٥٠.

على هذه المرحلة الزمية، على أن نفصل ما فاتنا في المرحلة السابق، وما سيحصل في المراحل اللاحقة في بحث خاص نعمل على إعداده.

المصادر والمراجع

١- أبو العينين، حسن سيد أحمد: لبنان، دراسة في الجغرافيا الطبيعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.

٢- أبو زيد، سركيس: الموارنة، سؤال في الهوية، دار أبعاد للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٠.

٣- أبو الفدا، عماد الدين اسماعيل: المختصر في أخبار البشر، ج ١ و٢ و٣ و٤، ط ١، المطبعة الحسينية المصرية.

٤- أبي حبيب، الأب آميل الأنطوني: البطريرك الياس الحويك (١٨٩٩ – ١٩١٨)، مسودة دراسة (مطبوعة) لنيل شهادة دبلوم الدراسات العليا في علم الاجتماع السياسي، معهد العلوم الاجتماعية – الجامعة اللبنانية – الفرع الثاني، ١٩٩٩.

٥- أرملة (الأب) وحبيقة (الأب): "لائحة أسماء القرى اللبنانية السريانية"، المشرق، ٢٨، ١٩٢٩.

٦- أسعد، منير الخوري عيسى: تاريخ حمص، القسم ٢، نشرته مطرانية حمص الأرثوذكسية، ١٩٨٤.

٧- ألوف، ميخائيل: تاريخ بعلبك، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٩٢٦.

٨- أوروسيوس: تاريخ العالم، الترجمة العربية القديمة، منتصف القرن الرابع الهجري، حققها وقدم لها عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٨٢.

٩- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، المجلد ٦. دار صادر، بيروت، ١٩٦٦.

١٠-ابن العديم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ج ١، (١ – ٤٥٧هـ)، المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

١١- ابن القلاعي، جبرائيل: زجليات، دراسة وتحقيق بطرس الجميل، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، لبنان، ١٩٨٢.

١٢- ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٤.

١٣- ابن الكلبي: كتاب الأصنام، تحقيق أحمد زكي باشا، طبعة لاييزيغ، عام ١٩٤١.

١٤- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

١٥- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، الطبعة الثانية، عن دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

١٦- ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٢، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٣.

١٧- ابن جبير: رحلة ابن جبير، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ب. ت.
١٨- ابن جبير: رحلة ابن جبير، "تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار"، دار صادر، بيروت، ب. ت.
١٩- إبن حوقل، (أبي القاسم بن حوقل النصيبي): كتاب صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ، وبدون محقق.
٢٠- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، مكتبة المثنى، بغداد،(ب. ت.).
٢١- ابن سيدَه: المخصص، تحقيق لجنة احياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ج٢، بيروت (ب ت).
٢٢- ابن شداد، عز الدين محمد أبي عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي المتوفي سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، المعهد الافرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٦٢.
٢٣- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الاسلامي للبحوث، بيروت،١٩٨٥.
٢٤- ابن كثير، أبي الفداء: البداية والنهاية، المجلد السابع، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢.
٢٥- ابن محاسن: المنازل المحاسنية في الرحلة الطرابلسية، دراسة وتحقيق محمد عدنان البخيت، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
٢٦- ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار الجيل، المجلد ٤، ١٩٨٨.
٢٧- اسحق، فوزي نقولا: القبيات، دراسة سكانية – اقتصادية – اجتماعية، رسالة ماجستير، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الفرع الثاني، ١٩٨٢.
٢٨- اسطفان، الأب نايف: تاريخ أبرشية عكار الأرثوذكسية، المطبعة البولسية، جونية – لبنان، ١٩٩٤.
٢٩- الأسود، ابراهيم بك: كتاب ذخائر لبنان، طبع في المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان، سنة ١٨٩٦.
٣٠- الادريسي، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، المجلد الأول، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
٣١- الأمين، الامام السيد محسن: خطط جبل عامل، الدار العالمية، بيروت، ١٩٨٣.
٣٢- الانتخابات النيابية، ١٩٧٢، بالأرقام والنسب، تقديم العميد الركن أنطوان دحداح، مدير عام الأمن العام، ١٩٧٤.
٣٣- الانطاكي، يحي بن سعيد بن يحي: تاريخ الانطاكي، المعروف بصلة تاريخ أوتيخا، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، جروس - برس، طرابلس – لبنان ١٩٩٠.
٣٤- البشعلاني، الخوري اسطفان: تاريخ بشعلي وصليما، بيروت، ١٩٤٨.
٣٥- البكري: معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لحنة التأليف والترجمة، القاهرة، ج ٢، ١٩٤٧.

٣٦- البلاذري: كتاب فتوح البلدان، شركة طبع الكتب العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٠١.
٣٧- البني، د. عدنان والأسعد، خالد: تدمر (أثرياً، تاريخياً، سياسياً) ، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٩.
٣٨- البيسري، الخوري يوحنا حبيب: لمحة من تاريخ سيدة الغسالة العجائبية، (بدون ناشر)، ١٩٨٤.
٣٩- البيطار، د. أمينة: مواقف أمراء العرب بالشام والعراق (من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري)، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٠.

٤٠- البيطار، د. أمينة: الحياة السياسية وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام، ١٣٢ – ٣٥٨هـ/ ٧٥٠ – ٩٦٨م، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠.

٤١- التميمي، رفيق، وبهجت، محمد: ولاية بيروت، مطبعة الولاية، ١٩١٧/١٣٣٣م، الطبعة الصادرة من منشورات لحد خاطر، بيروت ٢٢نيسان ١٩٧٩، القسم الشمالي (الثاني).

٤٢- الجزري، عز الدين ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج ١، دار صادر، ١٩٨٠.

٤٣- الجميل، الخوري ناصر: "سلسلة بطاركة الطائفة المارونية للبطريرك بولس مسعد"، مجلة المنارة، السنة ٢٦، العددان الأول والثاني ١٩٨٥.

٤٤- الجميل، الخوري ناصر: نبذات تاريخية في كنائس لبنان، بيروت، ١٩٩٥.

٤٥- الجميل، الخوري ناصر: المدرسة المارونية الحبرية الرومانية، بيروت، ١٩٩٣.

٤٦- الحاج، يواكيم: عكار في التاريخ، ج ١: أضواء على الماضي وج ٢: تاريخ القبيات، مجد، بيروت، ١٩٩٩.

٤٧- الحتوني، الخوري منصور طنوس: نبذة تاريخية في المقاطعة الكسروانية، (المطبوع عام ١٨٨٤)، طبعة جديدة طبق الأصل، دار كنعان، ١٩٨٣.

٤٨- الحداد، حكمت ألبير: لبنان الكبير، دار نظير عبود، الطبعة الثانية، ١٩٩٤.

٤٩- الحصروني، الأب يوسف ابراهيم الحوراني: تاريخ أديار معاملة الجبة، أشرف على نشره المحترم الأب يوسف الخوري (ر.ل.م.)، منشورات اليوبيل المئوي الثالث للرهبانية المارونية اللبنانية (١٦٩٥ – ١٩٩٥)، دير مار انطونيوس – غزير (لبنان)، ١٩٩٨.

٥٠- الحصني، محمد أديب آل تقي الدين: كتاب منتخبات التواريخ لدمشق، قدم له كمال سليمان الصليبي، ج ١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩.

٥١- الحلبي، محمد بن علي العظيمي (٤٨٣ – ٥٥٦هـ/١٠٩٠ – ١١٦١م): تاريخ حلب، حققه وقدّم له ابراهيم زعرور، دمشق، ١٩٨٤.

٥٢- الحلو، د. عبدالله: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية، ط ١، بيسان للنشر، بيروت، ١٩٩٩

٥٣- الحمود، نوفان رجا: العسكر في بلاد الشام في القرنين السادس عشر والسابع عشر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١.
٥٤- الحموي، ياقوت: معجم البلدان، حمسة أجزاء، دار صادر، بيروت.
٥٥- الحوراني، يوسف: لبنان في قيم تاريخه، العهد الفينيقي، دار المشرق، بيروت ١٩٧٢.
٥٦- الخوري، الأب اغناطيوس طنوس الخوري: مختصر تاريخ جبل لبنان، تحقيق الياس القطار، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٣.

٥٧- الخوري، الأب اغناطيوس طنوس الخوري: مخطوط تاريخ أبرشية طرابلس المارونية، زودنا الخوري جورج يوسف مشكوراً بصورة عن مجموعة أوراق تتعلق بمعظم ما كتبه الأب اغناطيوس عن القرى المارونية العكارية.

٥٨- الدبس، المطران يوسف: تاريخ سورية الدنيوي والديني، ٩ أجزاء، راجعه ودققه د.مارون رعد، إشراف نظير عبود، دار نظير عبود، ١٩٩٤.

٥٩- الزريبي، الخوري سليم: الوثائق التاريخية في مكتبة الخورسقف مخايل الزريبي، عمل تطبيقي موجه في مادة اللاهوت العقائدي، بإشراف الأب ناصر الجميل، الكسليك لبنان، ١٩٨٩ – ١٩٩٠. المؤلف عبارة عن فهرس تفضيلي لمعظم الوثائق الخطية التي خلفها الخورسقف مخائيل الزريبي.

٦٠- الدستور اللبناني الصادر في ٣٢أيار ١٩٢٦، مع جميع التعديلات التي أقرت في مجلس النواب اللبناني، وفقاً لوثيقة الإتفاق الوطني اللبناني (إتفاق الطائف)، ١٩٩١-بدون ناشر أو تاريخ.

٦١- الدستور اللبناني، تاريخه، تعديلاته، نصه الحالي ١٩٢٦-١٩٩١)، إعداد شفيق جحا، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، تشرين/أكتوبر ١٩٩١.

٦٢- الدويهي، البطريرك اسطفان: سلسلة بطاركة الطائفة المارونية، عني بنشرها وتعليق حواشيها رشيد الحوري الشرتوني، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠١.

٦٣- الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الطائفة الماروني، نشره رشيد الخوري الشرتوني، عن المطبعة الكاثوليكية، بيروت، عام ١٨٩٠.

٦٤- الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، حققه وقدم له الأب أنطوان ضو، منشورات مؤسسة التراث الأهدني، أهدن، لبنان، ١٩٧٣.

٦٥- الدويهي، البطريرك اسطفان: أصل الموارنة، حققه وقدم له الأب أنطوان ضو، منشورات مؤسسة التراث الأهدني، أهدن، لبنان، ١٩٧٣.

٦٦- الدويهي، البطريرك اسطفان: تاريخ الأزمنة، منشورات لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢.

٦٧- الدويهي، البطريرك اسطفان: منارة الأقداس، الجزء الأول.

٦٨- الزعبي، د. محمد خالد: تاريخ عكار الاسلامي والسياسي والحضاري عبر العصور، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧.

٦٩- السخني القرطباوي، الأب أوغسطين سالم: ديوان خواطر الجنان ونظم أزاهر البيان، طُبع على نفقة نسيبه السيد لويس رحال، سنة ١٩٣٩.

٧٠- السمراني، الأب فيليب المرسل اللبناني: "قسط الموارنة في ارتداد الكنائس الشرقية"، المنارة، السنة السادسة، ١٩٣٥.

٧١- الشبابي، الخوري ميخائيل عبدالله غبرئيل (الماروني): تاريخ الكنيسة الأنطاكية السريانية المارونية، المجلد الأول والثاني، القسم الثاني، المطبعة اللبنانية في بعبدا، ١٩٠٦.

٧٢- الشدياق، أحمد فارس: الساق على الساق في ما هو الفارياق، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٦.

٧٣- الشدياق، طنوس: أخبار الأعيان في جبل لبنان، منشورات دار نظير عبود.

٧٤- الشهابي،الأمير حيدر أحمد: الغرر الحسان في تواريخ حوادث الزمان، ٤ أجزاء، منشورات دار نظير عبود، ١٩٩٣.

٧٥- الشيخ، د. محمد محمد مرسي: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الخادي عشر والثاني عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٠.

٧٦- الصفدي، أحمد الخالدي: تاريخ الأمير فخر الدين المعني، تحقيق د. أسد رستم ود. فؤاد افرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩.

٧٧- الطبر، الأب سركيس الأنطوني: "البطريرك ميخائيل الرزي ومجمع دير سيدة قنوبين"، المنارة، السنة ٢٤، العدد الأول، ١٩٨٣.

٧٨- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨.

٧٩- القطار، د.الياس: مدخل إلى علم التاريخ (تطوره – منهجه)، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، ١٩٨٢.

٨٠- القطار، د. الياس: نيابة طرابلس في عهد المماليك، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٩٨.

٨١- القطب، سمير عبد الرزاق: أنساب العرب، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٨.

٨٢- القلقشندي، أحمد بن علي: صبع الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيرةت، ج ١٤، ط ١، ١٩٨٧.

٨٣- الكتاب المقدس، العهد القديم، دار المشرق، ١٩٨٩.

٨٤- الكتاب المقدس، العهد الجديد، مرجع سابق، ط ٢، منشورات المكتبة الكاثوليكية، بيروت.

٨٥- الكفرنيسي، الأب بولس مبارك الخوري: تاريخ عائلة الخوري تادي ومواطنها، طبع في الشياح – لبنان،١٩٥٧.

٨٦- المجنع اللبناني، ١٧٣٦، ذكرى مرور ٢٥٠سنة، ١٩٨٦.

٨٧- المدني، هاشم دفتردار والزعبي، محمد علي: الاسلام والمسيحية في لبنان، مطبعة الإنصاف، بيروت، ط ٢.

٨٨- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٣، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٠.

٨٩- المعلوف، عيسى اسكندر: دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف، المطبعة العثمانية في بعبدا، لبنان، ١٩٠٧ – ١٩٠٨.

٩٠- الهاشم، الخوري لويس: تاريخ العاقورا، مطبعة العلم، بيت شباب، لبنان، ١٩٣٠.

٩١- اليان، جوزف: بنو سيفا، ولاة طرابلس (١٥٧٩ – ١٦٤٠)، منشورات دار لحد خاطر، منشورات الدائرة، بيروت، ١٩٨٧.

٩٢- اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار بيروت، بيروت، المجلد الثاني، ١٩٧٠.

٩٣- بابادوبولس، خريسوستمس: تاريخ كنيسة انطاكية، تعريب الأسقف استفانس حداد، منشورات النور، ١٩٨٤.

٩٤- بليبل، الأب لويس: تاريخ الرهبانية اللبنانية المارونية، المجلد الأول، مطبعة يوسف كوى بمصر، ١٩٢٤.

٩٥- بليبل، الشيخ أدمون: تقويم بكفيا الكبرى وتاريخ أسرها، مطبعة العرائس، بكفيا، (لبنان)، ١٩٣٥.

٩٦- بن متى، عمرو: أخبار فطاركة كرسي المشرق، من كتاب المجدل، طبع في رومية الكبرى، سنة ١٨٩٦ مسيحية. جاء غلاف الكتاب باللاتينية (مع مقدمة باللاتينية أيضاً) على الشكل التالي: Maris Amri et Slibae, de Patriarchis Nestorianorum,Commentaria, ex codicibus vaticanis edidit Henricus Gismondi S. J., Romae, excudebat F. de Luigi, MDCCCXCVI (1896).

٩٧- بولس، جواد: التحولات الكبيرة في تاريخ الشرق الأدنى منذ الاسلام، دار عواد للطباعة والنشر.

٩٨- بولس، جواد: لبنان والبلدان المجاورة، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ثانية، ١٩٧٣.

٩٩- بولس، جواد: الموسوعة التاريخية، شعوب الشرق الأدنى وحضاراته، تعريب وتحقيق سيمون عواد، دار عواد، بيروت، ١٩٩٣.

١٠٠- تدمري، عمر عبد السلام: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، الجزء الأول، مطابع دار البلاد، طرابلس ـ لبنان، ١٩٧٨.

١٠١- تدمري، د. عمر عبد السلام: لبنان من الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الأموية، جروس – برس، طرابلس، لبنان، ١٩٩٠.

١٠٢- جريج، الياس: تطور المجتمع العكاري خلال النصف الأول من القرن العشرين، رسالة ماجستير في التاريخ، بإشراف د. مسعود ضاهر، الجامعة اللبنانية، كلية الآداب والعلوم الانسانية، ١٩٧٩، (غير منشورة).

١٠٣- جعجع، غازي: تاريخ بشري الحديث، (١٤١٥ – ١٩٢٠)، بشاريا للنشر، ١٩٩٤.

١٠٤- حبلص، د. فاروق: تاريخ عكار الاداري والاجتماعي والاقتصادي (١٧٠٠ – ١٩١٤)، دار لحد خاطر، دار الدائرة، بيروت، ١٩٨٧.

١٠٥- حبيش، خليل رشيد اسكندر: آل حبيش في التاريخ، تقديم فوءاد افرام البستاني، بدون ناشر، ١٩٧٨.

١٠٦- حبيقة، الخورسقف بطرس: تاريخ بسكنتا وأسرها، ١٩٤٦، (أعادت الحركة الثقافية في بسكنتا طباعة هذا الكتاب ونشره)، بدون تاريخ.

١٠٧- حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة د.جورج حداد وعبد الكريم رافق، مراجعة وتحرير د. جبرائيل جبور، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٨.

١٠٨- حتى، فيليب: تاريخ لبنان، منذ أقدم العصور التاريخية إلى تاريخنا الحاضر، ترجمة د.أنيس فريحة، مراجعة د.نقولا صليبا، إشراف د.جبرائيل جبور، دار الثقافة-بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

١٠٩- حتي، فيليب: خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الجزء الأول، الدار المتحدة للنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.

١١٠- حرفوش، الأب ابراهيم: "الأديار القديمة في كسروان"، المشرق، السنة السادسة، العدد٣، العام ١٩٠٣.

١١١- حرفوش، الأب ابراهيم: "الرسامات"، المنارة، سنة ١٩٣٨.

١١٢- حرفوش، الأب ابراهيم: "الكنوز المخفية... الرسامات"، المنارة، السنة التاسعة، العام١٩٣٨، والمنارة، السنة الثالثة، ١٩٣٢.

١١٣- خليفة، د. عصام: أبحاث في تاريخ لبنان في العهد العثماني، ١٩٩٥، بدون تعيين دار نشر.

١١٤- خليفة، د. عصام: الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر، بيروت، ٢٠٠٠.

١١٥- خليفة، د. عصام: لبنان في أرشيف اطنبول، بيروت ١٩٩٦.

١١٦- خليفة، د. عصام: شمال لبنان في القرن السادس عشر، جوانب من الحضارة المادية بيروت، ١٩٩٩.

١١٧- خوري، رئيف: سورية والأرض المقدسة وآسيا الصغرى...، منشورات دار المكشوف، بيروت، ١٩٨٤.

١١٨- داغر، الخورسقف يوسف: ببطاركة الموارنة، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٧.

١١٩- داغر التنوري، الخورسقف يوسف: لبنان، لمحات في تاريخه وآثاره وأسره، طبعه آميل داغر، مطبعة المرسلين اللبنانيين، جونية، لبنان، ١٩٣٨.

١٢٠- دروزة، محمد عزة: العرب والعروبة، ج ١، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٥٩.

١٢١- دريان، المطران يوسف: كتاب البراهين الراهنة في أصل المردة والجراجمة والموارنة، دار كنعان، طبعة جديدة طبق الأصل، ١٩٨٤. يعود نشر الكتاب لعام ١٩٠٣.

١٢٢- دنديني، الأب إيرونيموس: رحلة الب إيرونيموس دنديني إلى لبنان سنة ١٥٩٦، عربها الخوري يوسف يزبك العمشيتي، مطبعة جريدة العلم، بيت شباب (لبنان) ١٩٣٣.

١٢٣- دوسو، رينيه: العرب في سوريا قبل الاسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، راجعه د. محمد مصطفى زيادة، دار الحداثة، بيروت، الطبعة الثانية.

١٢٤- دي طرازي، الفيكنت فيليب: أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السريان، المجلد والأول والثاني، بيروت، ١٩٤٨.

١٢٥- رستم، د.أسد: تاريخ اليونان، من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٩.

١٢٦- رستم، أسد: عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه (٤٤ق.م.- ٦٩ب.م.)، ج٢، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٥.

١٢٧- رستم، د. أسد: كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى، ج ١ و٢ و٣، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٨.

١٢٨- زكار، د. سهيل: الحروب الصليبية، الحملتان الأولى والثانية حسب روايات شهود عيان، كتبت أصلاً بالاغريقية والسريانية والعربية واللاتينية، اختارها وترجمها د. سهيل زكار، ج ١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤.

١٢٩- زيادة، الخورسقف يوسف: "القس الخوري يوسف اسكندر القرطباوي"، المشرق، السنة ٥٣، تموز – ت[١] ١٩٥٩.

١٣٠- سجل أسماء العرب، إشراف محمد ابن الزبير، جامعة السلطان قابوس، مكتبة لبنان، بيروت، م ٤، ١٩٩١.

١٣١- سجل عماد تابع لدير جنين، ص ٢٥. والسجل عبارة عن دفتر قياس ١٦ × ١٠ سنتم، أوراقه غير مسطرة، فيه بعض الصفحات بالسريانية، عددصفحاته المرقمة ٢٠٧. يبدأ السجل بتاريخ ١٨٥٨، فيه بعض حالات الزواج والوفاة. وقد مكننا من قراءته د. فؤاد سلوم مشكوراً.

١٣٢- سجلات الكنائس في رعايا القبيات (الضهر، غوايا، الذوق، مرتموره)، وهي تعود للعام ١٩١٠ – ١٩١١ أو ١٩١٢، وفيها إحصاء لأبناء الرعية ووقائع الزواج والوفاة والعماد، وبعض الملاحظات التي دونها الكهنة. وأهمها سجلات رعية مرتمورة.

١٣٣- سعادة، الأب اغناطيوس (م.ل.): "الرسامات في شرطونية المطران اغناطيوس الخازن من ١٧٨٨ إلى ١٨١٩"، المنارة، السنة ٣٠، ١٩٨٩، العدد الثالث.

١٣٤- سعاده، الأب اغناطيوس (م ل): " الرسامات في شرطونية المطران ميخائيل البلوزاوي، من ١٧٣٤ إلى ١٧٥٣"، المنارة، السنة ٢٦، العددان الأول والثاني،١٩٨٥.

١٣٥- سلوم، د. فوءاد: دريب – عكار، ١٨٥٠ – ١٩٥٠، دراسة في التاريخ الاجتماعي، إشراف د. جان شرف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة الروح القدس – الكسليك، كلية الآداب – معهد التاريخ، ١٩٩٢.

١٣٦- سلوم، فؤاد: تاريخ التليل ومنطقتها في عكار ١٨٥٠ – ١٩٥٠، (بحث) لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، باشراف د. جان شرف، جامعة الروح القدس، الكسليك، كلية الآداب – معهد التاريخ، ١٩٨٣.

١٣٧- سلوم، د. فؤاد: "القبيات مارونية أصلاً واستمراراً"، مجلة الشمال، العدد ٨٦، ١٩٨٧/٨/١٧.

١٣٨- شبلي، الأب انطونيوس اللبناني: "الآثار المطوية... نبذة أثرية تاريخية"، المشرق، السنة ٥٣، العدد أيار – حزيران ١٩٥٩.

١٣٩- شيخو، الأب لويس: "نصرانية غسان"، المشرق، السنة ١٠، ١٩٠٧، العدد ١١.

١٤٠- صفير،الأب بولس: "البطاركة في التاريخ الماروني"، مجلة الفصول، صيف ١٩٨٠.

١٤١- طلاس (العماد مصطفى) والجلاد (العميد الركن محمد وليد): قلعة الحصن ، حصن الأكراد، ج ١، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٠.

١٤٢- طوق، أنطوان جبرايل: أمثال الأقدمين في جبة المقدمين، بشاريا للنشر، ١٩٩٢.

١٤٣- طوق، أنطوان جبرايل: بشري ولبنان ١٩٧٥ – ١٩٨٢، بشاريا للنشر، ط ١، ١٩٨٥.

١٤٤- عبد المولى، د. محمد أحمد: بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (مصر)، ط ١، ١٩٨٥.

١٤٥- عبدالله، جوزف: تكوين السلطة السياسية في حوش الأمراء، بحث لنيل شهادة الميتريز في علم الاجتماع السياسي، إشراف د. سهيل القش، الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية، بيروت، ١٩٧٩.

١٤٦- عبدالله، جوزف: "بلدة القبيات" ملف العدد، مجلة الشمال، وكالة ...، العدد٦٥، ١٩٨٦/٩/٢٩.

١٤٧- عبدالله، جوزف: مجموعة الوثائق المساعدة لكتابة التاريخ، مصنف قيد الإعداد.

١٤٨- عبودي، هنري س.: معجم الحضارات السامية، جروس برس، طرابلس – لبنان، ط ٢، ١٩٩١.

١٤٩- عساف، د. ساسين: "البطريركان موسى العكاري وميخائيل الرزي والمجمعان المارونيان الأولان"، المنارة، السنة ٢٤، العدد الأول، ١٩٨٣.
١٥٠- عطوان، د. حسين: الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
١٥١- علي، أحمد اسماعيل: تاريخ بلاد الشام (منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي)، دار دمشق، ط ٣، ١٩٩٤.

١٥٢- غانم، يوسف خطار: برنامج أخوية القديس مارون، ج ٢، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٠٣.

١٥٣- فرماج، الأب بطرس: مروج الأخيار...، المطبعة اليسوعية ، بيروت، ط ٢، ١٨٨٠.

١٥٤- فريحة، أنيس: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٢.

١٥٥- فهد، الأباتي بطرس: كتاب الهدى، دستور الطائفة المارونية في الأجيال الوسطى، تحقيق، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥.

١٥٦- فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم من ٦٨٥ إلى القرن ١٢، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥

١٥٧- فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم، من القرن ١٣ إلى القرن ١٥، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٥.

١٥٨- فهد، الأباتي بطرس: بطاركة الموارنة وأساقفتهم في القرن ١٦، ١٩٨٢.

١٥٩- كاهن، كلود: الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية، أحمد الشيخ، دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥.

١٦٠- كرد علي، محمد: خطط الشام، مكتبة النوري، ٣ مجلدات، ط ٣، ١٩٨٣.

١٦١- كرم، الأب مارون: قصة الملكية في الرهبانية اللبنانية المارونية، دار الطباعة اللبنانية، بيروت، ١٩٧٢.

١٦٢- كوثراني، وجيه: بلاد الشام، السكان والاقتصاد والسياسة الفرنسية في مطلع القرن العشرين، معهد الانماء العربي، بيروت، ١٩٨٠.

١٦٣- لامنس، الأب هنري: تسريح الأبصار فيما يحتوي لبنان من الآثار، دار نظير عبود، ١٩٩٥.

١٦٤- مرهج، عفيف بطرس: أعرف لبنان، موسوعة المدن والقرى اللبنانية، ط ٣، ١٩٨٥.

١٦٥- المؤتمر الأول لتاريخ جبة بشري، ١٥١٦ – ١٩١٨، منشورات لجنة جبران الوطنية، ١٩٩٨.

١٦٦- المؤتمر الأول لتاريخ عكار، في التاريخ العثماني، ١٥١٦ – ١٩١٨، ١٩٩٥.

١٦٧- مرتين، الأب اليسوعي: تاريخ لبنان، نقله إلى العربية، رشيد الخوري الشرتوني، دار نظير عبود، ١٩٩٤.

١٦٨- مرعب، خالد مصطفى: الإمارة المرعبية، امتدادها الجغرافي وتطورها السياسي حتى سنة ١٨٤٠، ج ١، إشراف د. فاروق حبلص، دار البخاري، طرابلس، لبنان، ١٩٩٢.

١٦٩- مفرج، طوني: موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الأوسط، المجلد الأول، دار نوبيليس، بيروت، ١٩٩٥.

١٧٠- مكي، محمد علي: لبنان من الفتح العربي حتى الفتح الاسلامي (٦٣٥ – ١٥١٦)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٧.

١٧١- هَرنشو، (ج): علم التاريخ، ترجمه وعلّق حواشيه...، عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢.

١٧٢- هورس، جوزف: قيمة التاريخ، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط ٣، ١٩٨٦.

١٧٣- يني، جرجي أفندي: تاريخ سوريا، قدم له د. مارون عيسى الخوري، دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٨٦.هذه الطبعة نقلاً عن نص طبعة ١٨٨١.

المصادر والمراجع الأجنبية

1- ABDALLAH,Joseph: Rapports du Pouvoir Politique à Qbayet (un village maronite du Liban-Nord), Thèse de doctorat de 3ème cycle en sociologie, sous la direction de Pierre FOUGEYROLLAS, Université de Paris-7, U.E.R.de Sociologie, Paris, 1983.

2- Albert d AIX, Conquete de la Terre Sainte, (1096,1118), Introduction et Notes par M. GUIZOT, Les Editions de l Orient, 1993, Beyrouth, Liban

3- ANAISSI, P. Abbas Tobias Maronita: Collectio Documentorum Maronitarum ..., Liburni, 1921.

4- BERCHEM et FATIO, Voyage en Syrie, Mémoires Publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire, sous la direction de M. Pierre LACAN, t. I, le Caire, (I.F.A.O.), 1914.

5- BESANSON (Jacques) et HOURS (Francis): Quelques sites préhistoriques nouveaux dans la Béqaa, Mélanges de l Université Saint-Joseph, Tome XLIV, 1968.

6- BOUSTANY, Hareth: Liban, Guides Arthaud, Paris, 1998.

7- BRWON, John Pairman: The Lebanon and Phoenicia, Beirut,1969.

8- CAHEN, Claude, La Syrie du Nord à l'époque des Croisades,. P. Geut, Paris, 1940.

9- CAHEN, Claude: Orient et Occident au temps des Croisades, Aubier-Montaigne, Paris, 1983.

10- CANIVET, Pierre: le Monachisme Syrien selon Théodoret de Cyr, Editions BEAUCHESNE, Paris, 1977.

11- CHAD, Carlos (S.J.): Les Dynasties d`Emèse, Dar El-Machreq, Beyrouth, 1972.

12- CHATELET, François: La Philosophie des Sciences Sociales, de 1860 à nos jours, Librairie Hachette, Paris, 1973.

13- DELAPORTE, Louis: Les Peuples de l`Orient Méditérannéen, I le Proche-Orient Asiatique, Puf, Paris, 1938.

14- DESCHAMPS, Paul, La Défense du Comté de Tripoli et de la Principauté d'Antioche, Texte, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1973.

15- DESCHAMPS, Paul, Les Chateaux des Croisés en Terre Sainte – Le Crac des Chevaliers, Texte, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1934.

16- DIB, Pierre (Choréveque): l`Eglise Maronite, t. 1, Librairie letouzey et Ane, Paris, 1930.

17- Dictionnaire d`Histoire et de Géographie Ecclésiastique, T. 3, Librairie Letouzey et Ané, Paris, 1924.

18- DUSSAUD, René: Voyage en Syrie, Oct. Nov. 1896, Revue Archéologique, 3[éme] série, tome XXX, Jan. Juin, 1897.

19- DUSSAUD, René: Topographie Historique de la Syrie antique et Medievale, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1927.

20- DUSSAUD, DESCHAMPS, SEYRIG: La Syrie Antique et Médiévale Illustrée, Paul Geuthner, Paris, 1931.

21- ENGELHARDT: La Turquie et les Tanzimats, vol., 1, Paris, 1882.

22- GHADBAN, Chaker: Deux Inscriptions Inédites de Djebel Akroum dans le Haut Akkar (Liban), MUSJ.

23- GONCALVE, Francolino J.: L`Expédition de Sennashérib en Palestine dans la littérature hébraique ancienne, Librairie Lecofere, Paris, 1986.

24- GROUSSET, René: Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, T. 1, Librairie Plon, Paris, 1934.

25- Guillaume de Tyr: Chronique, dans Croisades et Pèlerinages, Robert Laffont, Paris, 1997.

26- HADDAD: Manuscrits Collectionnés et Rassemblés par le P. Michel HADDAD Carme Libanais.

27- KAZIMIRSKI, A. de B.: Dictionnaire Arabe-Français, Librairie du Liban, Beyrouth, 2 tomes, (sans date), 1ère édition 1860, Maisonneuve et Cie Editeurs, Paris, T.1.

28- KHALIFE, Issam: des Etapes Decisives dans l`Histoire du Liban, Beyrouth.

29- LAMMENS, Henri (P.J.): La syrie, Précis historique, Édition Dar Lahd Khater, Beyrouth.

30- LAMMENS, Henri (S J), Notes Epigraphiques et Topographiques sur l’Emesène, Extrait du Musée Belge, Revue de Philologie Classique, Louvain, 1902.

31- LAMMENS, Henri (S.J.): La Syrie et son Importance Géographique, Extrait de la Revue des Questions Scientifiques, avril 1904, Louvain-Imprimerie Pollenis et Centerick, 1904.

32- LAMMENS, Henri (S.J.): Au pays des Nosarïs, Extrait de la Revue de l'Orient Chrétien, 1899 et 1900.

33- LAMY: Actes du 11[ème] Congès des Orientalistes: Profession de foi adressé par les Abbés des Couvents de la Province d`Arabie à Jacques BARADEE, par M. TH. LAMY.

34- LEBEAU, Richard: Syrie, Jordanie, Guides Arthaud, Paris, 1999.

35- MASPERO, G.: Histoire Ancienne des Peuples de l’Orient, Lib. Hachette, Paris, 1904.

36- MOURANI, Afif (p): L`Architecture Religieuse de Cobiath sous les Croisés,Thèse de Doctorat en l`Histoire de l`Art, sous la direction de Yves BRUAND, Toulouse 1988.

37- MOURRE, Michel: Dictionnaire Encyclopédique d Histoire, T.4, Bordas, Paris, 1997.

38- MOUTERDE, R. (S. J.): Reliefs et Inscriptions de la Syrie et du Liban, Mélanges de l`Université Saint-Joseph, T.34, fasc.2, 1957, Imp. Catho., Beyrouth.

39- O NEILL, Amanda: Les Temps Bibliques, Editions Soline,France, 1993.

40- PALANQUE, Jean-Rémy: Les Impérialismes Antiques, Troisième éditions, Puf, Paris, 1967.

41- PLINE (Caïus Plinius Secundus): Histoire Naturelle, avec la traduction en français par M.É. LITTRÉ, chez Firmin Didot frères, Paris, 1860, Tome I.

42- POGNON, Henri: Les Inscriptions Babyloniennes de Wadi Brissa, Paris, 1887.

43- RENAN, E.: Mission de Phénicie, Imprimerie Impériale, Paris, 1864, Edition avec introduction de Sami KARKABI,Terre du Liban, Beyrouth, 1er Octobre 1997.

44- REY, E.: Les Colonies Franques de Syrie aux XII et XIII siècles, Alph. Picard, Editeur, Paris, 1883.

45- REY, G.: Étude sur les Moments de l'Architecture Militaire des Croicés en Syrie et dans l'Ile de chypre. Imprimerie Nationale, Paris, 1871.

46- RICHARD , Jean: Le Conté de Tripoli sous la dynastie toulousaine (1102-1187), Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1945.

47- RICHARD, Jean, "Le Chartier de Sainte-Marie-Latine et l'Etablissement de Raymond de Saint-Gilles à Mont-Pèlerin" Mélanges d'Histoire du Moyen Age, Louis Halphen, Puf, Paris, 1951.

48- RONZEVALLE, P. S. (S.J): Notes et Etudes d`Archéologie Orientales, (Deuxième Série) Venus Lugens et Adoni Byblius, Mélanges de l`Université Saint-Joseph, Tome XV, fasc.4, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1930.

49- RONZEVALLE: Revue. Biblique., 1903, t. XII.

50- SANLAVILLE, Paul: Etude Géomorphologique de la Région Littorale du Liban, Publications de l'Université Libanaise, Tome 1, Beyrouth, 1977.

51- SARKIS, Hassan: Histoire de Tripoli des Origines à l`Occupation Franque, Les Cahiers de l`Oronte, No. 10, 1971-1972, Liban.

52- SEYRIG, Henri: Syria, XXXVI, 1959, in Antiquités Syriennes, VI, 1966.

53- SEYRIG, Henri: Questions Héliopolitaines, Antiquités Syriennes, Cinquième Série, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, Paris,1958.

54- SEYRIG, Henri: Bas-Relief de la Triade de Baalbek Trouvé à Fneideq, Bulletin de Musée de Beyrouth, 1955, t. XII.

55- SEYRIG, Henri: Une Monnaie de Césarée du Liban, Antiquités Syriennes, Sixième Série, Extraits de Syria, 1958-1965, Paris, Librairie Orientaliste Paul Geuthner, 1966.

56- SEYRIG, Henri: Némésis et le Temple de Maqam Er-Rabb, Mélanges de l`Université Saint- Joseph, T.37, fasc.15, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1961.

57- SOBERNHEIM, Moritz, Matériaux pour un corpus inscriptionum arabicarum,Tome 25, Deuxième partie, Syrie du Nord, Premier Fascicule, Institut Francais d Archéologie Orientale, le Caire, 1909.

58- STARCKY, Jean: Arca du Liban, Les Cahiers de l`Oronte, No. 10, 1971-1972, Liban.

59- TALLON, M (S.J.): Une Nouvelle Stèle Babylonienne au Akkar (Liban Nord), M.U.S.J., Tome XLIV, Fasc. I, 1968.

60- TALLON, Maurice (S.J.): “Monuments Romains et Vestiges Antiques en bordure du Djebel Akroum” Mélanges de l’Universitée Saint-Joseph, TomeXLIV, fase 5, Imprimerie Catholique, Beyrouth, 1968.

61- Théodoret de Cyr: Hitoire des Moines de Syrie, "Histoire Philothée", Tome 1 et 2, Introduction, Texte Critique, Traduction, Notes par Pierre CANIVET et Alice LEROY-MOLINGHEN, Editions du CERF, Paris, 1977, 1979.

62- VIGOUROUX: Dctionnaire de la Bible, volume VI.

63- WEULERSSE, Jacques: Paysans de Syrie et du Proche-Orient, nrf, Gallimard, Paris, 3ème édition, 1946.

الملاحق